المشرق

السنة الرابعة والستون

تموز – تشرين الاول ١٩٧٠

وقايع الشيخ روزبهان البقلي الشيرازي

مقتطفات من كتاب

كشف الاسرار ومكاشفات الانوار

نشرها مع مقدمة

الاب بولس نويا اليسوعي

الشيخ ابو محمد روزبهان البقلي الشيرازي من أقطاب التصوف في ايران ومن اشهر الذين كتبوا في العشق الالهي واعمقهم فكرة وتجربة. غير ان اسمه يكاد ان يكون مجهولاً في الأوساط الصوفية العربية ولا يُعطى له اي اهمية في الكتب المؤرخة عن التصوف في تلك الأوساط، رغم أن روزبهان سُنّي شافعي المذهب ورغم ان الطريقة الروزبهانية قد انتشرت من فارس حتى افريقية، كما يشير الى ذلك العلامة ماسينيون في مقالة خصّصها للتعريف بشخصية روزبهان ومؤلفاته : كانت فاتحة الدراسات عن شيخنا.

١ — لا نعلم الشيء الكثير عن وقايع حياته الخارجية وهي تختصر في بضعة أسطر : ولد الشيخ روزبهان في مدينة فسا من أعمال فارس سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨ . في عائلة يظهر انه لم يكن فيها لا علم ولا تقوى . وقد أشار الى ذلك هو نفسه بكلمات قاسية . غير ان الألطاف الالهية بدأت تثير في نفسه القلق الروحي منذ صغره . فهو يذكر انه شعر بذلك أوّل مرة وعمره ثلاث سنين . اما الصدمة الكبرى فقد تناوبته في السنة الخامسة عشرة اذ ظهر له ، في عشاء يوم ، شيخ مهيب « بزيّ الصوفية » لم يكن الا الخضر نفسه . فكان ذلك الحادث حاسماً في حياته . ترك روزبهان كل شيء — ولم يكن له الا حانوت يبيع فيه البقول (لذا دعي « البقلي ») — ومضى الى الصحراء « والهاً واجداً » فقضى في الخلوة سنة ونصف سنة مارس فيها المجاهدات والرياضات الصوفية وهو يعيش في « هيجان » باطني شديد . ثم هدأت حالته فعاد الى شيراز حيث أخذ يدرس القرآن وعلوم الظاهر ويختلف الى حلقات الصوفية ليتعمق في علومهم ورياضاتهم .

وقد أخذ علوم الظاهر من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام عن الشيخ ارشد الدين ابي الحسن علي التبريزي وعن الامام فخر الدين مريم . اما شيخه في التصوف ، فأولهم جمال الدين بن خليل الفسوي . وقد أخذ عنه في فسا . ثم الشيخ سراج الدين محمود بن خليفة (٥٦٢هـ/١١٦٦) . وهناك شيخ كردي اسمه جاكير لقيه روزبهان في العراق قرب السامراء وتأثر منه تأثراً عميقاً . ولعل روزبهان مرّ بالعراق عن طريقه الى الحج . غير ان معلوماتنا عن اسفاره قليلة جداً . ولولا الشيخ الاكبر ابن العربي لما عرفنا زيارته لمكة . فان صاحب « الفتوحات المكية »[1] يذكر عن الشيخ روزبهان قصة طريفة حدثت له في مكة ، نوردها هنا لما لها من المعاني التي تتجلى فيها شخصية صوفيّنا بمقوّماتها الانسانية والروحية : « حكي عن الشيخ روزبهان انه كان قد ابتلي بحب امرأة مغنّية وهام فيها وجداً . وكان كثير الزعقات في حال وجده في الله بحيث انه كان يشوش على الطائفين بالبيت في زمن مجاورته ، فكان يطوف على سطوح الحرم . وكان صادق الحال . ولما ابتلي بحب هذه المغنية ، لم يشعر به أحد ، وانتقل حكم ذلك الذي كان عنده بالله بها . وعلم ان الناس يتخيلون فيه ان ذلك الوجد لله على أصله . فجاء الى الصوفية وخلع الخرقة ورمى بها اليهم وذكر للناس

(١) الجزء الثاني ، ص : ١٣٥ من طبعة صادر .

قصته وقال: لا أريد أكذب في حالي. ولزم خدمة المغنية. فأخبرت المرأة بحاله ووجده بها وانه من أكابر اهل الله. فاستحت المرأة وتابت الى الله مما كانت فيه ببركة صدقه ولزمت خدمته. وأزال الله ذلك التعلق بها من قلبه. فرجع الى الصوفية ولبس خرقته ولم ير ان يكذب مع الله في حاله».

وقد عاد روزبهان الى شيراز وتوفي فيها سنة ٦٠٦/١٢٠٩ وهناك قبره. وكان له في شيراز مجالس صوفية يحضرها الاكابر من الشيوخ ومريدون كثيرون، والجميع يعترفون له بالتفوق في كافة العلوم: الشرعية والصوفية.

٢ — هذا بما يخص وقايع حياته الخارجية: اما وقايع حياته الباطنية: فهي التي اثبت ذكرها في كتاب سماه «كشف الاسرار ومكاشفات الانوار»، مجيباً لأحد اصدقائه وقد سأله ان يذكر له شيئاً عن مكاشفاته السرية. وفي النص الذي ننشره اليوم مقتطفات من هذا الكتاب، اكتشفنا عليها في مجموعة عند أحد اصدقائنا في بغداد. ناخها درويش حسن بن علي الخلوتي، في سنة ١١٢٦ هـ. ويتبع اسم الناسخ اسم آخر لعله صاحب هذه المقتطفات وهو الشيخ شعبان القسطموني. مما يدل على ان أصل المخطوط تركي.

والكتاب اوسع بكثير من هذه المقتطفات التي لا تزيد على ربع الكتاب. كما أشار الى ذلك الاستاذ هنري كوربين الذي يعمل منذ سنين في إخراج طبعة علمية لكتاب «كشف الاسرار». وقد كنا قد ارسلنا للاستاذ كوربين نسخة صورية من المخطوطة. والظاهر ان مهمة إخراج هذا الكتاب ستتطلب مزيداً من الوقت لرداءة المخطوطات ولصعوبة المادة وأهميتها. فالكتاب فذ من نوعه ليس في الفن الصوفي الاسلامي فحسب، بل وفي الأدب الصوفي العالمي. روزبهان «غوث العاشقين» و«شيخ شطاح»، لأن تصوفه مؤسس على عشق الجمال الالهي المتجلي من خلال جمال كل المخلوقات ولأن عالمه الباطني، عالم الوجد والمكاشفات. فهو يعيش «بالبديهة» في عالم الغيب ويرى الله رؤية العين. كما نحن نرى عالم الشهادة. ولانعرف صوفيا آخر له مقدرته على «التغيب» عن العالم المحسوس والدخول الى حضرة الله.

٣ — ونظراً للدراسة التي يعدّها الاستاذ كوربين بخصوص كتاب «كشف الاسرار»: فنحن سنكتفي هنا بسرد عناوين اهم مؤلفات روزبهان ليتعرف اليه القارئ العربي:

ا — عرائس البيان في حقائق القرآن — تفسير صوفي ضخم قد طبع مراراً في الهند. أدمج فيه المؤلف القسم الكبير من «حقائق التفسير» للسلمي ومن «لطائف الاشارات» للقشيري.

ب — كتاب منطق الاسرار ببيان الانوار — فيه يشرح شطحات الصوفية الأقدمين ومصطلحاتهم ويأتي بشرح لكتاب «الطواسين» للحلاج. غير مطبوع.

ج — شرح الشطحيات — اراده المؤلف ترجمة فارسية لكتاب «منطق الاسرار». لكن الزيادات الهامة التي اضافها اليه جعلته كتاباً جديداً قائماً بذاته. طبعه الاستاذ كوربين في سلسلة «المكتبة الايرانية» سنة ١٩٦٦؛ رقم ١٢.

د — كتاب كشف الاسرار ومكاشفات الانوار — وهو الكتاب الذي ننشر منه مقتطفات.

ه — كتاب عبهر العاشقين — دراسة غنية وعميقة عن العشق الالهي وعلاقته بالعشق الانساني او عن العلاقة بين العشق المجازي والعشق الحقيقي — وهو بالفارسية وقد طبعه الاستاذ كوربين في سلسلة «المكتبة الايرانية» سنة ١٩٥٨؛ رقم ٨.

و — كتاب شرح الحجب والاستار في مقامات اهل الانوار والاسرار — ويُدعى ايضاً «كتاب الاغانة». فيه يشرح المؤلف طبيعة السلوك الى الله والحجب التي يلاقيها السالك في طريقه اذ «لكل عارف حجاب في كل مقام». غير مطبوع.

ز — كتاب سير الارواح — ويدعى ايضاً «المصباح في مكاشفة بعث الارواح». يتطرق فيه المؤلف الى مسألة سبق الارواح في الوجود الأزلي وهبوطها الى الاجسام وخلق الانسان على «صورة الله». غير مطبوع.

[١٧١ أ] هذا الكتاب من وقايع سلطان العارفين
وغوث العاشقين وبرهان المحققين وصاحب
تفسير العرايس وشرح شطحيات وكتاب الانوار
في شرح الأسرار ، الشيخ روزبهان بقلي المعروف
ابو محمد بن ابي النصر البقلي الفسوي ،
قدس الله تعالى روحه ورضي الله تعالى عنه[1]

[١٧١ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم النبيين محمد وآله اجمعين.

هذه وقايع الشيخ العارف العاشق ابي محمد روزبهان قدس الله تعالى روحه العزيز ورضي عنه .

قال الشيخ العارف العاشق الواصل روزبهان بن ابي النصر البقلي قدس الله تعالى روحه العزيز :

ان الله سبحانه وتعالى عرّف نفسه الرسل والأنبياء والملائكة والأولياء بخصائص آياته من العرش الى الثرى . فعرفوه بالآيات في البدايات ، وأحبّوه من حيث الآلاء والنعماء . ثم لم يقنع بما آتاهم ، لأنه سبب أحكام العبودية ؛ فابرز لهم انوار حضرته وكحّل عيونهم بكحل الجبروت وأراهم شعاع شموس عالم ملكوته ، فأحبّوه بالمحبة الخاصة — ولكن تلك المحبة في الحقيقة محبة بداية النهاية — ثم كشف لهم سُبحات جماله وجلاله بوصف تجلّي ذاته وصفاته ، فعرفوه به وأحبّوه بالمحبة الكبرى — والحق لا يتغيّر بتغيّر الحدثان ولا بنزول البلية والامتحان — فشاهدوه مشاهدة الحقيقة بلا حجاب . ثم خاطبهم وكلّمهم بغرايب العلوم والحكم . وعلّمهم عظائم أسمائه وعرّفهم لطائف نعوته وأوصافه وأنشقهم نسائم نفحات ورد المدانات [١٧٢ أ] ورياحين القربات والوصلات ، ثم بسط اليهم بكريم مناجاته وكشف أسراره وآنسهم جماله وجعلهم به عاشقين بجلاله . فبتلك الدرجات حملوا ما حملوا من اثقال البليّات من الرياضات والمجاهدات ، وصاروا عرايس حضرته وأمراء ملكه وملكوته .

فبعضهم أهل الارادات وبعضهم أهل الولايات وبعضهم أهل الآيات وبعضهم أهل الخطابات والمشاورات والمناجات وبعضهم أهل المكاشفات وبعضهم أهل المشاهدات والمحاضرات وبعضهم أهل المعارف واللطائف

(١) بالهامش : « مات روزبهان بقلي قدس سره في اواسط محرم الحرام من سنة ست وستمائة » (= ١٢٠٩ م) .

وبعضهم أهل العلوم اللدنيات والحكميات وبعضهم أهل الاتحاد. فاذا بلغوا: عبّروا بحر الازليات والابديات؛ فصاروا سكارى وآخين. فاذا تمكّنوا واستقاموا في جريان خوارق الغيب من الكشوفات والمواجيد؛ صاروا أهل الصحو. فاذا كانوا بمحلّ الاستقامة بعد التلوين؛ جعلهم الله تعالى سُرُج الزمان وآيات العرفان ومنازل الحقيقة واعلام الشريعة — جعلنا الله وإيّاكم من هذه الحالات والمقامات.

وبعد فقد سألني بعض من احبّه محبة كاملة من الصادقين أن اذكر له ما يقع لي من وقايع المكاشفات واسرار المشاهدات ليكون لم (sic) اعلام طريقته ومونسه في سرّ قلبه وروحه الى عالم الغيب. فأجبتُه بما هو له.

١ — قال الشيخ قدس الله تعالى روحه: ومن جملتها ما رأيتُ الله تعالى على سطح بيتي بوصف العزة والجلال والتقدم. رأيتُ كأنّ العالم بأسره شعشعاني كثير عظيم. فناداني [١٧٢ ب] من وسط النور بلسان الفارسي سبعين مرة: يا روزبهان إخترتُك بالولاية واصطفيتك بالمحبة. انت وليّي ومحبّي. لا تخفْ ولا تحزن: فانا اضك وأعينك في جميع مرادك. رأيتُ كأنّ من العرش الى الثرى كان بحرًا وكان مثل شعاع الشمس. فتنح في بغير إختياري ويدخل جميعُه في فمي. فما بقي قطرة الا شربتُها.

٢ — وقال: انتبهتُ ليلة في نصفها وكنتُ بين النوم واليقظة. فقلتُ في قلبي: يا وهّاب! فظهر الحقّ جلّ جلاله بوصف الجلال والجمال متجلّيًا متحلّيًا بجواهر النور فنثر عليّ من ذلك نثارًا عظيمًا. وذلك من وجه التقديم وقال: اذا قلتَ يا وهّاب. فخذ هذا من الوهّاب: وانا الوهّاب الكريم!

٣ — قال: قد خطر ببالي كثيرًا من الزمان الماضي: ما معنى «المقام المحمود» (آية ١٧: ٧٩)؟ فرأيتُ ليلةً بحرًا عظيمًا بين يدي الحضرة لا ساحل له. ورأيتُ جميع الانبياء والاولياء والملائكة المجرّدين في البحر. ورأيت حجابًا مخبًا مضروبًا على البحر. ورأيت آدم عليه الصلاة والسلام في البحر. وكان الى صدره؛ ومن كان اقرب الى الله تعالى كان اقرب من ذلك الحجاب. فمشيتُ الى قرب الحجاب واردتُ ان أعلم ما وراء الحجاب. فمشيتُ الى آخر الحجاب. فلمّا وصلتُ؛ رأيتُ من وراء الحجاب نورًا عظيمًا. ورأيتُ شخصًا مثل القمر من القرق الى القدم. وقد أخذ ذلك الشخص جميع الحضرة حتى لم يبق موضع رأس إبرة إلاّ إمتلأ منه. وكان على وجهه نور متّصل من الحضرة غير منقطع. واردتُ [١٧٣ أ] ان ادخل وراء الحجاب وما قدرت. فقلت في نفسي: ايّ مقام

هذا؟ ومن هذا الشخص؟ فنودي في سرّي: ان هذا المقام المحمود وهذا محمد (صلعم)، وما ترى على وجهه فهو نور التجلي، ولو قدرتَ على الدخول لرأيتَ الله تعالى بلا حجاب. وقيل لي: ان هذا المقام خصّ به محمد (صلعم)، وليس لأحد سبيل الى هذا.

٤ — وقال: رأيتُ الحق جلّ جلاله مرة بوصف الجلال والجمال ومعه الملائكة وقلتُ: إلهي كيف تقبض روحي؟ فقال: آتيك من بُطنان الأزل وأقبض روحك بيدي وأذهب بك في مقام العندية وأسقيك من شراب الدنوّ وأظهر لك جمالي وجلالي الى الابد كما تريد بلا حجاب.

٥ — وقال: مرة رأيتُ الحق جل جلاله في نوادر الإلتباس وقلتُ: الهي وسيدي ومولاي الى متى تربّيني المشاهدة في حد الإلتباس؟ أرني صرفَ التقدّم والبقاء! فقال تعالى: موسى وعيسى يفقدان هذه المنزلة. فكاشف الحق جل جلاله في ذرّة من نور ذاته الأزلي، وكاد روحي تزهق. فرأيتُ نبيّنا محمداً (صلعم) وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم والمشايخ قدس الله تعالى روحهم يسألون من الله تعالى ان يرزقني مقام الكبرياء.

٦ — وقال: رأيتُ ليلة من وجه الله تعالى جلالاً وجمالاً وبهاءً لو رأى اهل السموات والارض ذلك لماتوا جميعاً من اللذة. ثم رأيتُ اقطار السموات والارض مملوًا منه، وكنتُ معه حتى احضرني في مقام الدنوّ فوق كلّ فوق [١٧٣ ب] وتجلّى اليّ بسبعين الف جلال وجمال وكمال وأجلسني بين يديه وألطفني ألطافاً كثيرة وسقاني شرابات من بين يديه. ولا أطيقُ ان أصف ذلك الشراب. فلما سكرت، خطر ببالي: اين محمد (صلعم) واين الانبياء والرسل؟ خاطبني الحق جل جلاله: هم قد فنوا في انوار التقدّم! فرأيتُ الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد خرجوا مثل العساكر العظيمة من انوار التقدم. فاول قادم منهم نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام ثم آدم عليه الصلاة والسلام ثم نوح عليه الصلاة والسلام ثم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم موسى عليه الصلاة والسلام ثم عيسى عليه الصلاة والسلام ثم جميع الانبياء صلاة على نبيّنا وعليهم. فجعل النبيّ (صلعم) وهو اقرب الخلق الى الله تعالى وقد تحلقوا وفي وسط الحلقة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقد نثر الحق جل جلاله على رأس المصطفى (صلعم). ثم قال تعالى: إني اصطفيت عبدي روزبهان بالسعادة الأزلية والولاية والكرامة وجعلته أوعية علمي وسرّي لا يجري عليه بعد ذلك احكام التفرقة، وعصمتُه

بعد ذلك عن عصياني وجعلته من اهل التمكين والاستقامة ؛ وهو خليفتي في العالم والعالمين ؛ ومن أحبّه أحببته ومن أبغضه أبغضته ، ولا مانع لقضائي ولا مردّ لحكمي وانا « فعّال لما يريد » (آية ١١: ١٠٧) .

٧ — وقال : رأيتُ الحق جل جلاله مرة أخرى على أحسن صورة فعشقتُ بجماله وصفاته وأشفقت [على] دنوّه ووصاله . فمكثتُ غير بعيد [١٧٤ أ] فتضرعت . ثم ظهر لي وبينه شيء . قلتُ : الهي ما هذا ؟ قال تعالى : قلبك ! فقلتُ : لقلبي منزلة تكون بيدك ! فنقش قلبي وكان كشيء مطويّ فنشره . فغشي قلبي من العرش الى الثرى . فقلتُ : هذا قلبي ؟ فقال : هذا قلبك ! وهو أوسع الاكوان . فذهب كما هو بيده الى اقطار الملكوت ومضيتُ معه حتى بلغتُ ديوان غيب الغيب . فقلتُ : الى اين تذهب ؟ فقال : الى عالم التقدّم حتى انظر فيه وأبدعُ فيه بدائع الحقائق وأتجلى له الى الأبد بصفة الالوهية . فقلتُ : بوصف ما كنتَ في الأزل ! قال : لا سبيل لك الى ذلك . فتضرعتُ فقلتُ : أريد ذلك ! فبدا انوار العظمة ، وصرتُ متلاشياً فانياً . ثم خوطب سرّي وقيل : أتعلم معنى قوله (صلعم) : « ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء » ؟ وهو ما رأيت بين أصابعه .

٨ — وقال : يوماً قد اتفق انّ أحداً من الناس دعاني البارحة الى دعوة فيها السماع فانشد القوّال : شعر :

أيبدو الصبح محمرّ السياق ولم يرعف خياشيم الزقاق
تدارك ايها الساقي نفوساً ترقّى بالصوم الى التراق

فغلب عليّ المواجيد وألطاف المواصلات والمخاطبات وليس هناك الّا الوارد والوجد . فلما سكنتُ وخرجت تذاكرتُ تلك الاسرار حتى جاء الليل واشتغلت بالصلاة بين العشائين وقلت في نفسي : ما بال بدائع الغيب لم تكشف في السماع البارحة ؟ فرأيتُ الحق جل جلاله بالبديهة على روازن الملكوت طلع عليّ بوصف الجمال والجلال . فقمتُ على شرائط الانبساط : اين كنتَ اذ غبتَ في السماع ؟ فقال تعالى [١٧٤ ب] : كنتُ معك بهذا الوصف الذي تراني ! فضحكتُ وزعقت وطاب سرّي وعقلي وقلبي . فلما مضى من الليل نصفه . قمت وطلبته بوصف الالهية القديمة بغير إلتباس الصفات في الافعال . فتضرعتُ في ذلك : فبدا اليّ انوار الذات والصفات في عالم القدم ؛ فرأيته سناءً في سناء وجلالاً في جلالٍ وبهاءً في بهاء ؛

ورأيت بحر القدس يتظاهر بجميعها بنعت الرضا كأنّه يضحك في وجهي بتلك الانوار . فعلمتُ ان ذلك مقام الضحك .

٩ — وقال : مرة رأيتُ في نصف الليل بعد جلوسي على بساط العبودية لطلب ظهور عرايس غيب . جلالَ الحق جل جلاله في مقام الإلتباس على هيئة الحُسْن بما قنع فؤادي بذلك ، حتى صار منه كشفاً جلال الديمومية التي تحرق الضماير والأفكار . ورأيتُ وجهاً أوسع من السموات والارض والعرش والكرسي يتناثر من انوار البهاء وهو منزّه منه عن الأمثال والأشباه ، لكن رأيتُ بهاءه تعالى على لون الورد الأحمر كأنّه يتناثر منه الورد الأحمر : بما رأيتُ خدّه . فذكر قلبي قوله(١) (صلعم) : «الورد الأحمر من بهاء الله تعالى» . فهذا على قدر ادراك عقلي . ولو كان لي في ذلك الوقت عين من عيون القدس لرأيته كما يُرى بعين الظاهر يوم القيامة بوصف القدم والبقاء والأوّلية والأزلية التي مقدسة عن مشاهاة الحدثان . فمضى ساعة وقال لي : يا روزبهان من الذي يشكّ اني انا الله ؟ هل بقي لك شيء(١) باني إنكشفت لك وانا اخترتك بهذا المقام ؟

١٠ — وقال : رأيتُ نفسي في مقام التواضع [١٧٥ أ] فانية ، فقلتُ : انا أقلّ خلقك . وانا عبدك وابن عبدك ! فتقدم على قلبي سطوات التوحيد والعظمة ، وقال : من أنتَ حتى تكون عبداً لي ؟ فاستحييتُ من الله عن قولي ، فقلتُ : بأي صفة أقول وانا في مُلكك : لا أتعلقُ بشيء من الأشياء ؟ فقال : لم تكن موحّداً حتى تنسى نفسك بما دوني من العرش الى الثرى ! فبقيتُ في حجاب عظيم متحيّراً ، بما قدرتُ ان اتكلم . اذاً فخطر ببالي شيءٌ من ذكره . فعلم انّي فيه مشوّقي اليه ، وبان لي في حضري القلب ، وأشار الى نفسه فقال : انا ربّك ! فتواجدتُ وطاب قلبي .

١١ — وقال : رأيتُ الحق جل جلاله إطّلع على اهل الجنة وقال : يا أهل الجنة انا آتي كلّ يوم سبعين الف مرة الى هذه الروزنة من عالم القدم وأنظر الى اهل الجنة شوقاً الى لقاء روزبهان !

١٢ — وقال : رأيته تعالى في داري على أحسن صورة ، فضحكتُ وبكيتُ واستغرقت في بحار الدنوّ ، ثم دنا مني حتى لم يبق بيني وبينه بُعدٌ . فقال لي : انا اشتاق اليك غاية الشوق ! فقلتُ : إلهي وسيدي ! اذا حان وقت خروجي من هذا العالم فخذني بنفسك وادخلني معك في

---

(١) sic. ولعلها « شك » ..

حجاب الغيوب ! فقال تعالى : هكذا يكون ! ثم غبتُ عنه ، ثم تجلى لي بصفات ، كل لحظة بصفة ، ما رأيتُ احسن منها . فذكرتُ قوله (صلعم) : « ان الله يُري حيثة ذاته كيف شاء » .

١٣ — وقال : يوماً رأيتُ كأني بجبل الشرق ورأيتُ جماعة من الملائكة وكأن من الشرق الى الغرب بحرًا . فقالوا لي : أدخل في هذا البحر واسبح فيه الى المغرب ! فدخلتُ البحر وسبحتُ فيه . فلما بلغتُ الى موضع الشمس من وقت العصر [١٧٥ ب] رأيتُ جماعة من الملائكة على جبال المغرب ، فصاحوا وقالوا : يا فلان إسبح ولا تخف ! . فلما بلغتُ الجبل ، قالوا : ما عبَر هذا البحر الا علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه ، وأنت بعده .

١٤ — وقال : ورأيتُ ليلةً حضرة الحق سبحانه كأنه في سواق خالية ، وأخذني الحق تعالى وذبحني . فامتلأت السواقي كلها من دمي ؛ ودمي كان مثل شعاع الشمس ، وجماهير الملائكة يأخذون من دمي ويتمسحون به وجوههم . ورأيتُ النبي (صلعم) على لباس شتى اكثر من الف مرة ، وكان الرُطَب في يده ، فوضع في فمي رُطباً وقال : كُلْها باذن الله تعالى وبركة الله تعالى . ووضع في فمي لسانه ، فمصصته مصاً طويلاً ، ووضع عمامة على رأسي .

١٥ — قال : ورأيتُ ليلة بحرًا عظيماً ، وكان البحر من شراب الاحمر ورأيتُ النبي (صلعم) جالساً على وسط لجة البحر متربعاً سكران ، وفي يده قدح فيه شراب من ذلك البحر ، فشربه . فلما رآني غرف من البحر بذلك القدح غرفة وسقاني ذلك . فنُتح لي بعد ذلك ما فُتح وعلمتُ فضله على سائر الخلق ، حيث يموتون عطاشاً وهو وسط بحر الجلال سكران .

١٦ — وقال : ورأيتُ في عالم الغيب عالماً منورًا من نور ساطع ، ورأيتُ الحق سبحانه بلباس الجلال والجمال والبهاء وسقاني من خمار الوداد وشرّفني بمقام الانس وأراني عالم القدس . فلما دُرتُ في هواء القدم وقفتُ على باب العزة ، فرأيتُ جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حاضرين ، ورأيت موسى وبيده التورية وعيسى وبيده الانجيل وداود وبيده الزبور ومحمداً (صلعم) [١٧٦ أ] وبيده القرآن ، واشربني آدم عليه الصلاة والسلام الأسماء الحُسنى والاسم الاعظم ، واطعمني موسى عليه الصلاة والسلام التورية واطعمني عيسى عليه الصلاة والسلام الانجيل واطعمني داود عليه الصلاة

والسلام الزبور واطعمني محمد (صلعم) القرآن، فعلمتُ ما علمتُ من العلوم الخاصة الربّانية التي استأثر الحق تعالى أنبياءه وأولياءه بها .

١٧ — قال : ورأيتُ الحق تعالى ينزل من طور سيناء على زيّ شيخ كبير ، فذاب الطور تحت سطوات سلطان قهره . ثم غاب ، ثم ظهر . فعل ذلك مرارًا . ثم قال : هكذا فعلتُ بموسى عليه الصلاة والسلام .

ورأيتُ الحق تعالى مرة اخرى على زيّ راعٍ وبيده مغزل يغزل العرش ، وعليه لباس من الصوف الابيض الخشن . فذكرت في قلبي : هذا نوع من التشبيه ، والله تعالى منزه عن الخاييل ! فكيف أقدر ان اقول : هذا اله الارض والسماء ؟ فرأيتُ العرش قد إلتفّ على مغزلٍ مثل شعرة ، فدهشتُ واستغرقتُ في بحر العظمة . ثم غاب عني ، ثم بانَ لي بوصف آخر ، وتجلّى من عين الالوهية في عالم التقدم بنعت التوحيد . فتحيّرتُ في شأني . ثم ظهر لي من سوابق العرش على لباس البهاء ، ورأيتُ على العرش سُترة مشبكة من النور ، فناداني من ورائها . فكأنّه لم يحتجب بذلك ورأيته مكشوفاً . وقال : يا روزبهان لا تهتم من جريان أشكال الأفعال ، ولا شكّ فيما رأيتَ ، فاني انا ربّك الواحد الاحد ، ولا ينبغي لك ان يضيق صدرك في خار النكران ، فانا لك من جميع خلقي ،ولا تبالِ على أحد . فاني أبلّغك مقام عيان الغياب وأجلسك على بساط مداناتي أبدًا بلا حجاب .

١٨ — وقال [١٧٦ ب] أيضاً في حكاية طويلة : رأيتُ المشايخ يتبركون بي ، والشيخ ابو مسلم يتلألأ من النور . وقال لأهل العصر واشار اليّ : « هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب » (١١ : ٦٤) . ففرحتُ فرحاً شديداً لمّا شبّهني بناقة الله الكبرى . وخاطبني الحق تعالى بعد ذلك الخطابَ الخاص الذي استأثر به اولياءه واصفياءه وقال : أُدخلك في بساتين القدس وأُريك مشاهدتي . لا تخف ، لا تخف ، انك من خواص اصفيائي .

١٩ — وقال : رأيتُ الجنة مرة بما فيها من الأشجار والأنهار والأنوار ، لا يُحصى عددها ، ورأيتُ فيها محمداً (صلعم) وآدم عليه الصلاة والسلام وجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء قدس الله تعالى اسرارهم والشهداء والملائكة عليهم السلام ، ورأيتُ عالَماً لو أن السموات والارض تُلقى فيه ما يجدها أحد قط ، من عظمته وسعته . وما رأيتُ في ذلك العالم الا نورًا في النور وضياءً في ضياء وبهاءً في بهاء . ورأيتُ النبي (صلعم) وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء قدس الله تعالى روحهم كلهم

رَكَيَّان على نور ؛ وكنتُ راكباً عن يمين النبي (صلعم) ؛ ورأيتُ الملائكة بباب من الذهب واللؤلؤة ؛ وكأنّهم على صف واحد مسرعين في هواء مثل النار ؛ ورأيتُ جبرئيل عليه الصلاة والسلام على قُدّام الخلق في ذلك الهواء مثل حمامة الطير في الهواء ، حتى بلغنا حضرة العزة تعالى . فكشف الله تعالى لقاءه لنا وسلّم علينا . فما رأيتُ بعد ذلك واحداً من خلقه . [١٧٧ أ] فبقيتُ وحدي متحيراً حتى مضى عليّ زمان . فكشف لي عظمةً وعزاً وجبروتاً وبخاراً وانواراً . وكنتُ على باب عظمته كالغريب الدهش . فكلمني من سرادق العظمة وقال : يا مُكَدّي ! من اين لك هذا الحال؟ فانبسطت اليه وقلتُ : إلهي وسيدي ومولاي ، من فضلك وجودك وكرمك !

٢٠ — وقال : ورأيتُ في بعض المكاشفات أسداً أصغرَ عظيمَ الهيئة ؛ تلبّس جبروت العظمة به . وكان يمشي على رأس جبل قاف ؛ وقد أكل جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء قدس الله تعالى اسرارهم ؛ وبقي في فمه من لحومهم ، ويسيل الدم من فيه . وهذه اشارة الى قهر التوحيد وسلطته على الموحدين . تجلّى الحق من نعوت كبرياء القدم بصورة الأسد . ومعناه أن العارف طُعمة قهر النكرة في مقام الفناء .

٢١ — وقال : ورأيتُ الحق سبحانه على أحسن صورة ؛ قد طلع عليّ من الغيب . فلم أملك نفسي حتى شهقت وزهقت ؛ وكأنّه يتناثر من وجهه الورد الابيض . ثم غاب عنّي . ثم ظهر بصورة أحسن من الاولى ، فسرتُ حتى وصلتُ اليه . فقال : الى اين تمضي؟ فقلتُ : الى الأزل والقدم ! فقال : وأيش تطلب؟ فقلتُ : أطلبُ فنائي في قهر الأزل لأني أرضى برؤيته في الإلتباس ! فقال : هذا سفر طويل ! فانا اني معك وأصحبُك في الطريق . فمضينا الى ما وراء العرش ؛ وسافرنا سفر الغيب . ثم غاب عنّي ، ثم ظهر لي بعد ساعة بوصف الجبروت وقال : أطلبْني في مقام العشق ؛ فان الكون وما فيه لا يوازي سطوات جلالي .

٢٢ — وقال : ورأيت بين العشائين نوراً متلألئاً . وما علمت ايّ شيء ذلك النور [١٧٧ ب] . فكشف الله تعالى [أنواره] المقدسة وتبيّن لي ان ما رأيتُ من النور كان من جلال رداءه . فعشقت بها لأنها تغير الأرواح والقلوب ، وما رأيتُ شيئاً ألذّ من مُلك المكاشفات . ورأيتُ الكون بأسره كذرّة بين أصابعه . فألهمني قراءة قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى

عنّا بشركين » (٣٩:٦٧) . وذكرت قول النبي (صلعم) : « الكون في يمين الرحمن أقلّ من خردلة » .

٢٣ — وقال : انتبهتُ ليلةً فتوضأت واحتسستُ لأني نمتُ اكثر مما نمت كلّ ليلة . ثم خطر على قلبي أهلي المتوفاة رحمها الله تعالى ، فقلت : إلهي ! ترى كيف فعلتَ بي اذ توفيتها وتركتني مستوحشاً ! فخاطبني الله تعالى بالفارسية : كردران باكردنست¹ . فلما صلّيتُ ركعتين ، استقبلني الحق في وادي الأزل وكنت غريباً هناك ، ثم بان لي عند شوآمخ الكبرياء بوصف الجلال والجمال ، ثم اراني عالم الغيب ، وكنتُ خائفاً مما أبطأتُ في نومي . فقال الحق تعالى : لا تهتم ! فانك ان كنتَ نائماً ، فانا لك غير نائم ؛ وكنتُ متلطفاً بك ، رافعاً لك . ثم أراني نفسه مراراً ، لا اطيق ان اشرحه ؛ وكنتُ في بحار الشوق مستغرقاً وفي مجالس الأنس واطئاً ، قلبي بين الاستتار والتجلي ، وروحي بين الوجد والفقد ، وسرّي مشاهد للجبروت ، وعيناي في دوران الملكوت صبّابتان العبَرات حتى شاهدت الحق تعالى بطيب الوصال .

٢٤ — وقال : رأيتُ الحق سبحانه وتعالى ينكشف للخلق جميعاً على وصف الجمال والجلال ، وقد اخبرني ان ليلة القدر ليلة الحادي [١٧٨ أ] والعشرين ؛ وقد طلبتُ اللهَ سبحانه وتعالى وقت السحر في هذه الليلة ، فخاطبني بما خاطب موسى عليه الصلاة والسلام ، ورأيتُ في طور سيناء ظهر نفسه في الجبل من نفس الجبل . فتجلى الحق سبحانه وتعالى من تلك الروزنة وقال : هكذا اظهرتُ نفسي لموسى عليه الصلاة والسلام . فرأيتُ موسى عليه الصلاة والسلام كأنه رأى الحق تعالى وقد سقط من الجبل ، سكران ، الى حضيض الجبل .

٢٥ — وقال : رأيتُ الحق تعالى بوصف الإلتباس والحسن والجمال جالساً على سطح رباطي بشيراز ، وكنتُ بين يديه واطئاً ، ومع ذلك خطر بقلبي سرّ التوحيد وحقائق الفردانية وقُدس العزّة . فنظر الحق سبحانه الى الأكوان ، فرأيتُ جميع الجبال خرّت له سجداً ثم ذابت . فعرفني ان ظهوره بتلك الصفة رحمة وشفقة عليّ . ورأيت في وسط تلك المكاشفات جميع الجبال يأتين الى قرب الحق تعالى ، ومع كل واحد من الجبال شربة من شراب القدس لأجلي ، ففرحتُ بذلك .

(١) اي وليتك تعمل بنفسك كما عوملت به ! »

٢٦ ــ وقال : رأيتُ كأنني في صحراء ، وقام المشايخ هناك ، وبيد كل واحد مقلاة يرمون الاحجار عليّ متواترًا ، وكان شيخنا وسيّدنا ابو يزيد قدس الله تعالى سرّه اكثرهم إغراضاً . فضاق وقتي هناك ، واستعنتُ بالله. وظهر الحق سبحانه ورمى اليهم حجرًا عظيماً فسكنوا جميعاً وطرحوا المقلاة وقربوا منّي وتلاطفوا بي . ففي ذلك الوقت بلغت سرادق الكبرياء ورأيتُ جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضي الله تعالى عنهم والملائكة عليهم السلام ، وأقدمَ الخلق في الحضرة وأقربهم من الله تعالى : نبيّنا [١٧٨ ب] (صلعم) .

٢٧ ــ [وقال] : مرة قد تحيّرت في أوّلية الحق تعالى . فرأيتُه على أحسن صورة وذكرت في قلبي : من أين وقعتُ من عالم التوحيد الى مقام المتشابهات ؟ فدنا منّي وأخذ يجاذبني . قال : نَم ! أيش هذا الخاطر ؟ تنك في نفسي وانا مثلتُ نفسي في عينك لتستأنس بي وتعشقني ــ وعليه انوار الجلال والجمال لا يُحصى عددها . فلما دنا وقت السحر أمرني بوظائف. فقلتُ : ما قضيتُ وطري منك ! بعزّتك أطعمني طعم محبتك وأرني حقائق جمالك وجلالك حتى أفرح بك وأذوب فيك من حلاوة الأنس ! فقال : قُم واصعد الى سطح الرباط ، فهناك تكشف مرادك . فلما صعدت فاذنتُ أذان السحر : رأيتُ الشيخ ابا الحسن بن هند قدس الله تعالى سرّه في مقام المراقبة . فقلت في نفسي : أيش يطلب ؟ فنودي في سرّي : انه يراقب الجلال ! ورأيتُ الصوفية مراقبين جلاله . ثم رأيتُ النبي (صلعم) مع جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مراقبين مشاهدة جلاله ، ثم رأيتُ جبرئيل عليه الصلاة والسلام وجميع الكروبين عليهم السلام مراقبين مشاهدة القدس ، ثم رأيتُ الحق تعالى وأظهر لهم بما وصفه . وانا بين الصوفية قدس الله تعالى اسرارهم ورضي عنهم كالسكران الواله . مقبل بوجهي نحو عزّته ، فدنا منّي ورمقني ورقص معي وخصّني بذلك من بينهم . فلما ذُقتُ حلاوة الانبساط ، غلب عليّ صياح المكوتيين وزعقات الصمدانية وشهقات الربّانية . قال : وكلّمني الحق سبحانه وتعالى الليلة حيث كنت [١٧٩ أ] في تلك الأحوال التي ذكرت : فقال جل جلاله : أما علمت أني بالأمس كنتُ جليسك في جنبك بنعت الجلال والجمال ، ووجهي عند وجهك ، وبيدي مرآة متابلة وجهي ووجهك ، وانا أنظر الى وجهك وانظر من وجهك الى المرآة التي ظهر فيها وجهي وجهك (sic)

وكنتَ ناظرًا اليّ . فزعقتُ وبكيتُ وتضرعتُ من كمال لطفه وغاية كرمه حيث جعل نفسه في لباس من قدرته حتى اراني نفسه لأنه علم عجز الحَدَث عن موازاة عزّ القِدَم ؛ وهو منزه عن كل ما خطر وما يخطر على كل قلب أحدٍ من خلقه ؛ تعالى عن وصف الواصفين !

قال : ثم رأيته تعالى وتقدس بوصف الكبرياء والقدم والبقاء مرارًا ؛ ثم رأيتُه في جلال الأنس بنعت التقدس ؛ ولم يبق هناك مقام ؛ فغصتُ في بحار الديمومية والأزلية والأبدية ؛ ثم فنيت من جميع صفاتي ، ثم نزلتُ الى عالم الملكوت . ورأيتُ جميع الاكوان عند عزته أقلّ من خردلة ؛ ثم سرتُ في ميادين الأزلية سكران والهًا . ثم ألبسني لباسًا من حسنه وجماله ؛ فكنتُ هناك معشوق الله تعالى ؛ وهو سبحانه قد عشقني وتلطف بي بألطاف لو قلتُ منها ؛ لا يستطيع ان يسمعه أحد من خلقه الا ما شاء الله . ثم جعلني متّصفاً بصفاته ؛ ثم جعلني متحدًا بذاته ، ثم رأيتُ نفسي كأنه هو ؛ وما ذكرتُ شيئاً الا نفسي ؛ ثم أفقتُ من ذلك ونزلت من الربوبية الى العبودية ؛ ثم تمنّيت مقام العشق حتى رأيتُ نفسي في دار الجلال ؛ فرأيتُ الحق تعالى بصفة الإلتباس ؛ وبقيتُ في مقام الأنس ساعة ؛ غائباً عن كل ما دونه ؛ وقد غلب عليّ [١٧٩ ب] مواجيد كثيرة مع الهيجان والبكاء من شهود العين . فناداني مرارًا ، فسجدتُ بعد ذلك فرأيتُ على ظهري اثقال انوار العظمة فقلتُ : إلهي ! ما هذا ؟ قال : نور الاستواء ! فقلتُ : إلهي ! ما معنى قولك : «الرحمن على العرش استوى» (٢٠ : ٥) ؟ فقال تعالى : اذا تجليتُ ! فلذلك استوى عليه .

٢٨ — وقال : نزل تعالى في ليلة القدر بوصف الإلتباس والجلال والجمال، وبين يديه النبي (صلعم) وقال : لم يجد الى قربي ومشاهدتي الا ما شئت . فاذا اردتُ على بعضهم رحمة أفتح له باباً من أبواب الغيوب . ولا يجترئ ان يدنو مني لان قربي قرب المعارف لا قرب المسافة ؛ فابشر تفسح صدرك (sic) . وانا قائم بذاتي سبحاني انا أزليّ أبديّ بلا زمان ؛ انا موجود عزيز قديم بلا مكان . والجواهر متحيزون فيما بين العرش الى الثرى . فبينا كنتُ كذلك اذ ظهر لي شعاع إشراق شموس الصفات وطاب قلبي ؛ وكان ذلك أدنى مقام مما وجدت منه . فذكر خاطري قصة موسى عليه الصلاة والسلام فرأيته الى قرب الحق جل جلاله وبعض مقاماته العالية ومعجزاته الشريفة ؛ كما ورد في الأخبار . فعاقبتُ خاطري وقلت : إلهي !

انت منزّه عن مناسبة المخلوقين ؛ أعطيتَ موسى عليه الصلاة والسلام تلك المعجزات والمقامات وخصصته[1] بالمكالمة ؛ فأيش بينك وبينه من القرابة ؟ وانا ايضاً من اولاد آدم عليه الصلاة والسلام فأيش أعطيتني ؟ فظهر لي بوصف الجلال والجمال وقال لي : ان موسى عليه الصلاة والسلام قد أتاني وانا أتيتك . أما ترضى ؟ [١٨٠ أ] أتيتك سبعين الف مرة من وقت اضطجاعك الى وقت انتباهك ! فلما سمعتُ ذلك اخذني تلاطم بحار التوحيد . فلما مضى زمان : غاب عنّي وطار قلبي في عالم الملكوت . فاصعدني فوق كل فوق . وظهر لي بانوار كبرياء الذات والعظمة والجلال ثم قال : أما كنتَ تقرأ : « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » (١١٢ : ١—٤) و « ليس كمثله شيء » (٤٢ : ١١) ؟ هل ترى شيئاً من الاكوان[2] ؟ أنا تراني بوصف الجلال والعزة والبقاء ؛ وهذا عالم الوحدانية وهذا مقام التوحيد . فذكرتُ مقام نبيّنا محمد (صلعم) حيث دنا فتدلّى (٥٣ : ٨) : هل كان في مشاهدة غير مشاهدة القدس ؟ فألهمني الله تعالى حيث اراه نفسه في مقام الإلتباس حيث قال : « رأيتُ ربي في أحسن صورة فقال : فيمَ يختصم الملأ الاعلى يا محمد ؟ قلتُ : انت أعلم اي ربّ » . حتى قال مرة اخرى : « فوضع كفّه على كتفي فوجدتُ بردَ أنامله بين ثديي فعلمتُ ما كان وما سيكون » (الحديث) . فعلمتُ ان الله سبحانه وتعالى تلطّف بي حيث أراني ما اري الانبياء من مقامات التوحيد والمحبة . وهذا عذر منه . فاني أطلبه بوصف القدم ونعوت الكبرياء والعظمة في جميع الأوقات .

٢٩ — قال : مرة قد جلستُ في ديوان المراقبة لطلب وصول الحقيقة حتى مضى زمان . وما فُتح لي شيء . فغاب سرّي وتغيّر قلبي من مرارة الفقدان . وذكرتُ الله تعالى في الغيبة والحضور مقالةَ أهل الانبساط وقلت : أيش هذا [١٨٠ ب] الضيق ؛ وبساط عطائك مبسوط في الغيب ؟ لو تظهر لي بعين الوحدانية : من يخاصمك في السموات والارض ؟ ولو تعطيني نوال مشاهدة بعد كشف الجلال والجمال : من يشرفك ومن يعتريك ومن يخذلك من العرش الى الثرى ؟ جبّار السموات والارض ولا يضرّ بك تغيّر الحدثان ! الأمان . الأمان المستغاث اليك ! تفعل بأوليائك وأهل أشواقك ما لا تفعل بالكفار بأسرافهم ! — مع كلمات أخر من مسافرة اهل الانبساط والأنس — : فاوقعني بالغيبة في انوار تجلّي الذات في الصفات وتجلّي

(١) وخصصتنا (sic)
(٢) الاكوانا (sic)

الصفات في الأفعال. فظهر لي كل ساعة بلباس الربوبية في أفعال شتى التي سمّاها الصوفية مقام الإلتباس.

٣٠ — قال : وجلستُ للمراقبة وخاض قلبي في بحار الأفعال ، فما وجدتُ شيئاً الا عماءً في عماء. ثم خضت فبلغتُ ؛ ثم قطعتُ ذلك فبلغتُ الى انوار بوادي الصفات ، فكنت هناك بين الاستتار والتجلي. فتجلى الحق سبحانه وتعالى من عالم القدرة. قلت : ما هذا التجلي ؟ فقال : تجلي العظمة والكبرياء ! فنظرتُ في ذلك فاذاً قد انكشف لي يد الله سبحانه وتعالى : فرأيتُ من بطنان الأزل الى عالم الأبد نوراً مسرمداً كأنه أخذ بيده جميع الاكوان والحدثان على مثال كرة ؛ فتلاشى الحدثان دون يده. فخاطبني بقوله تعالى : « يد الله فوق ايديهم » (٤٨ : ١٠). ما رضيتُ بتلك المكاشفات وتفكرتُ في سبحات الجلال. فيعرض خاطري قول النبي (صلعم) : « حجاب النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما إنتهى اليه بصره من خلقه ». فلما تفكرت في ذلك وصل اليّ انوار سبحات وجهه ؛ فكدتُ أحترق. فجعلني الله تعالى مستقيماً ؛ فرأيتُ نبيّنا (صلعم) وآدم ونوحاً وموسى وأكابر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قريبين من حدة سبحات ؛ ففررتُ معهم ؛ فأخذني تعالى بالقوة الأزلية فكشف لي جلال وجهه ؛ فرأيتُ الحدثان من العرش الى الثرى دون وجهه اقلّ من خردلة. فخاطبني الحق سبحانه بقوله : « كل شيء هالك الا وجهه » (٢٨ : ٨٨).

٣١ — قال : ورأيته تعالى في بعض الأوقات الماضية كأنه ذبحني مراراً وأراق دمي في أسواق الغيب. فوقعتُ بعد ذلك في بلاء عظيم واستعنتُ به من ذلك وقلت : أعوذُ بك منك ! ثم بعد ذلك انكشف لي الحق سبحانه وتعالى فقال : الى متى تتهم ؟ انا افعل ما شئت !

٣٢ — قال : ورأيتُ الحق سبحانه وتعالى بوصف العزة وما فهمت منه شيئاً. ثم اخذني بحار سبحات وجهه واغرقني فيها. فما رأيتُ بعد ذلك الا انوار الكبرياء ؛ فرجعتُ وفررتُ منها لأنّ الإدراك قد انقطع هناك وقد بقي في قلبي ذوق ذلك وبقي في عين روحي تلك المشاهدة كأنّي أراها في جميع الساعات.

٣٣ — وقال : يوماً قد صليتُ في السحر لطلب مشاهدة الغيب ؛ فرأيتُ نفسي في صحراء واسعة ؛ وبيني وبين الحضرة حُجُب متكاثفة ؛ فسمعتُ كلام الحق سبحانه وتعالى تكلّم من وراء تلك الحجب وكان الأكوان والحدثان تذوب [١٨١ ب] من هيبة كلامه وما دريتُ ما سمعت

منه وتمنّيتُ من الحق تعالى ان يعلمني أيش يقول. فقال تعالى: أقول وانما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون (٣٦: ٨٢–٨٣). فقلتُ في نفسي: الكائنات تفرّ من صولة كلامه؛ فمن يقوم بازاء عزّته وكشف جلاله؟ فكشف الساعةَ تلك الحجب فرأيته بوصف الجلال والجمال والهيبة والكبرياء وأدناني منه وقرّاني حتى رأيته كما أردت، ورأيتُ جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام صرعى في صحاري الغيب، حيارى سكارى، مجروحين مخضوبين بدمائهم من صولة جلاله وسطوات عظمته. ثم تجلى لي بجميع صفاته من الحُسن والجمال في مقام الانبساط، فانبسط اليّ وقال: بهذا الوصف الذي رأيتني مضيتُ الى بلدك ومحلّتك قبل ان أخلقك لأجلك سبعين ألف مرة من عالم القدم. وكنتُ في ذلك الوقت على هيئة السكارى من الفرح والهيجان وما سمعت من الحق في طول عمري قط مثلَ ما سمعتُ.

٣٤ — وقال: إنكشف الحق جل جلاله لي مرّتين: مرة بوصف الجمال ومرة بوصف الجلال فقال: من لم ينكشف له وجهي الكريم لم يصل اليّ بالمجاهدات والرياضات، وهذا خاصّ لأحبائي وأهل قربي؛ ولا سبيل اليّ الا بي.

٣٥ — وقال الشيخ: وقد كنتُ في بحار الامتحان، يجرى عليّ حوادث الزمان، وطلبتُ من الله تعالى نجاةً منها. وقلتُ: لو وهبتَ من العرش الى الثرى لنملة صغيرة، لا ينتقص من مُلكك ذرة لأن مفاتيح الاقدار المعدومة بيدك، تخرج من العدم بأقل من لحظة بقدرتك [١٨٢ أ] الواسعة سبعين الف عالم من عوالم الملك والشهادة. فما هذا الضيق يا صاحب هموم العارفين؟ اجمع عليّ مبالتي وخلصني من جميع الهموم! انت وهبت ملك سليمان لسليمان وملك داود لداود وملك مصر ليوسف، وليس بهم عليك شيء، يا قدوس! — وكنتُ في ذلك الوقت على حزن طويل واهتمام وبيل؛ فرأيت الحق سبحانه وتعالى بالبديهة في جدار عالم الغيب بوصف الجلال والجمال. فدنا مني بحيث لم يبق بيني وبينه بَيْنٌ؛ وتلطف بي وكأنه يتعجب من همومي؛ يعني: لا ينبغي لمثلك ان يتشوش خاطره بمرور البلاء. ثم قال: أنظر اليّ بعين العيان! فنظرتُ الى جلاله وجماله، واستأنستُ به وعشقتُ، وكان قلبي وروحي ونفسي وعقلي وصورتي في انوار جلاله، مستغرقاً في بحار الأنس والوجد. فلما سكن سرّي، قلتُ: إلهي! كن سمعي وبصري ولساني وقلبي وروحي وعقلي وجميع اجزائي واغرقني في بحار آلوهيتك بحيث أنظر الى ذاتك وصفاتك

بلا حجاب الى الابد بنور العشق والشوق والمحبة والمعرفة. فرأيتُ بحاراً من اللؤلؤ الرطب، فاخذ سبحانه وتعالى جواهر من ذلك ونثّر على رأسي كثيراً، وكذلك فعل الأنبياء والملائكة حتى بلغت عالم التقدم، فظهر الحق جل جلاله بوصف الأزلية، وهناك مقام الثناء. ثم غاب عني وسمعت منه في حالة النثار قوله تعالى: «يُجبى اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا» (٢٨: ٥٧). ثم قال: ليس من فوق العرش الى قرار الثرى. انا مدبّر الخلائق وبيدي مفاتيح كل شيء، أتصرّفُ في ملكي [١٨٢ ب] كما أشاء. أليس جريان المقادير لي وصدر من إرادتي؟ قل لهؤلاء التفضيليين والمتشكين عنّي ليسكتوا الشكاية وليشكروا الى موازاة نعمتي، والاّ فأدمّر عليهم! فخفتُ من هذا العتاب، فانه يتناثر منه الجبّارية. فاني رأيته، وكنتُ في حجرتي، كأنّه دخل عليّ وكان على حُسْن وجمال ما لا أطيق وصفه. فبكيتُ وتضرعتُ لديه وقلتُ: إلهي! خلّني حتى انظر اليك ساعةً وأذهبُ عن قلبي ما سواك من العرش الى الثرى. يا حبيب قلوب العارفين ويا قرة عيون الوالهين! فمكثتُ ساعة، ثم رأيته على باب بيت اصحابي، يناديهم ويقول لهم: يا أهل حصاري! قوموا لطاعتي، فانّه قد ذهب الوقت. فاذا أفقتُ من سُكري، ذهب وقت الاوراد. وقال: ثم رأيتُ جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصديقين قدس الله تعالى روحهم والملائكة المقربين عليهم السلام في حضرة الله تعالى، على نعت الوَلَه والهيجان، وهو تعالى قد ظهر لهم، ثم ستّر دون المصطفى وكان (صلعم) على هيئة الحُسن والجمال واقفاً على باب دار الجلال مثل الحاجب عند السلطان وهو كان يرى الحق ويتكلم مع الحق، ولم يكن معه أحد في ذلك المقام. فعلمتُ ان ذلك هو «المقام المحمود». ثم ظهر لي الحق بوصف الأحدية وأخذني ببطش القدرة وأذهبني الى عالم التقدم، وكنتُ مجذوباً مقهوراً، حتى أدخلني في أسفار الأزلية. فلما علم ضعفي عن حمل اثقال طوارق التوحيد تركني ومضى. ورجعتُ الى ما كنتُ فيه.

٣٦ — وقال: قد تعرض لي في ليلة من الليالي [١٨٣ أ] خيالات المرض النفسانية والشيطانية وخيالات الروحانية، وقطعتُ حجبها ورأيتُ لطايفها وتفكرتُ في أشكالها. فضاق صدري وتحيرتُ في شأني حتى بدا لي جمال الحق تعالى بالبديهة فقلتُ: إلهي! ما هذه التماثيل التي عَنَيْتَ بها في المشاهدة؟ فقال: هذا لمن يطلبني في أوائل كشوف حتى يعرفني من بينها بما لم يكن عارفاً.

قال : ثم ظهر جمالُه لي بأنواع اللباس كلها تنطفاً بي لجهة إبقاء نفسي بعد فنائي في نعمة الأزل . وسقاني شرابات الأنس والمداناة ، ثم مضى ؛ ورأيته مرآة الكون حيث توجهتُ . وذلك قوله تعالى : « فاينما تُولوا فثم وجه الله » (٢ : ١١٥) . ثم قلت في نفسي : أريد ان أرى جماله بلا انقطاع ! فقال جل جلاله : أذكُرْ شأن زليخا ويوسف عليه الصلاة والسلام . فان زليخا صورت في ستّ جهات صورة نفسها ليوسف عليه الصلاة والسلام حتى لا يرى جهة الا وفيها صورة زليخا . فهكذا شأنك في دار جلالي . فرأيتُه سبحانه وتعالى من كل ذرة وهو منزه عن الحلول والتشبيه . لكن هو سرّ لا يطّلع عليه الا مستغرق في بحار التوحيد وعارف بسرّ أفعال القِدم في مقام العشق .

قال : ثم ظهر لي بحر الوحدانية وذهبتُ في امواجها الى مشاهدة الكبرياء . فرأيتُ جمال القِدم بلا كيف ووصف ؛ وقد تصاغر عند جلال عظمته جميع الأكوان والحدثان حتى لم يبق أثرها عند إشراق سلطان بهاء الأزل . ولولا كرم الحق سبحانه وتعالى بامساك نفسي عند سطوات الكبرياء لفنيتُ أقل من لمحة . كأنه تعالى أراني نعوت الأحدية وكأنه أشار اليّ أن أنظرْ الى عظيم جمالي وجلالي . وذلك لطف منه . ثم ظهر لي بعد مضي تلك الحالة عالمُ القدس ورأيتُ الحق سبحانه وتعالى بلا كيف في سُرادق كبريائه [بين] خواص [١٨٣ ب] الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة عليهم السلام على صورة البُزاة[1] البيض ؛ فتقربت الى قرب مولانا تعالى وتقدس ، وكأني على يمين العرش وكنتُ كشاطر بين البُزاة ؛ وكنت كمشتاق أطير ساعة وأدور ساعة وأجلس ساعة كالوآله المضطرب . فخاطبني الحق جل جلاله عند دنوّي منه وقال بلسان الفارسية : چون بوزي چون رستي[2] . ثم مضى ذلك الحال وكدتُ فيه من الفرح أذوب من اللذة والارتياح . ثم دار عليّ لوايح القدس وأنوار البقاء ؛ فسمعتُ كلام الحق من مكمن الأزل وقال : خلقت الكون في طلبي وبلّغتك مقام القدس ؛ ومن مثلك في العالم ؟ وانا اطلبك في أسفل قدمي . وظهر لي بوصف الألوهية والتقدس والتنزيه فاضمحلّ في سطوات عظمته ما دونه من العرش الى الثرى وشاهدته مشاهدة العيان وكأنه شهود عين العظمة ؛ ظهر في شهود جمال البقاء ؛ وذلك شيء غريب .. ثم قال : أنت في طلبي وانا في طلبك . لو نظرتَ

(١) باشاش : « جمع باز »
(٢) اي : « كلما حلق ، كلما غاص في الرؤية » .

وجدتني عندك دون قطع أستار الغيب . وكنتُ قبل هذا الوارد متّهم (sic) من اجل بعض مقالة اهل مجلسي حيث سمعتُ منه بعض التفضيلات من اقوال المشبهة ؛ وقد ثبت ان كلامه قديم مما دون كلامه فهو محدث. فقال تعالى : نزّهتَ كلامي ولا تخف ، وانا أزيّن بنفسي كلما تُذكّر [في] مجلسك . وقد رأيته سبحانه وتعالى قد برز ومعه جميع الكروبيين والروحانيين في مجلسي ؛ وقد رأيتُ سكان حضرة الخاص قد طافوا في مجلسي ؛ ورأيتُ جبريل عليه الصلاة والسلام وفي عنقه سقاء يسقي الناس في مسجد الجامع على زيّ شاب ؛ ورأيتُ كأنّ السموات جاءت [١٨٤ أ] الى مجلسي على صورة الاشخاص ، وكذا العرش والكرسي والجنة والنار والحور والغلمان والولدان وجميع أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصديقين والشهداء رضي الله تعالى عنهم وقد وافقوا جميعاً حضور الحق تعالى. ثم قال الحق سبحانه وتعالى : هكذا أفعل كلما تجلسُ للتذكير .

٣٧ — قال : يوماً إني جلستُ قبل نصف الليل عند ابني أحمد وكان به الحُمّى الشديد، وكان قلبي يذوب من الهمّ. فرأيتُ الحق سبحانه وتعالى بالبديهة على نعت الجلال ؛ فتلطف بي ؛ فغلب عليّ الوجد والهيجان وقلتُ : إلهي ! لِمَ تمتحنني وانا أتوقع منك المواساة ؟ فقال جل جلاله : لا تحزن فانا لك ! قلتُ : إلهي ! لِمَ لا تكلّمني كما كلمت موسى عليه الصلاة والسلام ؟ فقال سبحانه وتعالى : أما ترضى أنّ مَنْ أحبّكَ فقد أحبّني ومن رآك فقد رآني ؟ فلما سمعتُ ذلك غلب عليّ المواجيد الكثيرة ؛ فقمتُ ؛ فنادى الحق سبحانه الى بطنان الغيب وقال : يا شفاء ! فجاء الشفاء اليه ، وكان البلد مملوًا من المرض ما رأينا مثله . فنفخ الشفاء في البلد وانتشر في الناس جميعاً . فتلطف بابني وسقاه شراباً .

٣٨ — وقال : إتفق إني وقعتُ بين جماعة من اهل الدعوى . فضاق صدري لما رأيت من دعاويهم رعونات البشرية . وحثني جماعة على رؤية الوالي ، وكان ذلك شديداً علي وصعباً على نفسي الدخول عليهم . فاحتسست همّاً شديداً ونمت على ذلك وكان نومي نوم إتكاء . فانتبهتُ نصف الليل ، فخاطبني الحق سبحانه وتعالى بقوله : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (٦١:٨) .

٣٩ — قال [١٨٤ ب] الشيخ قدس الله تعالى روحه العزيز : هذه المكاشفات شأن أهل النُهى من العارفين ووصف اهل الحقائق من المتحيرين

الذين قاموا بالحق بشرط المعرفة والعلم باحكام المتشابهات . وهم الذين وصفهم الله تعالى بانهم الربّانيين بقوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » (٣:٧) . والله لو اردتُ ان اصف بعض صفاته التي رايتها للمريدين والصادقين ما قدرت بذلك لانه تعالى كان يظهر بوصف كساء وارى منه آدم وأظهر الكرّوبين والروحانيين فخروا له سجدًا بغير اختيارهم . لذلك قال النبي (صلعم): خلق الله تعالى آدم على صورته . ولولا مخافة الجهّال الذين ينسبوننا الى نسبة الغلة لأشرت مما رأيت من الحق سبحانه من نور بيانه وسناء قدسه وعظيم جلاله وجمال لطفه ، وما كان قد تلبّس به من النعوت التي ألبسها آدم عليه الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام ويحيى عليه الصلاة والسلام وعيسى عليه الصلاة والسلام ويوسف عليه الصلاة والسلام وابراهيم عليه الصلاة والسلام ومحمدا عليه افضل الصلاة واكمل التحيات وأشرف التسليات . وبتلك النعوت التي نوّرت انوارها منهم فاقوا على العالم والعالمين لانه سناء برق صفاته اذا تجلى لشيء خضع له الأكوان والحدثان لأنه صدر من نعت الأزل وليس هناك الفصل والوصل والخيال والوهم . لأنه من عرف الله تعالى بعد سيره في عالم القدم ، علم العلوم المجهولة التي انكشفت بها أسرار الربوبية وتخلصت بذلك اسرار الواصلين عن النفي والاثبات والتشبيه [١٨٥ آ] والتعطيل . فان هذه الاشياء حوادثات كونية وهو تعالى وراء ذلك وقي الوهميات عن سير ارواح العارفين .

والحمد لله رب العارفين والصلاة والسلام
على اشرف الخلق سيدنا رسول الله محمد
وآله وصحبه أجمعين .

تمت (sic) الكتـــاب بعون الله الملك
الوهّاب عـــن يد أفقر الورى تراب أقدام
أولياء خلوص درويش حسن بن علي بن
محمد الملقب ابو الحسن الخلوتي. ختمه
الله تعالى منه في سنة ست وعشرين ومائة
والف في شهر شوال يوم الخميس
ثمان وعشرين وانا الفقير من فقراء سلطان
الاولياء شيخ شعبان قسطموني قدس
الله تعالى سره وطاب روحه برائحة وصاله .

الدكتور شاكر بك الخوري

١٨٤٧ – ١٩١١

بقلم جرجي ابرهيم نصر

من الواجب المفروض على كل أمة تخلّد أمجادها ، وتفتخر بماضي آبائها وأجدادها . وتعتزّ بآثارها ، أن تُحيي ذكريات نوابغها الخالين ، وتكرّم رجالاتها الباقين ، الذين عملوا على إعلاء شأنها ، ورفع كلمتها ، وأدّوا بمآثرهم وبثقافاتهم العالية ، أجلّ الخدمات لوطنهم ، وثبتوا في الشدائد والملمّات ، فدفعوا عن أوطانهم الشرور والآفات .

لذلك حقّ علينا ان نكشف للملأ ما خفي من آثار اولئك النوابغ . ومن هؤلاء العاملين الذين حملوا لواء الأدب والثقافة في زمانهم المرحوم الدكتور شاكر بك الخوري ، الذي لُقّباه بحقّ بالطيب الأديب .

وهو ابن يوسف ابن الخوري ابرهيم ابن الخوري اسطفان ابن الخوري ابرهيم الأول ابن الخوري اسطفان الأول (الذي ارتسم على ... بكاسين في ٢٤ من كانون الثاني ١٧٢٩) ونور ابنة ناصيف حبيب ناصيف الجزيني . ولد في بكاسين نهار الأحد صباحاً في ٢٥ من تموز ١٨٤٧ وينتمي الى عائلة كريمة ومعتبرة . اشتهرت بخدماتها للحكومة والوطن متسلسلةً كابراً عن كابر . وعندما بلغ الخامسة من عمره . عهد به والده الى مدرسة القرية فتعلّم فيها العلوم الابتدائية ، كالقراءة والكتابة في العربيّة والسريانيّة ، وكان والده أوّل متقدّم عند سعيد بك جنبلاط حاكم المختارة .

• واذ صار شاكر على شيء من مبادئ القراءة في بكاسين ، أخذه والده معه الى المختارة حيث أخذ يتعلّم العربيّة مع ولدي الحاكم الجنبلاطي

وهما صاحبا العزّة نجيب بك ونسيب بك . وكان معلّمهم يومئذ الشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي نائب محكمة بيروت . وتيسّر له هناك أن يتعلّم مع رفيقيه الجنبلاطيين . القرآن . وديوان ابن الفارض وألفية ابن مالك . وكان له ذاكرة غريبة . ساعدته على حفظ هذه الكتب غيباً تقريباً .

وفي سنة ١٨٥٨ فتح المثلّث الرحمات المطران بطرس البستاني على حياة عمّه الطيّب الذكر والأثر المطران عبدالله البستاني . مدرسةً في قرية مشموشة . حيث كانت يومئذ كرسي أبرشية صيدا المارونية ، فدخلها شاكر وتعلّم فيها مبادئ الصرف والنحو . وظلّ في تلك المدرسة الى عام ١٨٦٠ حيث ابتدأت الحركة الشرّيرة المشهورة . التي أدّت الى إقفال هذه المؤسسة على كره . واضطرّ أبوه اذ ذاك أن يلجأ بعائلته الى مدينة صيداء . فوضع ولده في مدرسة الآباء اليسوعيين هناك خارجياً . فتعلّم مبادئ اللغة الفرنسية . وبعد استتباب الأمن وخلاص البلاد من تلك الفتنة الرهيبة ، رجع شاكر الى بلدته بكاسين . وفي اواخر ١٨٦١ أدخله والده مدرسة عين طورا للآباء العازاريين ، وهي تبعد حينئذ مسافة ثلاثة أيام عن بلدته ، فكان يقاسي العناء نظراً لصعوبة المسالك والطرقات في ذلك العهد .

تلقى في المدرسة المذكورة اللغة الفرنسية مع سائر الفروع ، كالجغرافية والتاريخ والحساب والرياضيات . وكان والده وهو صغير يقول له : « إنني أرغب أن أعلّمك الطبّ » فرسخ هذا الأمر في ذهنه ، وطلب من إدارة المدرسة ان يتعلم اللغة اللاتينية لاعتقاده أنها ضرورية للاطباء ، فتعلّم قسماً منها . وحين برع في اللغة الفرنسية . أراده والده ان يتمكن من العربية على أصولها . ولمّا كان المرحوم العلامة المعلم بطرس البستاني قد أنشأ اذ ذاك المدرسة الوطنية في بيروت ، دخلها شاكر منضماً فيها الى اخيه خليل وذلك في تشرين الأول ١٨٦٤ فتلقّى فيها : الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض على أساتذته الشهيرين كالمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي والمرحوم الشيخ يوسف الأسير وغيرهما . وفي السنة التالية تعيّن في المدرسة المذكورة معلماً للغة الفرنسية مع استمراره على تعلّم العربية والانكليزية ، وكان معلمه في هذه المرحوم سليم البستاني نجل المرحوم المعلم بطرس .

وفي تلك المدرسة ابتدأ ينظم الشعر ، وكان مائلاً للنقد والنكتة والغزل . وفي اواخر ١٨٦٦ عاد الى وطنه بكاسين حيث قضى فصل الشتاء ، بانتظار

ان يجد له والده شغلاً ، لكنّه أبى ان يذهب وقته ضياعاً ، ففتح مدرسة في قريته العزيزة ، علّم فيها أحداثها العربية والافرنسية حتى الربيع ، وإذ ذاك نزل الى بيروت للدخول في محل تجاري ، وهناك كان لوالده ، صديق من التجار ، فأدخله كاتباً في أحد محلاته مدة شهرين ولما دنا الصيف ألمّ به داء فأحضره والده اليه في بيت الدين . حيث أراد ايجاد وظيفة له في حكومة المتصرفية برفقة احد المهندسين ، فلم يقبل ، وذهب الى بكاسين لتمضية فصل الصيف ، وفي أواخره جعلت المصادفات ان يقابل السيد اسكندر المعوشي من جزين ، فأخبره المعوشي انه مسافر الى مصر ، حيث كان اخوه المرحوم الدكتور سليم ، الذي تمّم دروسه الطبّية في مصر ومكث هناك . وعندها عنّ للمترجم ان يذهب الى ربوع النيل فيدرس الطبابة . وكتب الى والده في بيت الدين يطلعه على ذلك ، ويطلب منه الحصول على توصية من المرحوم داود باشا متصرّف جبل لبنان يومئذ ، وكان ليوسف والد شاكر معزّة خاصة عند داود باشا وهو اذ ذاك عضوٌ في مجلس إدارة لبنان ، فأعطاه الباشا رسالة توصية الى ناظر الداخلية في مصر راغب باشا . فسافر شاكر مع اسكندر المعوشي . وبلغا الاسكندرية في ٢٥ تشرين الأول ١٨٦٧ . ثم توجّه شاكر الى مصر وأوصل رسالة باشا لبنان الى باشا مصر ، فوعده هذا بنيل مطلوبه قريباً عاجلاً ، وهو ان يتعلم الطب على حساب الخزينة الخديوية ، وكان يتعلّم على نفقتها حينذاك عشرة طلاب من الشام ، وحالما أنهوا دروسهم ، دخل شاكر المدرسة الطبية المعروفة بمدرسة القصر العيني في أول كانون الثاني ١٨٦٨ وكان رئيسها الطبيب محمد علي باشا البقلي الجرّاح الشهير . وكان قانون الدراسة الطبّية في تلك المدرسة ستّ سنوات هجرية . فتلقّى شاكر العلوم الطبّية باجتهاد ، وكان أول أقرانه ، على ما نطقت به علامات امتحاناته وشهادته الطبّية .

وفي أثناء إقامته في مصر شاهد فتح ترعة السويس سنة ١٨٦٩ حيث اجتمعت ملوك أوروبا وجمهور غفير من علماء الغرب والشرق . ممّا أدّى الى تأخير الفحوص الى ما بعد فتح تلك الترعة ، وكان يترأس كل امتحان سعادة بونكار باشا الفرنساوي طبيب الحضرة الخديوية ، مع أطباء مجلس الأمة . وكان معلمو معهد قصر العيني جميعهم من جامعة باريس ، التي كان معهد قصر العيني فرعاً لها . وقد جعله هكذا مؤسسه كلوت بك الفرنسي .

وفي هذا المعهد . قدم شاكر فحصه الطبّي النهائي ، وفيه نال شهادته

الطبيّة في ١٤ تشرين الأول ١٨٧٣ ومكث في مصر يمارس الطب بمعيّة استاذه الدكتور حسين بك عوض ووالده الطبيب محمد بك في امراض العيون ، وقد أضحى المترجم ماهراً في هذا الفرع . وفي أثناء وجوده في مصر ، طلبت اليه الحكومة الخديويّة ان يرافق السيّاح في بلاد النيل ، فسافر مرّتين في البواخر الخديويّة حتى بلغ بلاد البرابرة وجاز الشلال الأول حتى الجزيرة المسمّاة « بقصر أنس الوجود » .

وفي عام ١٨٧٤ رافق المرحومة الأميرة حسن جهان أرملة الأمير بشير الشهابي من مصر الى سورية . وقد كانت الأميرة مريضة . ورجع حالاً الى مصر ثانية ، فوجد المرحوم والده وشقيقه الدكتور أمين قد حضرا اليها مدة غيابه . فأدخل أخاه أميناً في مدرسة قصر العيني . أما والده فلم يلبث أن رجع الى لبنان ، وكان يومئذ عضواً في محكمة الجنايات . وفي تشرين الثاني ١٨٧٥ مرض والده فاستدعاه الى لبنان لمعالجته . فحضر حالاً تاركاً أشغاله ، وأقام بجانبه مدة ثلاثة أشهر حتى تعافى . وأراد شاكر الرجوع الى مصر فمنعه والده ، وطلب منه أن يسكن لبنان . فنزل عند الإرادة الوالدية ، واستوطن الوطن الأم نهائياً ، لكنه قبل ان يأخذ محلاً لعيادته قام بسياحة في البلاد ، فتوجّه الى عكاء وقضى فيها ثلاثة أشهر عند قريبه رجل الخير والفضل المرحوم ابرهيم نصرالله الخوري الذي كان من أكبر التجار هناك . وأراد أهل عكاء توظيفه في بلديتها وأخرجوا له أمراً بذلك من مجلس إدارتها ، فرفض معتذراً . وقصد الى دمشق فأقام فيها ثلاث سنوات ، وهناك ألّف كتابه الشهير المسمّى « صحة المتزوّج » وقدمه لنظارة المعارف . فأهدته الوسام المجيدي العالي مكافأة عليه .

وبعد أن جال في أكثر مدن لبنان وسورية استقرّ نهائياً في بيروت ، وأنشأ عيادةً طبيّة فيها . وشاء أن يتزوّج . فاختار مريم ابنة خليل التيّان من بيروت زوجاً له ورُزق منها خمسة ذكور وابنة دعاها حسيبه ، كان يحبّها كثيراً ، تزوّجت من السيد يوسف أسعد رحيّم من جزين ، وسكنا باريس . وقد روى لي المرحوم الاستاذ ابرهيم سليم النجّار في زيارتي له في بيروت في ٢٩ من آذار ١٩٤١ ما يلي :

« عندما زرتُ باريس ، دعتني حسيبه كريمة المرحوم الدكتور شاكر الخوري الى زيارتها في منزلها ، فلبّيت الطلبَ نظراً للروابط التي كانت تربطني بعائلتها ، وفي تلك الزيارة قدّمت لي شاباً لبنانياً يدعى جبران خليل

جبران: «كان يدرس فنّ التصوير على يد اختصاصيين في العاصمة الفرنسية، وقد شنّف آذاننا بعزفه على العود. وفي سنة ١٩١٨ مرضت حسينه بعد ان أصيبت بعدوى الحمّى الاسبانيولية وقد عدتها في مرضها وأنا اجهل أنها تنتظر ساعاتها الأخيرة، فانها لم تلبث أن توفيت بعد يومين اثنين».

ولنعد الى موضوعنا الأساسي. في بيروت تعرّف الدكتور شاكر بالمرحوم الدكتور سنس وقد كان طبيب المستشفى الفرنسي، فأدخله في المستشفى، حيث الدكتور سركه الشهير في خدمة المرضى في المستشفى المذكور وفي مستوصف راهبات المحبّة، وكان ذلك في تشرين الثاني ١٨٧٩. وعندما فُتحت المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت عام ١٨٨٣ تعيّن الدكتور شاكر استاذاً فيها لأمراض العين وللجراحة الصغرى والأربطة وبقي هناك الى عام ١٩٠٦ وكان في تلك الحقبة يطبّب العيون ايضاً في مستوصف راهبات المحبّة في بيروت. وقد نال شهرةً وتفوقاً في عالَمَي الطب والأدب، وأصبح اسمُه معروفاً لدى كبار الأدباء والباحثين ولا سيما في معالجة العين والجراحة الصغرى. وكوفئ على ذلك بأوسمة متعددة منها: المجيدي الرابع والعثماني الرابع والعثماني الثالث ووسام المجمع العلميّ الفرنسي ووسام مجلس المعارف الفرنسي ووسام محامي القديس بطرس ونُقب «بك» من الذات الشاهانية وترجماناً من تراجمة دولة فرنسا وحمايتها.

مكتبته وآثاره

وكان له مكتبة جامعة حافلة بالمخطوطات الثمينة والكتب النفيسة والصور النادرة لعبت بها ايدي الضياع أثناء الحرب العالمية الأولى، اذ أهمل الاعتناء بها، فكانت الخسارة جسيمة لفقد هذه المخطوطات والأوراق القيّمة.

وله عدة مؤلفات طبع بعضها وهي: «تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب» (١٧٨٩) و «نائب الطبيب» (١٨٨١) و «صحة العين» (١٨٩٠) و «مجمع المسرّات» (١٩٠٨) ومؤلفات أخرى لم تُطبع عبثت بها الأيدي. وقد ذكرها رحمه الله في ترجمة حياته المخطوطة التي خطّها بيده قبل وفاته والتي نحتفظ بنسخة عنها وهي:

كتاب علميّ فلسفي عنوانه: «الخالق والخليقة». ثم «الطبيب السائح»، وهو رواية علمية. وتاريخ شيخ الجبل رئيس الإسماعيلية. وكتاب في فن الموسيقى العبرية وعلاماتها. ثم قاموس طبي في ثماني لغات: الفرنسية (وهي

الاساس) والعربية والتركية واللاتينية والايطالية والاسبانية والألمانية والانكليزية. وقد رأيت بعض الكراريس التي كان قد أعدّها لهذه الغاية ، ويُحتمل أن يكون قام باعداد هذا القاموس وتنظيمه وترتيبه في أخريات أيامه بالاتفاق مع كبار الأطباء والاختصاصيين ولم يتسنّ له اخراج أي قسم منه لاعتلال صحّته .

وله ايضاً خطب ألقاها في دمشق خلال إقامته فيها ، وكان عضواً عاملاً في الجمعية التاريخية . وله خطاب تاريخي في أهرام مصر ، ومنظومات كثيرة ذات أسلوب سلس ، يعذب على الأسماع ، لما حواه من خفّة الروح والنكات اللاذعة ، ولكنه لا يخلو من الركاكة ، لأن أكثر ما ينظمه كان يجيء عفو الخاطر ، لا يعتني بتصحيحه أو تنقيحه .

وله أقوال فلسفية منها : إن المال لا يغيّر صفات المرء بل يزيدها فيه . اذا ذهب الى البخيل زاد بخلاً ، أو قصد الكريم زاد كرماً ، ولا يصير البخيل كريماً ولا الكريم بخيلاً . ومن قوله :

لا بد للانسان من همّ ، وأخصّ هذا الهمّ هو عدم حصوله على كلّ ما يريد ، وذلك لعمري ضروري للوجود . لأنه اذا نال الإنسان كلّ ما اشتهى ، فلا يمكنه احتمال شيء من مصاعب الحياة . فالتعب في الحصول على المنشود يجعلهُ ينسى باقي أتعاب الحياة ويتحمّلها بسهولة . ومن قوله أيضاً : جهل الإنسان حالة قريبه تجعلُه يحسده ، ولكن اذا عرفه وعرف همّه عدل عن الحسد . ليست الراحة بالغنى : لأن حفظ المال يتعب أكثر من كسبه وتحصيله . الى غير ذلك من الأقوال الفلسفية البعيدة المرمى .

شخصيته ومذكّراته

كان رحمه الله طويل القامة ، أسمر اللون ، حادّ الطبع ، سريع الغضب ، طيّب القلب ، صريح القول ، متّقد الذكاء ، جريئاً مقداماً ، أديباً ظريفاً وشاعراً خفيف الظلّ ، ذا سرعة خاطر في الأجوبة الملائمة بابتداع المعاني ، لاذع الهجاء ، حاضر النكتة ، اشتهر بالظرف والدعابة والمرح والفكاهة ، وقد جمع كثيراً من الحوادث والأخبار والمشاهدات التي وقعت في عصره أو شهدها بنفسه أو اتّصلت اليه من الرواة الناقلين في لبنان وسورية ومصر ودوّن بعضها في كتابه المشهور « مجمع المسرّات » الذي حفل بمعلومات كثيرة وافادات ذات شأن ، يصحّ أن يشكّل قسم منها أساساً ومرجعاً لأمور هامة غابرة في تاريخ لبنان . واليه والى معاصره ابرهيم

الأسود ، يعود الفضل في حفظ التفاصيل والمرويّات عن عهد المتصرفية ونشرها لأنها رافقا تلك الحقبة من التاريخ اذ كانا قريبين من الدوائر الرسمية ، وبفضل ذلك تمكّنا من الاطلاع على ماجريات الأمور وتسطيرها على أكثر ما يكون من الدقّة والأمانة .

وفي الكثير ممّا سرده الدكتور شاكر مراجع تاريخية مهمّة في تاريخ لبنان . ولولاه لضاعت من تاريخنا هذه الأصول . وأكثرها اليوم مفقود ، يمكن الاستناد اليها في وضع تاريخ للبنان ، وذلك على الرغم ممّا وقع به من الأخطاء التاريخية الخليّة التي رأينا أن نصحّح بعضها .

ذكر في كتابه «مجمع المسرّات» ص ٦١٠ أن الجد الأصلي لعائلته هو الخوري جرجس عبود الذي سامه البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠–١٧٠٤) كاهناً في غوسطا على نيحا ومزارعها . ومن جملة مزارعها بكاسين وذلك سنة ١٧٠٣ . ولدى الاطلاع على سجلّ سيامات الكهنة التي قام بها البطريرك المذكور من ١٦٨٤ الى ١٧٠٤ تاريخ وفاته ، والمنشورة في مجلة «المشرق» الخحجية (١٩٣٢ ص ٤٩٠) لم نجد أثراً لما ذهب اليه المترجم له ، وقد يكون ما رواه مستنداً الى روايات منقولة بالعنعنة ضعيفة الإسناد ، فضلاً عن الخطأ الذي وقع به ، وأشار اليه ، بتعيين الخوري عبود على نيحا ومزارعها ومنها بكاسين ناهيك عن بُعد المسافة التي تفصلهما عن بعضهما البعض .

وقد جاء في كتابه الآنف الذكر ص ١٤٥ أن جدّه الخوري ابرهيم ابن الخوري اسطفان الثاني ابن الخوري ابراهيم الأول المتوفى في بكاسين في ٢٥ من تشرين الأول ١٨٦٥ عن اربع وسبعين سنة ، كان أول كاهن في قضاء جزين نال رتبة بردبوط ، نقلاً عن سجلات الكرسي البطريركي الماروني . كما يقول . والحقيقة إن الذي نال هذه الرتبة هو الخوري ابرهيم الخوري الأول ابن الخوري اسطفان الأول وذلك في ١٥ آذار ١٧٨٧ وقد منحه اياها المطران يوحنا الحلو (البطريرك فيما بعد) اذ كان يومئذ زائراً بطريركياً في بكاسين وسنوضح ذلك في مقالنا هذا .

كذلك يزعم أن جده الخوري ابرهيم سيم كاهناً في ١٠ آذار ١٨١٠ والصواب انه رُسم في ١٠ آذار ١٨١٧ ولعل ذلك خطأ مطبعي .

كما يعترف بصراحة ووضوح في كتابه ص ٦١١ إنه عندما احتاجت بكاسين الى كاهن طلبوا صهر الشيعة ابن الخوري عبود الذي رسمه المطران

سمعان عواد (البطريرك) كاهناً على بكاسين في ٢٤ ك٢ ١٧٢٨ والصواب ١٧٢٩ . ثم يقول : وكان للخوري اسطفان عندما حضر الى بكاسين ثلاثة أولاد أكبرهم ابو عساف رزق الله والثاني الخوري ابرهيم والثالث أبو فارس انطون . ونتيجة لأبحاثنا وتحرّياتنا وقفنا على ما يلي :

الأول : ابو عساف رزق الله جاء على ذكره ص ١٢٧ انه كتب وصيته عند موته ؛ وقد وقف الى دير سيدة مشموشة مزرعة جوار السوس — وهي من املاك بكاسين — ليصرف ريعها في بناء مدرسة لتعليم اولاد بكاسين . وتاريخ هذه الوصية سنة ١٧٨٧ .

الثاني : الخوري ابرهيم . لا يُعقل أنه سيم كاهناً قبل والده الخوري اسطفان الأول . ويدلنا التاريخ أن الخوري ابرهيم المذكور رفعه المطران يوحنا الحلو الى درجة بردبوط على مذبح كنيسة القديسة تقلا في بكاسين بقداس حبري في ١٥ آذار ١٧٨٧ كما اوضحنا . وقد كان مرتسماً قساً من يد المرحوم المطران اوميا نجيم «المنارة» : ١٩٣٠) .

وكان هذا الكاهن حياً سنة ١٨٠٨ اذ ورد اسمه في سجل مخطوط يبحث في مساحة أراضي بكاسين ، وقد ذُكرت فيه قطع الأرض التي كان يملكها ، ممهور بتوقيعات المشايخ امين وقاسم وعلي جنبلاط واختامهم — كما ورد ايضاً اسم ولده الخوري اسطفان الثاني الذي سيم كاهناً في بكاسين في ٢٩ حزيران ١٧٩١ من المطران يوحنا الحلو («المنارة» ص ١٩٣٨ : ٣٣٧) وقد توفي الخوري اسطفان في بكاسين في ٣ ك٢ ١٨٣٩ كما جاء في «مجمع المسرات» ص ١٤٦ .

والثالث : ابو فارس انطون : وقد ورد اسمه في شهادة مؤرخة في ١٣ آذار ١٧٩١ («المنارة» : ١٩٣٠) .

يتضح مما ذكرناه ويشعر القارئ من المعلومات التي سردها الدكتور شاكر أن أبناء الخوري اسطفان الأول الثلاثة كانوا متزوّجين ولهم أولاد حين مجيئهم الى بكاسين وقبل سيامة والدهم كاهناً ؛ كما يتبادر للذهن أن الخوري ابرهيم الأول كان كاهناً قبل أبيه .

ان الايضاحات التي توفرت لدينا وقد بيناها في هذه الترجمة تزيدنا علماً ووضوحاً بأن اولاد الخوري اسطفان الأول ؛ منهم مَن كان صغيراً عند سيامته ، ومنهم مَن وُلد بعد سيامته ولا يمكن أن يمتدّ بهم العمر الى التاريخ الذي ذكرناه ؛ اذ كانوا وُلدوا وتزوّجوا وتناسلوا قبل سيامة والدهم . وهذا ليس

بمعقول . وفي صحيفة ٣٨٧–٣٩٥ تحت عنوان (دعوى عميلنا) يتطرّق الطبيب الى ذكر خلاف مالي حصل بينه وبين مواطنه التاجر في بيروت ، المثري الشهير في عصره المرحوم ملحم منصور نصر ١٨٤٦–١٨٩٠ . وقد نسب اليه فيه أموراً معظمها لا يتفق والواقع ؛ وينعته بابن شليطا – وهذا اللقب لأبيه لأنه كان طويلاً – وفي أخباره من المتناقضات ما يدعو الى الشك ؛ وحبذا لو ترفّع عن الإساءة وتجنّب الخوض في هذه القضية التي يكتنفها الغموض والإبهام .

وفي صحيفة ١١٨ يذكر اسماء التلامذة الذين مثّلوا رواية يوسف الحسن في المدرسة الوطنية التي أنشأها المعلم بطرس البستاني ؛ ومن افرادها مواطنه ونسيبه ابرهيم راشد عطيه (١٨٤٦–١٩٣٢) فقد دوّن اسمه ابراهيم راشد متغاضياً عن ذكر عائلته وبلدته وكان هذا يتلقى علومه مع صاحب الترجمة وشقيقه خليل (١٨٥٠–١٨٩٤) ونعمان يوسف مبارك الخوري (١٨٥٦–١٩١٠) الذي اصبح فيما بعد قنصلاً عاماً للدولة الفرنسية في مراكش وسليمان ابن الخوري مخايل لطفي (١٨٥٧–١٩٤٥) .

وفي صحيفة (١٤٥–١٤٦) أتى على ذكر تأسيس دير سيدة مشموشة ؛ ومما قاله : ان البطريرك سمعان عواد اشترى قسماً من أرض الدير من أولاد بو عتمه في مشموشه وقد عدّد أسماءهم . لكنه أهمل نشر هذه الوثيقة تدعيماً لقوله ، وهذه هي منقولة عن روزنامة الدير :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين بجه تحريره وموجب تسطيره

هو انه قد باعوا أولاد بو عتمه . فيّاض وخالد وتمر وصخر وشمعون ، حصّتهم جميعها من حدّ الحجر مقلب الماء ، الى حدّ عين الجوزه منه ، قبلة وشمال وشرق وغرب جميع ما لم من سليخ في الموضع المذكور ، وما بقا لم علقا ابداً . وذلك البيع الى حضرة قدس المطران سمعان (عواد) القاطن في دير عين الجوزه ؛ وذلك بمبلغ ثمانية عشر قرش ، التي نصفها حفظاً لأصلها تسع قروش . وقبضوها فرد قبضه بالحاضره والمعاينه برضا الفريقين من غير تعلّل ولا عناد . تحريراً في ٤ أيام من شهر تشرين الأول الف وماية وخمسة واربعين هجرية ١١٤٥ (١٧٣٢ م) .

شهود الحال

شهد بذلك	شهد بذلك
المعلم بو براهيم صايغ	عبود ابن ...

وبهذه المناسبة نوجّه نداءً حاراً الى جانب الرئاسة العامة للرهبانية اللبنانية الكريمة التي تزخر بطائفة كبيرة من العلماء والمنقّبين : أن ينصرفوا الى نشر تاريخ هذا الدير : وان يتناولوا نشأته وذكر الرؤساء الذين تعاقبوا عليه : بما قام به كل منهم . الى جانب نشر الصكوك القديمة : بما طرأ على الدير من أحداث : خصوصاً في الحركات الثلاث : حتى لا تندثر يوماً أو تطالها الأيدي وتعبث بها . ومن يدري ما يخبّئه لنا الدهر . ولعلّها فاعلة باذن الله .

وهذه وثيقـة ثانية ثبتت على مرور الزمن وتقلّبات الدهر . عائدة الى ١٧٣٤ م تزيّن بها هذه الترجمة : وهي تحمل تواقيع اربعة أشخاص من بكاسين : بينهم الخوري اسطفان الأول : جد عائلة بيت الخوري في بكاسين : ثبتناها بنصها التالي :

وجه تحرير هاذي (هذه) الاحرف وهو ان اشطرا (اشترى) بمالو (بماله) لانفسو (لنفسه) دون غير (دون الغير) ودون ساير الناس اجمعين وهوا (وهو) ابو نجم حنا ابن بو غانم من اولاد نصر التفنجه (التفنجي) من قريت (قرية) السنانيه حصتين (حصتيهم) الذي (التي) في جورت (جورة) الشكارا (مكان في بكاسين يكثر فيه الزيتون) بتيمين (بتثمين) الشمن المعتاد الجاري بخيس (بخيث) قدروه باحد عشر قرش ودفع الشاري الي (الى) البايع الدراهم المعينه دفعا (دفعة) واحده على رضا واخطيار (واختيار) الفريقين لا غصب ولا تكليف ولا كره فيه ولا فساد ولا رجوع ولا معاد وصار الملك ملك الشاره (الشاري) تحريران (تحريراً) دالك (ذلك) سنة الف ومايه وسبعا واربعين صح صح صح.

حرر الأحرف بوحوفيش	بسم الله شهد موسى شاهين	بسم الله شهد بومطر صطفان	بسم الله شهد الخوري صطفان

ومّا يؤخذ على شكري الخوري : وهو ذلك العالم المتبحّر : النواعي في عصره وبين قومـه : أنه أهمل الإشارة الى وطنه بكاسين : فلم يؤرّخ لنشأتها والأحداث التي مرّت بها : ولا ذكر نابغاً من نوابغها أو مشهوراً من مشاهير رجالاتها : اللهمّ الا من كان يمتّ بنسب الى عائلته وذوي قرباه : وقد كان ذلك ميسوراً لديه لمعاصرته الكثيرة من مشهوري رجالها ونوابغ أدبائها : وما كان يمكنه إثباته بالنقل والتواتر عن شيوخها المعمّرين . ولو أنه توخّى ذلك : لأنصف أهل بلده : ودلّل على تعلّقه

بوطنه الصغير . وأماط اللثام عن كثير من الحوادث التاريخية التي وقعت في عصره أو شهدها بنفسه أو اتصلت اليه من الرواة الناقلين .

ومع ذلك فان مواطنيه المشهود لهم بالوفاء ، لا ينسون له تلك المواقف الجريئة الصادقة ، ووقوفه الى جانبهم في كثير من الأزمات والمواقف الحرجة التي تعرضت لها بلدتهم دفاعاً عن حق مشروع . وصموده في وجه المكابرين إبان الشدائد والملمات .

نماذج من شعره : وهذه بضع قطع انتخبناها من كتابه (مجمع المسرات) الحافل بالعجائب والغرائب والطرائف . يطغو عليها روح النكتة والهجاء اللاذع وجمال الوصف ورقة التعبير ، وقد هذب بعض عبارات على بعض منها بعد الطبع .

وهذا أول شعر نظمه في وصف غادة حسناء :

يا ظبية أسر الفؤاد بحبها		كفي القتال فان طرفك ساحر
أخفيت حبك عن فمي حتى غدا		لم يدر فيه وهو فيك الشاعر
والآن أبدي ما كتمت من الهوى		فلك الرضا بقبوله والخاطر
إن تنكري أو ترتضي أو ترفضي		فأنا أنا في كل حال شاكر

وقال في حسناء تدعى مريم :

أهديك قلباً موجعاً وجريحاً		ومخضباً من سهم لحظك بالدما
لو شرحوه وجدت مكتوباً على		سودائه : هذي الديار لمريما

وقال في احدى السيدات عندما سافرت بالسكة الحديدية الى المنصورة في القاهرة :

لما مشى البابور وهي بقلبه		وبقلبي النيران عز مثيلها
أسبلت دمعي حسرة وصبابة		في مصر حتى فاض منها نيلها
فحكى نواحي والبكاء هديره		وصفيره روحي يزيد عويلها
أخذوا مياه بخاره من أدمعي		وأعرتهم نار الفؤاد تحيلها

وقال في احد القضاة واسمه محمود كان متهماً بالرشوة :

عجباً لقاضي ملة		دون القضاة لـه عوائد
فكايسم موصول غدا		لا بد من صلة وعائد

وقال يصف مشيداً لقسّين شقيقين :

لمّا رأيت صليباً فوق مذبحه ... ما بين حنا وجبرائيل قسّين
حسبتُه واقفاً من فوق جلجلة ... وإنه لم يزل ما بين لصّين

وقال في كاهن عالم ، نال درجة الأسقفية . وكان ضخم الجثة : تمّت سيامته في شهر آذار ، الذي تحلّ فيه الشمس في برج الحمَل حسب علم الفلك :

في حلول الشمس في برج الحمل ... حلَّ روح القدس في هذا الجمل
لا تخف إن وعظُه ينباك عن ... إعتزل ذكر الأغاني والغزَل

وهذه أبيات أرسلها الى احدى السيدات :

هذا الكتاب بياضُه من مقلتي ... من ذوب قلبي قد جعلتُ سواده
يمشي على قدم الحيا يبغي الرضا ... منكم . وقد جعل النسيم جواده
زوّدته فكري لذلك ما ارتضى ... بل إنه أخذ الحشاشة زاده
إن تسألي عن حالتي فأنا الذي ... جعل الصبابة صحبه وجياده
وفقد أضاع بهجركم آماله ... ورقاده ودموعه وفؤاده

وقال في محشي الأمير سعيد وكان خالياً من اللحم ، وقد طارت هذين البيتين شهرة كشهرة الموازنات القديمة بين جرير والفرزدق وبين المتنبي وأبي تمام :

قد قيل إن المستحيل ثلاثة ... واليوم رابعة أتت بمزيد
الغول والعنقاء والخلّ الوفي ... واللحم في محشي الأمير سعيد

ودخل يوماً على رجل يُقامر ، فغضب هذا منه . فقال له : قد اذيتني عن اللعب يا شاكر . فأجابه بقوله :

أطبيني يا شاكراً ... ما هكذا فعل الصديق
فأجبته إني الذي ... يُلهي الحمار عن العليق

وكان دولة متصرّف لبنان مظفّر (باشا ١٩٠٢—١٩٠٧) طلب من الشعراء ومن الدكتور شاكر نفسه نظم أبيات تاريخية لتُحفر على الباب الذي جدّد بناؤه في سراي بعبدا ، فلبّى الطلب مع بضعة شعراء ، وقد تألفت لجنة تحكيم واختارت أجود ما قيل ، ففاز احد الشعراء . فغضب الدكتور شاكر وقال :

لو انّ شعري شعير　لاستطيبته الحميرُ
لكن شعري شعور　وهل للحمير شعور؟

وله عبارات ونكات عذبة كثيرة تردّد الى اليوم كما تُردّد الأمثال يصعب احصاؤها لو شئنا تعدادها وذكر حوادثها لاستوعبت صفحات كبيرة ؛ وأكثرها منشور في كتابه (مجمع المسرّات). نكتفي هنا بسرد بعض منها ذكرها عنه أحد كبار أئمة الشرع والقانون الحامي الضليع والكاتب القدير الاستاذ عبدالله لحود العمشيتي.

كان الدكتور شاكر صديقاً للأمير منقذ شهاب. وكان هذا صاحب نكت بارعة ؛ وهو ابن الأمير عبدالله ابن الأمير حسن شقيق الأمير بشير الشهابي الكبير ؛ تولّى مديرية ناحية جبيل فترةً طويلةً من حياته. رآه الدكتور شاكر يوماً في ساحة البرج ببيروت ؛ ووراءه جنديان. وكان شاكر ممتطياً فرسه الزرقاء ؛ فنادى الأمير وهمّ بالنزول عن فرسه للتسليم عليه ؛ فحاول الأمير منعه. فقال شاكر : حلفت يميناً أن أنزل عن فرسي احتراماً لمن هو أرذل مني.

والنكتة الثانية : هو ان حلّ ضيفاً على مائدة سلمى بولاد في مصر وبين المدعوين كاهن لا يكره المباسطة ؛ وقد عتب الكاهن على الطبيب لاحتكاره الحديث مع السيدة. فقال الدكتور على الفور موجهاً كلامه للكاهن : لنتقاسم : سلمى لي ، وبولاد لك. فضحك الكاهن بدون ذعر.

قُبيل غروب شمسه

كان أعزّ أمانيه ، بعد أن زار فرنسا وانكلترا ، أن يتبرّك بزيارة الأماكن المقدسة : مهد المسيح ؛ ووطن الرسل ؛ ومهبط الأنبياء ؛ وقد قدّر له أن يحقق هذه الرغبة ؛ فشخص الى فلسطين وطاف في مختلف أنحاء اورشليم ؛ ومشى على طريق الجلجلة التي سار عليها السيد المسيح. فدخل الهياكل والمساجد المقدسة ، وشاهد الآثار التاريخية الخالدة.

وقد تجلّى صدق ايمانه ؛ ورواسخ عقيدته ؛ في أواخر حياته ؛ فتقرّب مراراً من منبر التوبة ؛ وتزوّد الأسرار الإلهية الأخيرة عن يد رئيس دير جزين للآباء اليسوعيين.

ومن غريب المصادفات إنه في الساعة التي دفن فيها رفات قريبه المرحوم نعمان الخوري قنصل فرنسا السابق في مراكش الذي نقلته احدى

البواخر الفرنسية الى لبنان . فاضت في تلك الساعة روح الدكتور شاكر ، وكان ذلك بعد غروب شمس الخميس الواقع في ٢٤ آب ١٩١١ على أثر إصابته بدائي السكري والزلال .

فذهب مبكياً عليه ، مأسوفاً على علمه الراسخ ، وأدبه الرائع . مشى وراءه رهط من العظماء والأطباء والوجهاء . وشيّعته بلدته بكامل أبنائها ، وغزير دموعها ، وأودع جثمانه بعد الصلاة عليه ، تراب ذلك البلد الطيّب ، الذي طالما أشاد به ، وتغنّى حنيناً اليه بين الناس .

ومن نكد الدنيا ان والدته الثكلى عاشت بعده جريحة حزينة ، وقد توفاها الله بعد مماته في ٢٢ آب ١٩١٢ عن ٨٨ عاماً .

وكانت وفاة زوجته مريم خليل التيّان في بيروت السبت في ٢٢ ت٢ ١٩٢٤ عن خمس وسبعين سنة ، وبعد الصلاة على جثمانها في كنيسة مارمارون ، أودعت مثواها الأخير بالاجلال والتكريم .

سيظل الدكتور شاكر الخوري مذكوراً بفضل أدبه ، وغيرته على المرضى ، وبخفّة روحه ، وظرف حديثه ، وسرعة نكاته التي تطيب لها النفوس وتستعذبها الأفواه .

من رسائل الادباء والمستشرقين
الى الاب لويس شيخو

نشرها وعلّق عليها الاب كميل حشيمه اليسوعي

بين الأوراق التي خلفها الأب لويس شيخو (١٩٢٧ †) والمحفوظة في خزانة جامعة القديس يوسف في بيروت، بضع مئات من الرسائل التي وصلته، أتيح لنا مطالعتها برمتها فوجدناها جديرة بأن تعرف لما يحويه بعضها من معلومات قيمة تساعد على درس شخصية الأب شيخو والدور الذي قام به في ميدان العربية وآدابها.

تقسم هذه الرسائل الى اربع فئات كبرى بالنسبة الى كاتبيها. فالقسم الأول حرّره أقرباء شيخو واصدقاؤه، وهو اقل الاقسام قيمة لتاريخ الآداب لأن مواضيعه غالباً ما تقتصر على الإعراب عن عواطف المودة والشوق او طلب بعض الخدمات.

اما القسم الثاني فهو صادر عن اخوان شيخو في الرهبانية اليسوعية وتدور محتوياته حول امور عملية تمت بصلة الى الحياة الرسولية، او حول امور ادبية وعلمية لا تخلو من فائدة اذا ما أريد انشاء تاريخ الحركة الفكرية في اوائل القرن العشرين.

اما القسمان الثالث والرابع فلهما الأفضلية في نظرنا. اولهما بقلم نفر من الأدباء الشرقيين راسلوا شيخو في شؤون عدة لا سيما بصدد مقالاتهم او مقالات غيرهم في مجلة «المشرق»، والفئة الرابعة والاخيرة كتبها بلغات متعددة عشرات من المستشرقين من الملم ما عرفته علوم الاستشراق في اواخر القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، جاء اصحابها يقرعون باب شيخو لحاجة لهم عنده كأن يكلفوا اليه طبع احد كتبهم في بيروت او

يستعلموه في مراجع تؤيد بعض حججهم فيستطردون من حين الى آخر في تأملات حول مواضيع شتى : مبدين رأيهم في كثير من المسائل ، دينية كانت او اخلاقية او ادبية . ولم يكن من النادر ان يكاتبه هؤلاء الاقطاب لا لشيء الا للصداقة التي تربطهم اليه . فيودعون رسائلهم من رقيق المشاعر ما ينبئ بالمنزلة الكبرى التي كانت له من قلوبهم وتقديرهم .

باشرنا منذ قليل باعداد العدة لنشر هذه الرسائل : الا ان العمل ضخم سوف يتطلب من الجهد ما ليس باليسير ومن الوقت سنين طوالاً : فرأينا انه قد لا يخلو من الفائدة لو وضعنا منذ الآن بين ايادي الباحثين بعض هذه النصوص ؛ لا سيما من تلك التي خطها الأدباء والمستشرقون الى ان يتسنى لنا ابراز مجموعها كاملاً الى حيز النور . وكان رائدنا في كيفية انتقاء الرسائل : الحرص على توسيع نطاق اختيار المؤلفين ما امكننا . ضمن حدود عدد معتدل من النصوص لا يتعدى الثلاثين ؛ ثم اننا اجتهدنا في انشاء مجموعة تتيح للقارئ ، على ايجازها ، ان يكوّن لنفسه فكرة كافية عن نشاط الأب شيخو وطباعه وشخصيته عامةً ومكانته بين اساطين العلوم العربية والاسلامية .

اننا لا نشك ان كل من طالع هذه المجموعة ليستطيع ان يلمس لمس اليد بعض ما كان يتمتع به العلامة اليسوعي من اجلال بين رصفائه ؛ فهم اذ لا يحجمون عن انتقاده دون مداورة اذا ما رأوا فيه مأخذاً[١] ؛ يكنّون له بالاجمال كل تقدير من اجل الجهود الجبارة التي يبذلها لاحياء التراث العربي : إن عن طريق مجلة « المشرق » او عن سبيل المنشورات والدراسات[٢] . وكان عدد غير قليل من المستشرقين قد تتلمذ عليه ويفتخر بالاقرار له بالفضل عليهم : كهل (Hell) وكموسكو (Kmosko) وكراتشكوفسكي (Kratchkovski) (راجع رسائل رقم ١٠ ؛ ٢٤ ؛ ٢٥) . وكانوا عادةً لا يستنكفون من ان يلجأوا اليه في امور تستعصي عليهم فيهتدوا بهديه سواء اكان اسمهم الّيس (A. G. Ellis) ام را (G. Rat) ام گولدتسيهر (I. Goldziher) ام نالّينو (C. A. Nallino) ام فليكس فارس ام محمداً كرد علي ؛ وقد اكد له هذا الأخير ؛ المعروف بمخاصمته له : ما نصه : « وانا احب كل حين ان استرشد برأيك »[٣] .

(١) رسالة رقم ٥
(٢) رسائل رقم ٢، ٤، ٥، ٦، ٩ ...
(٣) رسالة رقم ٢٣

وكان شيخو، اذا ما جاءه طالب علم مستنيرًا، لا يرده خائباً مهما كلفه الأمر، لا بل انه كان من دأبه ان لا يوصد بابه ابدًا في وجه كل قارع يأتيه في اوضع الحاجات، فكان لا يتراجع مثلاً من ان ينقب المكتبات بحثاً عن كتاب طلبه احد الأدباء[1] او من تصحيح مؤلف ارسله اليه احد الكتاب الناشئين[2] او من مساعدة مستشرق على تتبع سير طباعة مخطوط وكله الى المطبعة الكاثوليكية في بيروت[3].

ولا عجب ان تكون نتيجة هذه الاستعدادية للخدمة اتفاق السواد الاعظم من المراسلين على التنويه بغيرة شيخو ولطفه، فكلهم يلهجون بالثناء عليه بأرق العبارات ومنهم من لا يتمالك عن الاقرار بأنه ما برح يحفظ اعطر الذكريات من علاقاته به لعشر سنين خلون[4]. ولعل افصح البراهين على ما كان يتحلى به هذا الراهب العالم من رحابة الصدر ورقيق الشعور ما قاله هـ. زوتنبرك في معرض رسالته (رقم ٨)، وهذا تعريبه:

« ان ذكراك، ابت العزيز، ما زالت حية في ذهني ومرارًا ما كانت لي تعزية في احزاني. فذكاؤك اللامع وحصافة عقلك وجاذبية حديثك وسائر مناقبك الرفيعة قد اضرمت في نحو شخصك عاطفة تملكت مني الى حد انها كانت تنسيني التوارق بيننا ».

وان نحن شددنا على هذه الناحية من شخصية شيخو مبينين ما كان يتحلى به من سمو في الأخلاق ودماثة في المعشر، فلانه كان معروفاً بمواقفه الجدلية الصارمة ومناظراته الحامية الوطيس مع من كان يرى فيهم اخصاماً للدين، وكان لا يتورع من ان يسترسل في مقالاته الى الانتقاد اللاذع والسخرية القاضية[5]، فاحببنا ان نسلط اضواء تكشف عن مواطن غير مألوفة بين العامة من نفسية هذا الكاهن المجاهد.

ولقد بلغ من انصراف شيخو الى الجدل والدفاعية انه اصبح علماً يهتدى به وعمادًا راسخاً يستند اليه ويلوذ بجواه كل من اوجس على الدين

---

(١) رسالة حل، رقم ١٠

(٢) رسالة زا، رقم ١

(٣) رسالة گست، رقم ٢٠

(٤) رسالة باربييه دي مينار، رقم ١١ — راجع ايضاً رسالتي هاليفي، رقم ١٢ وكوشكر، رقم ٢٤.

(٥) راجع مثلاً مجلة «المشرق»: ٢ (١٨٩٩): ص ٥٢٥ و ١١٣٣؛ او ٣ (١٩٠٠)، ص ١٠٠٥؛ او ٤ (١٩٠١)، ص ٨١٣ - الخ...

خيئة في الاقطار العربية قاطبة ؛ كما يستدل على ذلك في رسالة ابراهيم بريار (رقم ٢٦) وهو واحد من عشرات امثاله[1].

ومما لا ريب فيه ان مثل هذه الثقة التي كان يتمتع بها شيخو من قبل انصار الحفاظ على الدين ؛ كانت تتجاوب الى حد بعيد مع ما كان هو نفسه مفطوراً عليه من الغيرة والاندفاع ؛ فأدى ذلك عنده الى بعض المبالغة. فكان ينبري للدفاع عن الحق في حينه وغير حينه. يعلق على مقالات كتاب ملؤوا مجلته « المشرق » بما جاد به قلمهم . دون ان يستأذنهم في ذلك ؛ ولعل النية منه كانت صالحة لا ان صنيعه هذا ما كان ليشجع تنبه المعنيين كما نرى ذلك من خلال رسالة المطران جرمانوس معقد (رقم ٧) .

هذه اذاً بعض ملامح من الأب لويس شيخو تستشفها من خلال نخبة رسائل بعث بها اليه نفر من ارباب العلم والقلم. ولا بد لتتم اللوحة وتبرز شخصية الرجل على اكمل وجه من ان نحيل القارئ الى احدى الرسائل التي نحن قادمون على نشرها (رقم ٩) كتبها اخ لشيخو في الرهبانية اليسوعية ، العالم المجتهد في الكتاب المقدس الأب البير كوندامان : « فبي باسلوبها التكاهي الظريف تبين كيف كانت تبدو صورة شيخو للعيان : فهو العالم العلامة بمكنونات العربية والناشر المدقق لكنوز مخطوطاتها والمؤلف والمترجم والمدير لمجلة شهيرة تصدر مرتين كل شهر والقيم على مكتبة من اغنى المكتبات الاستشراقية والمعلم في الجامعة والمدرسة والرسول الغيور — المبالغ في غيرته — الذي يقضي اوقاتاً طوالاً في سماع اعترافات المؤمنين مما ينتهب من الساعات التي يمكنه ان يخصصها للعلم فيخدم الدين بطريق غير مباشر خدمة اولى .

وقبل أن نختم هذه المقدمة ؛ لا يخلو من فائدة ان ندرج ثبتاً ببعض مراسلي شيخو من الأدباء والمستشرقين ؛ مستثنين منهم العشرين ونيفاً الذين سننشر لهم رسالة في الصفحات القادمة .

فمن المستشرقين نذكر : اسين بالاسيوس[2] وأمدروز[3] والبارون ماكس

---

(١) راجع ايضاً رسالة البطريرك الماروني الياس الحويك بتاريخ ١٢/٢/١٩١٤ ؛ وقد نشرها شيخو في ملحق للعدد الثاني من « المشرق » ١٧ (١٩١٤) ؛ ومما جاء فيها : « فانه دين ابنا الأب العالم العامل الذي جاهدت في سبيل الله جهاد الابطال ولم تزل تجاهد في هذه الاعصار الشرقية التي كثر فيها عدد المتخرصين على الدين الحق ... »

(٢) Miguel Asin Palacios (١٨٧١–١٩٤٤) . كاهن اسباني ؛ عضو المجمع العلمي بدمشق . درس حركة التفاعل الثقافي بين الاسلام والمسيحية . – استمدنا التعريف عن معظم المستشرقين الآتي ذكرهم بمؤلف نجيب العقيقي في ثلاثة اجزاء: المستشرقون ؛ القاهرة ؛ ١٩٦٤ – ١٩٦٥ .

(٣) H.F. Amedroz (١٨٥٤ – ١٩١٧) . اصله سويسري ولكنه انجليزي الجنسية . حقق الكثير من المخطوطات طبع منها ثلاثة في المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

اوبنهايم[1] والأب پاريزو[2] وج. گابريلي[3] وگراف[4] وگودفرا ديموميين[5] وا. گويدي[6] ودي خويه[7] وسنوك هرگرنجه[8] وفنسنك[9] وك. فولليرس[10] وكارا دي فو[11] وكرنكو[12] وج. ب. ن. لاند[13] ولايال[14] ومرگليوث[15] ولويس مسينيون[16]

---

(١) M. Oppenheim (١٨٦٠ – ١٩٤٦) . طاف في سوريا وما بين النهرين بحثاً عن الكتابات العربية وقد درس احوال البدو وتواريخهم درساً مسهباً .

(٢) Dom J. Parisot . من رهبانية القديس بنرك . له مؤلفات في الموسيقى واللغات الشرقية .

(٣) Giuseppe Gabrieli (١٨٧٢–١٩٤٢) . امين مكتبة مجمع لنشاي الايطالي . له بحث فيه : تاريخ الدراسات الشرقية في ايطاليا وصلاتها بالشرق .

(٤) Georg Graf (١٨٧٥ – ١٩٥٥) . كاهن كاثوليكي . انصرف الى طلب المخطوطات الشرقية . اهم ما خلفه من الآثار « تاريخ الآداب المسيحية العربية » وهو في خمسة مجلدات ضخمة .

(٥) M. Gaudefroy-Demombynes (١٨٦٢–١٩٥٧). فرنسي . الف ونشر الكثير لاسيما فيما يختص بالمغرب .

(٦) Ignazio Guidi (١٨٤٤ – ١٩٣٥) . ولد في رومة . نبغ في العربية وفي سائر اللغات السامية لا سيا السريانية والحبشية والأمهرية . علم في جامعة القاهرة .

(٧) M. J. de Goeje . هولندي . من اعظم المستشرقين . اشتهر بسعة اطلاعه على تاريخ العرب وتقسله من فلسفتهم وبعده عن الهوى في جميع ابحاثه .

(٨) Snouck-Hurgronje (١٨٥٧–١٩٣٦) . تتلمذ على دي خويه . عد في طليعة رواد دراسات الفقه الاسلامي والاصول والحديث والتفسير في اوروبا .

(٩) A. J. Wensinck . (١٨٨١–١٩٣٩) . تخصص في اديان الشرق وسعى الى وضع المعجم المفهرس الى الفاظ الحديث وتولى تحرير دائرة المعارف الاسلامية .

(١٠) Karl Vollers (١٨٥٧ – ١٩٠٨) . امين المكتبة الخديوية بمصر . نشر ديوان المتلمس وعدة مخطوطات اخرى .

(١١) Baron Carra de Vaux . علم العربية في باريس . الف ونشر في الفلسفة والرياضيات والتاريخ .

(١٢) Fritz Krenkow . الماني . نزح الى انجلترا وتعاطى فيها التجارة والصناعة الى جانب علوم الاستشراق حيث برع ! اعتنق الاسلام فيما بعد وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق .

(١٣) J. P. N. Land (١٨٣٤ – ١٨٩٧) . دارت ابحاثه حول تاريخ الموسيقى العربية .

(١٤) Sir Ch. J. Lyall . رأس ديوان الهند في لندن وكان احد رؤساء تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية JRAS . كتب الكثير من الفصول الشرقية في دائرة المعارف البريطانية وعني بالشعر الجاهلي عناية خاصة .

(١٥) D. S. Margoliouth (١٨٥٨ – ١٩٤٠) . استاذ العربية في إكسفورد . من ائمة المستشرقين : انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الالمانية وغيرها .

(١٦) Louis Massignon . (١٨٨٣–١٩٦٢). من اساطين الاستشراق في فرنسا . وقف حياته على استنباط واستيعاب كل ما يمت الى التصوف الاسلامي بصلة حتى اصبح الحجة فيه . كان عضواً للمجمع اللغوي بمصر منذ انشائه سنة ١٩٣٢ والمجمع العلمي العربي في دمشق . — كتب الى الأب شيخو اربع عشرة رسالة ذات قيمة كبيرة نأمل ان ننشرها مجموعة على حدة عما قريب ان شاء الله .

وموريتس[1] وموزيل[2] وهيار[3].

اما الأدباء العرب فعددهم اقل من عدد المستشرقين ونحن نجتزئ منهم بالآتية اسماؤهم: القس اسحق ارملة[4] ومحمود شكري الآلوسي[5] والأب انستاس ماري الكرملي[6] والأب قسطنطين الباشا[7] واحمد باشا تيمور[8] والشيخ امين الجميل[9] وقسطاكي الحمصي[10] ويوسف اليان سركيس[11] والأب جرجس منش[12] والمطران يوسف دريان[13].

هذا ما لزم الآن وانا قبل ان نفسح المجال للنصوص، ننتهز الفرصة لنطلب الى كل من يستطيع ان يهدينا الى رسائل بخط الأب شيخو ان لا يضن علينا بالخدمة وله منا سالف الشكر جزيلاً.

---

(١) B. Moritz (١٨٥٩–١٩٣٩). مدير مكتبة المعهد الشرقي ببرلين ثم مدير دار الكتب الوطنية بالقاهرة. طاف الشرق والغرب العربيين بحثاً عن الجغرافيا التاريخية وكانت معظم مؤلفاته فيها.

(٢) A. Musil (١٨٦٨–١٩٤٤). كاهن تشيكي. درس مدة في معهد الآداب الشرقية ببيروت وتكررت رحلاته الى الشرق وكتب عن الجزيرة العربية وقبائلها بحوثاً كثيرة.

(٣) Clément Huart (١٨٥٤ – ١٩٢٧). ترك مهام القنصلية ليتفرغ للعلوم فكان استاذاً للغات العربية والفارسية والتركية في باريس وعضواً لعدة مجامع علمية عالمية منها مجمع دمشق. آثاره عديدة بين مؤلف ومترجم ومنشور.

(٤) من علماء السريانية. ولد في ماردين مسقط رأس الأب شيخو سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٩٥٤ في بيروت. من مؤلفاته «حياة القديس افرام».

(٥) من اسرة بغدادية انجبت عدة علماء. توفي سنة ١٩٢٤. من مؤلفاته «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب».

(٦) (١٨٦٦–١٩٤٧). اديب لغوي من افاضل علماء العربية باعاً. صاحب مجلة «لغة العرب». وجدنا منه للاب شيخو ما ينيف على المئتي رسالة مشحونة بالفرائد الأدبية نأمل ان ننشرها في مجلد منفرد ان شاء الله.

(٧) كاهن ملكي من الرهبانية المخلصية (١٨٧٠–١٩٤٨)، عني الكثير من المقالات الخاصة بالتاريخ، لا سيما تاريخ الكنيسة الشرقية.

(٨) (١٨٧١–١٩٣٠). ولد في القاهرة. صاحب الخزانة التيمورية الشهيرة بمخطوطاتها ومطبوعاتها.

(٩) (١٩٤١ †). من احدى العائلات اللبنانية العريقة. كان طبيباً واديباً وصاحب نشاطات وطنية واجتماعية. الف عدة كتب لا سيما في علم الصحة، وحياة القديس منصور دي بول.

(١٠) (١٨٥٨–١٩٤١). ولد في حلب. تاجر واديب. عضو المجمع العلمي في دمشق.

(١١) (١٨٥٦–١٩٣٢) من مواليد دمشق. استوطن القاهرة في سنيه الاخيرة. اشتهر بنشره معجماً للمطبوعات العربية والمعربة فيه اسماء الكتب ومؤلفيها منذ نشأة الطباعة الى بعيد الحرب الكونية الأولى.

(١٢) كاهن حلبي. عضو المجمع العلمي العربي. توفي سنة ١٩٢٧.

(١٣) اسقف موارنة مصر. الف في تاريخ الطائفة المارونية. توفي عام ١٩٢٠

١ – من گُستاف راّ[١]

Toulon, le 29 *mars* 1889[٢]

Monsieur le Révérend Père Louis Cheikho

Beyrouth (Syrie)[٣]

Veuillez excuser la liberté grande que je prends de vous écrire et de me mettre en relations avec vous par correspondance.

Je m'occupe depuis quelque temps de langue arabe; j'ai terminé dernièrement la traduction in extenso des 1001 nuits, d'après les éditions imprimées à Boulaq et à Calcutta[٤]. En ce moment je travaille à une traduction du *Mostat'ref*[٥], de Chihab-ed-din, dont j'ai presque terminé le premier volume, mais je dois avouer que certains passages de ce livre m'ont présenté des difficultés de traduction que je n'ai pu surmonter et dont le sens m'échappe totalement.

J'ai pensé, mon très cher Révérend Père, que vous pourriez m'assister de vos lumières et que, grâce à votre profonde connaissance de la langue arabe, il vous serait facile de m'éclairer sur les parties du texte que je n'ai pu comprendre ou dont le sens que je leur attribue me paraît douteux. Il y a principalement un chapitre intitulé:

---

(١) يطلب المستشرق كاتب هذه الرسالة الى الأب شيخو ان يمده بيد المساعدة في محاولته ترجمة «مستطرف» شهاب الدين الأبشيهي من العربية الى الفرنسية بعد ان عسيه من هذا الكتاب بعض المواضع. وكاتب الرسالة من تولون (Toulon) في جنوب فرنسا، تعاطى الملاحة مدة واصبح فيما بعد اميناً لغرفة تجارة مدينته. كان عضواً في الجمعية الآسيوية البارسية، يحسن التركية الى جانب العربية (اقتبسنا هذه المعلومات من الرسالة نفسها ومن المقدمة لترجمة «المستطرف» التي سيأتي ذكره ادناه).

(٢) كان شيخو وقتئذ في الثلاثين من عمره فقط وكان قد ذاع صيته منذ ان بدأ ينشر مجموعة «مجاني الأدب» قبل ست سنين، في ١٨٨٣.

(٣) لم تكن بيروت في ذلك الوقت عاصمة لبنان كما لا يخفى على اللبيب، بل انها تحولت سنة ١٨٨٦ من متصرفية تابعة ايالة صيدا الى ولاية مستقلة يحتق واليها بالآستانة مباشرة في الأمور المدنية وبمشيرية الشام في الأمور العسكرية.

(٤) كتب «راّ» في كراس صدر له في تولون سنة ١٩٠٥ تحت عنوان *Examen critique succinct des diverses éditions du texte arabe des Mille et Une Nuits*, ص ٢١ : ان ترجمته لرواية «الف ليلة وليلة» ما زالت مخطوطة لانصرافه طوال ما يقارب العشرين سنة الى ترجمة «المستطرف».

(٥) هو «المستطرف في كل فن مستظرف» لشهاب الدين احمد الأبشيهي (١٣٨٨–١٤٤٦). صدر الجزء الاول للترجمة سنة ١٨٩٩، اي بعد عشر سنين من كتابة هذه الرسالة، في ٨٢٩ صفحة من مجلد كبير القطع، وعقبه المجلد الثاني سنة ١٩٠٢ في ٨٢٠ صفحة بعد ان نال جائزة من «الاكاديمية الفرنسية للكتابات والآداب الجميلة».

في الأمثال السائرة بين الرجال والنساء

page 43, du 1er volume (édition de Boulaq) qui renferme des proverbes dont le sens, en grande partie, m'échappe totalement. Ce sont sans doute des proverbes populaires.

Je vous envoie pour le moment ci-contre quelques passages dont je vous serai bien obligé de me donner l'explication dans le cas (où) vous voudrez bien entrer en correspondance avec moi, à ce sujet[1].

Veuillez agréer, mon très cher Révérend Père, avec mes remerciements anticipés et l'expression de ma profonde gratitude, l'assurance de mes sentiments les plus respectueux et les plus dévoués.

G. RAT

Mr. G. Rat
Cape au l. cours
Membre de la Société Asiatique
2, Rue de la glacière
Toulon s/mer (Var).

٢ — من ا. ج. اليس[٢]

British Museum
Department of Printed Books
6 *November* 1889

Dear Sir,

Some days ago I received from the Reverend Father Strassmaier[٣] your letter of September 30.

I am exceedingly obliged to you for your kindness in sending me the information I was in want of with regard to Abdallah Zakher's book[٤]. If I am not asking too much, might I trespass

(١) قبل شيخو مراسلة « را » وقد وجدنا فيما خلف من اوراق عدة رسائل من هذا المستشرق يسترفده المرة بعد المرة معلومات وايضاحات . وقد اقر الكاتب في ذيل نسخته للجزء الاول بفضل شيخو عليه اقراراً مقروناً بأحر عواطف الاعجاب .

(٢) كان هذا المستشرق يعد المدة لنشر فهرساً لكتب العربية الموجودة في « المتحف البريطاني » — وقد طبعه في لندن بين ١٨٩٤ و ١٩٠١ واتبعه بذيل سنة ١٩٢٦ — فكان بين الفينة والفينة يلجأ الى الأب شيخو يستوضحه ما غمض عليه ويغرف من معين علمه الفياض كما هو الحال في هذه الرسالة .

(٣) عالم يسوعي الماني . اشتهر بنشره نصوصاً بابلية قديمة .

(٤) عبدالله زاخر (١٦٨٤–١٧٤٨) هو الشماس المعروف بتأسيسه المطبعة العربية في دير مار يوحنا الصابغ في الخنشارة (لبنان) ولا ندري اي كتاب من كتبه هو المعني هنا .

yet a little further upon your generosity? I have several books of the seventeenth century by Timoteo Agnellini, Archbishop of Mardin. He also calls himself by an Armenian name "Karnuk" (Գառնուկ) and by an Arabic "al-Humaili" (الحميل), both equivalent in meaning to his Italian name Agnellini. He also uses a poetical nom-de-plume "Zafi" (صفي).

Could you tell me as to which of the Oriental Churches he belongs to? He is, I presume, a member of one of the Uniat Oriental Churches[١].

Agnellini translated into Arabic a work entitled "Breve compendio della Perfettion Christiana".

Can you tell me who is the author of that work?[٢].

I am exceedingly grateful for your reference to Professor Cardahi[٣] with regard to the History of Thomas of Maraga[٤]. I hope soon to avail myself of it.

Believe me, dear Sir,

Yours most sincerely

A. G. Ellis

---

(١) كان طيموثاوس هذا من الطائفة السريانية الكاثوليكية.

(٢) عنوان ترجمة الحميلي العربية «كتاب الاختصار المختصر في الكمال المسيحي». قال اليس في فهرسته *Catalogue of Arabic books in the British Museum*، الجزء الاول: ص ١٣٤: ان مؤلف هذا الكتاب هو الأب الفونس رودريكوز (Rodriguez) اليسوعي. وقال في المصدر نفسه: ص ٣٢٧د ان هذا الكتاب عربه الحميلي عن طبعة مختصرة لمؤلف رودريكوز. وانما كتب ذلك استناداً الى رد شيخو على سؤاله كما تبين ذلك من رسالة بعث بها الى شيخو في ١٨ تشرين الثاني ١٨٨٩ جاء فيها: «شكراً جزيلاً لمعلومات التي تفضلت علي بها. لم اكن ادري ان الـ *Breve Compendio* هو للكاتب المشهور رودريكوز».

الا ان شيخو شط هنا شططاً فادحاً – وانساق معه زميله اليس – وقد فاته ان هذا الـ *Breve compendio* انما هو كتيب ذاع صيته في اوروبا في القرن السابع عشر حتى انه طبع اربع مرات قبل ان ينقله الحميلي الى العربية سنة ١٦٨٨. اما واضع الكتيب فهو سيدة تدعى ايزابيلا كريستينا لومياتي بيلزاكا وقد ساعدها في عملها الأب كالياردي (Gagliardi) اليسوعي. والعنوان الأصلي هو *Breve compendio intorno alla perfezione cristiana*. وراجع *L'Abrégé de la perfection de la dame milanaise*; *Revue* في مقالته Marcel Viller *d'Ascétique et de Mystique*, 12 (1931), p. 50. حيث يذكر المؤلف ترجمة الحميلي).

(٣) هو القس جبرائيل القرداحي الحلبي اللبناني (١٩٣١ +): مدرس العربية والسريانية بالمدرسة الاوربانية في روما وصاحب عدة مؤلفات عن اللغة السريانية وآدابها، بينها «اللباب» وهو معجم سرياني عربي طبع سنة ١٨٨٧.

(٤) هو توما اسقف المرج الذي عاش في القرن التاسع. وتاريخه المذكور في الرسالة هو: «كتاب الرؤساء» حيث يتطرق الى الحديث عن تاريخ الرهبان القديسين الذين عاشوا في دير بيث عابي غير بعيد عن الموصل.

٣ – من مرتن هرتمن[١]

Schillerstr. 7.
Charlottenburg
20.3.98

Mon cher Monsieur,

En même temps avec ces lignes[٢], je vous envoie le numéro 3 de la *Orientalistische Litteraturzeitung*[٣] contenant un petit article de ma plume qui ne vous dira rien de nouveau, mais qui attirera votre attention sur le livre curieux de Monsieur Jansen[٤]. Aussi voudrais-je que vous preniez note de la notice sur votre Machriq nº 4[٥]. Je prendrai soin que votre journal figure régulièrement dans la *Zeitschriftenschau*. J'ai reçu dernièrement les premiers cinq numéros du Machriq après qu'on m'avait écrit que les conditions que j'avais sollicitées pour mon abonnement soient inacceptables. Maintenant je ne sais pas au juste à quoi m'en tenir. En tout cas je suis avec le plus grand intérêt votre publication intéressante[٦].

Mon travail sur le résultat de mon séjour en Egypte s'avance plus lentement que je ne pensais[٧]. Il y a toujours autant de petites affaires qui empêchent l'élaboration assidue.

Croyez, mon cher Monsieur, à mes sentiments sincères et à mon entier dévouement.

Martin Hartmann

(١) مرتن هرتمن (Martin Hartmann) مستشرق الماني (١٨٥١–١٩١٨) كان مستشاراً ومترجماً في قنصلية المانيا في بيروت ثم عين استاذاً للدراسات الاسلامية في برلين. قام برحلات عديدة الى البلاد الشرقية وصنف في كل رحلة مصنفاً نفيساً. اسس الجمعية الشرقية الالمانية للدراسات الاسلامية واصدر لها «مجلة عالم الاسلام» Die Welt des Islams. – موضوع الرسالة يدور حول بعض الأنباء العلمية التي تمت بصلة الى شيخو او الى مرسل الكتاب.

(٢) في هذه الرسالة وفي سواها مما كتبه المستشرقون بلغات لا يجيدونها: اغلاط نحوية ومواطن خلل في الانشاء لم نشر اليها لكثرتها غالب الأحيان؛ وإن نحن دللنا عليها نحيناً تشكل شواذاً يلفت النظر او يحتاج الى تصحيح ليفهم المراد.

(٣) مجلة علمية تبحث في العلوم الشرقية تأسست سنة ١٨٩٨ بإدارة ف. ا. پايزر (F. E. Peiser) في برلين.

(٤) هو الدكتور هوبرت ينسن، وكتابه بالالمانية تحت عنوان «انتشار الاسلام، مع الاشارة الى مختلف المذاهب والشيع والاخويات في مختلف اقطار الأرض ...».

(٥) هو العدد الرابع من السنة الأولى لمجلة «المشرق» (١٨٩٨): يشير «هرتمن» في نبذته المذكورة الى نشر شيخو لتاريخ بيروت لابن صالح.

(٦) لم ينفرد «هرتمن» في الثناء على «المشرق»، فسوف نرى في الرسائل الآتية تقاريظ بقلم مستشرقين آخرين (راجع رسائل رقم ٥ و٦ و ١١ و ٢٣).

(٧) لعله يشير هنا الى الكتاب الذي كان يعده عن الصحافة المصرية وقد صدر في السنة القادمة بعنوان The Arabic Press of Egypt.

٤ – من كارلو الفونسو نلّينو[1]

Naples, le 21 *juillet* 98

Monsieur le Directeur du Machriq[2],

Je viens de lire avec plaisir, dans le nº 13 du Machriq, le rapport intéressant du P. Joüon sur l'égyptologie en 1898. Seulement je trouve à mon regret que le nom si bien arabe de تلّ العمارنة est transformé, p. 578, toujours en تلّ امرنا, et que, p. ٥٨٠, إسنا devient إسنة, et بيبان الملوك est changé en بيان الملوك.

Or je désire saisir cette occasion pour rappeler votre attention sur ce fait assez curieux, et on pourrait dire honteux, que dans les publications modernes arabes et turques les noms géographiques orientaux sont bien souvent défigurés jusqu'au point de ne pouvoir plus les reconnaître. Je connais un bon et gros atlas turc, publié il y a peu de temps, où les noms de l'empire Ottoman sont parfois irréconnaissables; évidemment on a pris un atlas français, et on a *transcrit* le tout en caractères nashi sans se soucier de contrôler si la transcription était bonne ou fautive. Il est de même dans une grande carte arabe de la Syrie, imprimée précisément à Beyrût! Est-ce qu'on tolérerait en France, qu'on imprimât une carte avec Bariz pour Paris, Burdu pour Bourdeaux ([3]), etc.?

Ainsi je prends une publication qui est adopté[4] comme livre de text[5] dans les écoles égyptiennes: كتاب العرب وآدابهم لجامعيه ادورد فانديك وقسطنطين فيليبدس Bûlâq 1893. Dans les premières pages on a un petit abrégé de la géographie de l'Arabie; les auteurs ont puisé à diverses sources européennes, et n'ont nullement pensé

(١) يعد نلينو (Carlo Alfonso Nallino) المولود سنة ١٨٧٢ والمتوفى سنة ١٩٣٨ من اطول العلماء باعاً في ميادين الاستشراق وقد رغب في معرفة كل شيء منها ونال الكثير مما ابتغى. كان عضواً في عدة مجامع وجمعيات دولية منها المجمع العلمي الايطالي؛ والمجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع اللغوي في القاهرة منذ نشأتهما؛ وقد اشرف على مجلة «الشرق الحديث» (Oriente Moderno) و «مجلة الدراسات الشرقية» (*Rivista degli Studi Orientali*). ينبّه نلينو في رسالته نظر شيخو الى ما يقع في المؤلفات الشرقية من تصحيف للاسماء الجغرافية والتاريخية العربية ويعطي في ذلك امثلاً عديدة ويبدي فكرة انشاء قاموس جغرافي للبلدان التي تستعمل الابجدية العربية. وقد نشر الأب شيخو قسماً من هذه الرسالة في الصفحة ٨١١ من «المشرق» (السنة الأولى: ١٨٩٨).

(٢) كان مدير «المشرق» وصاحب امتيازه منذ تأسيس المجلة الأب شيخو؛ وقد ظل في منصبه هذا حتى وفاته سنة ١٩٢٧.

(٣) هكذا في الأصل، (والصواب Bordeaux) ولعله سهو من قبل الكاتب، والا نصحّ فيه ما جاء في الانجيل: «ايها الطبيب طبّ نفسك»!

(٤) و (٥) هكذا في الأصل. ونظن ان الكاتب قد سها ايضاً.

à voir comment les Arabes mêmes écrivent leurs noms. A p. ٦ et ٧ je trouve les iles كوريان موريان au lieu de خوريان موريان ; la ville de القريط sur le golfe Persique au lieu de الكويت ; الجبل العريض pour جبال العارض, التسيم pour القصيم, وادي حمد pour وادي الحمض, قنج (nom des dépressions à fer de cheval[1] dans les sables du Nefûd) pour فلج (avec la prononciation bédouine du ق).

Prenons les deux pages ١٣ et ١٤ ; nous y remarquons: لبنا pour لينة — حنكية pour الحناكية — عكير pour اكير — ادد pour متعنده — ضبانه pour تبالة — جمع pour الجمعة — دراما pour ظرما — راس pour الرس — نجا pour قنعة بيشة — خبج pour خج — برق pour برك — زهاد pour صحار — شناس pour شناص — le pays de الضاهرة pour الظاهرة — برتما pour البريمة — اضنيف pour اضنيبوف — la tribu des بتيل pour بكيل — la tribu des الجوازمي pour الجواسم etc., sans conter[2] la répétition de fautes signalées plus haut, les fautes d'impression (telles que خمار pour ذمار), et la mauvaise orthographie[3] truque de l'ile قران pour كمران .

Ne pourrait pas le *Machriq* prendre une initiative énergique pour faire cesser des abus pareils? Le moyen meilleur d'y réussir ce serait de publier un dictionnaire géographique des pays où on se sert de l'alphabet arabe, la Malesie[4] comprise, afin qu'on ne voit plus, p.ex., écrite متمار la ville que les Malais appellent et écrivent مكسر (c'est-à-dire مَنْكَسَّر). Je me prends la liberté de vous envoyer un article que j'ai publié en 1894 dans le Bulletin de la Société Khédiviale de Géographie; il s'adresse aux Européens, mais dans les premières pages il contient des réflexions qui regardent aussi les Orientaux[5].

J'aurais encore beaucoup à dire sur la mauvaise habitude des Orientaux de transcrire les noms allemands, italiens, espagnols, etc., d'après la prononciation française; mais je ne veux pas abuser de votre temps et de votre patience.

Je vous prie M. le Directeur, de vouloir bien agréer mes vœux

---

(١) لا معنى لهذه العبارة بالفرنسية ، ونظن انه انما اراد قوله هو : *en fer à cheval* .

(٢) و (٣) و (٤) . هكذا في النص .

(٥) عنوان هذه المقالة *La transcription des noms géographiques arabes, persans et turcs.* وقد عاد نلينو الى مثل هذا الموضوع سنة ١٩٠٧ فكتب مقالاً صدر في القاهرة بعنوان *Les noms géographiques du monde musulman dans des publications arabes modernes*

sincères pour le Machriq et l'expression de ma considération la plus distinguée.

Votre dévoué
Carlo Alfonso Nallino
Prof. dans le R. Istituto Orientale
Naples (Italie)

هـ – من أدريان بربيه دي مينار[1]

Société Asiatique
de Paris
Fondée en 1822

Paris, le 22 *juin* 1899

Siège de la Société & Bibliothèque
1, Rue de Seine
(Palais de l'Institut)

Très honoré P. Cheikho,

Je n'ai pas manqué de mettre votre lettre sous les yeux du Conseil d'administration en la recommandant tout particulièrement. C'est avec une sincère satisfaction que je vous annonce que l'échange entre le Journal Asiatique et votre Revue estimable المشرق vient d'être autorisé. Vous recevrez en conséquence les numéros parus depuis le commencement de la présente année, et la suite vous sera exactement expédiée par les soins de la maison Léroux, éditeur de notre recueil. Nous nous plaisons de notre côté à espérer que rien ne viendra interrompre le cours des travaux et des publications par lesquels l'Université catholique[2] de Beyrout[3] a pris une place distinguée dans la marche des études Orientales. Une part considérable dans cette savante collaboration vous appartient et j'espère que malgré les critiques d'une certaine école trop portée à en contester la valeur, vous continuerez à mettre à la disposition de nos travailleurs, dans les conditions d'exactitude

(١) ادريان بربيه دي مينار Adrien Barbier de Meynard – (١٨٢٧–١٩٠٨). كان استاذاً في معهد فرنسا (Collège de France) ومديراً للمجلة الاسيوية (*Journal Asiatique*) وكان يجيد الى جانب العربية الفارسية والتركية وله فيها جميعاً تآليف جليلة. – اهم ما في رسالته هذه اعلامه شيخو بان الجمعية الاسيوية تبنت ان تتبادل مجلته «المشرق» بنشرتها «المجلة الاسيوية»؛ ثم تقريظه لمآثر الجامعة اليسوعية البيروتية عامة وشيخو خاصة. وانه ليشير في معرض تقريظه هذا الى ما يأخذه نفر من المستشرقين على شيخو خلفه بعض التناقض مما ينشره من مؤلفات.

(٢) هي جامعة القديس يوسف للرهبانية اليسوعية.

(٣) هكذا في الأصل.

et de prix très appréciables, une série de documents littéraires et pédagogiques destinés à rendre de réels services. Ce but honorable sera atteint surtout si vous nous donnez des textes publiés dans « leur complète intégrité ». Je n'ignore pas les honorables scrupules[1] qui vous obligent quelquefois à leur faire subir des retranchements; mais c'est là surtout qu'il faut chercher la cause de l'indifférence ou de la critique sévère de quelques uns de nos confrères de l'étranger et c'est sur ce point que je me permets, en collaborateur sincère et dévoué, d'appeler votre attention.

Je serais heureux de recevoir de vos nouvelles et d'apprendre par vous-même quels sont les travaux que vous avez sur le métier. J'ai communiqué à mon savant ami Rubens Duval[2] la notice et le fragment que vous venez de publier d'Abi-l Faradj Bar Hebraeus[3] : il en a été très satisfait et regrette de ne pas en avoir eu connaissance assez à temps pour l'utiliser dans l'histoire de la littérature Syriaque[4] dont il vient d'enrichir le monde savant.

En attendant quelques lignes de votre main, je vous renouvelle, honoré et Cher Confrère, l'assurance de mes sentiments dévoués.

A. Barbier de Meynard

P.S. Seriez-vous assez bon pour me faire savoir si le P. Salhani a mis la dernière main au dernier fascicule du Diwan d'Al-Akhtal où doivent se trouver les notes et indices: je ne possède jusqu'ici que les quatre livraisons du texte[5].

---

(١) كان شيخو وسائر اليسوعيين العلماء، كالأب صالحاني في ضبطه لألف ليلة وليلة، يتورعون من ادراج الكلمات او المقاطع الغثة بالآداب في النصوص التي ينشرونها.

(٢) هو العلامة الأب روبنس دوقال (١٨٣٩–١٩١١). استاذ السريانية في معهد فرنسا. من مؤلفاته، تاريخ مدينة الرها، وقد نشر قاموس بار بهلول الضخم.

(٣) مقالة مستفيضة عن ابن العبري صدرت تباعاً في «المشرق» سنة ١٨٩٨

(٤) «تاريخ الآداب السريانية»، طبع سنة ١٨٩٩ في باريس.

(٥) شرع الأب انطون صالحاني اليسوعي (١٨٤٧–١٩٤١) اصدار ديوان الأخطل في اربعة اجزاء متتالية سنة ١٨٩١؛ ولكنه لم ينته من وضع الفهارس الا بعد اكثر من ثلاثين سنة: فقد أردف الأجزاء الأربعة سنة ١٩٠٩ بملحق قال في مقدمته انه «يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات وفهارس للاعلام والألفاظ اللغوية»؛ الا ان الفهارس لم تدرج فعلاً الا في ذيل تبع الملحق سنة ١٩٢٥.

٦ – من كارلو الفونسو نلّينو[1]

Naples, le 13 *sept.* 1900

Rev. P. Louis Cheikho,

N[2] ne saurais pas vous remercier assez des bonnes paroles que vous avez eu pour moi dans le Machriq à plusieurs reprises[3]; mais surtout je désire vous remercier de votre observation à propos de باسم كاهن. J'ignorais cet usage, et aussi j'ai commis l'erreur de prendre باسم pour un nom propre[4]. Je vois maintenant que ce personnage est le même Joseph le peintre qui en 1648 traduisit l'histoire des empereurs byzantins de Mathieu Tzigala; version dont le Musée Asiatique de St Pétersbourg possède un exemplaire (Catal. de M. Rosen, nº 190, p. 135-141).

Si dans l'avenir vous trouverez des erreurs dans mes publications je vous prie vivement de ne les taire pas; je désire seulement d'apprendre, et vous êtes bien à même de nous enseigner un tas de choses du plus grand intérêt.

Je suive[5] avec le plus grand plaisir le progrès continuel de

---

(١) راجع في هذا المستشرق ما جاء في الحاشية الأولى من الرسالة ٥ . يشكر نلّينو للأب شيخو ملاحظة ابداها له في شأن غلط صدر عنه ويطلب اليه ان لا يبخل عليه بانتقاداته كلّ ما سنحت له الفرصة لأنه من اساطين العلم يعوّل على آرائهم .

(٢) كذا في الأصل ، والظاهر ان نلّينو خطّ هنا الحرف وعاد عن فكرة اولى راودته فمنعها من كتابة ضمير المتكلّم Je .

(٣) راجع مثلاً « المشرق » ١ (١٨٩٨) : ص ٨١١ .

(٤) ليس بين يدينا ما يمكّننا من معرفة ما قاله شيخو لنلّينو بالتمام . ولكننا نستطيع ان نتبيّن فحواه والمناسبة التي كانت داعياً له اذا ما رجعنا الى أثر للمستشرق ظهر في السنة التي أرّخ بها رسالته وهو *I Manoscritti Arabi, Persani, Siriaci et Turci della Biblioteca Nazionale e della R. Academia delle scienze di Torino* : ففي الصفحة ١٠ من هذا الكتاب تعريف مخطوط « نقله من الرومي الى العربي العبد الخاطي يوسف المصور باسم كاهن » وقد جاء في الصفحة نفسها جملة مشابهة « نقله من الرومي ... العبد الخاطي ... يوسف باسم قسيس المصور » . فترجم نلّينو عبارة « يوسف باسم كاهن المصور » بقوله « Giuseppe Bāsim sacerdote, pittore » جاعلاً من « باسم » علماً : فيما تجب قراءة هذه الكلمة على النحو الآتي : « بِاسْمِ » فتكسر الباء وتسكن السين . والمراد من قبل الكاتب هو الاقرار بسكته فيقول بأنه كاهن ولكن كن ليس هو كذلك : كاهن بالاسم لا بالفعل : وذلك تذلّلاً منه وتواضعاً .

ويوسف الكاهن المصور هذا عاش في اوائل القرن السابع عشر وفوضه البطريرك الانطاكي الارثوذكسي مكاريوس ، فيما فوضه من اعمال ، لينقل الى العربية تاريخ الملوك الروم من تأليف القبرصي متى جيغالا فحرره تحت عنوان « الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم » .

(٥) هكذا في الأصل .

votre *Machriq*, qui est désormais un des centres les plus puissants de culture dans l'Orient arabe.

En vous remerciant encore une fois, je vous prie, Rév. Père, d'agréer l'expression de mes sentiments les plus dévoués.

Votre dévoué
Carlo A. NALLINO

٧ – من المطران جرمانوس معقد[1]

جرمانوس معقد
مطران اللاذقية
جونية (لبنان) بطريق بيروت

حضرة الأب الجليل مدير المشرق المحترم

تلوت كتابكم العزيز رقم ١٢ الجاري الذي تذكرون به انكم اضفتم الى المقال ... بعض ملاحظات لاهوتية فأخذت انتظر وصول المشرق لأراها فلما وصل وطالعتها شعرت باستياء عظيم ولو اكتفيتم بالاولى وحدها لكان الامر اخف[2].

---

(١) كان المطران معقد (١٨٥٣–١٩١٢)، وهو مؤسس جمعية المرسلين البولسيين، قد نزل عند رغبة الأب شيخو ونشر في «المشرق» (عدد ١ آب من سنة ١٩٠٠، ص ٦٨٥–٦٩٠) فصلاً من كتاب له مخطوط عنوانه «بحث الفيلسوف الروحاني الباحث عن المسيح». وقد صدر له فصل ثان في عدد ١٥ تشرين الأول من السنة نفسها مرفقاً بأربع حواش بقلم الأب شيخو خرج فيها مدير المجلة عن نص الاسقف وموقفه حول شرح اسرار طفولية المسيح وصباه.
يصعب على الحكم المنصف ان لا يخطّئ شيخو على ما فعل؛ فاذا ما رجعنا الى مقالة المطران، وجدنا انه لا داعي البتة لحواشي شيخو. فهي إما لا تأتي بجديد او، اذا زادت على ما في الأصل، فمن غير ضرورة، اذ النص ليس بحاجة الى ايضاح. ولا نرى ما الذي دفع شيخو الى التشمير عن الساعد وشحذ القلم للاندفاع في التعليق، وقد ساء ذلك في عيني الحبر العالم لا سيما ان شيخو لم يستأذنه في ذلك كما هو مبين في الرسالة، بل وضعه امام الأمر الواقع! ويبقى ان مثل هذا التعليق، وان لم يكن مناقضاً لما في الاصل، فهو قد يحط من قيمة النص المعلّق عليه بما يزيده او يدّعي انه يزيده عليه.

(٢) كان سبب الملاحظة الأولى قول المطران عن المسيح انه «لم يكن مضطراً الى النوم مثلنا بل كان النعاس يأتيه برضاه» (ص ٩٣٢). وهذا عين الصواب في ايجازه فرأى شيخو ان يبين ان نقائص طبيعتنا البشرية التي شعر بها المسيح من تنقلات طبيعته هي على انواع: «اما النقائص الشخصية التي تطرأ على افراد الجنس البشري كالأمراض وغيرها فلم يقبلها ابن الله في طبيعته البشرية وكذلك النقائص العمومية التي هي ثمرة الخطيئة كالشهوة والجهل لان ذلك لا يليق بطبيعة متحدة جوهرياً باقنوم ابن الله. وزد على ما تقدم ان النقائص الجنسية نفسها لم تحل بالمسيح اضطراراً كما تصيب بقية البشر بل اتخذها طوعاً كطبيب شفوق ليشفي فينا عواقبها السيئة. وكان بوسع السيد المسيح ان يكف عنه مفاعيلها بقدرته السامية او يدبرها فيه كيف يشاء

فما الداعي الى هذه الملاحظات . اني لم اذكر شيئاً ضد الايمان او الآداب وان افترضنا اني ذكرت شيئاً من ذلك فكان الواجب ان تنبهوني اليه لأصلحه بنفسي او ان تمتنعوا عن نشر الفصل وتردوه اليّ .

فهل كانت نيتكم عندما طلبتم مني فصلاً من كتابي ان تتخذوا نشره ذريعةً لبيان قصوري واسقاط منزلة كتابي قبل ظهوره . كلا . ولكن من كانت نيته كذلك لا يفعل اكثر مما فعلتم ... فالذي يرى انكم علقتم اربع ملاحظات على فصل واحد منه فلا محالة انه يظن ان الكتاب مشحون بالاغلاط فلا يعود له عنده اعتبار . .

قلت لو كانت ملاحظاتكم على امور ضد الايمان او الآداب لما كان لكم عذر فيما فعلتم بل كان يجب ان تردوا الفصل اليّ بدون ان تنشروه عملاً بمقتضى المحبة المسيحية واحسان معاملة القريب بالنصيحة السرية لا بكشف اغلاطه لعالم القرّاء ولا ان تتخذوه مدرجة لاظهار نقص علم غيركم في مجلة ليس كل من يقرأها خبيرًا بهذا الموضوع ليميز الخطأ من الصواب .

فماذا يقال اذًا عن عملكم هذا اذا عُرف ان ملاحظاتكم في غير محلها بل الثلاثة الأخيرة منها غير جديرة بالقبول ولا قريبة الى الصواب اكثر مما في المتن . وليس من قصدي الآن تفنيد تلك الملاحظات لآتيكم بالأدلة على صدق قولي . فالمراد انها لم تكن ضرورية ولم يقض عليكم بوضعها الانتصار للايمان او الحق ولذلك كان لكم مندوحة عن ذكرها .

وعلى الجملة لا عذر لكم سواء كانت تلك الملاحظات صحيحة او غير صحيحة وسواء كان ما ذكرتُه مضادًا للايمان والحق والآداب او لم يكن

وكانت مع ذلك طبيعته الالهية منزهة عن هذه الشوائب الطبيعية لم ينلها شيء من نقصها واذاها » .
كل هذا تبييع لفكرة المطران المقتضبة وتصريح لما لم يكن من الضروري ان ينوه به .

اما الملاحظة الثانية فتتعلق بالأولى وهي تعليق « على جوع المسيح » لما قيل في نفيه بالملاحظة الأولى . ويرى المطران انه لم يكن لها من ضرورة بعد ما جاء في الملاحظة السالفة .

التعليق الثالث كان على سبب افتقاد مريم العذراء وخطيبها يوسف تغيب الفتى يسوع عنهما عند رجوعهم جميعاً من الحج . قال المطران انه لم يخالج مريم ويوسف ريباً في ان يسوع «تتمنها سائراً مع الرفقة من الأهل او المعارف او مع الفتيان الذين يسيرون سراعاً الى الأمام » (ص ٩٣٣) ؛ فيما قال شيخو ان كلاً من يوسف وخطيبته كان يظن ان يسوع كان يسير مع الآخر ، وهذا الموقف لا يناقض ذاك .

اما التعليق الرابع فمن امر حصول يسوع على القوت اثناء ابتعاده عن اهله وهو عائد من اورشليم بعد الحج . قال معقد انه « ولا غرو ان الذين كانوا يسمونه منحوشين من فهمه واجوبته كانوا يتسابقون الى دعوته للاكل معهم » (ص ٩٣٤) ، فاراد شيخو ان يزيد في الحاشية « ولعل الرب كان يقتات مدة هذه الايام الثلاثة بصدقات المحسنين او بما كان يوزعه سدنة الهيكل على اهل الحاجات » ولم يزد بهذا التعليق شيئاً الى صميم الموضوع .

كذلك لان الكتاب لم يُطبع بعد. ولو كنت اهديت اليكم الكتاب مطبوعاً ورأيتم فيه شططاً فنبهتم اليه لكان لكم بعض العذر ولكن انتم تعلمون ان الكتاب لم ينته تأليفه بعد وقد سألتموني ان ارسل لكم فصلاً او فصلين منه فاسرعت بارسالها طلباً لمرضاتكم قبل ان اعيد النظر على الكتاب بأسره وقد قلتم ان نشرهما في المشرق يجعل لكتاب شهرة. اهذه هي الشهرة التي أردتم تخويلها لكتابي اي ان تبينوا انه مشحون بالمآخذ تبييناً ضمنياً هو كالتصريح.

وربما تعترضون بضرورة الحاشية الأولى فاقول انها لو كانت كذلك لكان يجب ان اتولى انا اصلاح كتابي وكان حينئذ الأولى بكم ان تمتنعوا عن نشر الفصل. ولكن ليس هنالك من ضرورة فان رأي اللاهوتيين المرجح الذي ذكرتموه قد صرحت به في المتن بقولي «واذ انه كان يشعر كسائر الاطفال بالبرد والحر والجوع والتعب....» وقولي الآخر «ولأنه شاء ان يشاركنا في خاصياتنا العمومية» وما تكريري بعد ذلك لفظتي «برضاه واختياره» ليدل على خلاف ذلك الرأي المرجح بل هو مستند اليه.

أهذا ما كان يؤمل من التفاتكم يا حضرة الأب الجليل ان تسقطوا منزلة كتابي قبل ظهوره بدون سبب موجب ولا داعٍ مقبول وانا قد كابدت في تأليفه عرق القربة.

ولو لم يكن لليسوعيين من الشهرة في العلم ما لهم لكنت ظننت انكم تصدمتم بذلك ان تظهروا للقراء سمو علومهم فضلاً عن انه ليس بتخطئة مثلي شهرة او كبير شرف لأني لست من مشاهير اهل العلم والذي اعرفه قليل ولكن ليس فيه والحمد لله زيف.

كتبت هذا وانا عالم بانكم لا تردون التفاتت ولا ترضون بتخطئة عملكم هذا كانت غايتي من هذه الرسالة اشعاركم باني حسست بالضربة الثقيلة التي اتتني منكم عن تعمد ومشورة قرَّ عليها رأي جمعية المجلة. ولو كنت من محبي النزاع لكتبت مقالة في احدى الجرائد بينت فيها ما في عملكم هذا من الهجنة واثبت بالدليل بعد الآراء التي اتيتم بها عن الصواب وانّ احدها بالخصوص يكاد يكون ضد عبارة الانجيلي[١] ولكني لا افعل لأني

---

(١) معتقد يبالغ فيما يخص الملاحظة الثانية ، فان هو أقر بصواب الأولى وجب عليه ان يعترف بصواب الثانية. — اما في أمر الثالثة والرابعة فهو محق ؛ وقد جاء في انجيل لوقا عن عودة يسوع من اورشليم (لوقا ٢ : ٤٤) : «واذ كانا يظنان — اي يوسف ومريم — انه — اي يسوع — مع الرفقة ... » ؛ مما يؤيد قول معتقد ان يسوع «تقدمهما سائراً مع الرفقة» ؛ فيما قول شيخو «يكاد يكون ضد عبارة الانجيلي» اذ يشدد على افتراق يوسف ومريم ابان السفر وعلى ظن كل منهما ان الصبي مع الآخر ، بينما يفيد لوقا انهما كانا يطلبانه ، مما يعني انهما كانا يسيران معاً ؛ والله اعلم.

اكره اللجاج واحب السلام والوئام .

وفي الختام اقول احدا ما ينتظر منكم من هو محب ارهبانيتكم المباركة وشخصكم الجليل فكيف لو كان على غير ذلك . ارجو ان تقرأوا رسالتي هذه بتأن ونظرًا لحبكم للحق ارى انكم لا تروني اتيت بها بغير الحق والرب يحفظكم آمين .

حريصا : ٢٩ ت ١ : ١٩٠٠

الحقير
جرمانوس معقد

٨ – من هـ. زوتنبرگ[١]

Paris, 23, *Rue Le Verrier* — *Le* 12 *novembre* 1900

Mon cher Père,

J'ai fait partir, il y a quelques jours, à votre adresse le volume de la chronique d'Al-Tha'âlibi qui vient de paraître. Il vous est offert, sur ma proposition, par l'Administration de l'Imprimerie Nationale. Si on l'avait envoyé par la voie officielle, il y aurait eu des formalités et des lenteurs qu'il valait mieux éviter.

L'impression de ce texte a été retardée par toute sorte d'obstacles; elle a été achevée cependant en temps voulu pour que le volume (sans la préface) pût figurer à l'Exposition[٢] comme spécimen de la typographie arabe; car telle était sa destinée. J'ai fait mon possible pour donner un texte correct et j'espère que vous n'y trouverez pas trop de fautes. Insuffisamment préparé en commençant, je me suis courageusement mis à lire beaucoup et à combler les lacunes de mon savoir. Je pense aussi que vous serez convaincu par la discussion et les conclusions présentées dans la préface touchant l'auteur, etc.

Certes, plus d'une fois, pendant ce travail, j'aurais désiré avoir recours à vos lumières, vous consulter sur quelque passage difficile ou vous envoyer une épreuve. Mais je n'ai pas osé, sachant que vous êtes fort occupé de vos propres travaux, absorbé par vos fonctions, et que votre temps est précieux. Au surplus, ma vie durant

(١) كان H. Zotenberg (١٨٣٤–١٩١٤) مدير المخطوطات في مكتبة باريس الوطنية . نشر وترجم عدة مؤلفات قديمة منها النص الأصلي لحكاية « علاء الدين والقنديل المسحور » . في رسالته هذه ينبئ شيخو بأنه ارسل اليه كتاب « اخبار ملوك فارس » لأبي منصور الثعالبي (٩٦١–١٠٣٧) بعد ان أتم تحقيقه وترجمته وينتهزها سانحة ليبث رصيفه الراهب احر عواطف الصداقة منوهاً بأخلاقه العالية وسعة معارفه .

(٢) معرض باريس العالمي المقام في العاصمة الفرنسية سنة ١٩٠٠

ces dernières années a été très tourmentée et ma longue et grave maladie, dont je commence seulement à me remettre, m'avait ôté toute volonté.

Vous avez peut-être appris que j'ai quitté, il y a longtemps déjà, la Bibliothèque Nationale et que je m'étais retiré à la campagne. Mon séjour actuel à Paris n'est que temporaire; je compte, avant la fin de l'année, aller m'établir à demeure dans le Midi de la France.

Votre souvenir, mon cher Père, est toujours présent à mon esprit. Il m'a souvent consolé dans mes tristesses. Votre haute et lucide intelligence, le charme de votre conversation, toutes vos éminentes qualités m'avaient inspiré une si ardente sympathie pour votre personne, que j'oubliais volontiers ce qui nous séparait. La vie serait vraiment trop belle, la terre ne serait plus la vallée des larmes, si les hommes de votre modèle étaient plus nombreux. Mais pourquoi vous dire tout cela? Ne vous l'ai-je pas déjà dit et répété et n'aviez-vous pas observé vous-même mon admiration, quand vous étiez ici?

Adieu, mon cher Père. Peut-être me sera-t-il donné de vous revoir un jour. Ce serait un jour heureux.

Votre affectueusement dévoué
H. Zotenberg

٩ – من الاب ألبير كونداماًن[1]

JHS
22, Rue des Fleurs, 22 — *Toulouse, le 27 mars 1901*

R.P. Louis Cheikho,
Arabisant, Ecrivain, éditeur, bibliothécaire, confesseur, professeur...![2]

Mon Révérend et bien cher Père, P.X.[3]

Qu'apprends-je? Qu'entends-je? Confessez votre crime! Lequel? vous confessez! oui! autrement dit, vous entendez des con-

(١) كان الأب ألبير كونداماًن Albert Condamin (١٨٦٢ – ١٩٤٠) أحد أعضاء الرهبانية اليسوعية وكان بتاريخ كتابة هذه الرسالة استاذ اللغات السامية والكتاب المقدس في المعهد الكاثوليكي بمدينة تولوز في فرنسا. تدور رسالته حول فكرة واحدة: توبيخ شيخو بكثير من اللطف والدعابة لتحمله اشغالاً كثيرة تثقل كاهله وتضر بصحته ؛ لا سيما الأعمال الرسولية كسماع الاعترافات وهي تأكل من الوقت المفروض عليه ان يكرسه لما هو أكثر اهمية له من غيره ؛ وهو البحث والتأليف.

(٢) لدى النظر في سجلات الرهبانية اليسوعية عن سنة ١٩٠١ نجد ان مهمات شيخو الرسمية كانت كالآتي: مدير مجلة «المشرق»، مدير الدروس العربية في المدرسة الثانوية التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت، مدير المحفل الأدبي في المدرسة عينها، مدير خزانة الكتب

(٣) اختزال لـ Pax Christi اي «سلام المسيح».

fessions! Mais il y a 10, 12 confesseurs, et peut-être plus, à l'Université[1]; et il n'y a qu'1 Père Louis Cheikho! Quand on est Arabisant dans les proportions où vous l'êtes (la majuscule ne suffit pas), on doit se contenter d'*arabiser*, c'est un *devoir;* oui, ad M.D.Gl.[2], il le faut. Mais que dis-je? vous ne vous contentez pas de confesser! vous faites la classe! oh! on souffre donc en ce moment d'une lamentable pénurie de professeurs, pour qu'on soit obligé de vous arracher à vos précieux travaux pour combler quelque déficit. Evidemment on a eu d'excellentes raisons. Dieu me garde de blâmer, de critiquer, ni vous ni qui que ce soit! Mais ça me fait l'effet de creuser un gros trou dans la cour pour boucher un petit trou dans le jardin. J'aurais plutôt congédié les élèves, ou payé à prix d'or un professeur... — Mais s'il ne s'en trouve pas à Beyrouth? — Eh! bien, je l'aurais cherché à Damas, à Tripoli, au fond de l'Égypte, que sais-je?

Éditions savantes, compositions et traductions (!) dans la *Revue*, dans une revue *bi-mensuelle*!, soins d'une Bibliothèque de manuscrits et livres spéciaux, — confessions, classe, prédications peut-être, — c'est trop, c'est trop, *c'est trop*! Vos muscles ne sont pas de fer, vos nerfs ne sont garantis par aucune compagnie d'assurances; votre cristallin n'est pas en diamant, et vous n'avez pas une rétine de rechange. Ménagez donc vos yeux, votre peau, votre poitrine, vos nerfs, votre substance toute entière, pour pouvoir tenir aux Socin[3], aux Nöldeke[4] et à tous ces Messieurs qui donnent à de pareilles études un temps copieux, sans même prélever le temps de se confesser, hélas! —

Je m'arrête; car je me reprocherais de dérober quelques parcelles de votre temps écourté.

Je me recommande à vos saintes prières.

En union de SS Sacrifices.

Tout à vous, très affectueux et reconnaissant en N.S.

Albert Condamin

الشرقية ، مؤلف ، مراجع لكتب التي تعد للطبع ، مسؤول عن القراءة باللغة العربية على المائدة . فلا ذكر اذاً لأنه يعلم او يعرف ، ولكن من له معرفة بمدارس اليسوعيين يعلم ان المدير فيها غالباً ما يضطر الى القاء الدروس لاسباب قاهرة او لتدريب المعلمين . كذلك فاننا نجد في غير سجلات سنة ١٩٠١ ان شيخو كان من الذين ونيطتهم استماع الاعترافات في كنيسة الدير .

(١) أي جامعة القديس يوسف .

(٢) هي الأحرف الأولى من شعار اليسوعيين Ad Majorem Dei Gloriam وتعريبها المألوف : لمجد الله الأعظم .

(٣) ألبرت سوسين مستشرق الماني توفي سنة ١٨٩٩ . حقق ديوان علقمة الفحل وتخصص في جغرافية فلسطين وكان من مؤسسي الجمعية الالمانية الفلسطينية .

(٤) راجع عن هذا المستشرق الحاشية الأولى من الرسالة رقم ١٥ .

١٠ – من يوسف هل(١)

Vilsbiburg, 15/IX 1901.

Mon Révérend Père,

Je viens de recevoir une lettre de mon ami, le Dr Otto Weber[2], orientaliste et disciple du professeur Hommel[3]: Dr Weber désire avoir le plus tôt possible un exemplaire du « Lisân al 'arab »[4] et il me prie de m'adresser à mon ancien maître à Beyrouth, pour lui demander pour combien on pourrait obtenir un exemplaire et s'il faut envoyer l'argent avant l'arrive[5] des livres ou non. Il est bien prêt de l'envoyer aussitôt qu'il connait le prix précis. Quant à moi, je désire depuis longtemps pouvoir acheter le « Lisân al 'arab », mais il ne me reste jamais assez d'argent. Vous savez, mon révérend père et maître, que je suis un pauvre idéaliste, qui a dédié sa vie à une science enchanteuse mais peu profitable. Je ne m'en repens jamais, seulement quand ma pauvreté m'empêche même à acheter les livres nécessaires, alors je commence à être un peu découragé.

Après 6-8 semaines j'espère pouvoir expédirer le « Nachtrag zum Divan des Farazdak, II Hälfte » (c. 1200 vers)[6].

Les semaines prochaines je vais aussi achever le « Specialwörterbuch zum Divan d. Farazdak » pour mon propre usage. Ce dictionnaire se composera d'environs[7] 6.000 feuilles, sur chaque feuille un vers, dont un seul mot est surligné. De cette manière je connais tout de suite le contexte des mots cherchés. Armé de ce dictionnaire je crois pouvoir oser la traduction du Farazdak.

---

(١) هو المستشرق الألماني Joseph Hell (١٨٧٥–١٩٥٠) تلميذ الأب شيخو في بيروت. عين استاذاً للغات الشرقية في جامعة Erlangen الألمانية. عني بالشعر العربي عناية خاصة ونشر منه دواوين عديدة. – أما ما دفعه لكتابة رسائله هذه الى شيخو فهو رغبته في ان يقضي اليه خدمة صديق له مستشرق، ثم ينتهز الفرصة ليعطي استاذه القديم بعض الأخبار عن نشاطه العلمي.

(٢) كتب هذا المستشرق في فنون وتاريخ وآداب الاشوريين والبابليين والحثيين والعرب لا سيما في جنوب الجزيرة.

(٣) هو المستشرق فرتز هومل (١٨٥٤–١٩٣٦). استاذ اللغات السامية في جامعة München. من مؤلفاته كتاب في قواعد اللغة العربية الجنوبية.

(٤) وهو قاموس ابن منظور الشهير.

(٥) هكذا في الأصل.

(٦) كان هل قد نشر سنة ١٩٠٠ من ديوان الفرزدق عن مخطوط آيا صوفيا ما لم ينشره بوشيه Boucher بين ١٨٧٠ و١٨٧٥. فزاد في اواخر سنة ١٩٠١ ملحقاً على الجزء الثاني هو المعني هنا.

(٧) هكذا في الأصل.

Vers la fin du mois d'Octobre je vais à Berlin pour y passer 6 mois. Je voudrais entendre Sachau (arabisant) [1] et Delitzsch (Assyriologue) [2]. Après ce temps je tâcherai de me faire Privatdozent à l'Université de Munich.

Vous voyez, mon Père, que votre ancien disciple n'a pas encore abandonner [3] son ancien idéal. Je n'aime pas proclamer ce que je pense faire, j'aime mieux référer ce que j'ai fait. C'est pourquoi vous avez si peu de mes lettres. Je ne saurais que vous dire toujours. Je suis content, si je peux rendre un petit service à la science chaque an et je suis sûre [4] que vous préférez ces signes de ma reconnaissances [5] à beaucoup de lettres et de paroles. Ayez donc la bonté, mon père, de penser un peu au « Lisān al 'arab », et adressez, s'il vous plait, la réponse à votre ancien disciple

tout dévoué

Dr J. Hell

München, Nordenstrasse 6a II.

١١ – من أدريان بربيه دي‌مينار[6]

École Spéciale
des
Langues Orientales vivantes

19 *février* 1903

Honoré R.P. Cheikho

Je suis un peu en retard pour vous remercier du précieux témoignage de confraternité littéraire que vous avez bien voulu me donner par l'envoi d'un exemplaire de l'*Histoire de Beyrouth* [7]. Je tenais à la lire avec toute l'attention qu'elle mérite et je ne puis disposer que d'un temps très limité pour mes lectures particulières. Je puis maintenant vous adresser mes remerciements en connais-

---

(١) إدورد زخاو (١٨٤٥–١٩٣٠). من ذوي المرتبة الأولى بين المستشرقين. أسس معهد اللغات الشرقية في برلين سنة ١٨٨٨.

(٢) فريدريش ديليتش (١٨٥٠–١٩٢٢). اشتهر بمؤلفاته الكثيرة عن الآثار الاشورية والبابلية؛ وشرح الاسفار المقدسة الآرامية والعبرية.

(٣) و(٤) و(٥) هكذا في الأصل.

(٦) راجع في هذا المستشرق الحاشية الأولى من الرسالة ٥. اما موضوع الرسالة ١١ التي نحن بصددها الآن: فهو شكر شيخو على ارساله احد كتبه؛ وتهنئته لما يسديه من خدم في دنيا العلوم العربية؛ وافادته بأنه سيقتني عدة كتب قيمة مما يشرف على اصداره صاحب الرسالة.

(٧) «تاريخ بيروت» لصالح بن يحيى. كان الأب شيخو قد نشره تباعاً في «المشرق» سنة ١٨٩٨ و١٨٩٩ فطبعه على حدة سنة ١٩٠٢. وقد اعيد طبعه منقحاً سنة ١٩٢٨ ثم سنة ١٩٦٩ منقحاً ومزيداً عليه باشراف الأب فرنسيس أورن اليسوعي والدكتور كمال صليبي.

sance de cause et vous féliciter d'avoir tiré de l'oubli et publié avec tous les éclaircissements nécessaires le vieux document qui dormait dans les arcanes des Mss. de notre Bibliothèque nationale et qui probablement n'aurait jamais figuré in extenso dans la collection des Historiens arabes des Croisades.

C'est donc un service réel que vous avez rendu aux études historiques et littéraires du monde arabe en même temps que vous avez rehaussé par l'insertion graduelle du texte arabe, l'intérêt qui s'attache aux matériaux mis au jour par le *Machriq*.

Et puisque le nom de cette savante revue vient sous ma plume, permettez-moi de vous rappeler que l'École des Langues Orientales espérait la recevoir pour sa Bibliothèque en échange des volumes de sa propre collection qu'elle adresse exactement à l'Université Catholique[1] de Beyrouth. Dès le mois prochain, j'aurai le plaisir de vous faire parvenir deux nouveaux volumes, par la voie des échanges internationaux, à savoir: 1° le tome I de la traduction du *Hadith de Boukhari* [2] par MM. Houdas et Marçais [3]; 2° la suite de *Omarah du Yémen* par M. H. Derenbourg [4]. Vous recevrez aussi dans le courant de l'année le tome troisième du *Kitâb el Bad'* etc. d'El-Makdisi, traduit par M. Cl. Huart [5]. Je ne doute pas que, d'autre part, la Bibliothèque de l'Université Catholique ne possède déjà le tome V des Historiens arabes[6] que j'ai terminé l'année dernière pour la Collection de l'Institut. En cas de non-réception je vous prierais de m'en informer et je veillerai à ce que le Secrétariat de l'Institut comble cette lacune.

Je suis heureux de profiter de cette occasion, Honoré R.P., pour vous dire combien m'est précieux le souvenir de votre trop court séjour à Paris il y a dix ans et vous prie de recevoir avec tous les vœux que j'adresse au Ciel pour votre santé et la continuité de

---

(١) جامعة القديس يوسف.

(٢) محمد الجعفي البخاري (٨٧٠+). من ائمة علماء الحديث.

(٣) نقل وليم مرسه (١٨٧٢–١٩٥٦) الى الفرنسية «صحيح» البخاري في اربعة اجزاء وقد عاونه في الجزئين الاولين اوكتاف هوداس (١٨٤٠–١٩١٦).

(٤) كان المستشرق هرتويغ درنبورغ (١٨٤٤–١٩٠٨) قد نشر سنة ١٨٩٧ «كتاب النكت العصرية» لنجم الدين عمارة الحكمي اليمني المتوفى سنة ١١٧٤ : فاردفه بجزء ثان في مجلدين : الاول سنة ١٩٠٢ اودعه تكملة لمؤلفات عمارة ومنتخبات في سيرته واخبار زمانه ؛ والثاني سنة ١٩٠٤ وهو سيرة عمارة باللغة الفرنسية.

(٥) هو «كتاب البدء والتاريخ» لابن المطهر المقدسي نشره متناً وترجمة في ستة اجزاء بين ١٨٩٩ و ١٩١٩ المستشرق كليمان هيار (١٩٢٧+).

(٦) الكتاب المذكور هو الجزء الخامس من سلسلة «المؤرخين الشرقيين للحروب الصليبية» وهو كالجزء الرابع من السلسلة نفسها، يحوي منتخبات من «كتاب الروضتين» لأبي شامة، حققها وترجمها الى الفرنسية صاحب الرسالة.

votre activité scientifique, l'assurance de ma profonde estime et de mes sentiments dévoués.

2 *Rue de Lille, Paris* A. Barbier de Meynard

١٢ – من جوزيف هاليفي[1]

Paris, 1er *mars* 1904

Cher et honoré Monsieur l'Abbé,

J'ai l'honneur de vous envoyer sous enveloppe un exemplaire de mon *Nouvel essai sur les inscriptions proto-arabes* [2] que vous avez bien voulu me demander. J'y suis encore aux premiers tâtonnements, mais je l'ai publié tout de même dans le but de ne laisser disparaître toute trace de la mission de notre pauvre compatriote Charles Huber [3]. La publication prochaine des inscriptions du recueil Euting [4], disposant d'excellents facsimilés et d'estampages, aura matériellement plus de valeur; l'initiative nous restera néanmoins. Il y a des circonstances où il faut se contenter de peu.

J'ai eu le plaisir d'y joindre un exemplaire de la *Revue sémitique* de Janvier dernier, où vous trouverez mes observations sur les inscriptions safaïtiques. Là le terrain se dessine plus clairement et le résultat obtenu est plus solide.

Donc, cher et honoré Monsieur l'Abbé, ces deux mémoires vous sont envoyés à titre d'hommage bien sincère de ma part. Je vous prie d'être assuré de mon admiration pour vos travaux et de ma profonde affection à l'égard de votre personne. Votre bon souvenir reste encore vivant dans mon âme et je m'estime heureux de

---

(١) كاتب هذه الرسالة Joseph Halévy (١٨٣٧ – ١٩١٧) من اساتذة مدرسة الدراسات العليا في باريس: طاف جنوب الجزيرة العربية فجمع عدة مئات من الكتابات القديمة. منها سبئية وحميرية ومنها منقوشة بالخط المسند، فنقل رموزها وعلق عليها شروحاً لسانية وافية. اما الغاية من رسالته فهي افادة شيخو بانه مرسل اليه مقالتين بقلمه. وهو يغتنم المناسبة ليبث صديقه احرّ عواطف التقدير والوداد.

(٢) هذا المؤلف مستل من «المجلة الآسيوية» حيث ظهر تباعاً بين ١٩٠١ و ١٩٠٣

(٣) كان شارل هوبر (١٨٣٧–١٨٨٤) رحالة فرنسياً طاف الجزيرة العربية للاستكشاف فجمع جمهرة من الكتابات السبئية والحميرية واللحيانية وقتل في الصحراء تحته أدلاؤه. وقد سمحت الجمعية الاسيوية والجمعية الجغرافية الفرنسيتين بنشر ما دونه من كتابات خلال رحلته، تحت عنوان *Journal d'un voyage en Arabie*: واجتهد هاليفي في مقاله المذكور آنفاً ان يفسر الكتابات.

(٤) يوليوس اوتنغ (١٨٣٩ – ١٩١٣) مستشرق الماني من جامعة ستراسبور Strasbourg رحل الى البلدان العربية برفقة هوبر.

profiter de cette occasion pour vous faire parvenir l'expression de mes sentiments les plus cordiaux et les plus respectueux.

J. Halévy
26, *Rue Aumaire*

١٣ – من فليكس فارس[1]

حضرة العالم الفاضل ذي الاعمال المبرورة والآثار المأثورة
الأب لويس شيخو اليسوعي الجزيل الاحترام .

سيدي الموقر

لست لأول مرة اخط اسمكم الكريم بيراعي ولا هي المرة الاولى التي اذكر بها من خدم الدين والانسانية بمناجاة الحق ونشر العلوم .

من مبادئكم تعلمت وفي الكتب التي اهديتموها للأدب تلقنت قليل ما اعرف وقد أسعدت منذ شهرين بالمثول لديكم في مقامكم ببيروت فحظيت مع والدي بلثم انامكم العاملة لخير البشرية . فلا يتعجب سيدي اذا اتيت لديه برسالتي هذه مختلساً من اوقاته الثمينة برهة يسيرة . كتبت رسالة عنوانها السعادة والعواطف[2] وضمنتها ما خال لي انه الحقيقة في مطلب تناقضت فيه افكار الباحثين وبعد التروي وجدت ان ارسلها اليكم لسببين الأول رسوخ مبادئي على ما تنشرون من الآراء الصادقة في خدمة الحق وطموحي الى جعل ما اكتب مفيداً لارادتكم وبعيد نظركم بالمباحث حتى اذا وجدتم بافكاري القاصرة ما يؤهلها لخدمة المشرق تحسبونني من عداد مكاتبيه الأخصاء . والسبب الثاني هو انني منذ خمس سنوات لا افتأ اكتب في جرائد عديدة بمصر وبيروت بمباحث مختلفة حيث اجد من نفسي ميلاً غريزياً الى فنون الكتابة ولكن طال الزمان ولم ابلغ من اشتغالي ارباً ولعل ذلك من تبديد بنات افكاري وارسال قواي مشعبة دون تحويلها الى محجة واحدة اذا بلغتها افيد واستفيد .

(١) ولد فليكس فارس سنة ١٨٨٢ في لبنان من اب لبناني وام فرنسية ودرس الحقوق وتعاطى الأدب نثراً وشعراً وخطابة . تنقل بين سورية ومصر واميركا ولبنان . من آثاره : « النجوى الى نساء سورية » و« الحب الصادق » وقد عرب « هكذا تكلم زرادشت » للفيلسوف الالماني نيتشه . توفي سنة ١٩٣٩ . والجدير بالذكر انه كتب رسالته هذه الى شيخو لما كان في الثالثة والعشرين من عمره .

(٢) طبعت هذه المقالة في « المشرق » ٩ (١٩٠٦) ص ٣٦٦–٣٧٣ .

لذلك اتيت لديكم راجياً رمق رسالتي ملياً حتى اذا ما وجدتم تصوري سقيماً وعبارتي ضعيفة تأمرون باعادة ما حررت ولو كان ذلك مخالفاً للنظام الا انها نعمة استميحها من فضلكم مع الأمر لي بالتوقف عن عمل لست اهلاً له ولا يداخل سيدي ريب من جهة خضوعي التام وعدم تأثري لانني ان تركت القلم اذ ذاك اكون تاركه عن يقين بحسن ما افعل حيث استند على حكم فاضل عالم لا يحابي بالوجود في موقف الصدق .

اما اذا رأى سيدي نفعاً للأدب بما افعل فليأمر لأثابر على ارسال المقالات والقصائد بمواضيع تهذب النفس وترقي الشعائر فلا اتأخر ولعل ذلك يكون لي مورداً لسد بعض الحاجة اذ انني اؤمل ولا اطمع ...[1]

هذه عريضتي لديكم واسمحوا ان اودعها قبلة تلمس انامكم الطاهرة وانا ادعو لله بطول بقائكم ركناً للدين والأدب .

عن مرتفعات طريق الشام : ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٠٥

ولدكم المطيع
فيلكس فارس

١٤ – من روبنس دوڤال[2]

Paris, 11 Rue de Sontay
5 *Novembre* 1905

Très Cher Père,

Je vous suis infiniment reconnaissant pour l'aimable envoi de votre édition de la version arabe de Kalilah et Dimnah [3], que je viens de recevoir maintenant seulement, car l'envoi avait été adressé à l'École des Hautres Études, dont le concierge ne me connait pas. Le livre a donc fait maintes pérégrinations dans Paris avant d'arriver au Collège de France où je l'ai trouvé.

---

(١) تابع فيلكس فارس مد «المشرق» بمقالات ردحة من الزمن : فصدرت له «وقفة في قلعة بعلبك» ٩ (١٩٠٦) : ص ٧٧٥–٧٨٠ و ٨٥٨–٨٦٣ . ثم «مناجاة النفس» ٩ : ص ١١٤٢ و «العزاء بالصليب» ١١ : ص ٧٨ .

(٢) راجع ما قلناه عن هذا المستشرق في حواشي الرسالة ٥ . اما ما دفعه الى تحرير كتابه فهو رغبته في ان يشكر شيخو على ارساله له طبعته «لكليلة ودمنة» وانه ليثني على مزاياها العلمية ويقدمها على ما سبقها من الطبعات .

(٣) سنة ١٩٠٥ عني شيخو بنشر كتاب «كليلة ودمنة» عن اقدم نسخة مخطوطة مؤرخة وقدم لها مسبقاً وذيلها بحواش مستفيضة .

Votre excellente édition de Kalilah et Dimnah remplacera désormais l'édition de Sacy [1] reconnue depuis longtemps insuffisante. Elle satisfait le desideratum si souvent exprimé d'une édition critique qu'il était bien difficile d'entreprendre avec les seules ressources dont on disposait jusqu'à ce jour. La publication de l'ancien manuscrit que vous venez d'éditer avec une compétence si rare sera accueillie avec joie et reconnaissance par les orientalistes. Veuillez me permettre de vous adresser à ce sujet mes bien sincères félicitations.

Je n'ai pas encore vu annoncé dans le Catalogue des livres publiés par l'Université de St Joseph la seconde édition du Dictionarium Syriaco-latinum du P. Brun, qui a été commencée il y a un an. J'espère que cette seconde édition ne tardera pas à paraître [2].

Veuillez agréer, Très Cher Père, avec tous mes remerciements, mes respectueux et affectueux compliments.

R. Duval

١٥ — من تيودور نولدكه[3]

Magnas Tibi refero gratias, Reverende Pater, quod socium te fecisti eorum, qui me septuagenarium superbo thesauro litterario, volumine sapientia et doctrina pleno, maxime honoraverunt,

---

(١) امتدح دوفال طبعة شيخو «لكليلة ودمنة» وفضّلها على سواها وحسناً فعل ؛ فان طبعة البارون سلفستر دي ساسي المذكورة في الرسالة والصادرة في باريس سنة ١٨١٦ ؛ كانت مقتصرة من عدة نواحٍ لا حاجة الى التوقف عندها (لمزيد من الايضاح راجع مقدمة شيخو لطبعته ، ص ٨) . واما ما طبع بين ١٨١٦ و١٩٠٥ ؛ وهي السنة التي صدرت فيها طبعة شيخو ، فلا يخطو بالنص خطوة واحدة الى الامام ، إذ لاكتفاء الناشرين بنقل نص دي ساسي او لتجوئهم الى مخطوطات جديدة وهمية لم يذكروا اصلها وكيفية استعمالهم لها (راجع مقدمة طبعة شيخو ، ص ٦)

(٢) صدرت الطبعة الثانية هذه سنة ١٩١١ .

(٣) Theodor Nöldeke (١٨٣٦ – ١٩٣٠) من امراء المستشرقين البارزين . كان يجيد الى جانب العربية والآرامية والحبشية والتركية والفارسية والسنسكريتية والالمانية والانجليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية ، ناهيك عن اليونانية واللاتينية ... التزم في مصنفاته الكثيرة (وقد اربى عددها على الست مئة بين كتاب ومقال) اسلوباً علمياً رصيناً صارماً مما جعله قبلة قوم واماماً يهدي . وان نحن اردنا ان ننشر الآن رسالته هذه القصيرة الى شيخو فأول الاسباب لذلك هو كونها من نولدكه المستشرق الذائع الصيت . ثم انها تبين لنا ما كان يكنه العالم العلامة من ود نحو شيخو ، وكذلك كم كان هذا الأخير يجل نولدكه ويشرح له قلبه . فالتذكرتان الرئيسيتان في الرسالة هما : شكر شيخو على مشاركته العلماء في تحرير مصنف قدم لنولدكه بمناسبة بلوغه السبعين ، وشكره ايضاً لمعايدته له بمناسبة ذكرى مولده .

meorum meritorum modulum nimis exaggerantes [1]! Hoc ipso die legi Honeini libellum quem Tu in illo volumine edidisti et in linguam gallicam transtulisti. Sane Honeinus dignum se praestitit discipulum veterum philosophorum et theologorum.

Praeterea grato animo Te prosequor pro litteris, quibus, quae Tua est humanitas, me die meo natali salutasti.

Vale et mihi favere perge!

Th. Nöldeke

Scribebam Argentorati,
die XXI mensi Martiis anni MDCCCCVI.

١٦ – من عيسى اسكندر المعلوف [٣]

عن زحلة ، ٢١ حزيران سنة ١٩٠٧

سيدي العالم الفاضل العلامة الأب لويس شيخو الجزيل الورع ،

ان عيد شفيعكم القديس لويس الكريم [٤] يذكرني اليوم بواجب تهنئتكم لتدوموا محفوفين بشفاعته بمجالي الهناء والصفاء متمتعين بالعافية لتنشروا من صادق مبادئكم الدينية والأدبية ما ينشر (المشرق الاغر) في الشرق والغرب فلا زلتم مشكاة لذلك النبراس المضيء الوافر الفوائد لتستضيء بكم سفن الآمال وبواخر الآداب فتصل الى ميناء السلام الهادي غير خاشية من الارتطام. فاقبلوا يا رعاكم الله مني ومن لفيف عائلتي التهنئة والدعاء بطول بقائكم فخرًا لشاكر فضلكم.

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) عنوان الكتاب المهدى وهو في جزءين ضخمين : *Orientalische Studien Theodor Nöldeke gewidmet*, Giessen, 1906

(٢) مساهمة شيخو في الكتاب كانت نشر وترجمة رسالة حنين بن اسحق يطلق عليها عنوان «ادراك حقيقة الديانة» (الجزء الأول ، ص ٢٨١–٢٩١).

(٣) عيسى اسكندر المعلوف (١٨٦٩–١٩٥٦) من مواليد كفرعقاب في جبل لبنان. مد العديد من المجلات والصحف في الوطن والمهجر ومنها مجلة «المشرق» بمقالاته وابحاثه. اسس مجلة «الآثار» واشرف على ادارتها. تآليفه اكثر ما تكون تاريخية ، منها «تاريخ مدينة زحلة» و «تاريخ المشايخ اليازجيين واسبابهم» و «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف». وما زالت عنده كتب له مخطوطة.

رسائل عيسى اسكندر المعلوف الى شيخو (وعددها يقارب العشرين) هي محدودة الموضوع لا تتعدى بالاجمال نطاق المرض والطلب في شأن المقالات التي يرجو المعلوف ان تدرج في «المشرق». رأينا ان ننشر الرسالة الوجيزة اعلاه اذ نبا من رقيق شعور كاتبها نحو المكتوب اليه ما يشير الى المكانة الرفيعة التي لشيخو في قلوب مقدريه.

(٤) في ٢١ حزيران تحتفل الكنيسة الغربية بعيد القديس لويس گونزاگا اليسوعي.

١٧ – من ا. گولدتسيهر[1]

بودابشت في ٨ تشرين ٢ سنة ١٩٠٨

جناب الأب المحترم العالم العلامة الشهير في الآفاق ، سيدي لويس شيخو نفعنا الله به وبعلومه .

اما بعد مزيد التحية والتسليم فاتشرف باخبار جنابكم انه وصلتني التحف العزيزة المرسلة الى الحقير عن افضال العلامة الجليل وقد كنت اقتبست اكثر مضمونها من جريدة المشرق الغراء سابقاً واما الآن فيسرني غاية السرور ان اغتنمها زينة لخزانتي في صورة مجامع مستقلة حيث كلا المجموعتين مهمة جداً وكثيراً ما سيلزم الرجوع اليها اثناء ابحاثنا العلمية فاتشكر لجنابكم شكراً بليغاً على محبتكم الكريمة المعبرة عنها في مكتوبكم الظريف وعلى تذكركم الايام التي تداولناها في عاصمة دنيمرك اعاد الله ايام التهاني وجمع الشمل[2] .

وحيث ان الفقير من المجدّين بقرأة صحف المشرق من ابتداء ظهورها الى حد الآن فما فاتني ما اشار اليه جنابكم في بعض اجوبته الواردة في ج ٩ ص ١٠١٤ س ١٤ (والتي تتلو) من «مذهب القائلين بان الله لما خلق الملائكة» الخ...[3] فعرض على ذهني إمكان كون خبر القرآن عن سجود الملائكة لآدم ومعارضة ابليس اللعين امر الرب تعاً والذي يتعلق بهذا الخبر المكرر في القرآن مراراً[4] مستفاداً من النقل النصراني الذي اورده جنابكم او من

---

(١) Ignaz Goldziher (١٨٥٠ – ١٩٢١) . مجري : تخرج باللغات السامية في بودابشت وبرلين وليدن وصار فيها بعد استاذاً بجامعة بودابشت . تضلع من العربية على شيوخ الأزهر لا سيما الشيخ محمد عبده وطار له صيت بتحقيقاته في تاريخ الاسلام وشيعه وفرقه وحركاته الفكرية ؛ وعرف بصدق نقده وتنزهه عن الهوى . زاد على تعمقه باللغات السامية معرفة أهم اللغات الاوروبية والف بها . من آثاره البارزة كتاب في « الاسلام » لم يضارع بعد ، نقله الى العربية الدكتور محمد يوسف موسى والاستاذ عبد العزيز عبد الحق .

(٢) هنا يشير الكاتب الى المؤتمر الدولي الخامس عشر للمستشرقين عقد في عاصمة الدنيمرك سنة ١٩٠٨ وكان شيخو يمثل فيه جامعة اليسوعيين في بيروت بصحبة المستشرق الأب لامنس .

(٣) سئل شيخو عن معنى قول القديس بونافنتورا عن العذراء مريم انها « ولدت خلاص الملائكة » ، فاجاب ان المسيح هو الخلاص المذكور ، « وهذا على مذهب القائلين بان الله لما خلق الملائكة عرض عليهم كلمته المتجسدة فأبى قسم منهم ان يعترفوا له بالعز والمجد لما رأوه من ذل طبيعته البشرية فانتقم الله في جهنم النار » .

(٤) راجع القرآن ، ٢ : ٣٤ ، و ٧ : ١١–١٢ ، و ١٥ : ٢٨–٣٣ ، و ٢٠ : ١١٦ الخ ...

مثله لان التشابه بين الروايتين ظاهر لا يخفى حتى انه يتنبه في فكرنا اول وهلة ان احدلها مأخوذة من صاحبتها ترجع اليها رجوع الفرع الى الأصل اما جنابكم (ف)تركتم الدلالة على مصدر الرواية المنقولة عن بعض المذاهب مبهماً اما انا فيهمني كثيراً جداً ان اعرف مصدراً لتلك الرواية لكي يمكنني اثبات حقيقة النسبة بين الروايتين ولو تفضلتم عليّ باشارة وجيزة الى مصنّف قديم ناقل الرواية الواردة في المشرق لكنت لكم من الشاكرين وارجو ان لا يعسر عليكم وان تعفوا عن وقاحتي بفضلكم واستعدادكم لنفع الطالبين جزاكم الله خيراً وامتع ببقائكم طالبي العلم في الخافقين .

الداعي المخلص
Dr I. Goldziher
من خدمة العلم في كلية بودابشت

١٨ — من جرجي زيدان[١]

مصر في ٧ مايو سنة ١٩٠٩

حضرة الزميل الفاضل الأب لويس شيخو

اقدّمك سمعت باسم العلامة سيد عالم جان احد كبار المصلحين في تركستان روسيا[٢] وهو ناقل هذا الكتاب اليك فقد علمت انه عازم الى بيروت فاحببت ان اعرفه اليك وهو شغف بالعلم واهله ويحب ان يشاهد مدرستكم ومطبعتكم نظراً (لما)[٣] سمعه عنها من الشهرة الواسعة فارجو ان يلاقي ما اعهده فيكم من اكرام اهل الفضل واغتنم هذه الفرصة لتقديم جزيل احترامي ووافر سلامي .

جرجي زيدان

(١) هو الأديب المعروف (١٨٦١—١٩١٤) منشئ مجلة الهلال المصرية ومؤلف روايات تاريخ الاسلام. له ايضاً تاريخ التمدن الاسلامي في خمسة اجزاء وتاريخ آداب اللغة العربية في اربعة اجزاء .

(٢) لم نجد لهذا العلامة ذكراً في معاجم المؤلفين ولا في المجلات العلمية ولا في المؤلفات العديدة التي تطرقت الى موضوع الاصلاح في الاسلام.

(٣) هذه الكلمة ناقصة في الأصل.

١٩ – من يعقوب صروف[1]

ادارة المقتطف والمقطم ومطبعتهما
لصروف ونمر ومكاريوس

مصر ١٤ يونيو ١٩١١

حضرة الأب شيخو مدير المشرق المحترم

جاءني مشرق حزيران الآن وتلوت ما فيه رداً على الافتئات[2]. واؤكد لحضرتكم ان المشرق لم يأتني على سبيل المبادلة ولا غيرها الا منذ سنة ١٩٠٦ وقد اتاني قبل ذلك بضعة اشهر في سنة من السنين الماضية ثم انقطع وروده وانا اعنى بكل جزء يصلني منه وأطالع اكثر ما فيه واسر بمن ينبهني الى خطأ اكثر مما اسر بمن يمدحني على صواب. ومن مقالات الجزء الاخير[3]

---

(١) ولد يعقوب صروف سنة ١٨٥٢ وتوفي عام ١٩٢٧. كان اديباً رياضياً صحافياً تمسيا. اسس بالاشتراك مع فارس نمر وشاهين مكاريوس مجلة «المقتطف» وجريدة «المقطم». من آثاره «العلم والعمران» و«رسائل الأرواح».

(٢) يستعمل صروف هنا كلمة لشيخو نفسه في عدد حزيران من «مشرق» ١٩١١، ص ٤٥٤: حيث دبج اليسوعي مقالاً عنوانه «افتئات المقتطف على نقد المشرق»؛ وقد حمل في مقاله هذا على «المقتطف» لانه انتقد انتقاداً «لمشرق» على غير صواب.

ولا بد تفهم الجملة الثانية من رسالة صروف «واؤكد لحضرتكم ان المشرق لم يأتني على سبيل المبادلة ولا غيرها الا منذ سنة ١٩٠٦» من الرجوع الى مقالة شيخو السابق ذكرها؛ نعلم منها ما يدعونا الى التعجب مع صاحب «المشرق». ذلك ان صروف كتب في «المقتطف» (عدد ايار (مايو) من سنة ١٩١١): «كنا بالأمس نبحث في موضوع لغوي وقيل لنا ان احد الأدباء كتب فيه في المجلد الثامن من مجلة المشرق الصادر سنة ١٩٠٥. فاستعرنا ذلك المجلد من المكتبة الخديوية وبينما نحن نقلبه ونبحث فيه عن ضالتنا وجدنا اموراً تتعلق بالمقتطف سرنا في كيفية تمثيلها» (ص ٤٣٤). فما كان من شيخو عند قراءته هذه الاسطر الا ان استولت عليه الدهشة فكتب في «المشرق» (عدد حزيران من السنة نفسها، ص ٤٥٤) انه من عجيب ما تحويه مقالة صروف «ان كاتبا بعد سبع سنوات تنزل عن رفعة مقامه واتى بنقده السامي الى مجلتنا التي كاد يجهلها بتاتاً ولولا اشارة بعض اصحابه لما عرف ان في بلاد الشام مجلة تدعى المشرق فاحتاج الى ان يطلبها من المكتبة الخديوية مع اننا لم ننقطع عن مبادلته منذ ثلاث عشرة سنة فكأن صاحب المقتطف لم يجد في المشرق ما يستحق الالتفات فكان يلقيها بين الاوراق التي لا فائدة من مطالعتها. اما نحن فنؤكد لجنابه اننا نطالع نشرته ونتتبع فصولها باشتياق فاذا رأينا فيها ما يستحق الثناء اثنينا عليه كما فعلنا في عددنا السابق (٣٩٩) حيث ابدينا سرورنا لما كتبه منشئا في ضرورة الدين وان وجدنا ما يستدعي نقداً فعلنا ليس افتئاتاً كما زعم او بغية بالنقد الباطل ولكن لرغبتنا الشديدة في تحسن المقتطف شيخ المجلات العربية في بلادنا...» فهذا المقطع يفهمنا اعتذار صروف اولاً ثم اطراده بنوره في متن رسالته لمقالات «المشرق» رغبة منه في ان يبادل شيخو بالمثل!

(٣) عدد حزيران سنة ١٩١١

التي اشكر المشرق عليها شكرًا جزيلاً مدينة السامرة وحفرياتها [1] والانجيل الشريف [2] والكلندر الحبشي [3] والنصرانية وآدابها بين عراب الجاهلية [4]. ولو اتحف المقتطف بهذه المقالة الاخيرة لعددتها جوهرة فيه. اما ما تكتبونه عن الماسونية فغير صحيح وكله تحامل وتضليل [5] ولا ارتاب في انكم تكتبونه بحسن نية وقصد صالح ولكن ذلك لا ينفي انكم مخطئون فاني دخلت الماسونية منذ ٣٥ سنة وكنت فيها رئيساً. وتركتها منذ ١٥ سنة او اكثر ولم ادخل محافلها في هذه المدة الاخيرة كلها سوى اربع مرات على ما اتذكر ومع ذلك فاني اشهد امام الله والناس ان ليس فيها شيء يناقض الدين المسيحي بوجه من الوجوه بل هي تؤالف بين قلوب المسيحيين والمسلمين وتجعل المسلمين يكرمون الدين المسيحي ولا اقول انها تغير اخلاق الناس وطباعهم ولكنها تلمسها ولو بعض الشيء وفيها مجال واسع للفضلاء ليفيدوا غيرهم ولو عرفت انكم تصدقونني اذا كتبت لكم في هذا الموضوع لما تأخرت عن الكتابة لكم الى الآن. وانا واثق ثقة علمية مبنية على البحث انه لو استعانت الكنيسة المسيحية بالماسونية لكانت لها عضداً قوياً في نشر الآداب والفضائل واصلاح الاخلاق. ولسوف نعرف كما عرفنا.

هذا ولنعد الى المشرق فاني اود ان تكون عندي مجلداته الماضية كلها وليس عندي منها سوى اجزاء سنة ١٩٠٦ وما بعدها فهل لكم ان تنيلوني طلبي اما مبادلة بمجلدات المقتطف واما بثمن معتدل واعدكم اني اغتنم كل فرصة لمطالعتها والاستفادة منها واكدوا اني معجب بهمتكم ومقدرتكم وباكثر ما ينشر في المشرق وادام الله فضلكم [6].

الداعي

يعقوب صروف

---

(١) وهي بقلم الأب شيخو.

(٢) وهي بقلم الأب انطون رباط اليسوعي.

(٣) وهي من تأليف الكاثوليكي عبدالله بعد، مدير جريدة الأحوال.

(٤) وهي للأب شيخو.

(٥) كتب شيخو مقالة في الماسونية في عدد حزيران ١٩١١ من «المشرق» ولكنه كان قد بدأ سلسلة مقالات في هذا الموضوع منذ عدد تشرين الأول سنة ١٩٠٩.

(٦) يبدو من الحاح صروف على اقتناء مجلدات المشرق السابقة لسنة ١٩٠٦ انه كان صادقاً لما كتب في «المقتطف» انه لجأ الى المكتبة الخديوية ليطالع ما كتب عن «المقتطف» سنة ١٩٠٥ ولكن العقل الحصيف لا يفهم كيف تمكن صروف، وهو الدكتور في الفلسفة، من ان يبقى ست سنوات قبل ان يعلم – عن طريق الصدفة! – بوجود انتقادات من قبل «المشرق» على مجلته «المقتطف»! أو كان على هذا الحد من عدم الاطلاع؟ او لم يطرق

٢٠ – من روفن كست[1]

14, Bedford Square. W. C.
٢٥ سبتمبر ١٩١١

حضرة الفاضل العلامة لويس شيخو المحترم

بعد اهداء واجبات التحية والاكرام اني قد اخذت مشرقة حضرة مدير المطبعة رقم ٢٥ آب يقول فيه[2] عن التأخير في طبع التهارس الذي كنا تضررنا منه انه لو يمكن الاكتفاء باصلاح واحد وترك المقابلة يسهل الأمر وان حضرتكم تلاحظ الطبع وتعطي الصح له واوجو العمل كذلك في الاوراق المصححة المعادة طيه اذ كانت التصحيحات عليها ليست كثيرة وهي واضحة فلا لزوم لمقابلتها بمعرفتي والأمل ان تتفضلوا بالاعتناء ليستقيم الطبع كما ينبغي واقبلوا فائق احترامي .

الداعي لكم
A. R. Guest

سنمه ان « المشرق » ما فتئت منذ نشأتها تجادل بجنه؟(راجع « المشرق » ١ : ١٠٠٩ : ٢ : ٩٩٣ الخ ...).

مها يكن من امر فانه لا يبعد ان تكون هذه الرسالة قد ساهمت في المقاربة بين صاحب « المشرق » وصروف لأننا عثرنا بين اوراق شيخو على كتاب وصله من القاهرة ، خطه الأب خليل اده اليسوعي بتاريخ ٣/٧/١٩١١ ، جاء فيه ان الأب المذكور التقى بصروف عند مطران الموارنة المطران دريان وانه ينوي ان يزوره في بيته وانه مسرور من هذا التقارب :

« Je n'ai pas encore fait la visite au Dr Sarrouf. Je comptais le faire ce soir et j'en ai été empêché. J'irai demain matin. Je suis heureux de ce rapprochement. J'ai déjà rencontré M. Sarrouf chez Mgr Darian qui le cultive et qui me dit beaucoup de bien de lui. Il est bien meilleur que Nimr. Le plus sectaire du groupe était l'associé dont le nom ne me revient pas et qui est mort il n'y a pas longtemps. Si on peut entrer en relations on arrivera à améliorer le مقتطف. »

(١) هذا المستشرق (Rhuvon Guest) هو من موظفي المتحف البريطاني ومن الأوائل الذين درسوا الكتابة العربية على الانسجة . من مؤلفاته نشر كتاب الأمراء الولاة والقضاة للكندي . ورسائله لشيخو التي نحن بصددها تدور حول طبع هذا الكتاب . والجدير بالذكر ان سائر رسائل هذا المستشرق الى الأب شيخو هي بالعربية .

(٢) كذا في الأصل .

٢١ — من تيودور نولدكه[١]

Strassburg i. E. N/11/12
Kalberg. 16

Hochgeehrter Herr College!

Besten Dank für die liebenswürdige Uebersendung Ihrer Ausgabe der طبقات الامم ! Das Werk ist wirklich in mehr als einer Hinsicht interessant. Namentlich dürfte der Abschnitt über die spanischen Gelehrten von Wichtigkeit sein, gerade weil Ihr Verfasser da auch zeitgenossen und persönliche Bekannte vorführte. Welche Bedeuntung die Genannten haben, kann ich allerdings bei weitem den Meisten nicht beurtheilen, da ich erstlich mit der astronomischen, medicinischen und philosophischen Litteratur in arabischer Sprache, die ja der Verfasser bei weitem am meistem berücksichtigt, fast gar nicht aber, richtiger gesagt, schlechthin gar nicht vertraut bin und mich andererseits auch mit dem arabischen Spanien sehr wenig beschäftigt habe. Auf alle Fälle ist aber zu constatieren, dass dort damals ein reger wissenschaftlicher Betrieb bestand.

Sollte S. ٣٤, 8 das handschriftliche امانية nicht eher in إطالية oder إتالية zu verbessern sein als in المانية ? Es wäre doch zu seltsam, Rom nach Deutschland zu verlegen, wenn auch Rom die Haupstadt des Kaisers aus Deutschland war. Das Reich hiess doch immer das römische Reich[٢].

Noch einmal herzlichen Dank!
Ihr ergebner

Th. Noldeke

(١) راجع ما قلنا عن نولدكه في الحاشية ٣ من الرسالة ١٥. اما الرسالة هذه فيشكر فيها نولدكه لشيخو ارساله اليه كتاب «طبقات الأمم» لابن صاعد الأندلسي (١٠٧٠+) وقد نشره العلامة اليسوعي وذيله بالحواشي والحقه بالروايات والفهارس في بيروت سنة ١٩١٢، ثم يتابع المستشرق فيطري المؤلف ويبدي رأيه في بعض محتوياته وينتهي بملاحظة لا تخلو من الدقة والصواب في شأن تصحيح احدى روايات النص سنتوقف عندها في حينها.

(٢) لا بد من اخذ هذا المقطع بعين الاعتبار. جاء في اصل ابن صاعد (ص ٣٤ : سطر ٨) ان قاعدة مملكة الروم كلها كانت «مدينة رومية العظمى من بلاد امانية». فأصلح شيخو الكلمة الأخيرة وابدلها بكلمة «المانية» غير هياب هذه المناقضة القاهرة لعلمه ان روما كانت في القرون الوسطى عاصمة «الامبراطورية الجرمانية المقدسة». فعرض نولدكه ابدال «المانية» «بإتالية» او «إيطالية» لأنه «من النادر النادر ان تلحق روما بالمانيا حتى وان كانت عاصمة امبراطور المانية»؛ وان الحقت روما بإيطالية «فالامبراطورية الالمانية لن تنفك تدعى الامبراطورية الرومانية» يعني بذلك انه لا يغير الامبراطورية الألمانية ان لا تكون روما فيها بالفعل، فهي ستظل تحمل اسم الامبراطورية الالمانية. — نقل المستشرق ريجيس بلاشير

٢٢ — من محمد كرد علي[1]

ادارة المقتبس . دمشق : سوريا

دمشق : ٢١ جمادى الثانية ١٣٣٧ . ٢٣ آذار سنة ١٩١٩

حضرة الصديق الابر

اهنئك بسلامتك وراحتك وارجو لك دوام الصفاء والهناء . انا انتظر صدور المشرق بالساعات فلعل ما عاق عن اصداره[2] هو نفس السبب الذي عاقني عن اصدار المقتبس وهو غلاء اسعار الورق غلاء فاحشاً ولعل هذه الموانع تزول قريباً فيعود الاستاذ الى نشر ما عودنا من تحقيقاته وابحاثه النافعة . كنتم مدة الحرب نشرتم وبعض العلماء كتاباً عن لبنان رأيته في يد احدهم واريد ان اقتني نسخة منه لخزانة كتبي فارجوك ان كان لديك نسخ منه ان تتحفني بواحدة او ان تعين لي مكان بيعه[3] ثم ان العدد ٩ من المشرق الصادر في ايلول ١٩١٣ ينقصني ارجوك ان تأمر من يلزم بارساله إلي . انا الآن في صدد تأسيس متحف ودار كتب للحكومة العربية هنا وقد خصصت الحكومة مبلغاً لا يستهان به لهذا الشأن وعساني اوفق الى تحقيق الأمنية كما اوفق في مهمتي الجديدة وهي رئاسة ديوان المعارف . هذا وارجو تكليفي بما عساه يجد لك من الخدم العلمية هنا وانا احب كل حين ان استرشد برأيك العالي ودمت

لصديقك المخلص

محمد كرد علي

Régis Blachère كتاب طبقات الامم الى الفرنسية سنة ١٨٣٥ فوقفته كلمة « الثانية » (ص٧٧) كما اوقفت نولدكه ولكنه لم يزول تزويل المستشرق الالماني فاكتفى بأن يلحق الكلمة المذكورة بأداة تنبه الى غرابة الأمر : (sic) .

(١) هو الكاتب والمؤرخ والصحافي المعروف . حرر جريدة « الشام » الاسبوعية ثم « الرائد المصري » في القاهرة ثم مجلة « المقتبس » وصحائف اخرى . عين رئيساً لديوان المعارف في سورية ثم انقلب ذلك الديوان الى المجمع العلمي العربي فكان رئيسه . من مؤلفاته الكثيرة « خطط الشام » في ستة اجزاء و « الحضارة العربية » في مجلدين ، و « امراء البيان » .

(٢) توقف « المشرق » عن الصدور خمس سنوات من ١٩١٥ الى ١٩١٩ على أثر الحرب الكونية الأولى وما عقبها من اضطرابات .

(٣) صدر هذا الكتاب سنة ١٩١٨ بهمة اسماعيل حقي بك متصرف جبل لبنان وقد اشرف على تنظيم العمل الأب شيخو وزميله الأب انطون صالحاني الذي جاء ذكره آنفاً (راجع الحاشية الأخيرة من الرسالة رقم ٥) وكان نصيب شيخو من تحرير الابحاث في الكتاب كبيراً ، ومن الذين ساهموا في انشاء المجموعة عيسى اسكندر المعلوف واسماعيل حقي بك نفسه والمهندس يوسف افتيموس وجلال بك مدير الغابات والزراعة وغيرهم . وقد باشر الدكتور فؤاد افرام البستاني اعادة طبع هذه التحفة النادرة فصدر منها جزء اول سنة ١٩٦٩ والثاني ما زال تحت الطبع .

٢٣ — من محمد كرد علي

المجمع العلمي العربي في دمشق	Académie Arabe Damas (Syrie)

سيدي الاستاذ العلامة الاب لويس شيخو المحترم

كتابي اليكم والمجمع العلمي في جلسته الثمانين المنعقدة لاثني عشر يوماً خلون من شهر تشرين الاول سنة عشرين وتسعماية والف قرر انتخابكم عضو شرف لما يعهده فيكم من الكفاية في العلم والتمكن من آداب اللغة العربية التي نعدكم من فرسانها لما قمتم لها من الخدمات الجلى بلسانها ولذلك يرجو مجمعنا هذا الصغير باعماله الكبير بآماله ان يصل بكم حبله ويشد بمعاضدتكم عضده فينير بنبراس ابحاثكم سبله حتى ان يبلغ امله وامده وهو باعث اليكم بمجلته الدورية وما ينجزه من المطبوعات وان رصفائي اعضاء المجمع العلمي يهدون اليكم التحيات المباركات والسلام عليكم سيدي المعظم .

٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

وزير المعارف
ورئيس المجمع العلمي
محمد كرد علي

٢٤ — من ميشيل كميشكو[1]

Budapest Budafoki ut
10/B le 2nd Mars 1922[2]

Très Révérend Père.

Il y a longtemps, 6 années, que j'avais le bonheur de vous revoir à Beyrouth pendant la guerre desastreuse. Me rappelant de l'accueil bienveillant que j'ai trouvé à votre demeure si modeste[3], si sombre à ce temps si triste j'espère, mon Père, que maintenant,

(١) Michel Kmosko (١٨٧٦ — ١٩٣١) كان يجري درس على المستشرق گولتسيهر في جامعة بودابشت وخلفه فيها وقد برع في السريانية والعربية وترك مؤلفات قيمة منها و نشأة الاسلام » (١٩٢٩) . موضوع رسالته طلب مساعدة شيخو ليحصل له على بعض المراجع تساعده في اعداد دراسة على قبيلة الخزر يبين فيها ان السواد الاعظم من اليهود ينتمون الى هذه القبيلة الاسيوية الأصل ، وهم بالتالي متهودون : مما يبطل مزاعم الصهاينة الذين يطالبون بفلسطين كوطنهم الأم وليس هم بالفعل منها .

(٢) تعج الرسالة بالأغلاط اللغوية والنحوية فلم نر داعياً لإصلاحها وإلاّ شوهنا الأصل كله .

(٣) اضطر شيخو وبعض اخوانه اليسوعيين أن يهجروا جامعة القديس يوسف خلال الحرب الكونية الأولى فسكنوا عند الرهبان اللبنانيين الموارنة بناية وضيعة .

quand tout est changé et vous, délivrés du joug des Turcs, heureux d'être les citoyens libres de votre beau Liban, vous ne me refuserez pas votre ancienne bienveillance de maître et tuteur et m'accorderez la demande suivante:

Après la chute du bolchevisme en Hongrie on s'y occupait beaucoup de la question juive. Moi aussi[1]. En le faisant j'ai pensé de rendre service à mon pays ruiné par eux. Etudiant cette question si compliquée, j'ai tourné mon attention vers l'hypothèse prononcée en 1878 par Sternberg, un juif polonais, et dernièrement par le baron autrichien Kutschera, qui derivaient les juifs orientaux, les soi-disants Aškenazim (אשכנזים شكناز) de tribu des Khazars (خزر ou اتراك) devenus juifs vers la fin du VIII siècle. J'ai ramassais une foule de dates historiques relatives à ce peuple d'historiographes et geographes arabes et syriens, mais malheureusement deux ouvrages je ne pouvais pas me comparer: مروج الذهب للمسعودي والتاريخ الكامل لابن الأثير[2].

Je sais cependant qu'un ouvrage en 12 vol. a été édité au Caire en ١٣٠٣ contenant tout les deux. Comme je n'ai aucune relation avec l'Egypte, je vous supplie, mon Très Révérend Père, ayez la bonté de faire une de vos petites promenades aux bouquins de Beyrouth; peut être vous y trouverez un examplaire antiquaire de cet ouvrage, si non, ayez la bonté de m'informer chez qui se vend ce livre au Caire. En même temps ayez la bonté de trouver un exemplaire de Tabari, Annales, ed. au Caire[3] et تمدن العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان Mais ces deux ouvrages ne me sont pas importants.

Une question assez difficile s'y posera: le transport. Quant à l'argent, j'ai de monnaie allemande; si l'on peut payer à Beyrouth en marcs je les enverai; si non, j'acheterai des francs. Il va sans dire que mes ressources sont assez épuisées; cependant j'espère que j'aurai tant que necessaire.

L'hypothèse Khazare est très importante au point de vue politique, c'ar c'est un argument très fort contre les aspirations des Cionistes et contre la Palestine juive. Si les juifs orientaux ne sont pas d'origine sémitique mais d'origine turque — et des 15 millions

(١) تبوأ الشيوعيون سدة الحكم في المجر من ايار الى آب سنة ١٩١٩ ، وعقب سقوطهم موجة اضطهاد لليهود عارمة . اما كوشكو فقد درس المسألة اليهودية قبل هذه الحوادث واصدر « تاريخ اليهود السياسي » في بودابشت سنة ١٩٠٦ .

(٢) يقول المسعودي في شأن الخزر انهم تهودوا في ايام هارون الرشيد ، ويقول ابن الأثير انهم ارتدوا الى الاسلام سنة ٩٦٥ . راجع في مسألة الخزر ما جاء مسهباً بقلم S.W. Baron, *Histoire d'Israël, Vie sociale et religieuse*, t. III, pp. 229-241 et 395-401.

(٣) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (٩٢٣+) .

de juifs 14 millions sont Aškenazim, c.a.d. descendants de Khazars, — ils n'ont aucun droit revendiquer la Terre Sainte comme leur heritage. Je connais ici un jeune homme mohammédan de Dêr ez-Zôr*; je le ferai traduire en arabe mon étude sur les خزر; si vous pensez que je peux rendre un service à la nation arabe en la publiant, je vous l'enverrai. Je demande seulement un petit honoraire pour mon pauvre diable.

M. Goldziher est mort. Prof. Musil[٣] a quitté Vienne; ou est-il maintenant, je ne le sais pas.

Toute l'Europe Centrale est balcanisée; le désordre est epouvantable. Il y aura beaucoup de surpris: عش رجب ترى عجب

ܫܠܡܗ ܕܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܘܒܘܪܟܬܗ ܠܟ ܐܒܐ ܟܠ
ܡܝܩܪܐ ܘܠܐܒܗܬܐ ܐܚܘܬܟ ܚܒܝܒܐ ܡܢ ܥܒܕܟ
ܣܟܠܐ ܘܡܫܡܫܢܟ[٤]

Michel Kmosko
Professeur d'Université à Budapest.

* Élève de M. Goldziher[١].

٢٥ – من اغناتيي كراتشكوفسكي[٥]

15 *février* 1923

Très Révérend Père et cher Maitre

Avec un grand retard je vous envoie enfin mes remerciements

(١) راجع ما قلناه عن هذا المستشرق في الحاشية الأولى من الرسالة ١٧ .

(٢) راجع ما جاء عنه في الصفحة ٤٢٦ [٦]

(٣) هكذا في الاصل .

(٤) معنى هذه الخاتمة وقد كتبت بالسريانية : سلام سيدنا يسوع المسيح وبركته لك أيت الكلي الوقار وللآباء رفقتك الاحباء من عبدك وخادم الحقير .

(٥) نقلنا اسمه الى العربية بصورة « أكناتيي » وهي طريقة لفظه بالروسية ، مع العلم انه كان اذا كتب اسمه بالعربية اعتاد صيغة « اغناطيوس » (مجلة المجمع العلمي العربي ، ١٩٢٤ ص ٤٦٤) . Ign. Kratchkovsky (١٨٨٣–١٩٥١) من اعلام المستشرقين . مما يهمنا في امره انه تمم سنتين في جامعة القديس يوسف اخذ منها العربية على الآباء لامنس ورونزفال وشيخو . انتخب عضواً في المجمع العلمي في دمشق وفي المجمع العلمي بايران ، هذا فضلاً عن عضويته في مجمع العلوم الروسي . دبج عدة مئات من الكتب والمقالات بين مؤلف ومترجم ومحقق فكانت له جولات بارزة في سائر ميادين العربية من تاريخ الشعر ونقده منذ اقدم العصور ، والأدب العربي لدى الأدباء النصارى ، والأدب العربي منذ بدء النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر وكان بين الأول من المستشرقين الذين طرقوا هذا الباب الاخير . – رسائله الى شيخو موضوعها اسداء الشكر من اجل كتابين ارسلها اليه معلمه وصديقه من بيروت واعلامه بعض الاخبار عن الحياة الأدبية في روسيا .

pour votre carte postale et divans d' 'Amr et Hārit[1]. Six mois j'ai passé en reclusion complète et c'est depuis un mois seulement que je peux renouveler mes travaux. Vous me demandez, où est la vie intellectuelle chez nous; cette lettre après une interruption si inattendue est la meilleure réponse...

Avec beaucoup de joie j'entends chaque fois sur vos travaux et entreprises scientifiques. Les nouvelles scientifiques d'Europe commencent peu à peu nous atteindre et c'est la seule chose qui nous soutient. Notre crise typographique et materielle ne nous permet pas de voir nos propres ouvrages imprimés depuis longtemps-déjà[2].

Votre version de Calila a été traduite en russe par un de mes élèves; il est mort malheureusement l'an dernier, je tâcherai de mener sa traduction à la fin et j'espère que j'aurai l'occasion de la publier[3].

Je serais heureux d'avoir de temps en temps de vos nouvelles et je tâcherai de trouver les moyens de vous envoyer quelques-uns de mes tirages à part (bien vieillis déjà).

Mes sentiments les plus respectueux à tous les membres de l'Université[4].

Votre tout dévoué
Ign. KRATCHKOVSKY

Petrograde,
Académie des Sciences
de Russie

(١) هما ديوانا شعر عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن حلزة اليشكري نشرهما في «المشرق» باعتناء المعلمين الشهيرين المستشرق فرتس كرنكو ثم طبعا على حدة سنة ١٩٢٢ في المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

(٢) ظلت روسيا تتخبط في الحروب على الحدود وفي الداخل سنين عديدة بعد اندلاع ثورة ١٩١٧ مما أخمد مظاهر الحياة العلمية والأدبية .

(٣) أصدر شيخو طبعته لكتاب «كليلة ودمنة» سنة ١٩٠٥ (راجع ص [٢٨] ، حاشية ١) . أما مترجم هذا الكتاب الى الروسية الذي تكلم عنه كراتشكوفسكي في هذه الرسالة فهو المستشرق ا. ب. كوزمين المتوفى في شرخ شبابه في ٢٨ أيار سنة ١٩٢٢ . طبعت الترجمة الروسية باشراف كراتشكوفسكي سنة ١٩٣٤ وأعيد طبعها سنة ١٩٥٧ في موسكو .

(٤) جامعة القديس يوسف في بيروت .

٢٦ — من ابرهيم بريار[١]

بيت لحم : مدرسة الحكومة : في ٨ — ٤ — سنة ١٩٢٤

حضرة الأب لويز شيخو المحترم

عمدنا بعونه تعالى الى تأليف تاريخ يتضمن احوال الطائفة الارثوذكسية في الكرسي الاورشليمي وبعد البحث والتنقيب صعب علينا ان نجد كتاباً ومصادر باللغة العربية تفي بالمقصود ولما كان القصد من مؤلفنا اظهار حقوق الطائفة الارثوذكسية المهضومة لم نقف في المؤلفات اليونانية في تاريخ الكرسي الاورشليمي على شيء يساعدنا في مؤلفنا فرأينا في شخصكم الكفاءة فلذلك نقرع باب معارفكم راجين افادتنا عن الكرسي الاورشليمي الارثوذكسي بنبذة من تاريخ البطاركة الذين كانوا على هذا الكرسي ونرجوكم اظهار الحقوق التي كانت للطائفة الوطنية الارثوذكسية وذكر اسماء البطاركة الوطنيين كل في زمنه الى هذه الايام وتكرموا بافادتنا عن هذا كله على صفحات مجلة المشرق تتابعاً واذا رأيتم ذلك يتطلب نشره وقتاً طويلاً نرجوكم اطلاعنا بتحرير خدمة للحق ونصرة لاظهار العدل ولكم الشكر[٢].

ابنكم بالروح

ابرهيم بريار

احد مشتركي مجلة المشرق

---

(١) لم نجد لمؤرخ هذه الرسالة ذكراً في ما لدينا من المجاميع التي تعنى بسير الأدباء ، وجل ما نعرفه عنه هو ما جاء في كتابه الى شيخو . الا اننا آثرنا ان ننشر الرسالة لأنها شهادة حية على تأثير شيخو في سائر الاوساط الشرقية حتى تلك التي كان لا يحجم عن مناقشتها في مقالاته الجدلية .

(٢) لم يصدر شيخو اي مقال من هذا النوع في المشرق اما لأن « ذلك يتطلب نشره وقتاً طويلاً » او لأنه لم يتسنَّ له الوقت لجمع المادة مع ما كان عليه من الانهماك بكثرة الاشغال .

٢٧ — من حبيب زيات[1]

H. & E. Zayat & Cie
Alexandrie
(Egypte)

Le 23 Décembre 1924

Boite Postale 435

Révérend et cher Père

Permettez-moi à la veillé de Noël et du nouvel an, de venir vous présenter mes vœux lès plus respectueux et mes souhaits les plus sincères pour vous et pour toutes les œuvres auxquelles vous vous dévouez si généreusement. Puissiez-vous rester longtemps encore si utile à l'Eglise et à la cause chrétienne.

Ci-inclus une petite note que vous voudrez peut-être publier dans votre prochain numéro du machriq[2].

J'ai cherché en vain ici la revue de l'académie arabe pour lire la critique du grand fanatique de Damas du mot باقة employé par vous ainsi qu'il ressort de l'avant-dernier numéro du machriq[3]. Au lieu d'adopter tout simplement son opinion, vous ferez bien, je crois, de lui faire comprendre que d'illustres prédécesseurs ont employé le même mot, et que vous êtes en très bonne compagnie. En effet, le fameux ثعالبي[4] auteur du يتيمة الدهر s'est servi de ce terme plus d'une fois. Voici les citations que j'ai relevées:

— page 63 du 4e volume[5]

---

(١) حبيب زيات (١٨٧١–١٩٥٤) ولد في دمشق وتنقل في بلدان كثيرة، منها مصر، وتوفي في فرنسا. كان عارفاً بأمور الكتب ينقب في الخزائن ويؤلف الكثير. من آثاره «خزائن الكتب في الاسلام» و«الخزانة الشرقية» و«الديارات النصرانية في الاسلام» و«الصليب في الاسلام». — كان السبب في انشائه هذه الرسالة ان محمداً كرد علي رئيس المجمع العربي في دمشق انتقد شيخو لاستعماله كلمة «باقة» بدلاً من طاقة. فانبرى زيات يدافع عن موقف شيخو واورد له عدة شواهد مقتبسة من كبار الكتاب تفند مزاعم كرد علي. وفي الرسالة بعض امور متفرقة.

(٢) نشر شيخو قسماً من الملاحظات التي ابداها زيات في الصفحة ٧٥ من سنة «المشرق» الثالثة والعشرين.

(٣) كان محمد كرد علي، في تعريف له عن كتاب الأب شيخو «الآداب العربية في القرن التاسع عشر» (راجع «مجلة المجمع العلمي العربي» ٤: ٢٧٤) قد اخذ على راهبنا عدداً من الأخطاء اللغوية، منها استعماله كلمة «باقة»، كما انه عاب عليه تصديره شعراء لم يكن لهم في نظره اية صلة بالنصرانية، وحرصه على ايراد مسائل دينية في ما يعتبره كرد علي من نطاق الأدب وحده.

(٤) هو ابو منصور الثعالبي النيسابوري (١٠٣٧+).

(٥) الطبعة المستعملة هي التي صدرت عن المطبعة الحنفية بدمشق سنة ١٣٠٢ هـ.

ومن مُلح رجآء بن الوليد الاصبهاني قوله في باقة ريحان

وشمامة مخضرة اللون مخفّة　　حوت منظرًا للناظرين انيقا
اذا شمّها المعشوق خلت اخضرارها　　ووجنته نيروزجاً وعقيقا

— page 153 volume 4

ولابي بكر الخوارزمي في باقة ريحان

وضغث ريحان اذا ما وصفتهُ　　واصفهُ قيل له زد في الصفه
دقّقه صانعهُ ولطّفهُ　　كأنه وشمُ يد مطرفه
او خط وراق أرقّ احرفه　　او زغبات طائر مصففه
او حلة بخضرة مفوّفه[١]

J'ai trouvé aussi dans le même ouvrage p. 123 (volume 2d)[1] ce qui suit:

ومما قرأته بخط ابي العباس الضبّي في الأوصاف والتشبيهات من شعره... قوله في الثريا

[٢]حكت الثريا اذ بدت　　طالعة في الحندسِ
سنبلة من لؤلؤ　　او باقةً من نرجسِ

Voici encore un autre exemple relevé dans ارشاد الأريب لياقوت الرومي p. 241 volume 5[3]:

ومن شعر الناشئ:

وليلٍ توارى النجم من طول مكثه　　كما ازورّ محبوب لخوف رقيبهِ
كأنّ الثريا فيه باقة نرجس　　يجيء بها ذو حبوة لحبيبهِ

Encore une fois je ne sais point sur quoi se base Kurd Ali pour vous reprocher un mot que les plus grands littérateurs et poètes ont employé avant vous. Il serait donc nécessaire de lui prouver son erreur.

Le Révérend Père Lammens[4] voudrait-il rouvrir la question du massacre de 100.000 habitants de معرة النعمان par les

---

(١) هكذا في الأصل . والمصدر الحقيقي هو « المجلد الثالث » لا الثاني .
(٢) هكذا في الأصل . اما في النص المطبوع فنجد « خلت الثريا اذ بدت » .
(٣) هو الجزء الخامس من طبعة د. س. مرگليوث ، القاهرة ١٩١١ .
(٤) هو المستشرق اليسوعي الشهير (١٨٦٢–١٩٣٧) ، زميل شيخو في جامعة القديس يوسف والخبير البارع في الاسلاميات وتاريخ العرب .

Croisés? Si oui je me ferai un grand plaisir de lui fournir un texte d'un grand historien d'Alep qui ferait taire à jamais le haineux et fanatique kurde[1].

Veuillez agréer, Révérend et cher Père, l'expression de mes sentiments les plus respectueux et les plus dévoués.

H. Zayat

---

(١) كان محمد كرد علي قد انتقد انتقاداً مطولاً في «مجلة المجمع العلمي العربي» (٢: ٢٧١-٢٨١) كتاب الأب لامنس في تاريخ سورية المختصر، ومما عابه على المستشرق اليسوعي تفنيده أقوال مؤرخي العرب من ان الصليبيين قتلوا في معرة النعمان مئة الف من سكانها. فعزا حبيب زيات انتقاد كرد علي الى التعصب لأن اعتراضاته ابعد من ان تكون كلها على صواب. ولما كان لامنس قد دحض اقوال صاحب «المقتبس» في مقال مطول من «المشرق» (٢٠: ٩٦٤-٩٧٢) عنوانه «الانتقاد والدروس التاريخية في سورية»، تساءل زيات اذا كان بود اليسوعي متابعة المناظرة مع كرد علي ليمده ببعض المراجع التي بين يديه تساعده على دعم مواقفه. اما نص المؤرخ الحلبي الكبير الذي يريد ان يفحم به خصم لامنس، فأغلب الظن انه لابن العديم (٥٨٨-٦٦٠هـ) صاحب «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، وقد جاء في هذا الكتاب (الجزء الثاني من طبعة سامي الدهان، ص ٦٦) ما مفاده ان ليس القتل والنهب والتخريب وقفاً على الصليبيين وحدهم، فان تاج الدولة تتش، بعد ان عاث عسكره خراباً وقتلاً واستباحة حريم وأولاد في اعمال بعلبك ورفنية وتسطون وجبل السماق، «وسار فنزل شباع معرة النعمان الشرقية بالمنجنيقات، ففتح ابراجها وحصونها بالسيف، واخذ ما لا يمكن احصاؤه، وغلب اهلها فهلك منهم خلق... وانتقل الى عمل معرة النعمان ففعل مثل ذلك وسار الى معرتناج - من بلاد كفرطاب - فتحصن اهلها في ابراجها، وتعذرت عليه فأحرقها، وهلك جميع من كان فيها».

آدم ولغته

في نظر كل من ابي العلاء ودانتي

بقلم الياس سعد غالي

«المطابقة تامة» في ما بين دانتي والمعري في كل ما تطرقا اليه من مواضيع في مؤلفيهما الشهيرين «رسالة الغفران» و «الكميديا الالهية» كما قيل. وما أكثر الذين شحذوا أقلامهم في مباراة سهلة شيقة تروق لجمهور قرائنا لاثبات تهمة اقتباس اكبر شعراء الطليان دانتي من شاعرنا ابي العلاء المعري لما لذلك من تأثير سحري لذيذ وعميق في النفوس: مثير للاعجاب الشديد وداع الى الاعتزاز الكبير: وما كان ذلك منهم جميعاً من قبيل وقع الحافر على الحافر بل مجرد ترديد واقتباس حرفي لوجهة نظر اسين بلاسيوس المستشرق الاسباني وآرائه في الموضوع متناسين قول شاعرنا العربي:

لا تنـه عن خلق وتأتي مثله　　　عار عليك اذا فعلت عظيم

فأكثر اولئك الأدباء كتبوا ما كتبوا غير متجردين عن الهوى ولا موضوعيين بل مسوقين بدافع «التعصب» او الرغبة في ارضاء غرورهم القومي ولذا لم تتسم ابحاثهم بالميسم العلمي[1] النزيه فشطوا كثيراً وأضلوا كثيرين ولذا ايضاً ضربت الأديبة الكبيرة «بنت الشاطئ العربية» عائشة عبد الرحمن بآرائهم عرض الحائط وأمسكت بتلابيب رئيس الجوقة بلاسيوس مفندة مزاعمه مبينة اخطاءه وسوء فهمه لنص الغفران وسوء قصده ايضاً...

حبذا ان يكون الأمر كما ذكروا وقد سرنا في وقت مضى ومنذ سنين عديدة ما طالعنا من اتهام دانتي «بسرقة المعري»[2] وقد جرنا التفضول الى

---

(١) بنت الشاطئ – «الغفران» (مطبعة دار المعارف بمصر: ١٩٥٤) ص ٣٢٦

(٢) قسطاكي حمصي – «منهل الوراد في علم الانتقاد» ج ٣ (مطبعة العصر الجديد بحلب) ص ١٩١ و٢١٣.

تبيّن صحة الاتهام فاصبنا بخيبة أمل كبيرة ومريرة وراعنا ليس فقط الفارق العظيم في ما بين مواضيع كلا الشاعرين وطريقة بحثها بل الافتراء والتحامل على هذا الشاعر الفذ بين شعراء العالم : والتحمس . تحمّساً في غير محله . حطّاً لقدر نابغة ايطاليا دانتي الى حد اتهامه « بالصرع والهذيان »[1] . وهالتنا الرغبة لدى ذلك الفريق من الادباء في التغرير بمثقفينا لتقبل وجهات نظر خاطئة ابتغاء تخديرهم واقناعهم باننا بلغنا « سدرة المنتهى » حتى في ميدان الأدب والشعر واقعادهم بالتالي عن التطلع الى مجاراة شعراء العالم في ما وضعوا من مؤلفات وملاحم .

لقد وقعت على قول لسينيك : « ان استئصال خطأ من رأس مواطن خير من استئصال ورم في جسده » . وقول فيلسوف سئل : « فيم يكون السرور؟ » فأجاب : « في ايضاح حق قد التبس بباطل وازالة باطل قد جار على الحق » مما اذكى في نفسي الرغبة في درس هذه النواحي الغامضة بالرجوع الى افضل المصادر ابتداء برسالة الغفران والكوميديا الالهية وانتهاء بأهم دراسات انصار مؤيدي التيم والنافين لها في بحث تكرمت مجلة المسرة بنشره عام ١٩٤٦ ثم في كتاب ما زال مخطوطاً[2] أتمنى له الصدور ولأبناء أمتي الانتفاع به .

فالنواحي المتشابهة في ما بين رسالة الغفران والكوميديا الالهية كثيرة والمطابقة تامة حتى في التفاصيل كما يقول بلاسيوس والذين اغترفوا من بحر علمه . وكيف لا تكون المطابقة تامة ، ما دام الحديث الذي اجراه على لسان آدم كل من المعري ودانتي مثلاً واحداً . فكلاهما رأى أبا البشر في الجنة يحادثه **وسأله عن اللغة التي كان يتكلمها يوم خلقه الله**[3] .

- ما من احد يظن ان دانتي بحاجة الى المعري ليعرف ان الله خلق آدم ووضعه في الفردوس الارضي . فالتوراة تكفيه كما كفت غيره من قبل ومن بعد . واما المعري فانه يعرف على الأقل من القرآن . وقد قرأه بروايات ؛ ومما تناقله رواة الاخبار[4] ان آدم ابو البشر وانه اول نبي وانه في الجنة التي

(١) ق. حمصي : « منهل » ، ج ٣ ص ٢٠٤ و ٢٣١ و ٢٣٢ .

(٢) « دانتي بين المعري وفرجيل » .

(٣) عمر فروخ – « حكيم المعرة » (مطبعة الكشاف : بيروت عام ١٩٤٤) ص ١٠٠ – لويس جيبه – « دانتي » (اميريك اديث – ريو دوجانيرو البرازيل) فلاماريون ص ٩٥ .

(٤) عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري – « ابو العلاء وما اليه » (المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ) ، ص ٢٨٨ .

وخرج منها بذنب حقير»[١]: بعد ان عصى ربه فغوى (سورة طه / ٢٠).

ابوكم آدم سنّ المعــاصي ... وعلّمكم مفارقــة الجنان[٢]

فلا عجب اذا صادفناه هناك في رحلتيها بل لا بد لكل منهما من الالتقاء به لاسباغ صفة المعقول على تلك الرحلة الخيالية.

هذا مع العلم بان المعري يميل الى الاعتقاد بان آدم ليس واحداً بمذهب العقل:

وما آدم في مذهب العقل واحداً ... ولكنــه عند القياس اوادم

(اللزوميات مطبعة التوفيق، مصر، ١٩٢٤م، ج ٢ ص ٢٧٢)

وأوادم الزمن الطويل كثيرة[٣].

وجائز ان يكون آدم هــذا ... قبلــه آدم اثـــر آدم

(لزوميات، ج ٢، ص ٣٣٦)

ومــا حمدي لآدم او بنيــه ... وأشهد ان كلهم خسيس

(ل. ج ٢، ص ٣٦)

هذا بالنسبة الى رأي المعري في شخصية آدم، ونحن اذا امعنا النظر في ما قاله كل من ابي العلاء ودانتي بلسان آدم عن حقيقة حديث كل منهما معه، موضوع بحثنا هذا، نجد اولا ان ابا العلاء ما أراد في الحقيقة والواقع ان يعرف من آدم اللغة التي كان يتكلمها يوم خلقه الله فهو أحرص من ان يزج بنفسه في الجدل المحتدم، حول اصل اللغة العربية ومنشأها، بين علماء سبقوه او عاصروه كابن جني وابن فارس وابن حبيب ومن جاء بعدهم: فمنهم من يقول بان اللغة العربية بل اللغات كلها اصطلاحية من وضع الناس، ومنهم من يقول بانها توقيفية من وحي الله الذي علّم آدم ما احتاج اليه منها

---

(١) ابو العلاء المعري – «زجر النابح» – تحقيق امجد طرابلسي (المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٦٥) ص ٥٧ و ١١٣ و ١٠٢.

– «رسالة الغفران» – تحقيق وشرح بنت الشاطئ ص ٢٢٥.

– و «زجر النابح» ص ١١٣ حيث يشير ابو العلاء الى انه اطلع على مصحفين والظاهر انه يعني مصحف ابي بن كعب ومصحف عبدالله بن مسعود (يرجع ايضاً الى «تاريخ القرآن» لابي عبدالله الزنجاني ص ٨٠ وما بعدها (مطبعة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت ١٩٦٩).

– «زجر النابح» ص ١٠٢.

(٢) الياس سعد غالي – «دانتي بين المعري وفرجيل» ص ٧ (مخطوط).

(٣) انعام الجندي – «دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية» (مطبعة مؤسسة الشرق الاوسط للطباعة والنشر) ص ٢٣٥.

في زمانه . وبعـد آدم علّمها الانبياء نبياً نبياً ؛ ومنهم من يقول بجواز الامرين[1] ؛ اما ابو العلاء فيترك لهم وجهات نظرهم المختلفة المتضاربة وتبريراتهم لتلك النظريات التي لبعضها اساس وارتكاز على الدين وما جاء في القرآن من آيات : تمسكاً من البعض بحرفية النص ؛ والحرف يميت والروح يحيي : « علّم آدم الاسماء كلها »[2] و « علّم الانسان ما لم يعلم »[3] و « خلق السموات والارض واختلاف السنتكم »[4] و « ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه »[5] ؛ هذا بالاضافة الى الحديث المروي عن ابي عباس وابي هريرة : « احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي »[6] .

---

(١) عبد الرحمن السيوطي – « المزهر في فقه اللغة » تحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقه – دار احياء الكتب العربية ، مصر ١٣٢٦ هـ ، ص ٤–٥٥ .

(٢) سورة ٢/٣١

(٣) سورة ٩٦/٥

(٤) سورة ٣٠/٢٢

(٥) سورة ١٤/٤

(٦) جلال الدين السيوطي – « الجامع الصغير » ج ١ حديث ٢٢٥ ص ٣٢ (مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٢ هـ) .

محي الدين بن عربي يقول « لغة اهل الجنة اللفظ العربي القرشي » (« الفتوحات المكية » ، بولاق ، ١٢٦٩ هـ ، ج ٤ ، ص ٥١٢) .

والجاحظ يقول في كتابه « البيان والتبيين » : « القول في انطاق الله عز وجل اسماعيل بن ابراهيم بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربياً اعجمي الابوين .

واول من عليه ان يقر بهذا القحطاني فانه لا بد من ان يكون له أب كان اول عربي من جميع بني آدم ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربياً حتى يكون ابوه عربياً وكذلك جده كان ذلك موجباً لان يكون نوح عربياً وكذلك آدم .

قال بذلك ابو عبيدة : « اول من فتق لسانه بالعربية المبينة اسماعيل وهو ابن ١٤ سنة » .

وروى قيس بن الربيع عن بعض اشياخه عن ابن عباس : « ان الله الهم اسماعيل العربية الهاماً » . « البيان والتبيين » ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ج ٣ ، ص ٢٩٠) .

اما ابن فارس فقد قال في كتابه « الصاحبي » ما يلي : « زعم اهل العربية ان القرآن ليس فيه من كلام العرب شيء وانه كله عربي يتأولون قوله جل ثناؤه « انا جعلناه قرآناً مبيناً » وقوله « بلسان عربي مبين » . قال ابو عبيدة والصواب من ذلك عندي – والله اعلم – مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك ان هذه الحروف واصولها عجمية كما قال الفقهاء الا انها سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فهو صادق .

فأبو العلاء لم يشأ ان يورط نفسه بالتحيز الى جهة من الجهات التي اشرنا اليها ، او انه كان منذ ذلك الزمن البعيد يرى في منشأ اللغة ما رآه مؤخراً الاستاذ احمد السائح[1] من ان محاولة التعرف الى اصول اللغات : وهل هي من اصل واحد ام من اصول متعددة ، في منتهى الصعوبة وان اللغة العربية من لغات العالم التي هي من اصول غير معروفة ، وان اللغة اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وفقاً لتعريف الجرجاني وابن جني لها ، وانها أهم مظهر لوجود الجماعة والمحافظة على كيانها .

وقد استشهد الاستاذ السائح العالم الأزهري غير متحرج بقول جون لوتز ان اللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس في كل خطة وترافق المجتمعات في اطوارها التاريخية المتلاحقة فيصيبها ناموس التغير الحتمي الذي يجعلها أداة صادقة للتعبير بالنطق والرمز والايحاء عن حياة المجتمعات العقلية

وقال ابن ابي شيبة في المصنف عن الضحاك وابن جرير عن ابي ميسرة عمر بن شرحبيل – نزل القرآن بكل لسان (الأب انستاس ماري الكرملي ، « نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها » ، المطبعة العصرية بمصر ، ١٩٣٨ ، ص ٣٥ و٣٦) .

ويرى ايضاً ابن فارس ان الامر بتعليم الأنبياء استمر حتى انتهى الى محمد فقرر قراره وانه لا يعلم لغة من بعده حدثت ... « حتى الصحابة ما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة او احداث لفظة لم تتقدمهم » . ومعنى هذا القول ان العلماء العرب لن يتمكنوا بعد من احداث لفظة للدلالة على مدلول جديد ما دام عهد الانبياء قد انتفى وختم . ان نظرية ابن فارس هذه كان من الممكن الدفاع عنها في زمنه واما اليوم وقد ظهر بطلانها وعقم جدواها على كل حال فيجب على العلماء المختصين ان يأخذوا برأي « اكثر اهل النظر » على ان اصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف (السيوطي ، « المزهر » ، ص ١٠ – ابن جني) ؛ فالمعتزلة تقول بان اللغات بأسرها ثبت اصطلاحها (السيوطي ، « المزهر » ، ص ٢٠ – ابو الفتح بن برهان) ، فانفسحت بذلك المجال واسعاً لتنسيق اسماء مخترعات ، والا رحنا بل نلتقي نحن بانفسنا في جمود أدى بنا الى التأخر وسيؤدي حتماً الى التهلكة وليس أدل على خطر هذا الجمود من تذمر الشيخ ابراهيم اليازجي وعنف حملة حافظ ابراهيم على هذا الجمود .

(يقول حافظ ابراهيم بلسان « اللغة العربية تنعي حظها بين اهلها » ، – « الديوان » ، مطبعة الكتب المصرية ، ١٩٣٩ ، ص ٢٥٣ :

رموني بعقم في الشباب وليتني   عقمت فلم اجزع لقول عداتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية   وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسيق اسماء لمخترعات
فلا تكلوني للزمان فانني   اخاف عليكم ان تحين وفاتي
ارى لرجال الغرب عزاً ومنعة   وكم عز اقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً   فيا ليتكم تأتون بالكلمات)

(١) احمد عبد الرحيم السائح ، من علماء الأزهر – (« مجلة اللسان العربي » ، الرباط ، عدد ٦/١٩٦٩ ، ص ١٤ وما يليها) .

والحسية ومعياراً دقيقاً لرقيها او انحطاطها في ميدان الثقافة والعلم والحضارة .

وقد رأى ان الانسان الاول واجد الاول للانسانية لم يتكلم ليعبّر عن مفاهيم وافكار ولم يتكلم لانه كان له شيء يجب ان يقال بل العكس لقد فهم وفكّر وأفهم لانه تحدث .

او ان المعري وجد ان الخوض في مثل هذا البحث « لا فائدة فيه » كمايقول ابن السبكي و « عملاً قليل الجدوى ضعيف النتائج وضرباً من الافتراض والتخيل »[1] او ان هذا الامر ليس من ذوقه فحسب : او لا يهمه على ما يبدو ، ولذلك لم يسأل ابو العلاء آدم عن كنه اللغة التي كان يتكلمها يوم خلقه الله : كما توهم بعضهم : بل اراد ابو العلاء ان ينفي صحة نسبة شعر الى آدم فحسب . وهذا هو الشيء الهام في نظره وهذا هو الظاهر من النص على كل حال، كما نفى في «رسالة الغفران» ذاتها ما نسب من شعر الى النابغة الذبياني والى غيره من الشعراء والى الجن ايضاً : وقد نسبت اشعار في اللغة العربية الى آدم والى الملائكة والى الشياطين ايضاً[2] بل

وقد كان ارباب الفصاحة كلما رأوا حسناً عدّوه من صنعة الجن[3]

حتى المعري نفسه نسب من نظمه فيما يعتقد قصيدة رائية واخرى سينية طويلة الى الجني الخيثعور ابي هدرش[4] والدكتور طه حسين لا يشك ان ابا العلاء المعري هو الذي انتحل اشعار الجن[5] .

ولقد وضع الشعر على السنة الجن باسم الدين لارضاء حاجات العامة الذين يطلبون المعجز والغريب ومن هنا راح القصاصون يخترعون ما شاء لهم خيالهم ان يخترعوا[6] . وبذلك تظاهر المعري الذي يعتمد على ما جاء عن

(١) محمد المبارك – « فقه اللغة » – الطبعة الثانية ١٩٦٤ (دار الفكر الحديث بلبنان) ص ١٧ و ١٨٦

(٢) يراجع بهذا الخصوص ص ٢٨٣ من « رسالة الغفران » للمعري الذي له ايضاً « رسالة الشياطين » المفقودة ؛ و « جمهرة اشعار العرب » لابي زيد القرشي و « كتاب شياطين الشعراء » للدكتور عبد الرزاق حميدة : ص ٢٤٣ و ٢٤٤ و « التوابع والزوابع » لابن شهيد الذي جعل من حمير الجن وبغالهم شعراء (فيشرف ابو عامر وصاحبه على ناد لحمير الجن وبغالهم وقد وقع الخلاف بينها في شعرين لحمار وبغل من العشاق) ؟ ... و « المقامة الاسدية » لبديع الزمان الهمذاني . وقد اورد ابن النديم في قائمة المرزباني كتاباً باسم « اشعار الجن » .

(٣) ابو العلاء – « سقط الزند » مطبعة المعارف بمصر ؛ ج ١ ص ٣٣١

(٤) « رسالة الغفران » ؛ ص ٢٨٦ و ٢٩٠

(٥) الدكتور طه حسين – « تجديد ذكرى ابي العلاء » ط ٣ ؛ مطبعة دار المعارف ١٩٣٧ ص ٢٣٩

(٦) الدكتور طه حسين – « الشعر الجاهلي » – مجلة « الهلال » عدد شباط ١٩٦٦ ص ١٦٩

العرب من اساطير بان لكل شاعر شيطاناً دون ان يبدي رأياً صريحاً في شياطين الشعراء كالمعتزلة وبعض الفلاسفة كالنظام وابن سينا الذين ينكرون الجن . وابو العلاء يميل الى انكارهم بالتدليل مثلاً من اهمية ما جمع المرزباني من اشعارهم بقوله « ذلك هذيان لا يعتمد عليه » . بل انه يأبى الايمان بالكائنات الروحانية من ملائكة وجن :

قد عشت دهراً طويلاً ما علمت به ... حساً يحس لجني ولا ملك

(« لزوميات » ، ج ٢ ص ١٦٣)

ويقصد من ذلك التعريض باخبار القدماء والتشكيك بما نسبه بعض الأدباء الى الجن — والى آدم ايضاً — من شعر[1] ورسالة الغفران مملوءة بالسخرية المؤلمة من الجن والملائكة جميعاً. ومع ذلك فهو يقول ان الله قادر على خلق اجسام نورانية ليست بلحم ولا دم .

ومع ان كلام اهل الجنة عربي فقد روى ابو العلاء فيما روى في غفرانه ان الخازن رضوان لم يفهم شيئاً من شعر ابن القارح وان خازناً يدعى زفر قال لابن القارح الذي انشده من الشعر ما لو جمع لكان ديواناً فلم يحفل به : أحسب هذا الذي جئتني به قرآن ابليس المارد ولا ينفق على الملائكة انما هو للجان وعلّموه ولد آدم[2] والقريض تنثه ابليس اللعين في اقليم العرب فتعلمه نساء ورجال وللجن آلاف الاوزان ما سمع بها الانس وقد نظم احدهم الخيثعور الرجز والقصيد قبل ان يخلق الله آدم وفي قدرة الخيثعور ان يملي على ابن القارح ما لا تسعه صحف الدنيا ... ثم هل يعرف البشر من النظيم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ ومع ذلك فالنظم فضيلة العرب[3] .

ثم ان ابا العلاء وهو الولوع باللغة والشعر يقول في القصيدة التي رثا بها اباه :

تئن ونصبي في انينك واجب ... كما وجب النصب اعترافاً على أن[4]

---

(١) عمر الدقاق — « عبقرية الخيال في رسالة الغفران » (مطابع دار الكشاف — بيروت ١٩٥٣ : ص ٧٦ — طه حسين : « تجديد ذكرى... » ، ص ٢٨٨—٢٨٩

(٢) « رسالة الغفران » ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

(٣) « رسالة الغفران » ، ص ٢٨٣—٢٨٤ و ٢٥٩

(٤) « سقط الزند » ، ص ٣٣٥

اي كنت تشكي في مرضك ويتألم بذلك قلبي فكان انينك يقتضي نسبي كاقتضاء ان الذي هو حرف التأكيد النصب في اسمه .

فأمور اللغة من عروض ونحو وصرف تهمه كثيراً حتى في موقف رثائه لوالده وهو في مقتبل العمر وفي مطلع حياته كشاعر ، ولم تخلُ منها لزومياته وكتفت بها «رسالة الملائكة» و «رسالة الغفران» مما يدلّ بوضوح على ان ابا العلاء اراد في الحقيقة والواقع بسؤال آدم عما روى عنه من شعر تكذيب النّاحلين ليس الا فخاطب آدم بلسان ابن القارح الذي لقيه وهو عائد الى الجنة من الجحيم قائلاً : يا ابانا قد روي لنا عنك شعر منه قولك :

نحن بنو الارض وسكانها منها خلقنا واليها نعود
والسعد لا يبقى لاصحابه والنحس تمحوه ليالي السعود

فيقول آدم : هذا القول حق وما نطقه الا بعض الحكماء ولكني لم اسمع به حتى الساعة . فيقول ابن القارح : فلعلك يا ابانا قلته ثم نسيت فقد علمت ان النسيان متسرع اليك وحسبك شهيداً على ذلك الآية المتلوة في فرقان محمد «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» . وقد زعم بعض العلماء انك انما سميت انساناً لنسيانك واحتج على ذلك بقولهم في التصغير : أنيسان ؛ وفي الجمع أناسي وقد روي ان الانسان من النسيان على ابن عباس وقال الطائي :

لا تنسين تلك العهود وانما سميت انساناً لأنك ناسي

وقرأ بعضهم «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» بكسر السين يريد الناسي فحذف الياء كما حذفت في قوله «سواء العاكف فيه والباد» واما البصريون فيعتقدون ان الانسان من الأنس وان قولهم في التصغير : أنيسان ، شاذ ؛ وقولهم في الجمع : أناسيّ أصله أناسين فأبدلت الياء من النون والقول الاول احسن . وقد سبق لأبي العلاء في «زجر النابح» ان قال : اصحاب التاريخ والنقل يزعمون ان اشتقاق الانسان من النسيان وميتدأ ذلك ان آدم نسي ما عهد اليه فسمي انساناً وهذا يوافق مذهب الكوفيين في انسان[1] .

ويجيب آدم ابن القارح بقوله : أبيتم الا عقوقاً وأذية : انما كنت اتكلم وانا في الجنة بالعربية فلما هبطت الى الارض نقل لساني الى السريانية فلم انطق بغيرها الى ان هلكت فلما ردني الله الى الجنة عادت عليّ العربية .

---

(١) أبو العلاء – «زجر النابح» ، ص ١٠٠ و ١٠١

اننا نجد في هذا القول صدى لقول عبد الملك بن حبيب[1] بأن اللسان الاول الذي نزل به آدم من الجنة عربي الى ان بعد العهد وطال بحرّف وصار سريانياً وهو منسوب الى ارض سوري او سوريانة وهي ارض الجزيرة بها كان نوح وقومه قبل الغرق ، وكان يشاكل اللسان العربي الا انه محرّف وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح الا رجلاً واحداً يقال له جرهم فكان لسانه لسان العربي الاول . فلما خرجوا من السفينة تزوج آرم بن سام بعض بناته فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوص ابي عاد وعبيل وجاثر ابي ثمود وجديس سميت عاد باسم جرهم لانه كان جدهم من الأم وبقي اللسان السرياني في ولد ارفخشد بن سام الى ان وصل الى يشجب بن قحطان من ذريته ، وكان باليمن فنزل بنو اسماعيل فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي[2] .

ويعرب بن قحطان سمي كذلك لانه اول من انعدل لسانه من السريانية الى العربية وهذا معنى قول الجوهري في « الصحاح » انه اول من تكلم العربية .

وقد اخرج فيما بعد ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس ان آدم كان لغته في الجنة العربية فلما عصي سلبه الله العربية — أكان ذلك قصاصاً ؟ ... — فتكلم بالسريانية فلما تاب رد الله عليه العربية ولعل هذا الرأي كان معروفاً في أيام ابي العلاء شائعاً الى ان جاء ابن عساكر فدوّنه .

وقد سبق للمعري نفسه ان روى في «رسالة الملائكة»[3] ان جماعة من الأدباء قصرت اعمالهم عن دخول الجنة وشملهم عفو الله فزحزحوا عن النار فبتوا بين الدارين وجاءوا فوقفوا عند باب الجنة واخذوا يرجون من حارسها ان يكون واسطتهم الى اهل الجنة وطلبوا اليه ان يخبر بعض العلماء الذين حصلوا في الجنة ان هؤلاء الادباء يريدون مخاطبتهم فجاءهم رضوان بالخليل بن احمد فعرضوا عليه ان يعلموا العربية الولدان المخلدين فيقول لهم الخليل : جعل الله من يسكن الجنة ممن يتكلم بكلام العرب ناطقاً بافصح اللغات كما نطق بها يعرب بن قحطان او معد بن عدنان وابناؤه لصلبه لا يدركهم الزلل ولا

(١) عبد الملك بن حبيب (٧٩٦ — ٨٥٤ م) .

(٢) السيوطي — « المزهر » ص ٣٠ و ٣١

(٣) ابو العلاء — « رسالة الملائكة » ، تحقيق سليم الجندي ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٤٤ ، ص ٣٣٧

الربع وانما انتشر الناس في الدار الغرارة الى علم اللغة والنحو لان العربية الاولى اصابها تغيير فاما الآن فقد رفع عن اهل الجنة الخطأ والوهم فاذهبوا راشدين فيذهبون وهم مخفقون .

ونعود الآن الى آدم ابي العلاء فنراه يستنكر ما نسب اليه من شعر متسائلاً في ايّ حين نظمت هذا الشعر : في العاجلة ام الآجلة ؟ والذي قال ذلك يجب ان يكون قاله وهو في الدار الماكرة ألا ترى قوله : منها خلقنا واليها نعود . فكيف اقول هذا المقال ولساني سرياني[1] واما الجنة قبل ان اخرج منها فلم اكن ادري بالموت فيها : وانه مما حكم على العباد صيّر كأطواق حمام بما رعى لاحد من ذمام . واما بعد رجوعي اليها فلا معنى لقولي واليها نعود لانه كذب لا محالة ونحن معاشر اهل الجنة خالدون مخلدون .

فيقول له ابن القارح ان بعض اهل السير يزعم ان هذا الشعر وجده يعرب في متقدم الصحف السريانية فنقله الى لسانه وهذا لا يمتنع ان يكون .

وكذلك يروون لك لما قتل قابيل هابيل :

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبّر قبيح
وأودى ربع اهليها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليحُ

وبعضهم ينشد :

وزال بشاشةُ الوجه المليح

على الاقواء وفي حكاية : معناها ما اذكر ان رجلاً من بعض ولدك يعرف بابن دريد انشد هذا الشعر وكانت روايته :

وزال بشاشةُ الوجه المليح

فقال اول ما قال : أقوى .

وكان في المجلس ابو سعيد السيرافي فقال : يجوز ان يكون قال :

وزال بشاشةَ الوجه المليحُ

بنصب بشاشة على التمييز وبحذف التنوين لالتقاء الساكنين كما قال :

---

(١) روى صاحب السيرة الحلبية ان آدم كان يتحدث بالعربية في الجنة ولكنه تحدث بالسريانية على الارض (دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ، ص ٢٧) . و(مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣ ، ص ٤٨٥ ، عام ١٩٦٩ (مقال كامل عياد = من تاريخ الاستشراق) .

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

قلت انا : هذا الوجه الذي قاله ابو سعيد شر من اقواء عشر مرات في القصيدة الواحدة .

فيقول آدم : أعزز عليّ بكم معشر أبينيّ انكم في الضلالة متهوكون (متحيرون مضطربون) آليت ما نطقت هذا النظم ولا نطق في عصري وانما نظمه بعض الفارغين فلا حول ولا قوة الا بالله !... كذبتم على خالقكم وربكم ثم على آدم ابيكم — مشيرًا الى الآية ، انه ما من نبي الا وقد كذبت عليه أمته وان امتي ستكذب عليّ ايضاً ، (سورة الملائكة/٣) ، ومن اظلم من افترى على الله كذباً ، (سورة هود/١٨) — ثم كذبتم على حواء أمكم وكذب بعضكم على بعض[١] فكأنه القائل : اني لمكذوب عليه كما كذب العرب على الغول[٢] فالكذب كثير جم[٣] وللكذب سوق ليست للصدق[٤] وفي هذه الاقوال منتهى الصراحة في تأكيد كثرة الكذب . وكثيرًا ما ناقش المعري الشعراء فيما قالوه وفي ما روي عنهم ولم يفت المعري ان يستحضر في الآخرة شاعرًا ليسأله عن كلمة واحدة في بيت واحد[٥] حرفه الرواة الذين اعتادوا تغيير ما يقول الشعراء[٦] وقد وصف احد الشعراء اولئك الرواة والنساخ بقوله :

أخا العلم لا تعجل بعيب مصنف ولم تتيقن زلة منه تعرف
فكم افسد الراوي كلاماً بعقله وكم حرف المنقول قوم وصحفوا
وكم ناسخ اضحى لمعنى مغيرًا وجاء بشيء لم يرده المصنف[٧]

وقد بيّن ابو العلاء في مناقشاته باسلوب طريف لطيف وجه الصواب بحسب رأيه في كل ذلك كقوله لعدي : جئت بشيئين في شعرك وددت أنك لم تأت بهما[٨] . ويخاطب النابغة الذبياني بقوله لقد صحف عليك اهل العلم من الرواة ... ويتمنى حضورهم ليسألهم بحضور النابغة كيف يروون قوله في داليته الشهيرة في المتجردة زوجة النعمان : واذا نظرت واذا

(١) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ٣٥٢ وما يليها .
(٢) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ٣٨١
(٣) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ٣١١ و ٣٤٥ و ٤٤٠ و ٤٤٥ و ٤٥٠
(٤) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ٤٩٠
(٥) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ٣٣٧
(٦) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ٣٢٠ و ٣٢٨ و ٣٥٠
(٧) ورقة الروزنامة الحائطية تاريخ ٢٥/٤/١٩٥٣
(٨) ابو العلاء المعري — « رسالة الغفران » ص ١٩٢

لستَ وإذا طعنت وإذا نزعت أبفتح التاء ام بضمها ؟ فيقولون بفتحها والنابغة يختار الضم . وينكر الذبياني قصيدة يرمونها نسبت اليه ربما على سبيل الغلط والتوهم . كما انكر كل من الجعدي واعشى قيس قصيدة الى غير ذلك من المسائل النحوية والصرفية العديدة التي تطرق اليها[١] .

•

فغاية المعري اذن من «رسالة الغفران» لا تخرج عن اظهار علمه وتوجيه النقد فيما يتعلق باخبار الشعراء في الجاهلية وبعدها مبدياً اراءه في اللغة والنحو[٢] وغايته من الحديث الذي اجراه مع آدم بخاصة انما تكذيب ناحلي آدم الشعر فحسب .

•

أمّا دانتي فقد لقي آدم في الملأ الأعلى قرب العذراء مريم[٣] فأحب ان يعرف منه منذ متى وضعه الله في الفردوس الارضي اي تاريخ خلقه اولاً وكم دام تمتع عينيه بالفردوس ثانياً والسبب الحقيقي لغضب الله عليه وطرده منه ثالثاً واللغة التي استخدمها وقام بصياغتها[٤] رابعاً وهذا شيء طبيعي ومعقول لمن يصادف آدم ... ففي ما يتعلق بالسؤال عن اللغة فقد اجابه آدم بقوله : ... ان اللغة التي كنت اتكلمها اندثرت قبل ان تنصرف سلالة نمرود الى العمل الضخم الذي لم يكن من المستطاع ان ينتهي[٥] اي بناء برج بابل .

ولكن هذا القول لا يفيد شيئاً في معرفة حقيقة اللغة التي كان آدم يتكلمها قبل التاريخ الذي اندثرت فيه ، الا ان دانتي في كتابه البلاغة العامية (١/٦) الذي ألّفه في المنفى[٦] يرى ان من المعقول التفكير بان يكون آدم الذي خلقه الله في حال النعمة والصلاح اول من تكلم معرباً بالكلمة عن

---

(١) ابو العلاء المعري – «رسالة الغفران» ص ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠١ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٦٦ و ٢٧١ و ٢٧٣ و ٢٧٥ و ٣٠٣ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٤٢ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٥ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ...

(٢) عمر النباع – «عبقرية الخيال في رسالة الغفران» ص ٢٠ و ٢١

(٣) دانتي «الكميديا الالهية» ف ن ٣٢ /١٢١

(٤) حسن عثمان – «ترجمة الفردوس» دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ ص ٤٥٢ و٤٥٩ و٤٦٠

(٥) دانتي – «الكميديا الالهية» ف ن ٢٦ و م ن ١٢ /٣٤

(٦) لافونت بومبياني – «معجم المؤلفات» ، باريس ١٩٥٤ ، ج ٤ ، ص ٥٩٧

سروره وعرفانه الجميل نحو خالقه وان تمجيده لله استمر في لغة الشعب العبري الذي بقي الشعب الوحيد[٢] بين شعوب الارض محافظاً على ايمانه بالله قبل محمد وقبل المسيح ؛ ولكن البشر لما عصوا الله تخطّت الوحدة الروحية لدى الاسرة البشرية الاولى وكان ذلك عندما أصبح بانو برج بابل لا يفهم بعضهم بعضاً ومنذ ذلك الحين اخذت الألسن تختلف وتتباعد في المكان والزمان[١] حتى لم تبق لغة وحيدة على الارض[٢].

ودانتي يرى ان اللغة من صنع الانسان على اعتبار انها أثر عقلي وما من أثر عقلي يبقى دائماً ما دام ذوق الانسان يتغيّر أبداً ولذا فهي عرضة للتغير والتطور. فدانتي يقول بلسان آدم : اذا تكلم الانسان فذلك امر طبيعي اما ان يتكلم بشكل او بآخر فالطبيعة تترك ذلك لكم حسب رغبتكم[٣] ولهذا يعتبر دانتي من روّاد علم اللغة وفلسفتها[٣] متمشياً مع الكتاب المقدس حيث جاء : «جبل الرب من الارض جميع حيوانات البرية وجميع طير السماء وأتى بها آدم ليرى ماذا يسميها فكل ما سماه به آدم عن نفس حية فهو اسمه[٤] فآدم اذن هو الذي اطلق على الحيوانات اسماءها ولم يتعلمها او يتلقنها فهو الذي صاغ اللغة التي كان يتكلمها[٣]. لكن دانتي صمت في الكوميديا عن كنه لغة آدم فصمته وعدم ترديده ما ذكره في كتابه «البلاغة العامية» لدليل على انه لم يقصد في الكوميديا سوى التلميح الصريح الى ما ورد في سفر التكوين والتقيد به «قال الرب هوذا بنو آدم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة ... هلمّ نهبط ونبلبل لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض ... فبدّدهم الرب وكفوا عن بناء المدينة ولذلك سميت بابل لان الرب هناك بلبل لغة الارض كلها»[٥].

وقد روى ابن عساكر في تاريخه عن كيفية تبلبل ألسن البشر حديثاً عن انس بن مالك قريباً من نص التوراة هذا ؛ قال : لما حشر الله الخلائق الى بابل بعث اليهم ريحاً فاجتمعوا ينظرون لماذا حشروا فنادى مناد من جعل الغرب عن يمينه والشرق عن يساره واقتصد البيت الحرام بوجهه فله كلام أهل السماء. فقام يعرب بن قحطان فقيل له : يا يعرب بن

---

(١) لانوث بومبياني – «معجم المؤلفات» ج ٤ ، ص ٥٩٧
(٢) «سفر التكوين» الفصل ١١
(٣) حسن عثمان – «ترجمة الفردوس» ص ٢٥٤ و ٤٦٠ و ٥٩٤
(٤) «سفر التكوين» ، الفصل ٢ /١٩ و ٢٠
(٥) دانتي – «الكوميديا الالهية» ف ن ٣٢ /١٢١

قحطان بن هو ، أنت هو ؟ فكان اول من تكلم العربية المبينة . ولم يزل المنادي ينادي من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا حتى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً وانقطع الصوت وتبلبلت الالسن فسميت بابل وكان اللسان يومئذ بابلياً [١] .

فاشارة دانتي في «الكوميديا» الى ان اللغة التي كان يتكلمها آدم قد اندثرت قبل ان تنبني سلالة نمرود بناءها برج بابل ترديد فقط لما ورد في الكتاب المقدس . و«الكوميديا» مكتظة بالتلميحات الى ما ورد فيه والاستشهادات به كما ان «رسالة الغفران» مشحونة بالآيات والاحاديث .

فدانتي الملم عظيم وعميق بالعهدين القديم والجديد كالمام المعري بالقرآن والاحاديث ؛ والأدلة على ذلك كثيرة جداً ولا سيما في «زجر النابح» حيث يرد ابو العلاء ؛ بالاستناد الى الآيات القرآنية بخاصة والأحاديث . على الطاعن عليه في معتقده . ولهذا نرى رغم التقاء ابن القارح ودانتي بآدم ان موضوع حديث المعري مع آدم ؛ الشبيه بموضوعات احاديثه مع اكثر والهم من لقيهم في الدار الآخرة . يختلف جداً عن موضوع حديث دانتي معه وبالتالي فان برهان فروخ الذي مررنا به اوهى من ان يتخذ حجة لتبرير او دعم ما ذهب اليه ؛ فلو صح الاقتباس لكان المعري ودانتي اتفقا على لغة واحدة لآدميها مثلاً او اتفقا على الغاية من حديثيهما معه . او ليس غريباً الا يتطرق دانتي الى اللغة السريانية وكلام اهل الجنة . ويقال انه اطلع على «رسالة الغفران» ويهمل التوراة التي منها استمد كل فكرته ؟...

ان ابن عساكر لم يحدد ماهية اللسان البابلي الذي تبلبل الى اثنين وسبعين لساناً ودانتي لم يسمّ في «الكوميديا» هذا المؤلف الجدّي الرفيع ؛ اللغة التي بلبلها الله ؛ فهو ايضاً يرى كغيره من العلماء ان البحث لمعرفة منشأ اللغة واصلها حتى عهده والى يومنا هذا ؛ ضرب من الافتراض والتخيّل ويستند الى حد كبير الى التقدير والتخمين [٢] ولذلك لم يردّد في كوميدياه رأيه الذي أعرب عنه في «البلاغة العامية» لأنه مجرد رأي او فكرة هو نفسه غير مقتنع بها ربما ولا يعلق عليها كبير اهمية بل مجرد افتراض ولكنه افتراض رائع متزن على كل حال : من المعقول ان يكون تمجيد آدم لله قد استمر بلغة الشعب الذي بقي محافظاً على ايمانه به ...

---

(١) عبد الرحمن السيوطي – «المزهر في علوم اللغة وانواعها» ص ٣٢

(٢) محمد مبارك – «فقه اللغة وخصائص العربية» ص ١٨٦ و ٢٤

يوسف بك كرم

(١٨٢٣ – ١٨٨٩)

تمثيلية ذات اربعة فصول

تأليف الخوري حنا طنوس †

يختال الخوري حنا طنوس في تاريخ الادب العربي عامة ، وفي تراثه المسرحي خاصة ، صفحات مشرقة ، وهو الذي خدم النشء طوال جيلين كاملين . كاهناً يؤدي رسالة سيده بالايمان والتضحية والمحبة ، واعظاً يوقظ ويرشد ويهدي ، خطيباً تترنح لنبرة صوته اعطاف المنابر ، شاعراً يلهب الاحاسيس والعواطف ، مؤلفاً مسرحياً اتحف ادب الضاد من المسرحيات بما قد يعز لها نظير . فكان بما خلف للمسرح ، من حيث العدد ومن حيث النوع ، احد ابرز رواد الادب التمثيلي ، واشرقهم وجهاً ، وارسخهم علماً باصوله وفنونه ، واصوبهم في ميدانه ، وارصنهم مداميك في عاليات قبابه .

حسبه انه وهب المسرح العربي ما لا يقل عن سبع وثلاثين رائعة كانت وما تزال مدرسة بطولات ومروءات ، واخلاق وفضائل . فاذا لم نذكر منها الا « البطل المجهول » و « النعمان الخامس » ، و « داحس والغبراء » ، و « العمرين » ، و « شهداء نجران » ، و « العقل اللبناني والدهاء العثماني » ، و « سيدة قنوبين » و « البطريرك حجولا » و « امير الارز » ، و « يوسف بك كرم » ، و « امير لبنان وكسرى » ، و « رجال الغابة السوداء » ، و « البطل الاخرس » ، و « الاعمى البصير » ، و « ملك الدياميس » ، و « الدنانير الحمر » ، فانما نشير بذلك الى امجاد ادبية أحيا فيها من مطاوي التاريخ اعلاماً من ابطاله المغاوير وافذاذاً من رجاله المشاهير ، بعثهم في مسرحياته احياء من لحم ودم .

ولما كان المطبوع من آثاره لا يتعدى عددها الأربعة وهي « النعمان الخامس » ، و « امير الارز » ، و « البطريرك حجولا » ، و « البطل المجهول » . فقد نشرت «المشرق» مساهمة منها في تقييم فضله ، مسرحيتي « العمرين » ، و « شهداء نجران » ، كما خصصت

عدداً خاصاً نشرت فيه دراسة للاديب اميل ابي نادر عنوانها «الخوري حنا طنوس : رائد الادب المسرحي في الشرق العربي».

واليوم ، اذ ننشر مسرحية «يوسف بك كرم» التي هي في رأي مؤلفها — على حد ما صرح به قبيل وفاته — اكثر مسرحياته شعبية : فانما لنا غاية وامل . اما الغاية فان نذكر بالخوري حنا طنوس من عرفوه ، ونشوق من لم يعرفوه الى التعرف اليه في آثاره . واما الامل فان يطل يوم نرى فيه اديبنا الكبير يتصدر في مناهجنا التربوية مركزه بين رسل الكلمة وكهان الحرف ، وفرسان الادب المسرحي العربي .

الشرق

الاشخاص

يوسف بك كرم	:	بطل لبنان
عمون بك	:	معتمد داود
بطرس توما		رجال كرم
سمعان عقل		
سمعان صالح		
اسعد بولس		
ابو حسون		
التمتوم		
ابن دحدح		
ضابط تركي		
خمسة جنود لبنانيين		
داود باشا	:	اول متصرف على لبنان ارمني الاصل
المنطلب	:	شيخ لبناني
انطاب	:	افرنسي . قائد الجيش اللبناني
الياس مورا المعادي		
اربعة صبيان		
امين باشا	:	بلجكي . قائد الجيش التركي
خمسة ضباط اتراك		
البطريرك بولس مسعد		
القنصل الفرنساوي		(ديزسار) ، او (اوتري)
شماس		

الفصل الاول

المشهد الاول

(يوسف كرم — معتمد داود)

كرم قلتُ لك ، لو انطبقت هذه السماء على هذه الارض ، لا يرضى ابن كرم بما يمسّ كرامة لبنان .

المعتمد اترفض صداقة الحاكم الاكبر ؟

كرم انما ارفضُ ظلماً يلحق بوطني .

المعتمد اذا اذعنتَ لمشيئة المتصرف الشريفة ، شاطرتَه الاحكام فتصبح حاكماً على جميع النصارى من نهر الكلب الى جبل الضنية .

كرم لا اقبل ملك الدنيا ، ولبنان مظلوم .

المعتمد وما ذنبُ المتصرف ، والدول العظام سنّت نظام الجبل الجديد .

كرم لستُ احتج على النظام الجديد ، وان كان فيه مدعاة للاحتجاج ، انما على الاقلام الستة احتجاجي . اما كفاهم الجرح حتى ذروا عليه الملح : اما كفاهم ان نزعوا استقلالنا القديم ، وخفضوا رأس لبنان الشامخ . وخلعوا عنه حلّة مجده الباذخ ، حتى طرحوا عليه قميص الفقر والعار . وجلببوه بجلباب المسكنة والشنار . وطالما رفل ببرد العزّ والفخار ، ورتع بمروج الخصب والاقبال ؟

المعتمد ان المتصرف يرغبُ في اعلاء شأن الجبل ، ورفع مناره ، وهو يسعى جهده بما يؤول الى الاصلاح ، ويزيد البلاد ثروة وحياة .

كرم ان كان ذلك صحيحاً . فما باله يضربُ ضرائب تنوء تحتها ظهور الناس : ان كان ذلك حقاً : فما باله لا يرجع عن عناده ، ولا يحيد عن تشبثه بالاقلام الستة . فقد افهمتُه انها سم زعاف ، قتال ، تجمّدُ حركة الدم في عروق الزراعة . وتلاشي موارد الارتزاق من البلاد ، وتخنق حياة الثروة في قلب لبنان .

المعتمد الا تعرفُ ان داود مستبد برأيه ، فهو لا يثني عن مرامه ، ولا يتحول عن قصده ، ولو كان دونه خرق القتاد ، والسيوف الحداد ؟

كرم وهو لا يعلم ، ان كرماً مستبد بعزمه ، متشبث بحزمه ، وهو لا ينكص على عقبه ، ولو كان تحت قدميه اعماق الهاوية ، ونيران حامية ؟

المعتمد: بماذا اجيب مولاي ؟

كرم: امضِ وقل للمتصرف : لا يخلعُ كرم السلاح . حتى يخلعَ الليلُ النهار . او يرفعَ داود الاقلام . عن عاتق الانام . وان بقي مصرًّا على عناده . فليتأهب لملاقاة الابطال . وتكبد الاهوال . بحرب تشيب ذوائب الاطفال .

المعتمد: تربّص للامر يا كرم . وتروَّ بالعواقب . فاني لك من الاصدقاء المخلصين . والاولياء الناصحين . فلا طاقة لك قبل المتصرف . فإن جيوشاً تنصره . وانت لا ناصر لك . الا بعض الرجال .

كرم: الرب يعضدني . فلا ارهب ربوات الشعوب . اني عن الحق ادافع . وللمظلوم انتصر . وما خذل الله المنتصرين للمظلومين . فانا واثق بالله : وبرجالي . واللبنانيين .

المعتمد: ثق بالله وبرجالك ما استطعت : لكن على اللبنانيين لا تعتمد . فهم احزاب : متشعبون بكلمتهم . متقلبون برأيهم . متزعزعون بعزمهم . وحياتك يعزّ عليّ ان اراك . وانت وحيد البلاد : وفخر العباد : هدفاً لسهام اصحاب الاغراض . وذوي الغايات .

كرم: لا سبيل لاصحاب الاغراض ان تستبدلني . ولا طاقة لذوي الغايات ان تستخدمني . فما انا الا رجل رأى المظالم تضني بني وطنه : فوقف في وجه الظالمين . وهو يصيح ، ردوا المظالم عنا والا ...

المعتمد: ان لم تذعن . يصبح مالك : وحياتك وشرفك في خطر ...

كرم: مالي وحياتي . غبطتي وهنائي . عزي وشرفي فدى عنك يا لبنان . أن اذل انا : وتعز انت : ان اشقى انا : وتسعد انت : ان اموت انا : وتحيا انت : هذا كل مناي .

المعتمد: افتحب مقابلة المتصرف ؟ فلعل بالمقابلة يزول سوء التفاهم .

كرم: ارضى بمقابلته : على شرط ان لا تمس كرامتي بحضرته .

المعتمد: لا يمس احد كرامتك يا اكرم الناس . فها اني انصرف لافاوض المتصرف بالمقابلة ، فلعل الله يلطف بلبنان (يخرج) .

المشهد الثاني .(كرم وحده)

(يظهر كل ما بقلبه من حب الوطن)

كرم لبنانُ يا جنة الفردوس لبنانُ … يا روضةً بسناها الكونُ يزدانُ
لبنان يا بهجة الدنيا وزينتها … شمسُ النهار وبدرُ الليل لبنان
لبنان يا مهبطَ العز الرفيع علىً ؛ … فخرُ الزمان ومجدُ الارض لبنان
وصورة الحسن تسمو في محاسنها … نور بهي لعين الحسن انسان
من رأوا انه الفردوس ما غلطوا ؛ … كل البدائع فيه وهو بستان
بستان حسنٍ به الانهار جارية … مياهه الشهد والحصباء مرجان
فيه الينابيع ما احلى عذوبتها … فيه من الزهر اشكال والوان
نسيمه ينعش المدفون في جدث … تحيا به عند لفظ الروح ابدان
اشجاره تملأ الدنيا بشهرتها … الارز والسرو والشربين والبان
ثمار اشجاره فاقت بلذتها … تين ولوز وتفاح ورمان
فهيكل الله كل الناس تعرفه … بناه من ارز لبنان سليمان
وخمره قد غدا بين الورى مثلاً … وقول توراتنا للناس برهان
هواؤه العذب يحيي الناس من عدم … لذاك ينشا به للحرب فرسان
تنمو الرجال اسوداً في عرائنها … وترضع البأس ابطال وشجعان
سماؤه في ليالي الصيف صافية … وبدرها حارس في الليل سهران
يرعى النجوم يطوف الليل مرتقباً … شمس النهار كما يشتاق ولهان
ما اجمل الشمس في لبنان طالعة … فوق الجبال بها الافلاك تزدان
ربيع لبنان باهي الحسن منظره … شهر المحاسن في لبنان نيسان
وكل اشهره في الحسن باهرة … تنأى بها عن قلوب الناس احزان
ان قيل : اي بلاد الله قد سبقت … في الحسن . قلنا على الاطلاق لبنان
لبنان يا مهجتي . لبنان يا وطني ، … تفديك لبنان اقطار وبلدان
كل المنى انت يا عزي ويا طربي . … تفديك لبنان ارواح وابدان
حالي ومالي ، حياتي كلها شرفي … فداك . تفديك اقران وخلان
ما اسعد الحظ حظي لو سفكت دمي … حباً بمن حبه في القلب نيران
اما تسود كما قد كنت من قدم ؛ … اما اموت فدًى والقلب جذلان
لقد دحاك الـه العرش مرتفعاً … حتى السحاب فلا يعروك خذلان
ان رام خفضك اقوام فقل لهمُ : … وراء لبنان آساد وشبان .

إلا اني في حيرة من امري . فقد وجهتُ بطرس توما ليجس لي نبض الافكار ، ولم يرجع بعد . وان بعضاً من الاعيان ولج فؤادهم الحسد ، وخامرهم ريب بصفاء نيتي ، وهم يحسبون اني انما اصنع ما انا صانع ، طمعاً بالسيادة عليهم ، لا حباً بلبنان . ربي ، انت عالم بسريرتي ، عارف بطويتي ، فلا مأرب لي في الدنيا سوى رضاك . ولا منية الا خير وطني . انعمت عليَّ باملاك طائلة وانا وقفتها لخدمتك ونفع بلادي . منت عليَّ بالبأس والبسالة ، وانا رهنت كل قوتي للذود عن شرف الدين ، وحقوق الوطن . وفوق ذلك ، فقد نذرتُ لك عفتي طول الحياة ، وعاهدتُ عيني الا تنظر الى وجه عذراء ، لئلا يعوقني عن خدمتك عائق ، ويمنعني عن نفع عبادك مانع . ربي كن ناصري ، فلا اخشى ربوات الشعوب . اني اسمع وقع اقدام (يتطلع الى الخارج) هذا بطرس توما (يدخل بطرس توما) .

المشهد الثالث

(كرم — توما)

كرم اهلاً ، ومرحباً ! فما وراءك يا سبع الغاب ؟

توما يسلم رأسك يا سيدي . رأيتُ على الرصيف عساكر تموج كموج البحار .

رأيتُ بأم العين بحرين . واحد ... يموج بماء مزبد يفلق الصخرا
يشيرُ جبالاً ترتقي صهوة الفضا ... وتهبط فوق الرمل تجعله تبرا
يحاول خرقاً للحدود تمرداً ، ... فتردعه عن غيه قوة كبرى
فيرجع مذعوراً يعج مولولاً ، ... فيحدث عند الشاطئ المد والجزرا
وآخر بحر من رجال تماوجوا ... على الرمل ، في تعدادهم جاوزوا الحصرا
ترى الصارم البتار يسطعُ لامعاً ، ... بأيديهم . في عينهم تنظر الجمرا
وخلفهم موج ، وصوت ضجيجهم ... كعاصفة هاجت فهيجت البحرا

كرم اما ارهبك منظرهم ؟

توما وهل ترهب الكلاب سبع الغاب ؟ وهل يخاف القمر من حنين الشجر ؟

كرم اما غمك عددهم ؟ اما همك هديرهم ؟

توما ما غم الباشق من كثرة العصافير ؟ وما هم جونية من هدير البحر ؟ !

كرم عشت يا سبع الغاب . لو كان لي ألف من امثالك لافتتح الارض كلها ، مشارقها ومغاربها .

توما   وانا بعشرة من امثال سيدي افتح السماء .

كرم   دع عنك هذا . وقل لي كيف رأيت حركة الأفكار ؟

توما   مثل تبريج النورية : اناس يحبونك . اناس يسبونك . غزير منقسمة الى حزبين والقسم الاكبر بجانبنا . غوسطا كلها من حزبنا . وقد تألبت جماهير في غوسطا من سائر القرى المجاورة . ولا تلبث ان تأتينا النجدات من كل الانحاء .

كرم   ان الحزب المعارض في غزير يريبني .

توما   لا يهمنا الحزب المعارض . لان الحزب الاقوى بجانب الحق . ولا إخال المعارضين يتعرضون لنا . بل جل ما يصنعون ، انهم يتقاعدون عن نصرتنا ثم ان جمهوراً من غزير سوف يتألب وينقض على عسكر داود وهو يحدو باسم سيدي البك .

كرم   ورجالي الأشداء ؟

توما   على اتم ما يرام . وهم مجتمعون في سهل البوار ، تحت قيادة الشيخ مخايل طربيه ، منتظرين اشارة من عميدهم ، لينقضوا على الاعداء ، كما تنقض البواشق على العصافير . والنسور على الزرازير . وقد عيل صبرهم . وتاقت نفوسهم لقطع الرقاب . بحز الحلوق . وشرب الدماء . وقد اتتوا وفداً من خمسة ابطال ، ليبعثوا بهم اليك . ليلحوا عليك . لترخي لهم العنان وتفتح لهم الميدان .

كرم   ومن الخمسة ؟

توما   رجالك : سمعان عقل ، وسمعان صالح ، واسعد بولس ، والنسنوم ، وابو حسون .

كرم   رجال ، بل ابطال ، بل سباع . آه ما كان اهنأ البلاد . وما كان اسعد العباد . لو كثر في لبنان نظير هؤلاء الصناديد .

اذا عُدت رجال الحرب يوماً   فواحدهم يقوم مقام الف

فليأتوا . فاني مستعد ان انيلهم مرغوبهم . واهبهم مطلوبهم . (يسمع غناء من الخارج)

توما   لبيك . لبيك . فعبيدك بين يديك . فها هم مقبلون ينشدون الأناشيد .

(تدخل رجال كرم وهم ينشدون) :

المشهد الرابع

الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
سمعان عقل الفخر بنصل العسال والعز بمتن الصيال
والسكر باحمر سيال : من جرح دام هطال
الحرب دواء العذال .
الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
سمعان صالح ان هز الكف البتارا ارعبنا القرم الجبارا
ورججنا الجو الدوارا وجررنا الينا الاقدارا
فالحرب شفاء الجهال
الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
ابو حسون الحرب محك الفرسان ومجال تباهي الاقران
ومحط رحال العربان ما احلى الموت بميدان
في الحرب مماتي احلى لي
الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
التمنوم الحرب مدام الشجعان ما احلى خمر الميدان
كم نشوان كم سكران اسقيت الموت واسقاني
سيفي من خمر الاهوال
الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
توما تهتز الارض لسطوتنا يرتج الجو لعزتنا
ونريع الاسد بقوتنا ويهاب الموت لحيتنا
ونبيد صفوف الانذال
الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
اسعد بولس ما امر مهري في الحرب ما امضى سيفي للضرب
تخشاني فرسان العرب صيتي مشهور في الغرب
في رمحي هول الاهوال
الجميع الحرب حياة الابطال والسلم للمجد العالي .
سمعان عقل في قلبي نار تلتهب في صدري قد فار الغضب
سيحل بأخصامي العطب ما اعدانا الا حطب
نستخدمها للاشعال

الجميع	الحرب حياة الابطال	والسلم للمجد العالي .
ابن دحدح	نحن الابطال الشجعان	في يوم الهيجا فرسان
	فتيان مرد شبان	فينا تعتز الاوطان
	وتقول رجالي آمالي

كرم	اني اشكر لكم حميتكم ، يا ابطال الحرب . ويا رجال الطعن والضرب .
سمعان عقل	نحن رجالك يا بطل الدنيا . وما حميتنا الا شرارة من لهيب نارك ...
اسعد بولس	نحن عبيدك يا كوكب الشرق . وما حماستنا الا حرارة من اشعة شمسك ...
توما	نحن اشبالك يا اسد العرين ، وما بسالتنا الا صدى زئيرك ...
سمعان صالح	نحن جنودك يا فارس الوغى ، وما هوسنا الا صليل سيفك ...
ابو حسون	ما نحن الا اسرى ، ففك قيودنا ، واطلق لنا العنان لنكر على الفرسان ، ونريهم كيف يكون الطعان ...
النمنوم	نريد الحرب . نريد الحرب . نريد الطعن والضرب في لبة اتقلب ...
الجميع	نريد الحرب . نريد الحرب ...
كرم	قليلاً ، واتيكم مرغوبكم . اما الآن فامضوا الى الرجال وقولوا لهم : ليكونوا على اهبة القتال . (يخرجون وهم ينشدون : الحرب حياة)

المشهد الخامس

(كرم — اسعد بولس)

بولس	ما بالُ سيدي مضطرب البال ، وما عهدته يقلق لشيء ؟
كرم	ان موقف اللبنانيين تجاهي يقلق افكاري . فان لي اخصاماً واقفين لي بالمرصاد .
بولس	اذا كانت البلاد برمتها في قبضتك ، فما عليك اذا غلى مرجل الحسد في صدور بعض الوجوه ؟
كرم	انت لا تعرف اهل لبنان نظيري ، فقد عجمت عودهم . وسبرت غورهم . فوجدتهم ثلاث فرق : فرقة المتوظفين لا يهمهم الا ارضاء الحاكم ليثبتوا في وظيفتهم . وخراب لبنان ، او عمارة عندهم سيان . فهمهم الوحيد بقاؤهم في منصبهم . وفرقة المتطلبين الساعين وراء الوظائف والمناصب . فهؤلاء يبيعون اهلهم واملاكهم ودينهم ووطنهم بمنصب . ولو كان المنصب وتداً . فهؤلاء يضحون بمصالح لبنان على مذابح مطامعهم الفارغة . فهؤلاء يسفكون دماء بنيهم على اقدام المتصرف ليبتسم لهم ابتسامة . آه ، ما يجر

لبنان الى قعر هاوية الشقاء؛ الا حب الوظائف والمناصب. فلا تقوم للبنان قائمة ما زالت هذه الآفة ضاربة اطنابها في جوّنا. وفرقة المستهترين الواقفين على الحياد؛ فهؤلاء: همهم راحتهم؛ وهم اشبه بالاجانب الغرباء. انما آفة لبنان الكبرى التحاسد. قد فشا في الوجوه والكبراء في المشائخ والامراء. وسرى الى الآمنين والفقراء. فالويل للبنان من سم هذا الافعوان. فما نجح بلد ساد بين اهليه الحسد.

بولس   اني ارى سيدي ابك قد سها عن فرقة المتهوسين وعددهم كثير.

كرم   ان عدد المتهوسين كثير الآن. لكن اكثرهم تخمد نيران هوسهم لاول بلاء يدهمهم.

بولس   ورجالك؟ أفليسوا أقوياء اشداء؟

كرم   رجالي اسود بقوتهم. واخصامي ثعالب بدهائهم وحيلهم. والدهاء يغلب القوة.

بولس   ما سمعنا قط ان الثعالب تقوى على الاسود.

كرم   ان البعوضة تُدمي مقلة الاسد.

بولس   الآ اسد لبنان!

كرم   أجميع رجالي والقون بأنفسهم نظيرك؟

بولس   اما رأيتهم؟ اما سمعتهم؟ أما عرفتهم؟

كرم   نعم رأيتهم. سمعتهم. عرفتهم. فالنصر للوائنا معقود. والظفر فوق رؤوسنا ممدود. وانّا سوف نقهر ربوات الجنود. (يسمع قرع الجرس). ها ان جرس القداس يقرع. فاني داخل الى الكنيسة. وانت ماذا تصنع؟

بولس   مهما يصنع سيدي اصنعه (يخرج كرم ويدخل توما).

المشهد السادس

توما   اين سيدي ابك؟

بولس   في الكنيسة يسمع القداس.

توما   ان فرقة من جنود المتصرف آتية لتقبض عليه. بادر اليه ونبهه.

بولس   انا مبادر على جناح الطير (يخرج).

المشهد السابع

(توما وحده)

توما	ما اغدر بني البشر . وما امكر داود . من جهة : يراسلنا للمصالحة ؛ ومن جهة ؛ يرسل العساكر للقبض علينا . آه . قد وصلت جنود الباشا وكاد بطل لبنان يقع في ايديهم . (يدخل اسعد بولس)

المشهد الثامن

توما	(لاسعد عند دخوله) اين سيدي البك ؟
بولس	لا يخرج قبل نهاية القداس .
توما	اما قلت له : إن الجنود كادت تحيط بالكنيسة ؟
بولس	قلت له ذلك ؛ فأجابني : لا ابالي بالالوف ، فالرب عضدي وناصري .
توما	فلنبادر اليه . فلنبادر اليه . والا هلك . (يخرجان)

المشهد التاسع

(يدخل رجال داود)

الضابط	اين كرم ؟ فقد كان في هذا المكان ؟
جندي اول	رأيت رجلين داخلين الى الكنيسة . فقد يكون كرم احدهما .
الضابط	ادخل الى الكنيسة وانظر : اما انتم فكونوا على حذر . فقد احاطت العساكر بالكنيسة من كل جانب . فلا مناص لكرم من ايدينا .
جندي أول	(يرجع) رأيت يوسف كرم : يصلي في الكنيسة : جاثياً خاشعاً : كأنه ملاك . وحوله رجلان . بل جبلان . بل اسدان . يسرّان اليه كلاماً بحدة والحاح . وهو لا يلتفت اليهما . ولا يحول انظاره عن المذبح .
الضابط	فليصنع ما يشاء ، فان الله قد دفعه الينا .
جندي اول	ان له هيبة تلقي الرهبة في القلوب .
الضابط	- ان كانت هيبته ترهب الاسود في غابها ، فأنا لا أخشاه .
ثان	اذا كان جليات الجبار : فلسوف يقطع رأسه سيف داود .
ثالث	اذا كان فرعون مصر : فسوف تفرقه عصا موسى في بحر الدم الأحمر .

رابع — اذا كان قيصر الروماني . فانا بروتوس ولسوف يطعن صدره خنجري .

خامس — اذا كان نابليون الاول ، فانا القائد الانكليزي ، فلسوف اقبض عليه وآخذه اسيراً الى جزيرة الشيطان .

اول — ما اسهل الحرب بالنظارات . وما اهون القتال بالكلام . فاني لا إخالكم إلاّ مولّين الادبار ، من امام وجهه ، كما تفرّ الغزلان من امام الاسد .

الجنود — صه ، واسكت يا جبان !

اول — انتم الجبناء .

الجنود — سوف ترى فعلنا وبسالتنا .

اول — يا لها من بسالة : مائة على واحد !

الضابط — تأهبوا ، واستعدوا ايها الرجال . فكرم خارج من الكنيسة .

الجنود — مستعدون ، متأهبون (يستل الجميع سيوفهم) الويل ثم الويل ليوسف كرم .

المشهد العاشر

(كرم يظهر في ضرف الكنيسة)

كرم — (يستل سيفه ويقول) : وسّعوا المجال ، يا انذال . افتحوا الدرب ، لفارس الحرب .

(ترتجف ايدي الجنود . وتسقط سيوفهم على الارض فيمر يوسف كرم بينهم ، ثم يتبعه بطرس وتوما . واسعد بولس ساحبين سيوفهم)

توما — (بتهكم) لله درهم من فرسان اشجع من الغزلان !

الضابط — ما اجبنكم !

جندي اول — وانت ، ما اشجعك . فأول ما شاهدته ، ارتجفت يداك .

جندي ثان — ان البرق يلمع من عينيه .

جندي ثالث — ان صوته كالرعد .

جندي رابع — ان هيبته كالأسد .

جندي خامس — ان سطوته كملاك الموت .

جندي ثان — ان هذا الا جن . فما هذا بشراً .

جندي ثالث — هذا هو الشيطان الرجيم .

(يظهر كرم وتوما واسعد وبولس)

توما — بل هذا ملاك من السماء ، ظهر بصورة بطل في لبنان ليقهرَ الظالمين وينصر المظلومين .

بولس — فويل للظالمين ، وويح للخائنين .

توما: على الخائنين ... على الخائنين (تهرب الجنود)
(يريد ان يلحقهم توما وبولس فيمنعهما كرم)

كرم: اغمد سيفك يا بطرس . امهل يا اسعد . فلم تأتِ الساعة بعد .

توما وبولس: دعنا نحز الحلوق. ونشرب الدماء .

بولس
توما: (هنا يتالى اشعار)

كرم: عن قريب تنالان ما ترغبان . اما الآن ، فلنجتمع بالرجال ونتأهب لتدبير الشؤون والاحوال .

ستار

الفصل الثاني

المشهد الاول

(داود — المعتمد — المتطلب)

داود: ما رأيت من كرم ؟

المعتمد: رأيت منه رجلاً جواداً كريماً ، يبسط كفه للندى . توسمت فيه سمات بطل شجاع ، يزدري الموت ، ولا يرهب الردى . رأيته وطنياً غيوراً على مصالح البلاد ، يتهالك في اعلاء شأنها ، ورفع منارها . رأيته ، مع ما عليه من الثروة الطائلة والغنى المفرط ، رجلاً عابداً ، لا يكترث لخيرات الأرض ، فهو اعفّ من الرهبان ، وازهد في خيرات الدنيا من الزهّاد .

داود: ما رأيك فيه ؟

المعتمد: رأيي ان تسترضيه ، تقربه اليك ، فيكون اعظم مساعد على انجاح لبنان . فهو نافذ الرأي . مسموع الكلمة . له السيطرة الكبرى على اللبنانيين . فهو في اعينهم بطل الشرق الوحيد .

داود: كيف استرضيه فوق ما استرضيتُه ؟ فقد قدمت له ان يشاطرني الحكم . أفلم يرضَ ؟

المعتمد: لم يرضَ .

داود: ولماذا ؟ أفيريد ان اتنزّل له ؟

المعتمد انه يحسب الاذعان الى ارادة مولاي ، وقبوله المنصب ، اجحافاً بمصالح الجبل ، وهضماً لحقوقه .

داود اذن ، انا خائن ، مجحف بمصالح البلاد ، هاضم لحقوق العباد ؟ افما كفى ابن كرم ، انه افسد عليّ ابناء رعيتي ، حتى يظهرني بمظهر الخادع ؟

المعتمد مولاي : ليست هذه نية كرم هنا .

داود بما نيته . وما يطلب اذن ؟

المعتمد يطلب رفع الاقلام الستة .

داود رفع هامتي عن عاتقي اهون من رفع هذا الاقلام . أفيحسبني قصبة في مهب الارياح ، تحركها كيف شاءت ؟ أفلست انا المتصرف الوحيد ، المطلق التصرف في الاحكام ؟ اولست محباً لبنان ؟

المعتمد لا ينكر احد عليك حق التصرف المطلق في الاحكام ، ولا حسن نيتك في رفع شأن لبنان . انما ننكر على مولانا سوء ظنه بكرم ، كما اننا ننكر على كرم سوء ظنه بمولانا .

داود تعجبني فيك حرية ضميرك ، وهذه الجرأة على التصريح بأفكارك . لكني اراك مخدوعاً بكرم ، فهو يبغضني اشد البغض .

المتطلب لا عاش من يكره مولانا ، وحيى الله كرماً . فانه يمقته اشد المقت .

المعتمد لا يليق بمثلك نظير هذا الكلام ، ولا يسوغ لك الطعن على افضل رجل في لبنان .

المتطلب لك ان تعتقد ما تشاء ، ولي ان اعتقد ما اشاء . فمن حرصي على مصلحة مولاي وبلادي ، قلت ما قلت . فليس كرم كما يتوهم الناس ، رجلاً يتقد قلبه بنار الغيرة على الوطن ، فما هو الا رجل ذو مطامع ، تطمح نفسه الى السيادة ، ويتوق قلبه الى المعالي .

المعتمد كرم اكبر من ان يناله لسانك السفيه يا رجل اجاهل انت ام تتجاهل ؟ مَن اظهر غيرة في (الحوادث) نظير كرم ؟ من رهن املاكه الطائلة ، واستدان عليها ، وانفق ما استدان في سبيل اخوانه ، نظير كرم ؟ من بسط يده للاحسان على المنكوبين مثل كرم ؟ من هب لمساعدة دير القمر وزحلة قبل كرم ؟ فانه جمع الفي رجل ، وسار بهم لمساعدة اخوانه ، وعلى جميعهم كان ينفق من امواله ، ليس هكذا يكون الطمع . هذا التهالك بنفسه . والتجرد بعينه . حرام انكار الفضل ، حرام غمط النعمة .

داود	فؤاد باشا ، على ما اظن ، يدفعه الى اثارة الثورة وتهييج الخواطر على لأغراض سياسية .

المعتمد	لا يندفع كرم الا محبةً بالوطن . وما علاقته مع فؤاد باشا ، سوى صداقة شخصية . ليس كرم صبياً جاهلاً فانه رجل ذو ذكاء وفهم . كيف يثيره فؤاد باشا ، ويرسل عليه النجدات لتقتله وتقتل رجاله ؟

داود	ما لنا وهذا ، فتى يأتي لمقابلتي ؟

المعتمد	لا أدري . ولا أحسبه يأتي بعد ان حاول جنودك القبض عليه ، وأفلت من ايديهم .

المتطلب	اما انا ، فلا احسبه الا آتياً ، فهو متغطرس يحب التظاهر بالبـأس والشجاعة .

المعتمد	ما اقبح الحسد ، فانه يري الفضيلة رذيلة .

داود	ها ان الطاب قادم بشرذمة من الجنود ينبئنا بما جرى .

المشهد الثاني

(الطاب بجنوده وداود . والمعتمد . والمتطلب)

الطاب	السلام على مولانا .

داود	وعليك السلام . ما فعلت بكرم ؟

الطاب	أفلت من ايدينا .

داود	اما قلت لك لتحضره اليّ كرهاً ام جبراً ؟

الطاب	ما وقع نظره على رجالك . حتى صرخ بهم صرخة هائلة : « افتحوا الدرب لفارس الحرب » . فرجفت ايديهم ، وسقطت سيوفهم على الارض .

داود	يا للقوم الجبناء ! !

الطاب	هذه المرة لا يفلت من ايدينا ، وان صعد الى السماء السابعة .

المتطلب	على مولانا ان يلقي عليه القبض ، ويعاقبه اشد عقاب ، ليعتبر كل من كان على شاكلته ، ويرتدع عن غيه كل من تجرأ ورفع عصا العصيان على مولانا .

المعتمد	بئس ما تثيره ايها الشيخ ، ان الناس في هياج عظيم ، ومعظم اللبنانيين من حزب كرم ، فمن الرأي والحكمة ان يلاطف مولانا كرماً كل الملاطفة ، ويجامله كل المجاملة ، ليستميله اليه ، فيستميل معه كل اهل لبنان . فيتسنى له اذ ذاك كل اصلاح يريده .

المتطلب	لا يحمل بمولانا الا ان يشدد الوطأة على كرم . لئلا يحسب الحلم جبناً . والرفق رهباً .
داود	اني آتيه من كل وجه فان نجحت المجاملة والملاطفة ؛ والاّ فبالعنف والشدة آخذه .
المعتمد	فليذكر مولانا اني عن لسانه امته .
المتطلب	للمولى المطلق ان يصنع كل ما يعتقده موافقاً ؛ ويراه مناسباً .
المعتمد	ان لم يكن الشرف حائلاً بينه وبين معتقده .
النطاب	ان كرماً آت مع رجل من رجاله .
داود	(يقف) كنْ مستعداً عند الاشارة .
النطاب	انا مستعد لاول اشارة .
المتطلب	فليجلس مولانا . واذا دخل كرم ، لا يحتفل به ، مكترثاً له ، ولا ينهض اجلالاً وتكرمة . وانا صانع مثله . (يجلس داود والمتطلب)
داود	صدقت سابقي جالساً .

المشهد الثالث

(كرم — بطرس توما)

(اول ما يدخل كرم ينهض داود منتصباً على قدميه ويضع يده على جبينه كالسلام التركي . وكذا يصنع المتطلب)

المعتمد	(على حدة) يا لشدة هيبتك يا ابن كرم .
داود	السلام على ابطل كرم .
كرم	وعلى مولانا المعظم افضل سلام .
داود	اني دعوتك ايها البطل لأعرض عليك ما تشاء من الوظائف .
كرم	اني اشكر لمولانا فضله . فأنا في غنى عن كل وظيفة .
داود	ما بالي اتقرب اليك ، وانت تتباعد عني ؟ اتودد اليك ، وانت تنفر مني ؟ اظهر اليك الحب ، وانت تظهر لي البغض ؟
كرم	اني لا أتباعد عنك ، ولا انفر منك . ولا اظهر لك حقداً .
داود	ان كان ذلك الامر كذلك ، فلمَ تثير عليَّ الجماهير ؟ ولم أتيت اليَّ بألف رجل مدجج بالسلاح لتحاربني ؟
كرم	انا ما أثرت الجماهير . هم هاجوا من تلقاء انفسهم ؛ لما حاقهم من المظالم ، ودعوني لأكون رئيساً عليهم فلبيت دعوتهم . وما اتينا لنشهر عليك حرباً ؛ انما

اتينا نقول لك : قد أثقلت عاتق اللبنانيين بضرائب لا يطيقون حملها . خفف من الضرائب يا داود فتريح نفسك وتريحنا . ارفع الاقلام الستة . فترتفع من لبنان كل ثورة ويعود السلم . حرام تخنق البلاد . حرام قهر العباد . حرام قتل الفلاح .

(اصوات من الخارج) فليحيَ كرم . فليحيَ كرم .

داود　(يقترب من يوسف كرم ويضع يده على كتفه) فليطب خاطرك يا كرم .

(علامة للتبض عليه) (يهم الطاب بجنوده بسحب سيوفهم . يستل كرم سيفه اثر ما يضع داود عليه يده)

كرم　دسيسة ومكيدة (يبتعد الى طرف الكواليس . يتبعه المعتمد والمتطلب)

داود　اقبضوا عليه (يخرج)

توما　(يستل سيفه) من يحسب نفسه رجلاً فليتقدم .

كرم　الويل لمن يخطو خطوة .

(اصوات من الخارج) فليعش كرم . فليعش كرم .

المشهد الرابع

(تدخل رجال كرم وتخرج رجال داود)

الجميع　دعنا نضرب الطاغية . دعنا نحظى بالظفر .

توما
امهنـدي يـا منيتي　فتى تبلغني المـرام
بمضاء نصلك بغيتي　في حدك الموت الزؤام

الجميع
امهندي نلت المنى　فاليوم يوم الانتقام

سمعان عقل
يا من يخمّد جمرتي　ولهيب نار في اضطرام
يـا من يسكّن لوعتي　وشديد بغض في احتدام

الجميع
امهنـدي نلت المنى　فاليوم يوم الانتقـام

اسعد بولس
فلكم سقيتك دمعتي　من عين حقد لا تنام
فعليك اتقي عهدتي　في اخذ ثأريَ والسلام

(يسمع اطلاق بارود)

كرم　ما هذا ؟ ما هذا ؟

النمنوم　(يدخل) ان فرسان الدرغون اطلقوا النار على رجالك ونشب القتال .

كرم　على الاعداء ايها الابطال على الاعداء . (يخرج)

الجميع　عليهم يا رجال ، عليهم يا ابطال . (يخرجون وهم ينشدون) :

يا ما حلا ، يا مـا حلا ، شرب الدما ، يا ما حلا .

المشهد الخامس

(يدخل المعتمد والمتطلب)

المعتمد: يا لها ورطةً انشبها في لبنان عسكر الدرغون . ما كان اغنانا عن هذه الحرب . آه لو اصغيت الى نصائحي يا داود ، وترويت ، وخففت انضرائب . آه لو رضخت الى اقوالي ، يا كرم ، وتأنيت .

المتطلب: آه ....

المشهد السادس

(جنود داود فارة في المسرح)

جندي اول: بدار ، بدار ، الى الفرار . فان وراءنا اسد مغوار !

جندي ثان: عينه تقدح شرار النار . وفي سيفه حكم الاقدار !

جندي ثالث: يا له من جبار ، ان هزّ بكفه البتار ، لبّاه الانتصار !

جندي رابع: بدار ، بدار ، الى الفرار . وان خفنا الذل والعار !

جندي خامس: العار والشنار ، خير لنا من الهلاك والدمار !

المشهد السابع

(كرم يظهر في المسرح لابساً عباءة وعليها زنار . وعلى رأسه عقال حاملاً بندقية ويعلق الرصاص على الأعداء)

كرم: خطوة الى الامام ، يا شباب ، ولنا الظفر .

اسعد بولس: (من ورائه) لبيك يا بطل الابطال .

كرم: خطوة الى الامام ، يا شباب ، ولنا الظفر .

توما: (يظهر على المسرح) لبيك ، لبيك ، رجالك حواليك !

كرم: عليهم ! عليهم ! فان الله ينصرنا (تظهر رجال كرم)

الجميع: عليهم عليهم فان الله ينصرنا.

المشهد الثامن

(خورب) الله تعـالى ينصرنا بجميع الاعدا يظفرنا
بطل مغوار يأمرنـا ما من انسان يقهرنا
من يقهر رب الابطـال !

المشهد التاسع

(المعتمد والمتطلب يرجعان الى المرسح يعنفان القتال)

المعتمد اسد كرم ، واعداؤه ارانب .

اسد اراه في اشتبـاك مع الارانب في عراك
وزئيره رعـد السما في برق عينيه اهلاك
ورصاصه كصواعق تنقض من دون انفكاك
ودخانه سحب ، علت في الجو ، فاسود السماك
فانهال سيل من دم وغدا الفوارس في ارتباك
فرسان يوسف كالاسود اذا عراهـا الاحتكاك
وجيوش داود غدت في شر خزي وانتهاك
فالبعض ولّى هارباً والبعض صار بلا حراك
ولقـد تبدد شملهم كالغيم بدد في سماك
مـا النار تفعل فعلها المعروف في حطب الأراك
كفعال يوسف في العدى واسـوده بالاشتراك
يا ويح جيش قد حكى سمكاً تعلق في شباك
ما منجل الحصاد تخلب السنـابـل بـانهاك
كحسام يوسف ضارباً اعنـاق ابطال العراك

المتطلب (سرّاً) اين النجدة ؟ ما بالها قد ابطأت . لقد عيل صبري وضاقت انفاسي .

المعتمد دارت الدوائر على عسكر داود .

(يسمع حداء في الخارج باسم يوسف كرم)

(خورب) يا يوسف السامي المقام يا ابن الاماجد والكرام
حكّم رمـاحك والحسام في رأس داود الظلام

المعتمد ما هذا الغناء ؟ هذه نجدة جديدة تنجد كرماً .
المتطلب سقياً لك يا قلبي . ما هذه الا نجدة وافت تنجد داود .
المعتمد اما تسمع الغناء والاناشيد باسم كرم ؟
المتطلب هذه دسيسة !
المعتمد أبلغ الخداع في لبنان الى هذا الحد ؟
المتطلب انظر . فانها تطلق البنادق على رجال كرم . وقد احاطوا بهم كما تحيط السوار بالمعصم .
المعتمد قبحاً لخونة ! هذا ما كنت اخشاه .
المتطلب لا شُلّت يمينهم ؛ هذا ما كنت اتمناه .
المعتمد ما هكذا تكون حرب الابطال .
المتطلب ما كرم الا متمرد . وكل وسيلة لأخذه حلال .
المعتمد اني ارى فارساً في طليعة كرم قد وقع صريعاً على الحشيش .
المتطلب هذا افرس فارس في لبنان . هذا عنتر ابن شداد . هذا ابن ذي يزن . هذا اسد العرين . هذا الشيخ مخايل ابي ضربيه .
المعتمد وأسفي عليه !
المتطلب وقد سقط فارس ثان .
المعتمد اتعرفه ؟
المتطلب هو بولس العشي ابن اخت يوسف كرم .
المعتمد يا لوعة قلب خاله !
المتطلب فليذب قلبه بنيران الكمد . عساه يخفض شيئاً من كبريائه .
المعتمد لا شماتة في الموت ، فاني لا احتمل مثل هذه الدناءة .
المتطلب ان كرماً ينادي رجاله : كفوا عن القتال .
المعتمد تقهقرت رجال كرم !
المتطلب انها آتية من هذه الناحية . فلننصرف (يخرجان)

المشهد العاشر

(يدخل كرم ورجاله)

كرم اجمع الرجال يا ابا حسون . وارجع بهم الى البترون .
سمعان عقل أنفر من وجه العدو ؟ !
كرم انما من وجه الخيانة افر . كان قصدي اسعاد البلاد ، ليس اتلاف العباد .

واحر قلباه على الاسدين . وددت لو فقدت حياتي ؛ وخسرت اموالي ؛ واملاكي ؛ ولا نظرت البطلين ؛ صريعين على الحضيض ؛ مخضبين بالدم . يا ليتني سفكت دمي فدًى عنها . كم من مرة توسلت الى الله قائلاً : ربي ؛ خذ حياتي ؛ وصن حياة رجالي (يبكت حزيناً ويضبط نفسه عن البكاء)

اسعد بولس　واحسرتاه على افرس فرسان لبنان !

سمعان عقل　لو كانا يفديان لافتديتها بنفسي وعيني .

سمعان صالح　لو كانت النفوس تباع وتشترى ؛ لاشتريتُها بنفوس الناس اجمعين .

ابو حسون　لو كان يقبل الموت فديةً ؛ لفديتُها بامي وابي وبنيّ .

النمنوم　لو فاداهما الموت لفديتها بجميع اخوتي .

اسعدبولس　والوعتاه على الابطال واحزني　يا ليث اذ ادرجوك اليوم في الكفن

سمعان عقل　من للاعادي اذا ماحربنا اشتبكت ؛　يا فارس الخيل بل يا فارس الزمن

سمعان صالح　حتام يا موتُ تأتي عند غفلتنا　كاللص تسرق منا غالي الزمن

ابن دحدح　لقد رهنتَ لدى الايام انفسنا　وانت تأخذ منها خير مرتهن

النمنوم　لو كان من فدية جدنا باجمعنا　بالمال والاهل ثم الروح والبدن

توما　بطلا المعارك بالملا اشتهرا　حازا المحامد والعدى قهرا

رفضا المظالم والردى احتقرا　رذلا الظلوم وظلمه دحرا

كرها حياة الضيم والقهر .

(اسعدبولس والجميع معاً) (بصوت محزن)

قتل الظلوم شبابنا حسدا　ضرب القنابل مزّق الجسدا

موت الاسود يهيج الاسدا　هجنا وثرنا ايها الشهدا

حزناً على من مات بالغدر

طاغي البلاد طغى على الشرفا　قبحاً له قبحاً لما اقترفا

جعل الفوارس للردى هدفا　سقطوا وصوت في الملا هتفا

نوحوا على من مات بالمكر

ستار

الفصل الثالث

المشهد الاول

(في دير مار يعقوب كرمسده)

المتطلب (وحده يتطلع الى خارج من النافذة)
ما لكواكب تلحظني شذرا؟ وترمي الي عيونها الخزرا؟ ما للافق محمرا؟ ما لي لا ارى في الفلك الدوار. الا شرارًا وجمرا؟ كان الاتفاق يحدث امرا. وليس الامر الا شرا. ما للغربان تحوم في الجو من اليمنى الى اليسرى.
(يسمع صوت كصوت الغربان والبوم)
ان صوت البوم الأبح، يشرّم الآذان. وتعاق الغربان الاشج يبشر بالاشجان. وما للغيوم يتصور منها كالاكفان؟ ماذا تلد لنا الليالي الحبالى؟ ماذا يعدّ لنا الزمان؟ فان في السماء الدليل والبرهان على شر الحدثان. (غناء من الخارج تنشد بيوت عتابا حماسية في يوسف كرم)

(لازمة) يكنـــا يا بيكنا يا بيكنا   تقهر الاعدا وتبقى باطنا
قاهر الفرسان في يوم الوغى   فارس الميدان سفاك الدما
واهب الاحسان في هذا الحمى   ربنا اعطاك غايـــات المنى
(عتابا) ابيوسف بك يا سيفاً ماضي   وفي هـــام العدا والنحر ماضي
تفوق الناس من حاضر وماضي   بيوم الحرب تحز الرقاب

المتطلب تغنوا بالاغاني؛ اهزجوا بالاناشيد. والله لأجعلنّ يومكم اشد سوادًا من وجه العبيد. ارفعوا يوسف كرم الى اوج المجد؛ فاني بكيدي احطه الى أسفل دركات الذل. فانـــا الذي دبرت مكيدة الرصيف. اذ بثثت روح الخيانة في قلوب بعض اللبنانيين. وانا الذي اشرت عليهم ليحدوا باسم كرم. وانا الذي اوعزت الى داود؛ ليبث الجنود على طريق غزير؛ ليمنع عن كرم النجدات. وهكذا كسرته لاول مرة؛ ولسوف اقبره بكيدي الف مرة. وذلك ارواء لغليل حسديّ. فاني ابغضه. لان جميع الناس تحبه. احتقره لان الانام تقدم له ارفع المناصب. فيرفض؛ لا احتقارًا للوظائف. ولا حباً بلبنان؛ لكن بغضاً بداود؛ وطمعاً بمنصبه

الرفيع . وانا اتذلل جاثياً على الاقدام . متذرعاً بكل واسطة : من رشوة وسياسة : ولا احصل على ما يرفضه كرم . لذلك اكرهه : واعمل جهد استطاعتي لاحمل اللبنانيين على بغضه .

(غناء عتابا من الخارج)

المتطلب　آه كدت اختنق غيظاً ، واموت حنقاً ، آه اني صرت احب خراب لبنان . بغضاً لكرم ، واسعى وراء اهلاك اللبنانيين ، لاهلاك كرم . وفي هذا الليل ، سوف ارى الدم يجري في كل الاودية ، وتطيب نفسي : اذ ارى يوسف كرم مذللاً ، مكبلاً كآخر المجرمين .

وانى ضيفي اهلاً بالضيف :　ضيفي مؤت ذبح بالسيف .
غرّق : حرّق . اضرم نارك .　هدّد بدّد . ادرك ثارك .
انحر واسكر . واسبح بالدم .　ارتع واشبع . كرعاً او شم .
فدم الاعدا خمر احمر .　اسكب منه : واشرب واسكر .
ودم الاعدا عطر الأنف .　فاشمم منه القي الف .
ودم الاعدا يجري نهرا .　منــه الدنيا تمسي بحرا .

اما الآن ، فعليّ ان اجتمع بدرويش باشا ، وانصب المكايد لكرم ، بدون ان يشعر احد بشديد بغضي . وكما اشربت داود بغضه ، هكذا ابث سم بغضي في قلب درويش . فقد استدعى يوسف كرم ليصلح حاله مع الدولة ، وهو لا يلبث ان يصل الى دير مار يعقوب (يخرج) .

(يدخل الياس مورا واربعة صبيان يتابعون الغناء)

المشهد الثاني

الصبيان　يكنا يا يكنا يا يكنا تقبر الاعدا وتبقى باطنا . .
الياس مورا　طيب الله انفاسكم !
صبي اول　اصحيح ان يوسف بك كرم ، يأتي الى دير مار يعقوب في هذا الليل ؟
مورا　نعم وفي هذه الساعة .
صبي ثان　فاذا وصل ماذا نصنع ؟
مورا　نظمت له قصيدة في القول العامي ، انا انشد القصيدة وانتم تراجعون ورائي .
صبي ثالث　آه ان قلبي ذاب بمحبة يوسف بك كرم !
صبي رابع　من لا يحب يوسف بك كرم ؟

صبي اول ابليس لا يحبه .
صبي ثان والحسود يبغضه .
صبي ثالث وداود باشا لا يحبه .
صبي رابع لانه احسن منه واقوى .
صبي اول اصحيح ان يوسف بك كرم لا يؤثر فيه الرصاص ؟
صبي ثان الرصاص لا يصيبه ، فكيف يؤثر فيه ؟
صبي ثالث كيف يصيبه الرصاص وهو حامل ذخيرة عود الصليب .
صبي رابع كلما نزل مرة الى الحرب ، تحضر مريم العذرا ، وتقف حوله ، وتبعد عنه الرصاص بيديها .
صبي اول لاي سبب تحبه البتول ، عليها السلام ، بهذا المقدار ؟
صبي ثان لانه حتى يوسف البتول ، خطيب مريم العذراء .
صبي ثالث لا . لا . بل لانه اطهر من الملاك . وهو بتول .
صبي رابع تقول الناس ، ان كل حياته ما نظر الى وجه امرأة .
صبي اول انا اريد ان ابقى بتولاً حتى اصير شجاعاً مثله .
صبي ثان تصير مثله ، فهو اشجع من عنتر .
صبي ثالث واقوى من الاسكندر .
صبي رابع وافرس من كل قيصر .
مورا اسكتوا فيما هو داخل .

المشهد الثالث

(يدخل يوسف كرم وبطرس توما . واسعد بولس . ويبقى الياس مورا والاربعة صبيان . وتركض الصبيان وتقبّل يد كرم)

مورا أيأذن لي مولاي ببيت قصيد ؟
كرم قل وانا احب الشعراء .
(هنا الياس يقول والاولاد ترد عليه)

الياس تهلل لبنان وترنم بتشريف يوسف بك كرم
جبل لبنان كان متعوب امـا اليوم نال المرام .
الصبيان امـا اليوم نال المرام
الياس جبل لبنان كان متعوب ولحـد هالغاية منضاق
صبرنا اكثر من ايوب وذقنا من مرار العلق

	لرؤيا نور وجه المحبوب	كل منا كان مشتاق
	انفرج يا قلب المكروب	الله يهنيك بالسلام .
الصبيان	الله يهنيك بالسلام .	
الياس	اليوم المتضاق انفرج	وزلغطت الحزينة
	ونزلت على سوق حرج	تشتري صيغه ثمينة
	الاعدا تجي وتتفرج	على فرحتنا والزينة
	الحزن من لبنان خرج	وقبلاً كان بعده معتم
الصبيان	وقبلاً كان بعده معتم	
الياس	وقبلاً كان بعده ظلام	واشرقت فيه الشموس
	وبشرت الحمامه	ببيان جنة الفردوس
	قد زالت الغمامة	عن الأجساد والنفوس
	اليوم عيد القيامه	اما سنين المضيو صيام .
الصبيان	اما سنين المضيو صيام .	
الياس	وسنين المضيو علينا	كانت اجهاد واصطبار
	بفراقك يا افندينا	خاطر لبنان انكسر
	برجوعك يا فادينا	خاطر بلدنا انجبر
	فديت ذاتك تا تفدينا	من الشدة والظلام .
الصبيان	من الشدة والظلام .	
الياس	من الشدة والبلا	فديت البلاد المبليّة
	قمرنا المقمر انجلى	وانورت البرية
	صوت صارخ بالعلى	ابتهجوا يا لبنانية
	وقدموا شكراً وصلا	للبتولية مريم .
الصبيان	للبتولية مريم .	
الياس	للبتول ام الرحمان	شفيعتنا سيدة النور
	التي ردته بأمان	من خطر لج البحور
	زيدي سروراً يا اهدن	لانه اشرق فيك النور
	انشدوا ايها الصبيان	بصوت عال ومترنم .
الصبيان	بصوت عال ومترنم .	
الياس	بصوت مرتفع حنون	وجبالنا الفرح فيك
	افرحي يا ابنة صهيون	في تشريف افنديك
	وليفرح قلب المحزون	ويشترك بتهانيك

فاحفظه يا رب الكون　　سيد مطلق في لبنان

الصبيان فاحفظه يا رب الكون　　سيد مطلق في لبنان

كرم طيّب الله انفاسكم ، يا اقمار . اعط يا اسعد ، كل واحد منهم ليرة .

الصبيان (بصوت واحد) لا ! لا ! نحن لا نريد سوى رضى افندينا .

كرم الا تريدون مالاً ؟

الصبيان لا . لا . يا افندينا .

كرم وماذا تريدون .؟

الصبيان نريد نحارب معك . ليعرف كل انسان ، ان الصبيان في لبنان شجعان .

كرم (يبتسم) لله دركم ، ما اشجعكم ! ابشر يا لبنان بالنجاح . ان كان صبيتك هكذا ، فكيف ابطالك . انتم صغار يا اولادي .

مورا ان كان هؤلاء صغاراً ، فانا لست صغيراً .

كرم ما اسمك ؟

مورا اسمي الياس مورا المعادي .

كرم اي ربيع من عمرك بلغت ؟

مورا بلغت الربيع الخامس عشر .

كرم انك لا تزال صغير السن ، قليل الدراية .

مورا بسالتي تعوّض عن صغر سني . وقوتي تقوم مقام درايتي . وكم من فتى امرد ، لم تنبت حواشيه ادرى من شيخ كبير ، شابت نواصيه .

كرم شاعر انت وباسل وفصيح ، وعمرك كما ذكرت ؟

مورا الديك الفصيح من بيضته يصيح . والزهرة الزكية تفوح رائحتها العطرية قبل ان تتفتح .

كرم اني اخشى عليك من غدر الزمان وطوارق الحدثان .

مورا فليرمقني مولاي بنظره السامي ، ولا يخشى عليّ سوءاً . جربني ترَ فعلي . وحسبي من الدهر غبطة . ان يكون حظي حظ مولاي .

كرم يعجبني من الناس الفصاحة والبسالة والفتوة . لقد قبلتك في حاشيتي يا فتى . فانت تكون من رجالي ومن اعزهم . ومن الآن استخدمك . امض واعلم امين باشا بحضوري .

مورا تلك نعمة اقدرها قدرها ، ولسوف يرى مني مولاي ما يرضيه .

(يخرج الياس مورا والصبيان منشدين)

المشهد الرابع

(كرم – توما – بولس)

توما　ما يصنع مولاي ازاء امين باشا ؟

كرم　اني اخلع سلاحي واسلمه سيفي . واستسلم اليه .

توما　ولماذا ؟

كرم　لاني سوّدت وجهي مع الدول ، حباً بلبنان . ولم ارَ من اهليه سوى الخيانة والخداع . كفروا بجميلي . غمطوا نعمتي . جحدوا احساني .

توما　لا تقل هكذا مولاي . فان الجميع يعبدونك كإله ، ويحبونك كالمسيح . اما حسادك واخصامك فيعضون على الأصابع .

كرم　وما بهم قلة عددهم ، ولهم السيطرة على الشعب ، والنفوذ على السذّج . فصوروني في اعينهم بصورة رجل ذي مطامع ، تمرد على الدولة ؛ وتمثلني امام ممثلي الدول العظام ؛ بهيئة رجل احمق متكبر . قصده طرد داود من لبنان ، ليستبد هو بالاحكام ، والله يعلم ان لا غاية لي الا رفع المظالم عن عاتق المساكين .

بولس　كل لبناني يعرف حميد نياتك ، مولاي ، والكل يحلف بحياتك .

كرم　والذين خانوا في موقعة الرصيف ، فأوقعوا ببطلين من ابطالي ، وشبلين من اشبالي ، غدراً ومكراً ؟

بولس　قومٌ اغرار اغراهم بعض حسادك ، فاغترّوا ، وخدعوهم فانخدعوا ، وقد عضّوا الاصابع ندماً . لكن ما بال مولاي يذكرنا كل حين بموقعة الرصيف والخيانة ، وهو لا يذكر ان كل كسروان كان زاحفاً لنجدتنا ، وقطعت عليهم عساكر داود طريق غزير .

كرم　اذكر ذلك ، واذكر ايضاً ان رجالي الذين كنت اعتمد عليهم ، فرّوا من وجه الاعداء ، كما تفرّ الغزلان من وجه الصيادين ، وبطرس توما كان اول الخائضين غمارها واول المنهزمين .

توما　مولانا امر بكف القتال ، اذ رأى الخداع ، فانكففت .

كرم　انهزمت انت ، يا بطرس . قبل ان امرت انا .

توما　فررت حيلةً لأعيد الكرّة .

كرم　بل فررت جبناً واشفاقاً على نفسك . وجزعاً من ورود حتفك .

توما

أراك جهلتني وحقرت شأني ... وما قدّرت يا مولاي قدري
يعيّرني الكريم بجبن قلبي ... وقلبي قُدَّ من جلمود صخرِ
فقد علم الفوارس عظم بطشي ... وقد عرف الملا بالحرب كرّي
ايعرو فارس الهيجاء روع ... غداة الروع في كرّ وفرّ
شهدت مواقفاً دهراً طويلاً ... اليف بسالة وحنين نصر
فلم أخشَ الطعان لضعف قلبي ... ولكن قد خشيت وقوع غدر
وعاهدت التقى عهداً وثيقاً : ... فلا يجري التقى بدون امري
رغبت الدهر حتى خلت اني ... براني الله تأديباً لدهري .

ولسوف يرى مولاي فعلي في هذا الليل .

بولس ولسوف يرى فعل اسعد حين يرعد :

فما شأن الفوارس مثل شأني ... ولا فخر الملوك نظير فخري
فتفضلي شامل كل البرايا ... ونسر الجو بتّات بيرّي
يصون الفارس المغوار سيف ... وترس ثم درع ما به نحـرِ
وترسي الصبر والبتار زندي ... ودرعي كان في الهيجاء صدري
تهاب الاسد في الآجام كيدي ... وحوت البحر يرهب موج شرّي

كرم لا يزيّن القول الا الفعل .

اسعدوبطرس عند الامتحان يكرم المرء او يهان .

توما يظن داود باشا انه يخيفنا اذ ارسل علينا عشرة آلاف مقاتل مع امين باشا .

بولس وقد اصدر امره مشدداً بالقبض على مولانا : حياً ام ميتاً . لقد ساء ظنه . والله . اننا لنموتنّ الف ميتة : ولا تسقط شعرة من رأس مولانا .

توما تخترق سيوف الاعداء صدورنا ، قبل ان تبلغ اليه يد .

كرم اني اشكر لكما هذه الحمية وما ذكرت موقعة الرصيف الا لأختبر حماستكم ومروءتكم . فاذا هي هي كما كانت .

المشهد الخامس

الياس مورا (يدخل) ان امين باشا واتباعه داخلون .

كرم اهلاً بهم .

(يدخل امين باشا ومعه خمسة ضباط مع الشطب والطاب)

(يتقدم كرم ويصافح يد امين باشا)

كرم اهلاً بالوزير الخطير ، والقائد الكبير .

امين باشا السلام على بطل لبنان الشهير .

كرم دعوتني فلبيت دعوتك . كتبت لي فبادرت على جناح السرعة اليك . فما يأمر المولى الكريم ؟

امين باشا قد كان لك ، يا كرم ، المنزلة الكبرى لدى دولتنا العلية وسائر الدول المتحابة . فأقاموك حاكماً على لبنان ، ثم اتفقت الدولة العلية مع الدول على ان يكون حاكم الجبل اجنبياً . فساءك ذلك ، فحركت السماء والارض ، واثرت الناس وهيّجت الخواطر على داود .

كرم ليس ما بلغ المولى العظيم صحيحاً . لم استأ من تعيين داود باشا حاكماً على الجبل ، ولم اهيج الخواطر على داود . انما ساء الجميع ظلم داود بزيادة الضرائب . فهاج عليه الناس . ولجأوا اليّ لأنصرهم على الظالم ، فنصرتهم .

امين باشا لا يليق بمثلك ، يا ابن كرم ، ان تنشر راية العصيان على الدولة العلية .

كرم اني احتج بكل قوتي على هذه التهمة الفظيعة . فانا من اصدق رعايا الدولة واخلص عبيدها . فحالما وصلت العساكر الشاهانية الى طرابلس ، اخليت لها زغرتا ، لئلا يبلغ اذاها الى احد ، ثم لأعلن على رؤوس الملا اني لست متمرداً على الدولة ، كما يذيع اخصامي : انما نشأ شقاق بيني وبين داود . نهيته عن الظلم فلم ينته . فعمد الى قهري وتذليلي ، وهو لا يدري ان خراب الكون اهون من تذليل كرم وقهره .

امين باشا اما من سبيل الى المساواة بينك وبين داود .

كرم لا اهون من ذلك .

امين باشا شروطك ؟

كرم يلاشي الاقلام الستة ، ويلغي الضرائب التي زادها . يسير بالعدل والانصاف في الرعية . ولا يمسني انا ورجالي بضرر .

امين باشا وانت ما تبتغي لنفسك ؟

كرم لا ابتغي سوى رضى الدولة . وان اثار علينا الاعداء حرباً أسألها ان تجعلني في طليعة المقاتلة لاذود عن حوضها ، واحمي رايتها ، واسفك دمي في سبيلها .

امين باشا حبذا البطل انت ، يا كرم ، ونعمَ الفارس . فانزع السلاح تصديقاً لما تقول .

كرم حباً وكرامةً ايها المولى السامي (ينزع السيف) هذا الحسام ، طالما تعود ضرب الهام ، اجعله رهناً بين يديك (يسمع صوت النفير)

كرم صوت نفير . ما هذا ؟
توما مولاي ، ان عساكر الدولة تفرقت الى اربع فرق ، وهي زاحفة علينا .
كرم حسامي (يستل حسامه الموضوع على الارض)
خديعة ، ويا لها من خديعة ! دونكم الخيانة يا رجال ! فلا يفلت احد منهم .
اصوات (اصوات من الخارج) لبيك ، لبيك ! عبيدك بين يديك !
امين باشا عليك الامان يا كرم . عليك الامان .
كرم انت عليك الامان . اذهب بسلام .
(الى الخارج) دعوا دولة الباشا ينصرف مع رجاله بأمان . ولا يلحق بأحد منهم اذىً .
(اصوات من الخارج) دعنا نذبحهم . دعنا نقتلهم .
كرم (من الداخل) خلّوا سبيلهم ، فنحن أكرم منهم .
(من الخارج) حباً وكرامة . يا بطل لبنان .
المتطلب (يقول للطاب على حدة) بعد ساعة . وافني الى هنا برجل من رجالك .
(تدخل رجال كرم)

المشهد السادس

(كرم ورجاله والياس مونا)

كرم قد نصب لنا الاعداء الحبائل ، واحاطونا من كل جانب . فلا تهابوهم . فان الله قد دفعهم الينا ، كما دفع اعداء بني اسرائيل ليد جدعون ورجاله الثلاثمائة . يا ابطال جدعون المختارين ، انتم ثلاثمائة ، واعداؤكم عشرة آلاف . افهل تخشونهم ؟ اهتفوا بصوت واحد : لا نخشى ربوات الجنود ، والرب معنا .
الجميع لا نخشى ربوات الجنود ، والرب معنا .
كرم يا رجال جدعون ، يا قلوب الحديد ، يا ابطال الوغى الصناديد . انتم اجنحتي ، بدونكم لا استطيع ان اطير في سماء المعالي . انتم انصار لبنان ، فان انخذلتم ، انخذل لبنان الى الابد . انتم اعمدة الوطن . فان ستحطم تهدم البناء ، وتهور في قعر هاوية الشقاء . من بين الالوف اخترتكم . وعلى الكثيرين فضلتكم . والى مثل هذه الساعة اعددتكم . على الله وعليكم جعلت اتكالي . فهل تخيبون آمالي ؟

اسعد بولس	دماؤنا فداك ؛ وسيوفنا في صدر عداك .
الجميع	دماؤنا فداك ؛ وسيوفنا في صدر عداك . (تستل السيوف)
كرم	حلف داود ان يذللني ويذللكم ، وان يقهرني ويقهركم ، افترضون بذلك .
بولس	النار ؛ ولا العار ؛ الموت ، ولا الذل .
الجميع	النار ، ولا العار ؛ الموت ، ولا الذل .
كرم	نهضنا نهضة الاسود ، للذود عن حقوق الوطن المهضومة . شهرنا البواتر للمدافعة عن اليتامى والارامل والبائسين . اما الآن ، فموقفنا احرج من كل المواقف . والباعث على استقتالنا في ساحة الوغى ، اقوى من كل البواعث . ليس موقفنا الآن للمناضلة عن حقوق لبنان ، ولا لنصرة المظلومين . نحن هنا ، للمناضلة عن اقدس الاشياء . فان وليتم الادبار . جعلتم عفاف بنيكم ، وشرف نسائكم في اشد الاخطار . فان انهزمتم من امام هؤلاء الكلاب ، دخلوا كل البيوت ، وانقضوا كالذئاب على النساء والبنات والصبيان وفعلوا ما ترتعد له الفرائص وتقشعر له الأبدان . دافعوا اذن عن حياتكم ، وحاموا عن شرفكم وشرف بيوتكم ، ناضلوا عن عرضكم وعرض عيالكم .
توما	يا للحمية المارونية ! ويا للنخوة اللبنانية !

قد صاح سيفي هاتفاً في غمده	اني ظمئت وموردي شرب الدما
اني صديت وصار لوني اغبرا ،	يا آل ودي فاصبغوني عندما
ان لم تتلني مأربي يا ضاربي	هام العدا عند الكفاح فتندما

بولس
مهري يصيح احبتي حل الوفا .	قد عيل صبري من ظروف الازمنة
يا فارسي فك اللجام وحله .	واركب على متني وقل ما امتنه
ان كان يرهبكم عديد عداتكم	ردوا علي في الكفاح الميمنة

سمعان صالح
لا تنسى مولاي من بين الملا	اني انا سمعان قهار العدى
يشتاق قلبي خوض ساحات الوغى	كي اقهر الفرسان في يوم الردى
واعود من بين الالوف مظفرا

سمعان عقل
فكأنكم لا تحسبوني فارساً	مهري يسابق في المعامع داهسا
كم شدت في علم الحروب مدارسا	قلبي حسام لا يزال ممارسا
خطا جميلاً بالدماء مسطرا

النمنوم
اني انا النمنوم ؛ صيتي قد نما	بين الفوارس لا يزال معظما
فخاصمي من ضربتي لن يسلما	قد صاح سيفي في الغلاف ودمدما
قتل العدى بالحرب ليس محرما

ابو حسون: اني ابو حسون ، في الهيجا بطل بيسالتي يوم الوغى نلت الامل
فاذا دنوت من العدى حل الوجل واذا ضربت بصارمي يدنو الاجل
اسد انا في الحرب والخصم الحمل

كرم: اني اشكر لكم هذه الحمية . واني واثق بتمام النصر والظفر ! فلا خوف من الخداع هنا ولا خطر . فليذهب كل واحد منكم الى رجاله . واما انت يا الياس فابق الآن في هذا المكان .
(بطرس توما . يخورب ... تخرج رجال كرم معه وتخورب يا ما حلا ...)

المشهد السابع

الياس مورا: (وحده) ما اتعس حظي ! كأن مولاي كرماً لا يعتمد على شدة بأسي وهو لم يجرب مراسي . وانا اشعر من نفسي ، اني باسل . فهل ادع هذه الفرصة تفوتني ولا اظهر للناس بسالتي . (يسمع اطلاق بارود من الخارج) قد نشب القتال . دارت برأس كرم ورجاله حمية الشجاعة والبسالة . لله درهم . ما اقدامهم . وما اشجعهم . فمثلهم تكون الرجال . فانني لا اكون اقل شجاعة منهم بل اختلط بجموعهم واقاتل معهم (يخرج)

المشهد الثامن

(المتطلب . الطاب . الضابط الاول)

الطاب: بئس ما فعل عسكر الدرغون . فانهم اسعروا نار الحرب . ولم ينبهوا احداً . فرجالي في زغرتا وقد بعثت اليهم ضابطاً ليوافوني الى وادي بنشعي . على اني لا افهم سياسة امين باشا وقواده .

المتطلب: امين باشا معتمد على كثرة جنوده وقلة عدد خصمه . عشرة آلاف على ثلاثمائة .

الطاب: ما لنا وهذا . قلت لي حتى اوافيك بعد ساعة الى هذا المكان فما بغيتك ؟

المتطلب: عرفت ان داود باشا هدر دم كرم . وقد وعد بالف ليرة لمن يسلمه اليه حياً ام ميتاً . وانا جئت لاضيف عليها الف ليرة غيرها اذا كنت تسلمه ميتاً .

الطاب: اني حلفت ان اسلمه الى داود حياً .

الضابط الاول　ليس من الممكن تسليم كرم لا حياً ولا ميتاً . فهو اسد لا يهاب . وساحر يسحر الالباب . وما من حيلة لأخذه . فيد الرب معه .

الطاب　انا لا اخذه بالحيلة بل بالقهر والقوة فأين يفرّ من امامي . فقد حلفت ان اكون اتبع له من ظلّه فاين يهرب الذئب من وجه الشمس (يسمع دق نفير) . هذا نفير العسكر الشاهاني يدق الانكسار . يا للعار : بدار بدار : الى العسكر اللبناني (يخرج مع الضابط)

المتطلب　قد انتصر كرم . فذب يا قلبي كمداً . واحترقي يا كبدي حسداً . ليس الحريق في الزرع اليابس : يتنع ما يصنع رجال كرم بالعسكر الشاهاني : فانهم كسروهم اي انكسار . ودحروهم اي اندحار . ولا يزالون يعملون السيف في رقابهم . ويتبعونهم في فرارهم . وهم يصيحون «امان جانم» «امان جانم» . (يسمع تباليل من الخارج وتوريب) هذا كرم وبعض رجاله . (يدخل كرم واسعد بولس وسمعان صالح مسلين السيوف)

بولس وصالح　الحمد لله نلنا العز والوطرا　يوم الكفاح وحزنا النصر والظفرا

التمنوم وابو حسون وسمعان عقل (يدخلون بعد الاشعار وينشدون)

الحمد لله نلنا العز والوطرا　يوم الكفاح وحزنا النصر والظفرا

كرم　قد فعلتم فعل الابطال ايها الرجال . فما خاب من وضع عليكم اعظم الآمال . فيكم يحق الافتخار والمباهاة . فهل مات احد من رجالكم ؟

سمعان صالح　ثلاثة شهدا لا غير . وقعوا في ساحة الوغى .

كرم　رحمهم الله : وجزاهم خير جزاء في السماء . وما حل بالأعداء ؟

سمعان صالح　اما عن الاعداء فلا تسل . فقد قتل منهم اكثر من الف رجل واسر عدد وافر . وغنمنا منهم ذخائر لا تحصى من سيوف وبنادق ومدافع وجبخانة وخيل ومؤونة . وهلم جرا ...

كرم　عشتم يا ابطال الحرب ويا رجال الطعن والضرب .
سمعان عقل اسد غضنفر . وسمعان صالح ابن شداد عنتر . اسعد بولس سيف على الاعداء مشهر . للتمنوم سطوة الاسكندر الاكبر . ولابي حسون بطش قيصر . لكن اين بطرس توما ليث العرين وسبع الغاب ؟

اسعد بولس　انه فعل في هذا اليوم : العجب العجاب : فانه شد في اثر العساكر المنهزمة وهي تصيح : «امان جانم . امان جانم» وهو يجيب : انا المنتصر انا الغانم . وكان يدق البوق فتأتيه فرقة من العسكر فتحسب قائدها يدق النفير فتجتمع حوله : فيشرع في ذبحها . كما يذبح الجزار الغنم .

سمعان صالح وعندما يفرغ من ذبحها يعود فيدق بالناقور فتأتيه فرقة اخرى فيصنع بها ما صنع بالاولى.

كرم رب صنه من كل اذى. واحفظه من كل شر.

سمعان عقل ها انه آت وهو حامل على كتفه مدفعاً.

(يدخل بطرس توما ويدخل وراءه الياس مورا)

توما. مورا الحمد لله تلنا العزّ والوطرا يوم الكفاح وحزنا النصر والظفرا.

كرم اهلاً بسبع الغاب.

الجميع مرحباً ببطل المعامع.

كرم ما الذي تحمله على كتفك يا أسد العرين؟

توما هذا مدفع غنمته من المدفعية. هجمت عليها وحدي وحملت هذا المدفع على كتفي واتيت به الى سيدي (يضع المدفع على الارض)

كرم وما فعلت بالعساكر؟

توما اثخنتها جراحاً. وبعثت اكثرهم الى مقر اجدادهم وما بقي منهم شتتهم شذر مذر. فما زلت اتبعهم الى طرابلس وهم يهتفون «آمان جانم» وانا اصيح: انا الظافر انا الغانم.

كرم (يقترب اليه ليصافحه) تسلم، تسلم، يا سبع الغاب. (ثم يدنو منه اكثر من الاول ويقول): ما هذا الدم على صدرك؟

(تصرخ كل رجال كرم) دم على صدره!

توما لا شيء. فعندما كنت هاجماً لآخذ المدفع اطلقوا عليّ القنابل من كل صوب. فأصابت قنبلة صدري فجرحتني.

كرم ألا تؤلمك؟

توما لا تؤلمني شديداً.

الجميع اما تؤلمك؟ اما من خطر عليك؟

توما مسألتي طفيفة. لا تهتموا بي، بل اهتموا بأمركم مع داود. فما رأيك مولاي؟

كرم اسمعوا، ايها الابطال: نصرنا الله على الاعداء هذه المرة. ولسوف ينصرنا الف مرة. لكن داود لا يزال يستنجد علينا عساكر الدولة، فنقتلهم. وحرام نقتل رجال دولتنا. ناهيكم عما يسود وجهنا لدى المتبوع الاعظم، بما يتهمنا من التهم الباطلة.

توما ما نحن قصدناهم. هم قصدونا. اتوا الينا ليقتلونا فدافعنا عن انفسنا. وقتلناهم.

كرم　قلت ان داود استنجد علينا ثمانية آلاف الآن . ولسوف يستنجد الالوف المؤلفة فيقطعون عنا المؤن والذخائر ويضايقوننا .

سمعان عقل　فما رأي مولانا اذن ؟

كرم　رأيي ان أذهب الى بيت الدين شاهراً سيفي فاقبض على داود باشا فأخيره . إما تتنزل : إما تقتل . يهلك واحد ولا يهلك الشعب كله .

الجميع　حبذا الرأي . حبذا الرأي ! الى بيت الدين ! الى بيت الدين ! يهلك واحد ولا يهلك الشعب كله ! (يسحبون سيوفهم)

ستار

الفصل الرابع

المشهد الاول

المعتمد والمتطلب

المعتمد　كيف رأيت كرماً . ايها الشيخ ؟

المتطلب　لا تذكرني بكرم .

المعتمد　ألا تصدق الآن ما كنت اقوله لك عنه . انه اشجع من عنتر . واقوى من قيصر . وابطش من الاسكندر . وادرى بمواقع الحرب من نابليون الاكبر .

آه لو كانت دولتنا تستخدم النصارى في الجندية . وتقلدهم الوظائف العالية ، لكان اصبح أعظم قائد في هذا العصر ، بل اشهر بطل واكبر فارس ظهر في الدهر . ولكان اخضع لها ممالك الدنيا مشارقها ومغاربها فحربه لم يسبق لها نظير في تاريخ الحروب . فيد الرب كانت مبسوطة فوق رأسه . والمدد السماوي كان ظاهراً في كل مواقعه . ما هكذا تكون قوات البشر .

المتطلب　اراك تطرئه مطنباً ، وتثني عليه مغالياً .

المعتمد　ثلاثمائة بطل من رجال كرم فتكوا في موقعة بنشعي بثمانية آلاف جندي بقيادة امين باشا ، وتقول اني اطنب باطرائي بسالة كرم ورجاله . اربعة فارس من فرسان الوغى قهروا اثني عشر الفاً في سبعل ، ودحروهم د-مع زعيمهم درويش باشا ، ومزقوهم كل ممزق . وبددوهم ايدي سبـ

ولو لم يختنوا بمدينة طرابلس لابادوهم على بكرة أبيهم . وتقول اني اغالي بالثناء على شجاعة كرم وابطاله ؟

المتطلب ان كان كما ذكرت ، فلم عمد الى الاختباء بعد وقعة سبعل . وهو الاسد الغضنفر ؛ فدخل داود باشا اهدن ، فأحرق داره ونهب كل ما بها من الآنية الثمينة والاثاث الفاخر ؟

المعتمد لم يكن ذلك جبناً من كرم ؛ بل ضناً برجاله . فلما سدت اعداؤه في وجهه سبيل المواصلات من كل جانب ؛ انقطعت عنه الذخائر ولم يبق لرجاله بارود فصرف جمهوراً منهم ، ولم يُبقِ معه الا العدد اليسير .

المتطلب لذلك اختبأ من وجه العساكر . فلجأ الى البترون ومنها الى اسمرجبيل ، فينفرق ، فلحند ، فأهمج ، فالعاقورة ، فعيناتا ، فالقصيبة فقرن ايطو . وكانت رجال الحكومة تطارده وهو يفر من امام وجهها .

المعتمد وفيما كان مختبئاً . اظهر بسالة تدهش الألباب ، وتسحر العقول . في اهمج كسر انطاب ورجاله بخمسة وثلاثين فارساً . في وادي النسور في منعطف لبنان من جهة بعلبك ، هزم الف رجل مع قائمقام بعلبك ، بسبعة رجال . بسبعة رجال دحر خمسمائة رجل مع عجل يقين الكردي في عيناتا . في القصيبة ، مزّق شمل علي الجاري ، وكان فرسان كرم ثلاثين ، وعدد الاعداء اربعماية . في قرن ايطو القت رجاله الرعب في قلوب عساكر خسرو بك وانصاره . وكان عددهم الفاً . ورجال كرم لم يتجاوزوا الاربعين .

المتطلب ذلك ضرب من السحر !

المعتمد قل ما شئت . اما انا ، فاني أقول : ذلك مدد من السماء . ونصر من العلاء . كل ذلك عجيب غريب . انما اعجب العجب فيما جرى له في تبسع جوعيت . فقد احاطه الف رجل فانحدر امامهم في وادي النهر ، فأقاموا له كميناً على الطريق التي بين سبعل ومزيارة واتبعه الرجال على ضفتي الوادي ، ولما بلغ الكمين وايقن ان لا مناص له صاح بأصحابه ، وكانوا نحو خمسة عشر رجلاً ؛ سيوفكم يا ابطال : واستل سيفه ومشى على القوم المشتبكين في الطريق ، وحوله رجاله . فارتاع الكامنون وانحسروا من طريقه واجتاز من بينهم ومضى . وهكذا تملص من بين الف رجل سالماً ظافراً . وفي كل مواقعه لم يفقد سوى ثلاثين رجلاً ، وقد قتل من اعدائه ثلاثة الاف رجل . اسمعت في مواقع العرب والعجم وفي حروب الغرب والشرق مثل هذه الحرب ؟ وهل رأيت بين النـــاس بطلاً مثل هذا البطل ؟

المتطلب　كل هذا يزيدني بغضاً له وحسداً . لا طرباً له وعجباً ؛

المعتمد　لست الوحيد في لبنان . فآفة اللبنانيين الحسد .

المتطلب　ما لنا ولهذا ؛ فأين بلغت من قصة كرم ؟

المعتمد　لما سئمت نفس كرم الاختفاء ، هب متظاهراً على تبع جوعيت ؛ وتألب اليه نحو ثلاثمائة شاب من نخبة رجاله ؛ فسار بهم في وسط البلاد. لا يعترضه احد ؛ بل رحب به الجم الغفير ماراً بجبة بشري . وبلاد البترون ، وجبيل ، وكسروان ؛ قاصداً داود باشا في بيت الدين ؛ الى ان بلغ بكفيا بالف فارس وكان العسكر اللبناني يتبعه عن بعد ؛ ولم يتحرش لقتاله الا في الوادي الفاصل بين كسروان والقاطع المعروف بابي ميزان. بينما كان القتال مشتبكاً اي اشتباك وكادت تدور الدائرة على الطاب ورجاله .

المتطلب　غبطة البطريرك ؛ وسعادة القنصل الفرنساوي وداود باشا ؛ ونعوم افندي .

المشهد الثاني

(المعتمد . المتطلب . القنصل . البطريرك . الباشا)

(يتقدم المتطلب والمعتمد ويقبلان يد البطريرك جاثيين على ركبهما)
(يجلس البطريرك في الوسط وداود عن اليمين والقنصل عن الشمال)

داود　ما رأيك يا صاحب الغبطة في فض هذه المشاكل ، فقد اتسع الخرق على الراقع ؟

البطريرك　دولتكم ابصر وادرى .

داود　فلتنازل غبطتكم وتمدني برأيها الثاقب .

البطريرك　قد كتبت الى كرم ليكف عن القتال ؛ ويحضر الى المقر البطريركي عاجلاً ، وهو لم يخالف لي امراً قط .

داود　وقد توسلت الى سعادة القنصل ليكتب له ويستميله من كل وجه .

القنصل　وانا قد كتبت له ؛ ملحاً اشد الالحاح باسم دولتي وقد بعثت اليه بالعلم الفرنساوي ليخفق فوق رأسه دلالة على حماية فرنسا له .

داود　ما العمل اذا لم يذعن ؟ ما الرأي اذا لم يكف عن القتال ؟ لم يعد بوسعي احتمال هذه الحال . فان بقيت على هذا المنوال فانا مستعد ان اتنزل . ان كرماً اعند رجل عرفته . فاني لا اخاله يحضر .

القنصل　انه سيحضر .

داود آه لو انقدت لنصائحك يا عمون بك .

المعتمد الله يعلم يا مولانا . اني لم اشر عليك الا بما رأيته الرأي المناسب . فاني لم اجد بك وبكرم عيباً . سوى انكما لم تتفاهما .

داود (يدل على المطلب) لقد اغراني هذا الشيخ الخادع . فاغتررت . وخدعني . وانخدعت .

المطلب مولاي . اتأذن لي ؟

داود صهْ : واصمت يا مخادع . حسدت كرماً : وخدعتني . فجررت على بلادك اعظم البلايا . وسفكت دم الابرياء . فلسوف اقتص منك ؛ ومن امثالك . اشد اقتصاص . فانصرف مخذولاً .

المطلب (وهو خارج) آه . كدت اختنق غيظاً وحنقاً .

(يدخل الشماس ويناول القنصل كتاباً)

(يفضه القنصل ويقرأ)

القنصل شرفني كتابكم الكريم . وانا حسب امركم حاضر اليكم باسرع من البرق . (كرم)

القنصل اما قلت لك يا دولة المتصرف انه يحضر .

داود عرفت انه كان قاصداً مركز الحكومة في بيت الدين ليفتك بي : فانصرافي من هنا أولى .

القنصل هذا الرأي الصوابي . فان رؤية الخصم تثير كامن الحقد .

داود ابذلوا جهدكم في اقناعه بالابتعاد عن لبنان . ولو موقتاً . واجيبوه على كل مطاليبه . بشرط ان يبتعد . آه . ماذا يقول عني التاريخ في مستقبل الأيام ؟ ان داود باشا . اول متصرف على جبل لبنان : كان علةَ خرابه : وقتل اهليه والله . والله . ما كان قصدي الا خيرك يا لبنان : ونجاحك . فما انقدت لنصائح المخلصين : بل انخدعت للمتطلبين الخادعين. اما الآن فلا يصلح الحال الا ابعاد كرم . فعلى الله وعلى غبطتكم ، وعلى سعادتكم : اتكي كل الاتكال .

(يخرج مع المعتمد بعد ان يجثو ويقبّل يد البطرك ثم يصافح القنصل بيده)

المشهد الثالث

(القنصل . البطرك)

القنصل	ما ترى غبطتكم كرماً صانعاً ؟

البطرك	وما تراه سعادتكم ؟

القنصل	اذا كان في قلبه يسود الطمع ، وتطمح نفسه الى المعالي ، فلا يرضى . واذا كان حب الوطن متغلباً على حب الذات فانه يرضى .

البطرك	انك لا تجد رجلاً ، تمكن من قلبه حب الوطن ، نظير كرم ؛ كما انك لا تجد من تأصل في نفسه حب الدين والتقوى والشهامة والشرف ، وعزة النفس ، نظير كرم . فهو اعظم ماروني . وافضل لبناني ، واكرم شرقي في القرن التاسع عشر .

القنصل	كبير هذا الثناء من فم غبطتكم على كرم ؛ ولقد عظم اعتباره عندي .

البطرك	هو جدير بكل اعتبار .

القنصل	ما قولك فيما فعل ؟

البطرك	كل هفوة مصدرها حب الوطن تعذر . وكل زلة تغتفر .

القنصل	ما رأيك في ابعاده عن لبنان ؟

البطرك	لا ابدي رأياً بذلك البتة . فاني لا أرغب في ابعاده ولا احتج .

القنصل	وما يمنعك عن ابداء رأيك ، وانت كوكب الشرق . وكل ضياء من نورك يستمد . وكل حكمة من اصابة رأيك تقتبس ؟

البطرك	ان المقام حرج . والمركز البطريركي محفوف بالمصاعب . فان ادنى كلمة يزل بها لساني ، تتناقلها الالسنة ، وتضيف عليها الشروح والتأويلات فتلحق مغبتها كل طائفتي لذلك تراني اقول قليلاً .

القنصل	وتفعل كثيراً .

(اصوات من الخارج فليحي كرم . فليحيَ بطل لبنان)

(اطلاق بارود بكثرة) .

البطرك	ان كرماً قد وصل .

(اصوات من الخارج) فليحي كرم ، فليحي بطل لبنان !

(يدخل كرم واسعد عقل عن شماله مستلاً سيفه ووراءه سمعان صالح وابو حسون والتمنوم وابن دحدح والياس مرزا)

(اول ما يدخل كرم ينهض البطرك والقنصل)

المشهد الرابع

البطرك اهلاً باعز الناس . مرحباً بكرم .

(كرم يقبل الصليب ويقبل يد البطرك ثم يصافح القنصل وكذلك يصنع رجاله . اما من الخارج فحداء باسم كرم) .

القنصل مر رجالك ليسكتوا : يا كرم . لنتفاوض في مهمات الامور . ومشكلات المسائل .

كرم قل لهم يا سمعان ليسكتوا .

سمعان عقل ان الناس كتلة لحم . وتل رمل من المعاملتين الى بكركي . ومن بكركي الى جونية . ومن جونيه الى نهر الكلب . فلا يسمعون صوتي .

كرم قل لهم : يقول لكم يوسف كرم : اسكتوا . فيسكتوا .

(يطل سمعان عقل ويصيح بصوت عالي) .

سمعان عقل اسكتوا عن امر مولانا يوسف بك كرم .

(اصوات من الخارج : فليعش كرم . فيحي بطل لبنان) .

(اطلاق بارود بكثرة)

القنصل يا رجال لبنان : ان الدولة الفرنسية والطائفة المارونية متحابتان منذ اجيال . فقد ساعد الموارنة لويس التاسع ملك فرنسا القديس في حربه الصليبية . كما ساعدوا الفرنسيين في جميع تلك الحروب . لذلك لم تنس فرنسا المنة . فاتخذت هذه الطائفة العزيزة تحت حمايتها . وكم من مرة بسطت تلك الحماية فوق رأسيا .

البطرك والطائفة مقرة بفضل فرنسة . حافظة لها الجميل . فمن عهد لويس التاسع الملك القديس : وفرنسا تغمرنا بالعوارف والنعم . فالملك لويس الرابع عشر جدد هذه الحماية واثبتها خطاً : بالكتابة والمواثيق . واعظم دليل على حب فرنسا للموارنة حمايتها لنا في المذابح الستينية : اذ ارسلت اسطولها وعساكرها الينا فوقت لبنان واهليه من الموت والهلاك .

كرم فلا عجب في هذا الحب المتبادل . ففرنسا تسمي الموارنة فرنساويي الشرق . والموارنة يسمون الفرنساويين : موارنة الغرب . وذلك لان الفرنساويين مكثوا في الشرق اثناء الحروب الصليبية زهاء مائتي سنة . فاختلطوا بالموارنة بالزواج فامتزج الدم الماروني بالدم الفرنساوي . فاصبح الشعبان شعباً واحداً .

القنصل على ان فرنسة تحب بنوع خاص كل ماروني انفرد بمزاياه نظير كرم .

كيف لا تحب من اشتهر بغيرته على مصالحها في الشرق ومصالح طائفته . كيف لا تحب من نصّبته حاكماً على نصارى الجبل ؛ كيف لا تحب من يفتخر بكون عرّابه احد ملوك فرنسة العظام لويس الثامن عشر المشهور باسم لويس فيليب ؟ واظهاراً لحبها اياه قد اتخذته تحت حمايتها فأرسلت رايتها تخفق فوق رأسه كانها تقول للملا : إن كرماً فرنساوي ومن يمس كرماً فقد مس فرنسة برمتها .

كرم	اني اقدر هذا الاكرام قدره ، مولاي .

القنصل	اتحب فرنسة ، يا كرم .

كرم	الله يعلم مقدار حبي .

القنصل	كم مقدار حبك لفرنسة ، يا كرم ؟

كرم	بعد لبنان ، احب فرنسة اكثر من نفسي .

القنصل	اذا كنت تحب فرنسا ، فلم عملت عن غير رضى منها ؟

كرم	لاني بعد الله احب لبنان . رأيت الظلم يحيق بوطني فرفعت صوتي . فنهض داود يريد أسري وقهري . ثم تذليلي وقتلي . والنفس الحرّة تأبى القعود على الذل ، والقيام على الضيم .

القنصل	اذا كنت تحب فرنسة لا ترفض رغبتها .

كرم	اذا كانت فرنسة ترغب في بذل حياتي فاني ابذلها رخيصة في سبيلها .

القنصل	يا كرم ، ترغب اليك فرنسا ان تتنحى مدة عن جبل لبنان ، وتذهب اليها ، فتقبلك بكل تجلة واكرام .

كرم	(على انفراد) اذن تدس لي الدسائس وتنصب لي الحبائل بكل لطف واحترام .

القنصل	ما بك لا تجيب شيئاً ، أفلا ترضى ؟

كرم	ان رضي الشعب اللبناني ارضى .

سمعان عقل	لا نرضى ولو صارت السماء ارضاً .

رجال كرم	لا نرضى ولو صارت السماء ارضاً .

(اصوات من الخارج) : لا نرضى ولو صارت السماء ارضاً . فليحي كرم ، فليبق كرم .

كرم	وان رضي غبطة البطريرك ، اعزه الله ، ارضى .

البطرك	لا تحملني فوق طاقتي يا كرم . فمقامي يقضي علي بلزوم السكوت والحياد .

كرم	ان رضي واحد من الجمهور الحاضر ارضى .

المشهد الخامس

(يدخل المتطلب بسرعة)

المتطلب　انا ارضي ، واغلب اعيان لبنان ترضى .

سمعان عقل　اسدد فاك ، ايها الشيخ السفيه .

المتطلب　ان وجود كرم في لبنان ضربة قاضية على البلاد . والطامة الكبرى على العباد . فيجب ابعاده وينبغي نفيه .

عقل وصالح　صه ، يا سفيه ، واسكت يا خائن .

المتطلب　انتما السفيهان الخائنان .

عقل وصالح　(يستلان السيف) ويل للسفيه . ويح للخائن .
(المتطلب يهرب) .

البطرك وكرم　لا يا سمعان ، لا يا سمعان . لا تقتلاه .
(اصوات من الخارج) ويل للسفيه . ويح للخائن .

كرم(الى الخارج) لا تقتلوه ، لا تقتلوه ، حباً بالمسيح . لا تقتلوه .

سمعان صالح　فليسلم رأس مولانا . فقد تناولته رؤوس السيوف ولم يبق له من اثر ولا خبر .

النسنوم　قد نال ما جنت يداه . وحصل على ما استحق .

ابو حسون　هكذا فليمت كل عدو حاسد .

المشهد السادس

(القنصل . كرم . البطرك)

القنصل　قل يا كرم ، فمهما تسأل ، يكن لك .

كرم　اسأل عزل داود ، لانه جلب على لبنان شراً . اطلب بالحاح الغاء الاقلام الستة ، وتخفيض الضرائب . وارجاعها الى ما كانت عليه . لانها ان بقيت على ما هي تفقر البلاد ، وتكره الناس على مهاجرة الوطن ، وهناك الطامة الكبرى .
اطلب بالحاح ان لا يمس احد من رجالي بأدنى اذى فكفى اني فقدت منهم ثلاثين كان عزمهم امضى من السيف ، وقلبهم اقوى من الحديد .

كفى اني فقدت بطل الابطال وفارس الفرسان بطرس توما الاسد الغضنفر ، وكان احب الي ان افقد حياتي واخسر اموالي ولا تفقد شعرة من رأسه .

القنصل رجالك ، رحمهم الله ، ماتوا كراماً شهداء حبهم للوطن ؛ وسوف ينالون جزاءهم في السماء .

وكلما طلبت تناله . سوف تسعى بعزل داود . ونلغي الاقلام الستة . ولا تمس شعرة من رؤوس رجالك . بل يعيشون معززين .

كرم اشكر لسعادتكم همتها العالية وغيرتها السامية .

القنصل وانت يا كرم اما ترضى بالتنحي عن لبنان مدة يسيرة ، مراعاة للظروف الحاضرة ، وملافاة للشر ؟

كرم مهما يقل غبطته افعل .

البطرك لا اقول لك اذهب ، ولا اقول لك لا تذهب ، فانت ادرى بما يناسب. على اني امنحك ببركتي حيثما وجدت .

القنصل قل ، يا كرم ، فان رضيت ترضى عنك فرنسة والدولة العلية ، وتشملانك بالالتفات السامي ، وتغمرانك بالانعام ، وترجع عن قريب معززاً مكرماً الى لبنان .

سمعان صالح رضيت فرنسا ام لم ترض. غضبت الدولة ام لم تغضب . بارك البطرك ام لم يبارك . فكرم لا يفارق لبنان ..

كرم لا تقل هكذا ، يا سمعان . فما نحن الا عبيد مخلصون ، وشرفنا بالخضوع لاوامر الدولة ، نصرها الله ، ولمشيئة غبطته ، أيده الله ولرغائب فرنسا اعزها المولى .

سمعان صالح ان خطوت من لبنان خطوة ، يسير وراءك مائة الف حيثما توجهت ، فان خمسين الف نسمة من شيوخ وصبيان وشبان وبنات ونساء منتشرون من جسر المعاملتين الى جسر بيروت ، وهم يفدونك بارواحهم ، ولا تصل اليك يد قبل ان تطأ الارجل جثثهم البادرة .

سمعان عقل كلنا متأهبون لأن نذبح على اقدام كرم ، ولا ندع احداً يمس كرامته. فان كان لا بد من ابعاده . فاننا نبتعد معه ونتخلى لكم عن لبنان ، فاسرحوا فيه وامرحوا .

القنصل . يبتعد ثم لا يلبث ان يعود. يتنحى برهة يسيرة ، برضاه ورضاكم ، ثم يعود اليكم سالماً غانماً .

المتمنوم — وان كنتم تحسبونا رجال حرب وضرب ليس الا : فاننا نعلم سياسة الدول . تموهون علينا بالمواعيد الفارغة ، لتنالوا بغيتكم . ثم تخلفون بوعدكم ، وتقولون هكذا قضت الظروف . ومتى طالبناكم بالوفاء تغلقون بوجهنا ابوابكم ، وتسدون آذانكم . فاننا لا نرضى بذهاب كرم وفينا رمق ...

(اصوات من الخارج) لا نرضى بذهاب كرم وفينا رمق .

ابو حسين — ان كان لا بد من المنفى . فانفونا . وان كان لا بد من الابتعاد ، فابعدونا . خذوا اموالنا واملاكنا واولادنا ، وابقوا لنا كرماً . احبسونا واذبحونا وليبق كرم في لبنان .

الجميع — احبسونا واذبحونا وليبق كرم في لبنان .

(يتقدم كرم ويجثو امام البطرك ويتساران مدة وجيزة . ثم يجثو ويقول له وهو يلثم يديه) :

كرم — بارك ولدك ، يا غبطة البطريرك المحبوب .

(ينهض ويقول) :

كرم — اني اخضع لاوامر الدولة العلية ، ورغائب فرنسة ، ورضا غبطته . وابتعد عن لبنان .

الجميع — ان خضعت انت ، فنحن لا نخضع ، وان رضيت ، فنحن لا نرضى .

القنصل — طب نفساً يا كرم . فلسوف يشملك ويشمل رجالك رضا الدولة وفرنسة .

كرم — اني استحلفك بالشرف الفرنساوي ، ان تقوم بمواعيدك فتلغي الضرائب وتعزل داود . ويصدر الصفح العام عن كل رجالي .

القنصل — اني احلف بشرف فرنسا .

(الى الخارج) .

ان كرماً رضي عن طية خاطر بالابتعاد عن لبنان ، الى حين . ولكم ان ترافقوه الى بيروت للوداع لا كالرجل المنفي عن بلاده ، بل كالقائد المنتصر .

(اصوات من الخارج) ان رضي كرم بالابتعاد فنحن لا نرضى . لا نرضى .

كرم — (الى الخارج) ابناء وطني ، واحبة قلبي : اني اغادركم الى حين ، واعود اليكم . فاني اذهب عن لبنان راضياً لا مكرهاً ، فبحق محبتكم لي ، ومحبتي لكم ، لا تعارضوا اوامر الدولة .

احبائي اوصيكم بتمام الخضوع والطاعة وحفظ الهدوء والسكينة ، ومحبة بعضكم بعضاً ، والاتحاد التام ، فيما بينكم . لان بالاتحاد القوة . اما انتم ،

يا رجالي الكرام : فقد اوصيت بكم غبطته : اعزه الله. وهذه وصيتي : ربع املاكي لرجالي : والربع الآخر لاهالي اهدن . والنصف الباقي لمشروع خيري في سبيل الطائفة جمعاء . واراني الله وجهكم بخير .

الجميع آه ، ما اكرمك ، يا ابن كرم ، بما اشرفك يا بطل لبنان !
(ينهض البطرك والقنصل) .

كرم (يجثو امام البطرك) زودني البركة الاخيرة .

البطرك (بكل تأثير) فلتحل عليك البركة الالهية : حيثما وجدت يا اكرم الناس .
(ينهض ويعانقه) .

القنصل (يصافح) أودعك يا كرم ، على امل المشاهدة في بيروت .
(يخرج البطرك والقنصل) .

المشهد السابع

(كرم ورجاله)

(مشهد عواطف)

قضى الزمان بهجر الاهل والوطن ، وبدد الشمل والاصحاب واحزني .
قضيت بالعز عمري والهنا فرحاً ، فجاءني الدهر بعد العز بالمحن .
وهكذا الدهر لا يبقي على احد ، حتى يجرعه من حنظل الاحن .
فان بكيت : فلا خوفاً ولا جزعاً ، لكن حزني على الاصحاب والوطن .
حزني على وطن فديته بدمي ، حزني على بلد بالحب جنني .
قربت عنه حياتي كي احرره ، بما رضيت ذوو الشحناء والفتن .
لقد عشقتك ، يا لبنان ، من صغري فزاد حبك في قلبي مع الزمن .
فكنت عندي عزيزاً لا يعادله اعز ما يقتنى من فاخر الثمن .
فلا ازال بنار الحب مستعراً ، اني احبك حتى ساعة الوهن .
فلست انساك طول العمر يا وطني ، ولست اسلو ولو ادرجت في كفني .
فان رجعت تعد للارز رفعته وان امت فاجعلوا لبنان مدفني .
وان امت فاجلبوا من غربتي جسدي ولو عظاماً تعرت من عرى البدن .
وحركوها ، تناديكم بقعقعة ، هيموا بلبناننا بالسر والعلن .
احباب قلبي قضى دهري بفرقتنا يا ويح دهر بغدر الناس مفتتن .

ان غبت عنكم بجسم مضه اسف ؛ تبقوا بقلب بمحض الحب مقترن .
الا اذكروني اذا ما شمسكم طلعت ، عند الصباح ، باعلى قمة القنن .
الا اذكروني اذا ما شمسكم افلت عند الغروب بمرأى باهر حسن .
الا اذكروني اذا اسيافكم لمعت يوم الوغى فوق هام الصانعي الفتن .
قولوا السلام على من هام منشغفاً ؛ في حب لبنان ؛ طول العمر والزمن .
مني السلام على لبنان في رجعي ، مني السلام على لبنان في كفني .

ستار

حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب

بقلم الدكتور جميل جبر

توطئة

مغامرة الاغتراب اللبناني لم تكتب بعد في فصول متلاحمة. انما هذا انعكاسات مشرقة في آثار اخوان لنا انتشروا، منذ فجر التاريخ، تحت كل سماء: منها ما جاء سرداً طريفاً لتجربة حية، ومنها ما تجسد في شعر رقيق يعبر عن امل ولوعة وذكرى ومنها ما اتخذ صيغة التزام لقضايانا الوطنية، ومنها ما تجاوز التجربة الفردية الى قضايا كل انسان في كل عصر وزمن.

وبعنينا من هذه الآثار، في بحثنا الموجز، ابرز ما خطه القلم في كل موضوع ولغة ولون ادبي.

ولكن لا بدّ لنا في البدء من تحديد « المغترب »، انه حسب العرف الدولي، كل شخص ترك بلاده واقام خارجها، اما بشكل دائم واما لمدة طويلة، تلبية لحاجات رآها ضرورية.

والمغترب اللبناني هو من قصده هذا التعريف وكل متحدر من صلبه حتى ولو اكتسب جنسية جديدة.

وهكذا اعتبرنا امين الريحاني مغترباً رغم انه قضى عمره موزعاً بين لبنان والخارج، وجورج شحاده مقيماً مع ان نتاجه ظهر بالفرنسية وفي باريس لان اقامته في الخارج موسمية قصيرة. على اننا نظرنا في الحالة الاولى الى النتاج الذي وضع او استوحي في طور الاغتراب.

دراستنا هذه لا هي احصائية شاملة ولا هي اطروحة ضخمة تستنفد الموضوع اللامتناهي الابعاد، بل هي نظرة عامة على اهم ما كتبه المغتربون منذ ابعد العصور حتى اليوم وقد توقفنا بنوع خاص عند المئة سنة الاخيرة لاتصال نتاجها بواقعنا.

وقد راعينا في تقسيم البحث مناطق الاغتراب بقطع النظر عن لغة التعبير وعن التسلسل التاريخي فبدأنا بالهجرة الى اوروبا وهي الاولى زمنياً. ثم الى مصر ثم الى العالم الجديد وسائر الاقطار البعيدة.

عسى بحثنا هذا يكون مدخلاً، سهل المنال، الى دراسة نقدية مفصلة جامعة ومفهرسة ومبوبة وحافلة بالمراجع والمصادر والتواريخ.

في أوروبة

اللبناني ميّال بفطرته الى السفر ، الى المغامرة ، الى ريادة المجهول . فكأنه ، وقد خلق على رقعة صغيرة من الارض ، يأبى ، انتقاماً من قدره ، ان يكون لفتوه حدود غير حدود المعمور ولطموحه عنان الا المستحيل . وما اكتشافه المجذاف وترويضه البحر للملاحة وتوسله النجوم للتوجيه الا تلبية لهذه النزعة . وما ابداعه الابجدية سبيل حوار بين البشر الا ليذلل بعض اخطار مغامرته الكبرى . وهكذا كانت الهجرة الفينيقية اولى هجرة سجلها التاريخ . واستمر السفر بالنسبة للبناني من مستلزمات الحياة ، على تعلقه بارض الجدود .

لا شك ان الشأن الاقتصادي كان من الدوافع الرئيسية الى الهجرة اللبنانية منذ فجر التاريخ لكنه قلما انفصل عن الشأن الثقافي الاطلاعي تلبية لحاجتي الجسم والعقل . ويذكر المؤرخون ان الفينيقيين في العهد الهلنستي ، اي بين فتح الاسكندر والفتح الروماني ، اسهموا اسهاماً بارزاً في الفلسفة اليونانية ، لاسيما في مذهبيها الرئيسيين : الرواقي والابيقوري . مؤسس المدرسة الاولى نفسه زينون ، هو فينيقي الاصل ، قبرصي الولادة ، (٣٣٥ — ٢٦٤ ق. م.)[١] وقد كتب باليونانية واللاتينية شارحاً نظريات افلاطون في السعي الى الاخوة الشاملة والسلام العالمي في ظل الدولة المثالية . وكان يولي في مذهبه الفضيلة والحقيقة المقام الاول فيرى ان من واجب الانسان ان يتحرر من نوازع طبيعته البدائية ليسمو الى الكمال . وكان زينون نفسه مثالياً في تصرفه فانعكست شخصيته على تفكيره .

لقد كان على حد قول اسماعيل مظهر « فيلسوفاً يونانياً بالواسطة وذا مزاج فينيقي » ويقول عثمان امين : « ان كان مضمون تعاليمه يونانياً الا ان نغمة صوته اقرب الى نغمة الانبياء » . كان يشعر انه مكلف برسالة يريد ان يؤديها وان يأخذ الناس بها كاملة . فكان لا بدّ له ان يساير العقلية اليونانية المولعة بالاستدلال والجدل والاقناع .

قال مثلاً : « العقل والحكمة يقتضيان ان تمجد الآلهة وليس من الحكمة ان تمجد اشياء ليست موجودة » . وهذا رأي الناقد الفرنسي اريم واكثر دارسي الرواقية .

---

(١) لم نشر هنا الا الى الكتاب الذين يثبت نسبهم الفينيقي . اما الذين ما زال نسبهم موضع شك وافتراض مثل هوميروس فقد اهملنا ذكرهم رغم ان بعض المؤلفين مثل بيرار يردون اصلهم الى الفينيقية .

قسم زينون الفلسفة الى فروع ثلاثة متكاملة هي : المنطق ، علم الطبيعة والماورائيات . ومن تعاليمه ان الله هو مبدأ الكون الفاعل وان النفس نفحة منه . اما الشهوات فهي في النفس امراض ان لم تتغلب عليها فقدت ذاتيتها وحريتها . وكان لافكاره هذه اثرها في تتاج ديوجين وسينيك .

واشهر ما كتبه زينون « المبادئ الجمهورية » ، « الحياة في الطبيعة » ، « الواجبات والجنس البشري » و « الشهوات »[١] .

ونهج بيوئس الصيدوني (القرن الثاني ق. م.) نهج سلفه فطوّر الرواقية ورفض الاعتراف بنظرية حلول الله في كل اجزاء الوجود بل في بعضها .

وفي سنة ١٥٠ ق. م. ولد في صيدا زينون اخر تولى المدرسة الابيقورية في اثينا واثار اعجاب شيشرون .

وفي سنة ١١٠ ق. م. قاد ديودورس الصوريّ المدرسة المشائية في أثينا وحاول ان يوفق بين الرواقية والابيقورية . كان يرى ان الخير الاعظم هو في الجمع بين الفضيلة وعدم الالم في اطار الحرية الخلاقة وقد تميّز ادبه بالتنوع على غنى الصور والاحاسيس .

وجلّى الكثيرون من الأدباء الفينيقيّي الاصل في الخطابة المرتجلة وفي الادب الساخر وفي الشعر الاخلاقي كما تدل هذه المقطوعة الشعرية على ضريح قديم نظمها انتيباتر الصيدوني المولود في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد :

« لماذا يبكي اولادنا ؟ الآلهة ذاتها لا تنجي اولادها من سنّة الموت » .

وكان انتيباتر هذا ابيقوري المذهب . ومن مأثور اقواله : « دعنا نشرب فالحق هو ان الخمر مطية الطريق . والسائرون على اقدامهم انما يختصرون الطريق الى جهنم » . ولعله اول من ذكر عجائب الدنيا السبع . وقد انطوت مجموعة الروائع اليونانية (الانتولوجيا) على بعض مختارات من شعره . اما سميّه الصوري ، معلم كاتون ، فقد انصرف الى الفلسفة في خط رواقية زينون .

ومن جبيل اشتهر المؤرخ واللغوي فيلو (٦٤–١٦١) ببحوثه في اليونانية . الا ان آثاره ضاع بعضها ولم يبق منها الا نزر اشار اليه بوسيبوس في بحثه في تاريخ الكنيسة المسيحية . ويبدو ان فيلو استند الى بحوث مواطنه سنكورياتون في الميتولوجيا وعلم نظام الكون والدين وتاريخ المدن الفينيقية . ومما يقوله هذا في نشأة الكون :

(١) بنى له اهل اثينا ، اقراراً بفضله ، ضريحاً من السيراميك ونصبوا عليه تاجاً من ذهب .

« كانت في البدء ريح قائمة كدرة عاصفة منتشرة في كل مكان . وبعد حقب من الدهر شغفت تلك الريح بروح الحياة فيها ، فاقترنت بها حباً بوصالها ، فنشأ عن ذلك الاقتران مادة هلامية . او سائل كدر . ومن هذا السائل الكدر ولدت جرثومة الحياة ، ونشأ الكون » .

اما فيلو فقد كتب عن الدين الجبيلي وذكر انه كان قائماً على اساس البعث والفداء ومما قاله في هذا الصدد :

« من عادة الاقدمين انهم كانوا في نكباتهم يقدمون الاطفال قرباناً للآلهة يسترضونها ويسترحمونها فلا تبلك النكبة الواحدة جميع الناس » .

وفي حقل البحث العلمي اشتهر عهدئذ مارينوس الصوري مؤسس الجغرافيا الرياضية ويعتبر اول من وضع خطوط العرض والطول لتحديد الموقع الجغرافي الدقيق ممهداً السبيل امام بطليموس .

وبرز في الأدب اليوناني كذلك دوروتيوس الصيدوني (القرن الثاني) . ومن اهم آثاره ملحمة حول اسرار الكواكب وعجائبها ، ومكسيموس الصوري (القرن الثاني) معلم مارك اوريليوس وصاحب البحوث الماورائية المبتكرة . كان يقول بالله اعلى غير منظور وبالوهة النفس ويعتقد بان الشياطين وسائل تستخدمها العناية الالهية لفرض هيبتها على البشر . ولونجينوس (٢٢٠–٢٧٧) وزير زنوبيا ملكة تدمر ، ومؤلف « بحث في الروائع » (وقد شك بعضهم في نسبته اليه) وواضع اسس النقد الادبي الاصولي . وموخوس الشاعر الغزلي وفرفوريوس (٢٣٤–٣٠٥) واسمه الحقيقي « مالك » وقد تعلم على مواطنيه ابولينيوس ولونجينوس الغراماطيق والبيان . واقام في رومة يلازم افلوطين ويشرح مذهب الافلاطونية المستحدثة التي تولى قيادة مدرستها بعد موت المؤسس . ومن آثاره بحوث خاصة بافلوطين وقد نشر له « التاسوعات » ودرس في صور الآلهة وبحث في عودة النفس الى الله و « بحث في الزهد » وسيرة فيتاغوروس ، ومقدمة للمقولات ، . وهو صاحب اول تعليق افلاطوني مستحدث على فلسفة ارسطو .

من العهد الروماني الى الصليبي

في بداية حكم اغسطس قيصر نزحت جماعات من اللبنانيين الى الولايات اللاتينية الغربية . فكان منها وكلاء تجارة ومنظمو حفلات وكهنة وجنود وبلغت هذه الهجرة ذروتها ايام الاباطرة المتحدرين من الاسر اللبنانية السورية (١٩٣–٢٣٥) . فازداد انتشارهم واتسع نفوذهم الى حد جعل الكاتب

الروماني جوفنال يقول : « ان نهر العاصي (النابع قرب رأس بعلبك والمار بسوريا) يصب منذ امد بعيد في نهر التيبر جالباً معه لغته وعاداته والقيثارة واوتارها » ولا عجب فقد كانت المدن الفينيقية ، على حد قول سترابو ، اعظم مدخر للمعرفة . وقد تميزت صيدا بنوع خاص ، كموطن الفلاسفة في علمي الفلك والرياضيات .

ولما برزت بيروت « بريتوس » كجزيرة لاتينية في بحر اهلينية الشرقية في القرن الاول بعد المسيح تألق بروس في الأدب اللاتيني في روما فتصدى لنقد كبار الشعراء كفرجيل وهوراس واسهم في تركيز الادب الكلاسيكي على اسس ثابتة . وانطلق من منابر مدرسة الحقوق البيروتية فيما بعد رهط من علماء القانون وبينهم بابنيان واوليان الشهيران اللذان اسهما في ادارة الامبراطورية الرومانية واغنيا الفقه الروماني ببحوثهما الحقوقية الاصيلة .

اما النازحون من قرطاجة (ابنة صور) فعددهم كبير حسبنا ان نذكر منهم تيرنس (١٩٠–١٥٧ ق. م.) الشاعر الهزلي الذي حذا حذو كبار المؤلفين الاغريق في مسرحياته الست واهمها « الاخوان » « والخصيان » وتميز بدقة الوصف والتحليل النفساني في اسلوب انيق ، والقديس اغوسطينوس ، اشهر آباء الكنيسة اللاتينية (٣٥٤–٤٣٠) ومن روائعه « الاعترافات » و « التأملات » و « النعمة » و « حرية الضمير » وقد حاول ان يوفق بين الافلاطونية والسر المسيحي وبين العقل والايمان على اعلى مستويات البحث المنطقي والفكر اللاهوتي .

ولئن لم نتبسط في درس هؤلاء الكتاب فلأننا لسنا على يقين تام من تحدرهم اللبناني مع ان المغتربين من الشاطئ الفينيقي الجنوبي كانوا كثرة واستمروا متعلقين بفينيقية حتى اصبحوا ، على حد قول سالوست : « عقد الوطن الام وموضوع اعتزازه » وكانت العلائق الدينية اشد ما يربطهم بها فكانوا يجزلون النذور والعطايا حتى ان ما كان يرسل منها الى هيكل ملقرت في صور كان يبلغ سنوياً عشر دخل قرطاجة الحكومي كما يؤكد س. جسل .

وهنيبعل نفسه بعد موقعة زاما سعى الى التحالف مع ابناء عمومته الفينيقيين على حد ما يروي دوروي في تاريخه عن الرومان .

اما في العهد التالي : فيقول الدكتور حتي في « تاريخ لبنان » ما خلاصته : « ان اللبنانيين الرومانيين كتبوا فصلاً مجيداً في تاريخ الهجرة يليق بهم كاحفاد الفينيقيين واجداد الاجيال الحديثة فازدهرت جالياتهم في رومة .

وكانت مواطن الهجرة التي تلقت الموجات الاولى الموانئ الرومانية ولا سيما بتيولي واوستيا وسيراكوز في صقلية وبيرابوس وغيرها من موانئ اليونان وجزر الارخبيل الاغريقي. ومن هناك تغلغل المهاجرون في داخل اوروبة متبعين مجاري الانهر والطرق التجارية العمومية. وفي وادي الدانوب اوغلوا حتى سرميوم في الشمال الشرقي من يوغوسلافيا، وفي وادي الجيروند وصلوا الى بوردو وفي وادي الرون وصلوا الى ليون. وعثر على مزهريات تحمل تواقيع صيدونية في جنوبي روسيا وعلى نقوش في ملقا (اسبانيا). وفي عام ٥٨١ انتخبت الجالية اللبنانية السورية في باريس احد اعضائها اسقفاً على المدينة». وكان من نتيجة هذا الاتصال تكاثف في التبادل الفكري بين لبنان والغرب واسهام فعال في نشأة الحضارة الاوروبية في بدء القرون الوسطى على حد قول البروفسور بربيه في دراسة له عن الهجرة السورية — اللبنانية الى اوروبة :

«ان التجار غير المعروفين الذين جاؤوا، بهدي الفطرة العريقة، يسعون وراء الثروة في البلدان البربرية في الغرب قاموا بعمل خصب. حين كانت الحياة تزداد خشونة والاخلاق شراسة تحت تأثير البربرية كانت الحضارة التي اتوا بها الى اوروبة اللاتينية مبدأ رفيعاً. بفضلهم تقلص اثر البربرية في اوروبة وبتأثيرهم نما الميل الى الترف الذهني والفن والأدب هذا الميل الذي مهد للنهضة الكارولنجية. ولا يجوز ان تدرس الحضارة الاوروبية دون ان يذكر اسهام السوريين واللبنانيين فيها في بداية القرون الوسطى».

ولكن لم يبق شيء يذكر من آثار هؤلاء المغتربين الادبية.

لما انتشرت السريانية في لبنان اعتمدها الكتاب وسيلة تعبير لم لكن اشهر من كتبوا فيها كانوا من المقيمين وقد تأثر بعض المهاجرين الى انطاكية بالقديس افرام السرياني وشعره الصوفي.

وفي العهد الصليبي برز كتاب لبنانيون باللاتينية كان من اهمهم بين المغتربين وليم الصوري (توفي سنة ١١٩٠) وزير المملكة في القدس ورئيس اساقفة صور ومؤلف التاريخ النموذجي لمآتي الفرنج. واستمر نتاج اللبنانيين في مختلف الوان الأدب ممتزجاً باداب البلدان التي عاشوا فيها واصبحوا من مواطنيها على تقادم العهد وانقطاع الصلة مع الوطن الام في عهد المماليك. الى ان كانت صفحة جديدة من الاغتراب اللبناني الاطلاعي في التاريخ الحديث.

في التاريخ الحديث

اسس البابا غريغوريوس الثالث عشر الكلية المارونية في رومة سنة ١٥٨٤ فتخرج منها الكثيرون وعادوا الى لبنان واستقر بعضهم في رومة او انتقل الى ميلانو ومدريد وباريس وغير مدن فكان لهم دور بارز في ادخال الدراسات الشرقية الى معاهدها وفي نشر الثقافة الشرقية. وكانوا كما يؤكد الدكتور فؤاد افرام البستاني في اساس حركة الاستشراق.

من الرعيل الاول الذي بقي في رومة جبرائيل الصهيوني (١٥٧٧–١٦٤٠) الذي اصبح ترجمان لويس الثالث عشر وأسهم في تصنيف التوراة الباريسية المتعددة اللغات وكانت اول توراة ضمّت ترجمات سريانية وعربية. وترجم بعض الآثار العربية التي لها علاقة بالمذهب الماروني وتاريخ لبنان الى الفرنسية والايطالية[1]. وقد شاركه في معظم اعماله ابراهيم الحاقلاني (١٥٩٤–١٦٦٤) الذي خلفه سنة ١٦٤٦ في كرسي استاذ اللغات السامية في «الكوليج رويال» الذي صار فيما بعد «الكوليج دي فرانس».

وبين الذين لمعوا في رومة يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧–١٧٦٨) الذي تولى ادارة مكتبة الفاتيكان فجعل منها اغنى مكتبات العالم بالمخطوطات الشرقية وقد لخص مضمون هذه المخطوطات: ولا سيما السريانية والعربية والعبرية والتركية والارمنية والفارسية والحبشية والمالابارتية في مؤلف ضخم عنوانه «المكتبة الشرقية» او الكليمانتينا الفاتيكانية باللاتينية: وترجم آثار القديس افرام الى اللاتينية وكتب فيها تاريخ مملكة نابولي وايطاليا في اربعة مجلدات ومجموعة المؤرخين الايطاليين وساعده ابن اخته اسطفان عواد السمعاني (١٧٠٩–١٧٨٢) في بعض اعماله ووضع بالايطالية كتاب المحاماة عن القديس يوحنا مارون وترجم الى اللاتينية التاريخ السرياني لابن العبري.

وفي منتصف القرن التاسع عشر اشتهر في عالم الاستشراق الفرنسي ناصيف المعلوف (١٨٢٣–١٨٦٥) استاذ اللغات الشرقية وعضو الجمعية الاسيوية في باريس وصاحب البحوث في التركية والفارسية والفرنسية ومؤلف المعجم الفرنسي التركي. ولم يقتصر اسهام اللبنانيين على الاستشراق الفرنسي والايطالي بل تعداه الى الاستشراق الاسباني والانكليزي والالماني والروسي.

وقد قام اللبنانيون خريجو مدرسة رومة بدراسات في التاريخ واللغات

(١) حفر اسمه على سبيل التقدير فوق مدخل «الكوليج دي فرانس».

الشرقية اثناء تدريسهم في معاهد باريس وروما وسالامانكا والاسكوريال واكسفورد ولشبونه ووضعوا بحوثاً عدة تناولت تاريخ الموارنة وفخر الدين واسهموا في ترجمات الى اللاتينية تتسم بالطابع اللاهوتي او بالطابع التاريخي نذكر منهم على سبيل المثال الحصروني ومرهج الباني المعروف بأسم فوستوس نيرون واضع اول دراسة جدية عن البن وخصائصه والمطران نعمة الله ابي كرم والاب بولس مسعد.

وفي اسبانيا كان مخايل الغزيري[1] والياس الشدياق وخوان سوزا يد في نشر وتحقيق وترجمة بعض المخطوطات العربية القديمة.

ومن ابرز الذين اسهموا في الاستشراق الانكليزي في هذه المرحلة التاريخية، اسعد الخياط الذي عرف بكتابه «صوت من لبنان» (بالانكليزية) وهو مجموعة مذكرات او بالاحرى سيرة ذاتية وصف فيها حياته ومغامراته بين سنتي ١٨١١ و ١٨٤٧ والاجواء الشرقية والعادات والتقاليد ودون انطباعاته بالنسبة لاتصالاته الكثيرة بمختلف الشعوب الاوروبية والعربية وقد تميز كتابه الطريف بالاسلوب المرح على عفوية وطلاقة وصراحة قال مثلاً في وصف العادات الشرقية ونقاب النساء:

«عزمت على تنفيذ العمل لاطلاق حرية السيدات بالسماح لهن ان يسهمن مع الرجال في المجتمع وقررت ان تكون عائلتي المثل الاول.

«من التقاليد الواجبة في الشرق ان يكون موعد حفلات الاعراس في الليل. فالسيدات «ينقطن» العروس والرجال «ينقطون» العريس ويسيرون جميعاً امامه بالشموع. وترافق السيدات ازواجهن مسدلات انقبة كبيرة من الشيت: قياس واحدها خمسة عشر يرداً، فتستقبلهن ام العروس وتقودهن الى مخدعها. اما الرجال فيذهبون الى ديوان العريس.

«ولما كنت قد تزوجت في الجبال في احوال شاذة ولم تكن ثمة مناسبة لمراعاة التقاليد المعروفة، قرر اصدقائي ان يطبقوها علي ولو بعد حين.

«فاجتمع جمهور من اصدقائي واتوا مع زوجاتهم ليقوموا بواجب التهنئة. فلما وصلوا الى البستان اخذ احدهم يواصل السعال تنبيهاً باقترابهم. لان السعال المصطنع عندنا هو بمثابة الاجراس الصغيرة التي يستعملها الانكليز لهذه الغاية وهو كذلك اشارة تنبيه لنساء العائلة لينسحبن الى الحجرات الداخلية عند قدوم الرجال. عندئذ اوصيت زوجتي ان تكون جريئة لاني لن احجر عليها لتستقبل صديقاتها على انفراد فقبلت على مضض وبقيت الى جانبي.

(١) وضع قاموساً بخمس لغات: العربية والاسبانية والانكليزية واللاتينية والفرنسية.

« سمعت سعالهم للمرة الاولى فلم افتح لهم ، ثم الحوا وسعلوا للمرة الثانية وانا لا اتحرك ولما عيل صبرهم نادوا عالياً فاطللت عليهم من النافذة وقلت : اهلاً وسهلاً . اني متأثر جداً لحالتكم اذ يبدو لي انكم جميعاً مصابون بنزلة صدرية . ادخلوا فلعلي اتمكن من شفائكم » . وعلى هذا النحو التهكمي يستمر في سرد انطباعاته وذكرياته .

احمد الشدياق

وصرف أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤–١٨٨٧) بعض نشاطه في خدمة الاستشراق . فهو بعد رحيله من لبنان اقام في مصر تسع سنوات دارساً ، مؤلفاً ؛ ثم انتقل الى مالطة تلبية لطلب المرسلين الاميركيين ؛ فصحح مطبوعاتهم فيها طوال ١٤ سنة سافر بعدها الى انكلترا حيث صرف سنوات في ضبط عبارة الكتاب المقدس لجمعية التوراة ثم سافر الى باريس ومنها الى تونس حيث تولى تحرير جريدة الحكومة الرسمية « الرائد التونسي » . واستدعاه بعد حين السلطان عبد المجيد الى تركية فاصدر فيها مجلة «الجوائب» بمساعدة ابنه سليم ومات هناك[1] .

لقد وفرت له رحلاته هذه مادة غنية لقلمه فوصف الاوروبيين بدقة في كتابيه « الواسطة في معرفة مالطة » و « كشف المخبا » وباسلوب ساخر لاذع . ومما قاله في وصف الانكليز : « لا يكاد احدهم يضحك ضحكاً طبيعياً وانما هو عبارة عن قبقهة ثم يعقبها الكتم والعبوس . فكأن الضحك منهم قوة من القوى فهم يكتمونه ما امكن مخافة ان تخرج منهم تلك القوة » .

واتاحت له رحلاته الى الغرب فرصة الاطلاع على التطور فيه . فعز عليه ان يبقى الشرق راتعاً في الجهل والتقليد الاعمى : « صار اكثرنا كالقبور المكلسة بيضاء الظاهر وليس في باطنها غير الدود » . ويعزو تأخر الشرق « الى جهل عامته واستبداد خاصته وخيانة زعمائه وتعصب رؤسائه » .

بيد ان اهم آثاره هو « الساق على الساق في ما هو الفارياق » وهو سيرة ذاتية وصف فيها حداثته في لبنان ومدرسته الاولى ورحلاته العجيبة الغريبة على الطريقة الجاحظية ، ليس فقط من حيث التهكم بل كذلك من حيث الاستطراد للبحث اللغوي او للوصف او للنكتة . وقد قال في مقدمة الكتاب انه جمع فيه بين امرين : احدهما ابراز غرائب اللغة ونوادرها

---

(١) اوصى بان ينقل جثمانه الى لبنان .

والثاني ذكر محامد النساء ومذامهن. وبطلا الكتاب هما الفارياق (المؤلف نفسه وقد اشتق اسمه من فارس الشدياق) والفارياقية زوجته. ومن خلال الجدل حول مدح المرأة وذمها يعبر الشدياق عن آرائه في المرأة الشرقية ورقيها وكان بعد المعلم بطرس البستاني من اول الداعين الى تعليم المرأة.

ودلالة على اسلوبه البارع نورد هذا الاستشهاد للفارياق بالنبي سليمان في افضلية الرجل على المرأة:

«قد وجدت بين الف من الرجال صالحاً. فاما بين النساء فلم اجد صالحة. فردت عليه الفارياقية بقولها: «ان سيدنا سليمان وان يكن قد اوتي من الحكمة ما لم يؤته غيره: الا ان افراطه في النساء شوّش عليه الصالحة منهن من غير الصالحة. الا ترى ان بائع المسك لطول ائتلافه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة».

وعدا النكتة اللبقة نجد في هذا المقطع نموذجاً من اسلوب الشدياق الذي تميز بسلامة التعبير على بساطة وبقدرة على اختيار الالفاظ التي تناسب المعنى.

وللشدياق في اللغة بحوث كثيرة منها في نقد المعاجم ومنها في البحث النحوي او البياني. وكانت مناظرته الشهيرة مع ابرهيم اليازجي مرجعاً وثيقاً في هذا الباب. وله في الشعر ديوان سار فيه على النهج التقليدي مبنى ومعنى.

الصحافة العربية

اما «الجوائب» مجلة الشدياق فقد تضمنت عدا حقولها السياسية في خدمة السلطان منبراً لاقلام معاصريه في البحوث والحكايات والمقامات والشعر وسائر الوان الأدب.

ولم تكن «الجوائب» الصحيفة العربية الوحيدة التي تولاها اللبنانيون في اوروبة: ولا «الرائد التونسي» في افريقيا الشمالية. فقد اصدر رشيد الدحداح (١٨١٣–١٨٨٩) جريدة عربية في باريس اسمها «برجيس باريس انيس الجليس» سياسية نصف شهرية راقية المستوى (عربية وفرنسية) تبحث في شؤون الشرق عامة وتتوجه الى قراء العربية في فرنسا وخارجها وتترجم الكثير عن الصحافة الفرنسية. وصدرت عدة صحف عربية بعدئذ في فرنسا منها «المرصد» (١٨٩٣) ليوسف الحاج و «كشف النقاب» (١٨٩٥) لامين

رسلان و «تركية الفتاة» لامين رسلان وخليل غانم و «جريدة باريس» لجورج مسرة ونجيب طراد سنة ١٩٠٨.

وفي انكلترا كانت ابرز الصحف العربية تلك التي اصدرها الدكتور لويس صابونجي اي «الخلافة» وكانت غايتها محاربة الخلافة العثمانية باعتبار انها مغتصبة من حقوق العرب. و «النحلة» علمية الاتجاه و «مرآة الاحوال» سياسية عامة[1] ثم «رجع الصدى» لسليم سركيس.

وظهرت سنة ١٨٨٠ في غلياري (سردينيا) جريدة المستقل ليوسف باخوس ثم انتقلت الى باريس. وظهرت في تونس «البصيرة» لنجيب ملحمة وفرج الله تمور واصدر هذا منفرداً «لسان المغرب» في طنجه وظهرت بعدها في تلك المدينة جريدة «التجر» لنعمة الله النحداح و «الصباح» لوديع كرم. وفي المغرب أنشأ عيسى فرح وسليم كسباني اول صحيفة واسمها «المغرب».

لم تكن هذه الصحف واسعة الانتشار لحد يجعل لها اهمية توجيهية بالغة؛ لكنها على كل حال كانت اداة تعريف بالاحوال السياسية والثقافية العامة على مستوى النخبة.

على غرار الشدياق قام بعض اهل القلم برحلات الى العالم العربي واوروبة والى الشرق البعيد في سبيل اغراض ثقافية وسياسية نخص بالذكر اثنين هما سليمان البستاني وشكيب ارسلان.

سليمان البستاني

بعد ان مارس سليمان البستاني (١٨٥٦-١٩٢٥) التدريس والصحافة في لبنان ودرس الانكليزية والفرنسية والايطالية واليونانية والتركية وألم بلغات غيرها تابع دراستها في اسفاره السندبادية أمَّ العراق وجال في جزيرة العرب واختلط بالقبائل دارساً احوالها ثم عاد الى البصرة فأنشأ فيها مدرسة وجريدة وعمل قاضياً ثم تنقل بين العراق واليمن وحضرموت فسجل بعض رحلاته في «المقتطف» وعاد الى بيروت ولكن لم تطل اقامته فيها فمضى الى الاستانة ومنها الى مصر ثم الى العراق من جديد فالهند ففارس واستقر آخر الامر على ضفاف دجلة الى ان انتدبته الدولة العثمانية لرئاسة القسم التركي في معرض شيكاغو. ولما عاد الى الاستانة وشهد مآسيها كتب «عبرة وذكرى».

(١) كان يكتب معظم المقالات بخطه الجميل ويطبعها على مطبعة حجرية.

اولع البستاني بالشعر القصصي والاسطوري منذ حداثته . استهوته الالياذة بنوع خاص فلازمته في اسفاره ، الى رؤوس الجبال وعلى متون البواخر . وفي قطر الحديد ، فكانت ترجمته ذا « وليدة اقطار العالم الاربعة » وقد ظهرت هذه الترجمة مع مقدمتها الطويلة في القاهرة سنة ١٩٠٣ فاستقبلنا كحدث ادبي جبار . واشاد ابراهيم اليازجي في « الضياء » بروعة الترجمة « التي سدت ثلمة في العربية » . لكنه رآها « ضئيلة رغم اهميتها بالنسبة للمقدمة » .

تولى البستاني مناصب رفيعة جداً في الاستانة وكان على رأس وزارة الزراعة والصناعة والتجارة والمعادن يوم قررت الحكومة العثمانية بيع غور بيسان بفلسطين من شركة صهيونية فاحتج وهدد بالاستقالة فاضطر انور باشا ان يمزق العقد فبقي الغور ارضاً عربية . وألم به داء عضال في شيخوخته فقصد الى سويسرا مستشفياً وهناك نظم قصيدتيه الشهيرتين « الداء » ثم « الشفاء » . وقال فيهما :

ألم تسأم وعيشك بات مراً تزيد من لظى الآلام جمرا
وجفنك لا يذوق الغمض سهداً وقد هجعت عيون الناس طرا
ذكرت لبنان فهاج الحنين فؤادي . العاني بذاك العرين
قد عز مناه طوال السنين

وسنجد اصداء كثيرة لهاتين القصيدتين في الشعر المهجري الجنوبي .

مهما تكن اهمية الآثار التي تركها البستاني فانه يبقى في تاريخ الادب كمعرب الالياذة وصاحب مقدمتها . لقد كان اميناً للروح وللجو بقدرمايسمح به التعريب الشعري من لغة غريبة عن الساميات كاليونانية . وقد روّض القوافي لتنسجم مع مقاصد هوميروس وايقاع شعره ، فاذا هي تتغير كل بيتين او اربعة او ثمانية . اما المقدمة الطويلة المفصلة التي تشكل بحد ذاتها اثراً ادبياً مستقلاً فقد شرح فيها الالياذة ورموزها ومغلقاتها استناداً الى مئات المراجع في لغات عدة ، وناقش آراء الذين انكروا وجود هوميروس واعتبروه اسماً وهمياً لمجموعة متعاقبة من الشعراء وبرهن على وحدة شخصية المؤلف مستنداً الى الوحدة في وصف الاشخاص وفي النفس الملحمي وفي الاماكن كما في السياق المتكامل . وتناول طرق التعريب في الماضي وما يؤخذ عليها وقارن بين الالياذة والقصائد العربية القديمة فبيّن المتحول منها واسبابه واشاد بالاسواق الشعرية وفضلها في توحيد لهجات القبائل وتنقية الشعر وبفضل القرآن في حفظ العربية . وحلل اهم التراث الشعري العربي واثبت

ان معظمه دار في فلك الغنائية وما الملاحم المزعومة فيه الا مطولات تروي قصص البطولة في جو ملحمي خيالي ليس الا . وتطرق الى مناهج المولدين في تمحيص الشعر فاستوقفته براعة الاندلسيين في موشحاتهم بقدر ما استهجن تقليد المحدثين ؛ فكان في درسه التحليلي المنطقي هذا واضع اسس البحث العلمي الحديث والنقد والادب المقارن .

شكيب ارسلان

اما الامير شكيب ارسلان (١٨٦٩–١٩٤٦) ، الذي شغل مراكز ادارية كبيرة في لبنان فقد انتخب سنة ١٩٠٨ ؛ بعد إعلان الدستور ، نائباً في المجلس العثماني فاقام في اسطنبول وأيد العهد العثماني ظناً منه انه يخفف وطأة الظلم عن بلاده ، وحارب مؤيدي القومية العربية التي نشأت في الاصل لتحرير البلاد العربية من الطوق العثماني . لكنه بعد زوال الخلافة ومجيء اتاتورك بعد الحرب الاولى انضم الى الحركة القومية العربية التي بدأت تتخذ معنىً جديداً وجنّد بيانه المشرق في خدمتها .

وفي عهد الانتداب عاش الامير منفياً في برلين حتى سنة ١٩٢٥ يدير مجلته العربية « لواء الاسلام » ثم انتقل الى جنيف ليكون قريباً من جمعية الامم . وقد اسهم فعلاً في معظم المؤتمرات الدولية التي تناولت استقلال لبنان وسورية وفلسطين . وفي سنة ١٩٣٠ انشأ مع احسان الجابري مجلة شهرية فرنسية اسمها « الامة العربية »[1] وكان على اتصال وثيق بالصحافة في لبنان ومصر . وتنقل شكيب ارسلان في اوروبة ثم زار اميركا واتصل باللبنانيين المغتربين ليثير حميتهم للنضال في سبيل القضايا الاستقلالية .

اهم آثاره : عدا الرسائل والمقالات الكثيرة التي تتناول السياسة والنقد والاجتماع : مخطوطات حققها ، منها : « الدرة اليتيمة » لابن المقفع ، ودراسة عن شوقي عنوانها : « شوقي او صداقة اربعين سنة » ودراسات في تاريخ العرب منها « غزوات العرب في فرنسا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط » و « تاريخ العرب في الاندلس » و « الحلل السندسية في الاخبار الاندلسية » و « لماذا تأخر الاسلام » ، ومجموعة قصائد وطنية وغنائية .

كان شكيب ارسلان على تمسكه بالقديم ، لا سيما في مقدمات كتبه حيث يسترسل احياناً في السجع وفي التذويق البديعي ؛ يسعى الى مجاراة

(١) ظهرت في جنيف سنة ١٩٦٣ مجلة لبنانية باللغة الفرنسية «الافكار» لم تعش اكثر من سنة .

التطور في اختيار العبارة الرشيقة القريبة المنال ضمن حدود الاناقة . وكان يدعو الى اقتباس العلوم من مصادرها القصية لان لا نهضة للعرب بدونها وينتقد اولئك الذين كانوا ينفرون منها « كأنها من عمل الشياطين ؛ فيقضون اعمارهم في درس العلوم اللسانية والدينية مما لا شك في ضرورتها لانها قوام اللغة والعقيدة ، ولكنه لا يغني اصلاً عن العلوم الطبيعية التي هلك اليوم من اهملها » .

٥

وثمة كتّاب آخرون غير الذين هاجروا الى مصر والى العالم الجديد، الذين سيأتي ذكرهم في فصلين مستقلين ، هاجروا الى فرنسا وانكلترا وكتبوا بلغتيها لاسماع صوت لبنان الى العالم الغربي وتوضيح قضاياه خاصة وقضايا العرب عامة فضلاً عن الاستزادة من المعرفة والانطلاق في اجواء ارحب . ومنهم من وزع اقامته بين باريس والاستانة كناصيف منعم المعلوف (١٨٢٣ — ١٨٦٥) الذي اتقن عدة لغات فترجم عن الفرنسية والتركية والانكليزية واليها ووضع معجماً بالفرنسية والتركية و « مبادئ القراءة بالعربية والتركية والفرنسية » و « مختصر التاريخ العثماني » (بالفرنسية) .

بالفرنسية

كثيرون هم الذين سافروا الى فرنسا بعد رعيل المستشرقين الاول وبرز بينهم من الكتاب والصحفيين عدد محترم . من هؤلاء :

نجيب عازوري وقد نشر دراسة تحليلية عنوانها « نهضة الامة العربية في آسيا التركية » حاول فيها محاربة فكرة عثمنة الشرق العربي ومحو شخصيته .

ميشال سرسق وقد كتب اسطورة مسرحية بعنوان : « قسم عربي » مثلت بنجاح على مسرح الامبيغو .

بولس نجيم (وقد وقع باسم جوبلان المستعار من قبيل الحذر) وقد كتب « مسألة لبنان » ظهرت طبعتها الاولى في باريس سنة ١٩٠٨ . وهي دراسة علمية ضخمة تناول فيها واقع لبنان الجغرافي والتاريخي بتفصيل دقيق وتوقف خصوصاً عند عهد فخر الدين واوائل القرن التاسع عشر حين استعاد لبنان استقلاله الذاتي ثم عند مرحلة التدخل الاوروبي بين سنتي ١٨٤٠—١٨٤٥ واختلاف اهدافه السياسية ، ووصف المؤسسات اللبنانية القائمة في ذلك العهد والثورة الديموقراطية الاولى من نوعها في الشرق ، ونقطة ١٨٦٠ السوداء

في تاريخنا. وقد رام من كتابه لفت الدول الاوروبية الى الحقيقة اللبنانية كسباً لتأييدها استقلال هذا البلد. وتميزت الدراسة بالاسلوب التحليلي الرصين على بساطة.

خليل غانم (١٨٥٧–١٩٢٣) اسهم في تحرير «الفيغارو» و«جورنال دي ديبا» في قسم السياسة الشرقية. ونشر سنة ١٨٩٩ سيرة شعرية للمسيح ثم دراستين تاريخيتين «سلاطين بني عثمان» و«تربية امراء بني عثمان» وكان قد عاش في الاستانة وتولى الترجمة في وزارة الخارجية التركية ثم انتخب نائباً في المجلس فتميز ببلاغته وشجاعته. نفاه عبد الحميد فاستقر في فرنسا حيناً ثم عينته هذه الدولة سفيراً لها في تونس. وفي دراستيه يبين اسباب انهيار السلطنة العثمانية التي سميت بالرجل المريض بسبب الاستهتار والاستئثار والاستبداد واللامسؤولية على صعيد الحكام في مختلف العهود.

شكري غانم (١٨٦١–١٩٢٩) اسهم في تحرير مجلة «لاكورسبوندنس دوريون» التي انشأها مواطنه الدكتور سمنه ونشر ديواناً عنوانه «اشواك وازهار» ورواية عنوانها «دعد» مستوحاة من التاريخ العربي ومسرحيات عدة مثلت على مسرح الاوديون منها: «وردة او زهرة الحب» و«ساعة من الف ليلة وليلة» و«تيمورلنك والنسور التسعة» و«عنتر» وهي اشهرها وقد وضع موسيقاها الفنان الروسي الشهير ريمسكي كورساكوف. وقد مجد فيها تاريخ العرب وابرز عناوين حضارتهم على مستوى ارفع مما في سائر كتبه وذلك دفاعاً عن قضية تحريرهم من النير العثماني. وبلسان البطل الذي صار اسطورة عبّر المؤلف عن ارادة التحرر وعظمة التضحية في المقاومة باسلوب ملحمي بليغ.

خيرالله خيرالله (١٨٨٠–١٩٣٠): وقد حرر في «المجلة الاسلامية» وفي جريدة «الطان» الكبرى حيث تولى القسم الشرقي في عهد مديرها اندريه تارديو سنة ١٩١٠. وقد نشر سنة ١٩١٩ دراسة سياسية عن المناطق العربية المحررة وكتاباً تاريخياً عنوانه: «سوريا» ولم تكن قد توضحت له فيه الفكرة الاستقلالية كما توضحت لبولس نجيم.

وكثرت الكتب عن سوريا بالفرنسية عهد ذاك وقد ربط معظمهم مصيرها بمصير لبنان باعتبار وحدة المأساة في ظل الحكم الظالم المشترك. ومن ابرز هذه الكتب «سوريا الغد» لندره مطران.

تغلب الطابع السياسي الملتزم على نتاج اللبنانيين في فرنسا حتى بداية

الانتداب الفرنسي . فجاء ادبهم نضالياً امتزج فيه البحث التاريخي بالشعور القومي وارادة التحرر واسهم فسان جاماتي وعباس بجاني في مقالاتها الصحفية بهذه الحملة التحررية . اما في نصف القرن الاخير فتحولت اقلام الكتاب الى الادب المنطلق من كابوس الطغيان . فالشاعر الطبيب شارل خوري المولود في باريس ١٩١٠ يدور في فلك الرومنطيقية العذبة حيث الكآبة تمازج الحنين الى المجهول في ديوانيه « ساعات ضائعة » و « من ضفة لضفة » (الذي توجته الاكاديمية الفرنسية) وكذلك الشاعر بول جاماتي . لكن الكآبة الرومنطيقية عند هذا تغلف مرارة عميقة . فهو في ديوانه « ريح الخريف » الذي صدر بعيد انفجار يوم كان جو فرنسا ما زال عابقاً بالدخان الخانق يصور وحشة الانسان بعنف وثورة وفي « مقطوعة لمونيك الميتة » مرثاة مؤثرة لابنته في انطلاق العاطفة الشرقية التي لم يضعفها التطبع في الغرب . يقول فيها :

« عندما استراحت بروعة جماها

« حلت الشيخوخة منا في القلوب »

لكنه في ديوانه « شموس » و « باريس في المانيزيوم » و « قصائد » استعاد صفاءه المعنوي وتغلبت النفحة الصوفية المشرقة في تاجه على عتمة اليأس .

وثمة شاعرة مغمورة دخلت حياتها في شبه اسطورة وهي ليلى سليم ملحمه دي رانبيار (١٨٩١–١٩٥٥) .

ولدت ليلى في اسطنبول ثم انتقلت الى فلورنسا مع ابيها سليم باشا المتني وكان من اركان السلطنة العثمانية . بعد ثورة ١٩٠٨ . وفي سنة ١٩١٢ طلب يد « هذه الحورية الهاربة من فراديس الشرق » على حد تعبير موريس باريس . ملازم فرنسي ما لبث ان استشهد في الحرب الكونية الاولى تاركاً طفلة تواسي امها في غربتها . وبعد الحرب عادت ليلى الى فرنسا تعبر عن وحدتها شعراً فاصدرت مجموعتها الاولى « الساعات الكئيبة » روت فيها حكاية الألم . ثم تزوجت من الديبلوماسي الفرنسي ده رانبيار فاشرق الوجود لها من جديد فكتبت ديوانها الثاني بلون الفرح وعنوانه « حب روما » وفيه اشارة واضحة الى نزهات عذبة في تلك الغابة الرومانية التي شاهدت « ظلين ملتصقين سائرين معاً : بولين ده بومون والساحر » وتنقلت مع زوجها السفير في اوروبة الى حين داهمها الغستابو في بودابست وقبض عليها . فبدأت مأساة جديدة بالنسبة لذلك « العصفور الذي غنى تعبه في الاقفاص المذهبة »

كما تقول الكاتبة البلجيكية الاميرة بوبسكو . ولما اطلق سراحها بعد سنوات ثلاث عادت الى فرنسا تكتب وترسم . وتميز شعرها بالكآبة الرومنطيقية حتى في تعبيرها عن نشوة الحب:

« يا بيوتي الثانية حيث تجوب ذاكرتي ...
« ايتها الجدران ! الم تبقي
« فرحة قليلاً ، ومؤانسة قليلاً ،
« لكيانات غيري مستوطنة ...
« كم من وداع كم من بافة كم من وليمة
« اتى عليها النسيان
« البيت قرب النهر ، بيت الشتاء
« وذاك الذي عاشت الكآبة فيه ،
« وبعد . ذاك الذي فيه بكينا
« عندما كان الاطفال يهزجون » .

لئن مارست ليلى ملحمه الادب على سبيل الهواية فان مواطنة لها مارسته ممارسة احتراف فانصرفت اليه انصرافاً كلياً جعلها بين ابرز كتاب فرنسا اليوم . انها اندريه شديد (زوجة الدكتور لويس شديد الطبيب العلامة ، عضو معهد باستور ، المعروف ببحوثه العلمية الدقيقة) . بدأت تكتب بالانكليزية فنشرت ديوانين على النسق الرمزي المستحدث باسم مستعار ثم كتبت بالفرنسية شعراً ونثراً فاشتهرت شاعرة وروائية وباحثة وكاتبة مسرح . لها في الشعر عدة دواوين ابرزها « بلد مزدوج » . ان لها لغة شعرية خاصة بها . فهي تتحرى البساطة الموحية فاذا اللفظة العادية التي قتلها الاستعمال تحيا تحت قلمها من جديد في تركيب فريد موحية ابعاداً انسانية غنية .

« اذا كان الشعر لا يقلب حياتنا رأساً على عقب فهذا يعني انه ليس شيئاً بالنسبة الينا » . هذا ما تقوله اندريه شديد في « ارض وشعر » . وقد حاولت ان تحقق هذا المفهوم فاذا انت بعد ان تقرأ قصيدة لها تحس حقاً ان حواراً عميقاً قام بينك وبين القصيدة وان قيمة جديدة انبثقت من تلقائها وجعلتك ترى الحياة اسمى مما هي .

واندريه شديد في قصصها تمزج الواقع بالشعر فاذا الايقاع يوحي ما يوحي المضمون وهي تستوحي موضوعاتها من لبنان ومن مصر (حيث نشأت) او من فرنسا (حيث تقيم) . ابطالها يتطورون بشكل طبيعي وهي لا تتدخل قط في توجيههم .

اهم ما يشغل اندريه شديد : كتقاصة : هو الانسان في صراعه مع القدر . لكنها لا تعبر عن هذا تعبيرًا مباشرًا يحول الرواية عن بيئتها الخاصة الى بحث علمي . الى موعظة اخلاقية او الى تأملات في الوجود . فروايتها « اليوم السادس » التي تجري وقائعها في مصر حيث قضت مرحلة عمرها الاولى . تدور حول عجوز مصرية تحاول ان تنتزع حفيدها : المصاب بالكوليرا : من المصلحة الطبية . حاسبة ان مجرد التسليم بنقل الطفل المريض في سيارة اسعاف قد يعني التسليم بفكرة الموت .

لذلك تبذل كل قواها . وهي ضئيلة اصلًا أنما عزتها ارادة المقاومة . لكي تجعل الطفل الطري العود . يعيش حتى اليوم السادس : اي الى يوم زوال الخطر عنه حسب تأكيد الطبيب . وفي هذا السبيل تخفيه عن عيون الناس طرًا . تلازمه كالظل . تتجنب حتى ان تتطلع اليه الا لمامًا : لكأنها شاءت . في لاوعيها : ان تجعله كذلك غير منظور من القدر . لكن القدر يأبى الا ان يرى المريض رغم كل شيء فينتزعه من يديها : بل يدي الحياة : فتموت العجوز معه .

وروايتها « الباقي بعد موت الآخرين » موضوعها طائرة تحطمت في صحراء افريقيا وفيها اثنا عشر مسافرًا . فاستدعي الاهل الى مركز الشركة في باريس واخبروا انه لم ينج الا واحد ضاعت آثاره في الرمال . ظنت بطلة الرواية لانا مورو ان الناجي هو زوجها بيار وظنها كان شبه اليقين . واذ لم تسفر التحريات عن نتيجة قررت ان تجري بنفسها البحث عمن احبته حبًا يفوق كل منطق وكل ألم . وهكذا تبدأ البحث اللامجدي عن زوجها عبر واحات القفر : وتنسى ان زوجها ربما غاب الى الابد اذ الحب المطلق يخلق الحياة . وتعود لانا خائبة لكن حبها بلغ من الشدة حدًا جعله اقوى من الغياب واقوى من الموت . وهكذا تنتصر على القدر في صراع عنيف .

بموضوع القدر المستبد هو كذلك المحور الذي تدور حوله رواية « بوناتان » و « النوم الطليق » و « الشاب الغني » الا انها لا تكرر نفسها ابدًا : بل تجعل لكل رواية اطارها المميز رغم ان معظم مادتها مأخوذ من حياة الريف المصري وبؤسائه . فهي تصور بدقة ولباقة تلك الحياة وتعرض للقارئ نماذج شتى عن ابنائها : من الفلاح المستعبد العائش مع ماشيته : الى الاقطاعيين العابثين بعصائر « ازلامهم » الى الشيخ والشرطي : الى كل ما هنالك من خصائص توحي ايحاءً بليغًا بمأساة البشر .

اما مجموعتها القصصية «الجلد الضيق» فهي كذلك صور عن حياة الريف في مصر. وصور من الجبل اللبناني تبرز فيها التقاليد والعادات الانسانية التي كادت المدنية الحديثة ان تقضي عليها لولا عناد المتشبثين بالارض: من الفلاح الى الراعي الى الحطاب، وقد وجدوا فيها جذراً ثابتاً يشدهم الى الوجود.

وقد ظهرت لها في ربيع ١٩٦٩ رواية «الآخر» ويتلخص موضوعها بجهد بطولي يبذله انسان ما في سبيل انقاذ اخيه المطمور في الارض. قد رأى هذا الانسان ان حياته تستمر ناقصة ان لم يسهم في انقاذ «الآخر» وانتزاعه من التقدم فهو هكذا يخلقه من جديد والرواية ترمز الى شخصين في المطلق يفرق بينهما كل شيء: شرقي قديم قلبه قلب طفل وغربي شاب جف خياله كالشيوخ. ولكن لا عتبات العصور والثقافات ولا اللغات المختلفة استطاعت ان تقضي على الحوار بينهما لان الاخوة البشرية اقوى من اي فاصل مصطنع.

ولاندريه شديد بحوث منوعة لعل ابرزها دراستها عن لبنان وقد صورته تصويراً شعرياً انطلاقاً من واقعه التاريخي ومعطياته الحضارية ورسالته الانسانية المنفتحة على المعمور طوال ستة آلاف سنة من الوجود.

وفي الحقل القصصي برز كذلك في فرنسا فاهيه كاتشا، وهو لبناني ارمني الاصل: عاش بعد الحرب في باريس. له عدة روايات اهمها: «العين بالعين»، «السنارة»، «وقعة الضواري»، «الاكف المقبوضة»، «لو تستيقظ شيطاناً». انه يتوخى اثارة الاهتمام عن طريق العقدة الغريبة في تطورها على نسق افلام «هيتشكوك».

فرواياته مجموعات لوحات في كل منها مفاجأة او اكثر. وقد تأثر بلزاك من حيث اختيار المواقف الحرجة التي يجعل فيها اشخاصه ثم يدفعهم الى الذروة الانفعالية حيث يصبح الشخص مجرد هوى او شهوة عاصفة قد تكون حباً او حسداً او بغضاً. واخذ عن دستويفزكي الترابط الخفي بين العوامل النفسية المختلفة التي تحرك ابطاله واحياناً بغير وعيهم. وهو ينجح غالباً في التحليل النفساني باسلوب سهل. وقد حدد هو نفسه اسلوبه اذ قال:

«اول ما يهمني هو تصرف الاشخاص في مواقف معينة والنتائج التي قد تتولد من الانفعالات. قبل ان ابدأ روايتي احدد لها فقط نقطتي الانطلاق والنهاية اما الباقي فيأتي عفو الخاطر ووفق تطور التسلسل الطبيعي المنطقي.

الفكرة تأتيني صدفة . وليس بين كتبي سوى رواية واحدة تعتمد على مذكراتي الشخصية هي « اعقاب السكاير يوم الاحد » . وفي هذه الرواية يصف فاهيه كاتشا المقاهي اللبنانية القديمة على الشاطئ ويصور الحياة الشرقية الطامحة الى الوجود الهادئ والتأمل في حضن الطبيعة . ولا تغيب عنه في أكثر رواياته فكرة السينما والمسرح فكأنه وهو يعدها يفكر سلفاً بمصيرها الى المسرح او الشاشة .

وانصرف الى الرواية كذلك كاتب ناشئ يمارس التدريس الجامعي في باريس هو روبير ابي راشد وقد نشر قبل سنه رواية عنوانها « المنتحلة » طرح فيها مشكلة تأثير العالم الوهمي على العالم الحقيقي .

بطلة الرواية « ريتينا » تهوى محامياً اسمه انطوان . لكنها لا تستقر في حبها فلما لنقت صديقة لها ذات يوم اسم كاتب بدأ يلمع نجمه « غي ميربال » بدأت مخيلتها الخصبة ترسم حوله الاوهام . وقد عززتها احاديثها مع انطوان وكان قد عرف الكاتب من قبل كما عززتها ثرثرة الاندية حولها . وتمت الاسطورة في رأسها الى حد جعل الرجل اللامنظور يستولي عليها ويبعد من قلبها حبيبها الاول . وتشاء المصادفة ان تجمعها بامير احلامها في احدى الامسيات . فاذا بها تجده مغروراً خنثاً لكنها مع هذا لم تشأ أن تقضي على خيوط السراب التي نسجتها حوله . فهربت معه تاركة انطوان .

لقد صور باسلوب ساخر بارع المرأة « العصور » التي يغريها صنم خلقته من لا شيء وتشبثت بحبه مؤثرة الوهم على الواقع كما وصف بتهكم الدعاوة المفتعلة التي تضخم الاحداث فتجعل من كاتب او فنان عادي نجماً اسطورياً .

لروبير ابي راشد ايضاً دراسة عميقة عن كازانوفا بين التاريخ والاسطورة انالته جائزة سانت بوف سنة ١٩٦١ . وله بحوث نقدية عدة اهمها يتعلق بالمسرح المعاصر ظهرت في « النوفيل اوبسرڤاتور » و « النوڤيل ريفو فرنسيز » .

وثمة كتاب لبنانيون برزوا قبله في عالم البحث على اختلاف وجوههم منهم الأب ميشال فغالي الذي عني خصوصاً بالفولكلور اللبناني واللهجات الشعبية في لبنان وسورية وألف عدة كتب منها « لهجة كفرعبيدا » و « دراسة عن اثر السريانية في اللهجات العربية في لبنان » و « قصص واساطير وعادات شعبية في لبنان وسورية » . والاب ميشال الحايك وله عدة بحوث بالفرنسية والعربية حاول في اكثرها ان يبين النقاط المشتركة بين المسيحية والاسلام .

وتناول بعضها الادب العربي الحديث . وله ديوان بالعربية « كيف الذكريات » فيه نفحة صوفية . وقد اسهما اسهاماً مرموقاً في الاستشراق الفرنسي .

اما مارسيل زهار فقد برز في نقد التصوير وله فيه مذهب خاص . وسيمون جرجي نشر بحثاً عن تطور الاغاني الشرقية والموسيقى العربية ودراسة تاريخية عن سورية وبحثاً عن القضية الفلسطينية في نشأتها وتطورها . وراوول مكاريوس ورينيه خوام ورواد طربيه[١] وقد تميزوا بترجمة الشعر والقصص والاساطير الى الفرنسية ودراسات موسعة عن الادب العربي عامة واللبناني خاصة في مختلف عصوره[٢] .

وثمة كتاب ناشئون يشقون طريقهم في الشعر والبحث بالمجلات لا سيما المجلة الشعرية الجديدة « لاديليرونت » التي اسسها قبل سنة الشاعر اللبناني الشاب فؤاد العتر . ومنهم من نظم فترة ثم توقف مثل جويس منصور صاحبة ديوان « مربع ابيض » .

لم نذكر في هذا العرض الا ابرز الكتاب المقيمين في فرنسا . اما الذين ينشرون فيها ويسهمون في مجلاتها ، فعددهم كبير من اشهرهم : جورج شحاده ، وفرج الله حايك ، وهنري القيم وصلاح ستيتيه . لكننا لم نذكرهم لانهم مقيمون في لبنان ولا يعيشون في فرنسا الا فترات قصيرة .

في انكلترا

اما الرعيل الذي رحل الى انكلترا فقد سعى اما الى التجارة والصناعة واما الى طلب العلم في جامعاتها .

وقد برز بين هؤلاء عدد من الكتاب في كل لون ولا سيما في الرواية والبحث والشعر .

بين الذين قصدوا الى انكلترا للتخصص العالي فريق مكث فترة عاون فيها المستشرقين وفريق بقي هناك فمارس التعليم وكتب في المجلات . من هؤلاء البرت حوراني وقد نشأ واخوه سيسيل في بلاد الانكليز وادوار عطيه وفريد مجدلاني وادنا كحلا .

---

(١) له ديوان بالعربية عنوانه « المرايا الدائرة » .

(٢) اثناء كتابة هذا البحث ظهرت باكورة مارسيل خليل في الرواية البوليسية وباكورة جلبرت موصللي في الرواية السيكولوجية « الشبكة » وقد عبر فيها عما تختلج به النفس البشرية من رغبات وحشية تناقض الطبيعة السمحاء .

لالبرت حوراني عدة بحوث فكرية سياسية واجتماعية وتاريخية نشرها في اوكسفورد حيث يمارس تعليم التاريخ العربي والآداب الشرقية والفلسفة . من اهم كتبه « سوريا ولبنان » وهو تاريخ شامل مفصل « والاقليات في العالم العربي » و«بريطانيا والعالم العربي» و«خطر المجتمعات الكلية» و«الاسلام اليوم» .

آمن البرت حوراني بحرية الفكر كوسيلة مهمة لتطوير المجتمع والانسان . واساس حرية الفكر في نظره هو معرفة الانسان نفسه كمخلوق حر مسؤول عقلاني . وهو يرى ان مبدأ السمو في المجتمع البشري « مبدأ يتعالى على الارادة الفردية وحتى الجماعية ويتخذ اساساً له شخص الفرد » . وفي بحوثه يتحدث عن اثر انتشار الفكر الغربي في انماء العقيدة الديموقراطية في العالم العربي . قال في كتابه « سوريا ولبنان » حول معضلة التخريب :

« في القرن الماضي اهتزت اسس العالم العربي تحت تأثير الغرب . فالافكار الغربية التي لقنت في المدارس والكتب واخيراً في السينما غيرت مظاهر الحياة الاجتماعية . فمنافسة البضائع الغربية قضت على الحرف القديمة وفتحت آفاقاً اقتصادية جديدة واساليب مواصلات حديثة اطلقت الجماعات المحلية من اطرها التقليدية . وهددت السيارة والطائرة والسلطة المدنية حياة البداوة بالزوال » .

في دراساته التاريخية لا يعنى بتسلسل الاحداث بقدر ما يعنى بمغازيها وانعكاساتها على التطور الحضاري . وكان لبحوثه عن الشرق الاوسط بوجه عام شأنها في الكشف عن واقع المنطقة وازالة اضاليل الدعاوة الصهيونية .

اما ادوار عطيه فقد نشأ في السودان؛ وبعد الحرب الكونية الاولى درس في اوكسفورد وقضى حياته بين السودان وبريطانيا . انصرف الى الرواية فكتب : « عربي يروي سيرته » ؛ « لبنان الفردوس » ؛ « حمار من الجبل » ؛ « الخط الدقيق » و « الطليعة السوداء » وله في البحث الادبي والتاريخي مقالات ظهرت في « التايمس » الادبي و « مجلة الشرق الاوسط » .

في روايته « عربي يروي سيرته » يقص باسلوب عفوي كيف نزح اهله من العكار الى سوق الغرب ثم الى السودان وكيف درس هو في مصر ثم في اوكسفورد ويصف انطباعاته في انكلترا وزواجه من بريطانية وابرز الاحداث في حياته وجولاته . وفي هذه السيرة الذاتية يتناول اثر الحضارة الغربية والسياسة البريطانية في العالم العربي . في القسم الاول حتى ١٩١٩ يتحدث عن سوريا شاملاً لبنان . ثم يميز فيا بعد . واهم ما جاء في الكتاب

عدا سيرة المؤلف ، معلومات دقيقة عن الهجرة اللبنانية واسبابها وعن دور اللبنانيين في النهضة العربية بفضل انفتاحهم على العالم في اختلاف مناطقه .

في «لبنان الفردوس» يستعمل تعابير فرنسية وهو يروي قصة عشيقين بالانكليزية على نحو ما يجري على لسان بعض اللبنانيين الذين يتقنون اكثر من لغة . بطلة الرواية فتاة لبنانية تدعى فيوليت نشأت في مصر ، تحاول ان تتحرر من وصاية اهلها بعد ان اكتسبت قدراً كافياً من الثقافة فترفض الاقتران برجل اختاره لها ابواها لا لشيء الا لتأكيد ذاتيتها ، لكنها تعود عن تصلبها وتتغلب على مركب النقص بعد رحلة الى لبنان الجنة وبعد اختبارها الحياة . وفي هذه الرواية وصف شعري للطبيعة اللبنانية ساحلاً وجبلاً يظهرها بمظهر الجنة التي توحي بالسعادة وتزيل من النفس كل عقدة .

في «حمار من الجبال» تصوير لقروي مستبد يدعى فارس ديب كان ينشر الرعب في اسرته وحوله ، وفرض نفسه على مواطنيه بدهائه الغريب . كان بخيلاً يستثمر اتعاب ابنائه ، لكنه وقع في حبائل راقصة شاهدها مصادفة في احد مقاهي طرابلس فافقدته اتزانه ووقاره واثارت فيه شهوة جنسية مكبوتة ادت به آخر الامر الى قتل سائحة اميركية ثم الى الانتحار .

وفي «الطليعة السوداء» وصف لحياة الطلبة السودانيين الذين يوفدهم آباؤهم ، وهم وجهاء في بلادهم ، الى بريطانيا لتلقي الثقافة العالية فيها وينتظرون عودتهم بفارغ الصبر لكي يحتلوا مراكز بارزة في الحكومة المحلية ويملأوا فراغ الانتداب البريطاني بعد زواله . بطلا الرواية امين ومحمود طالبان في اوكسفورد يتطبعان بالعقلية الغربية وتستهويهما الافكار الاشتراكية الرائجة في اوساط الجامعيين . امين يهوى بريطانية ويتزوج منها ويعزم على الاقامة في باريس ، الا ان زوجته ، وقد رأت في القرآن رسالة ، تلح عليه بالعودة الى بلاده لكي يعملا معاً على رفع مستواها . اما محمود فيعاني من عقدة نفسية خلقتها له ابوه اذ عقد قرانه ، في غيابه ، على ابنة عمه بدرية وهي في الرابعة عشرة ولا يكاد يعرفها . يحاول ان يتهرب لكن اباه يضعه امام الامر الواقع ، اذ يأتي ببدرية الى بريطانيا ويدخلها مدرسة بانتظار اليوم الموعود لكنها تعيش غريبة هناك حتى عن «زوجها» وينتهي الامر بالانفصال . ويرجع محمود الى بلاده ويحيا حياة فاشلة . وما كانت افكاره الاشتراكية لتلقى صدى في بلاده ولا لتملأ فراغ نفسه ولا لتلبي نزعته الى اثبات وجوده بطريقة ما .

يستوحي ادوارد عطيه معظم مواضيعه من اختباراته الشخصية ويحاول ان يكون صلة وصل بين الشرقيين والغربيين عن طريق وصف العادات والتقاليد والاخلاق وشروط التفاهم والتعاون والحوار المثمر. اما اسلوبه فعفوي حي فيه دقة تحليل ووصف مؤثر وايجاز بليغ.

اما فريد مجدلاني المولود في بريطانيا فقد أسهم في الصحافة اليومية ودخل الجيش البريطاني واشترك في الحرب الكونية الثانية وفي معركة مونته كاسينو الشهيرة. وقد الف كتاباً ضخماً عن تلك الموقعة بعنوان « الدير » روى فيه بواقعية ملحمية بطولة المشاة البريطانيين في اشد المعارك ضراوة في الحرب الاخيرة.

وعنوان « الدير » يرمز الى الدير التاريخي القائم على هضبة تشرف على مدينة كاسينو الايطالية كحصن منيع في موقع هيكل قديم لابولون وقد وصفه المؤلف بدقة كما صور بدقة كذلك فصول تلك المعركة الشهيرة التي دامت من ٢١ كانون الثاني الى ١٧ ايار ١٩٤٤ فانهزم فيها الايطاليون وانفتح امام الجيش الاميركي البريطاني الطريق الى رومة بعد اسبوعين من الانتصار الساحق.

اما ادنا كحلا (مسز خباز) فقد عاشت في لندن وانصرفت الى الشعر الرومنطيقي وقد جمعت مختارات من قصائدها في ديوان « العودة » وعناوينه كافية بحد ذاتها للدلالة على مادة وحيها نذكر منها: « المبعدة » . «وحدة» ، « نزاع الموسيقى » ، « في المنفى » «جوع» . «توسل» . « صوفية » ، انه الحنين الى وطن لا تدرى اين هو وهل هو حقاً في هذا العالم ما يهز شعور هذه « الغريبة » الملهوفة الى العودة الى الينبوع. تقول في احدى قصائدها:

« صديقي ، في هذه الحياة لا تأمل باللقاء
فالذي سار ، على طريقنا المفترقين . باقدام غريبة
لن يجتاز بوابة القلب الحصينة
حتى آخر الزمن سنبقى في البعيد.
ولن يفهم احد احلامنا ولا افراحنا ولا مخاوفنا الا اذا بكينا » .

ولا يجوز لنا ونحن في صدد الكتاب اللبنانيين المغتربين في انكلترة ان لا نذكر العلامة بيتر مدور ، حائز جائزة نوبل . رغم ان نتاجه جاء في معظمه علمياً صرفاً الا ان نظرياته العلمية ارتكزت على تفكير خاص . ومعلوم ان بيتر مدور ، ولد في البرازيل سنة ١٩١٥ ثم تعلم واقام في انكلترة واشتهر

ببحوثه حول الانسجة الشعرية في الجسم . وبدراساته حول نمو الحيوانات وتغير اشكالها وله اكتشافات عدة في حقل نقل الانسجة من جسم الى آخر مع اكسابها المناعة والقدرة على الثبات . ومن ابرز بحوثه العلمية العامة تلك التي ناقش فيها آراء تيار دي شاردان في نظرية التطور فوافقه في بعضها وعارضه في البعض الآخر .

في مصر

قد لا تكون الهجرة من لبنان الى مصر اغتراباً بالمعنى الكامل نظراً للروابط الثقافية والاجتماعية والحضارية والروحية الجمة بين البلدين فضلاً عن قصر المسافة . فاللبنانيون المقيمون في مصر ظلوا على صلة وثيقة بالوطن الام لا سيما في مواسم الاصطياف . وعاشوا في بيئة لا تكاد تختلف عن بيئتهم واستمروا في ممارسة لغتهم العربية المشتركة وعاداتهم . وكذلك شأن الذين اقاموا في سائر البلدان العربية القريبة .

بدء الهجرة الى مصر

عندما رقي عبد الحميد الثاني العرش العثماني سنة ١٨٧٦ وعد طلاب الاصلاح من مختلف الولايات بأعلان الدستور . فبرّ بوعده فعلاً وانشأ مجلساً نيابياً . لكنه ما لبث ان رجع عن هذه الظاهرة التحررية بعد اربعة شهور وامعن في الظلم كاسلافه فقيّد حرية القول والفكر والتعبير واخرس صوت الصحافة حتى لم يبق من الجرائد العربية الا تلك نطقت بحمده وتسبيحه او تحاشت الخوض في اي شأن سياسي . وقد سجّل التاريخ بين ضحاياه على اعواد المشانق ستة عشر صحفياً معظمهم من لبنان .

كان من الطبيعي ازاء هذا الطغيان المستفحل ان يهرب المثقفون فوجاً بعد فوج اما الى مصر ، وكانت تنعم بحرية نسبية ، واما الى اوروبة . وكان اللبنانيون قبل ذلك العهد يؤمون وادي النيل باعداد محصورة في سبيل التجارة[1] . بين ابرز النازحين الى مصر ، قبل الحرب الاولى ، من حملة القلم سليم وبشاره تقلا ، اديب اسحق ، رشيد شميل ، نجيب وامين الحداد ، عزيز الزند ، عبده بدران وسبع شميل . وقد اقاموا في الاسكندرية . يوسف الخازن ، يعقوب صروف ، انيس خلاط ، فارس نمر ، شاهين مكاريوس ،

(١) سافر بعضهم الى مصر في القرن الماضي لدراسة الطب في القصر العيني .

ابرهيم اليازجي . سليم عنحوري . سليم فارس ، جرجي زيدان ، امين وشبلي شميل . سليم سركيس ، ابرهيم نجار، بشاره زلزل ، انطون الجميل ، داوذ بركات ، الياس زياده ونعوم مكرزل وقد اقاموا في القاهرة[1] . وكان قد سبق هذا النزوح، اسكندر شلهوب فأسس سنة ١٨٥٧ صحيفة « السلطنة » اول صحيفة لبنانية في الخارج .

ثم جاء خليل جبرائيل الخوري صاحب « حديقة الاخبار » سنة ١٨٥٩ واقام خمس سنوات يؤلف كتاباً عن مصر بناء على طلب الخديوي . وكان هذا الصحفي يقضي معظم اوقاته في سوريا حيث كان معتمد السلطان ثم مدير المطبوعات .

وكانت زينب فواز (١٨٤٦–١٩١٤) رائدة في حركة تحرير المرأة عن طريق تعليمها على نحو ما قال به المعلم بطرس البستاني في لبنان . فكتبت في الصحف المصرية « النيل » و « اللواء » مقالات جريئة ونشرت مسرحية « الهوى والوفاء » وقصة « حسن العواقب او غادة الزهرة » و « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » لافتة انظار المثقفين الى طاقات المرأة المتعلمة .

ولكي نكوّن فكرة واضحة عن مدى اضطهاد الصحافة في لبنان في عهد « السلطان الاحمر » نعود الى ما رواه سليم سركيس يوم كان محرراً في جريدة « لسان الحال » سنة ١٨٧٧ فضربه مراقب المطبوعات بالفلق وهدده بعقوبة اشد : « لما ضايقني المكتوبجي وضجرت من المراقبة وجدت انه لا ينجيني من صرامته الا الاكتفاء بمديح السلطان او بالتحدث عن مالية الدولة او جنديتها مما اكون قد هيأت قبلاً لهذه الغاية » . وبعد ان تحمل مثل هذا الضيم طوال خمس عشرة سنة حمله اليأس الى الرحيل .

الاسهام في النهضة

في مصر اسهم اللبنانيون اسهاماً رئيساً في حركة التجدد الفكري والنهضة الصحفية فاكملوا محاولات رفعة الطهطاوي في تعريب التراث الغربي وواصلوا ما كانوا يقومون به في لبنان مع مواطنيهم في تطوير اللغة العربية وفي التصدي لقضايا العصر على اختلاف الوانها . وكانت الصحف التي اسسوها منبر هذه الحركة الثورية . واهمها « الاهرام » و « المقطم » و « القاهرة » و « المقتطف » و « الهلال » و « لسان العرب » و « روز اليوسف » و « المحروسة » و « البيان »

---

(١) لحق بالادباء والعلماء اللبنانيين الذين هاجروا الى مصر التجار واصحاب الاعمال .

و « الشعار » و « البستان » و « الزهور » و « النهضة » و « المصور » و «المصري»
و « الاثنين » .

واول صحيفة لبنانية صدرت في مصر واطولها عمراً ، لانها ما تزال مستمرة في صيغة جديدة ، هي « الاهرام » التي اصدرها سليم وبشاره تقلا في الاسكندرية في ٥ آب سنة ١٨٧٦ اسبوعية تظهر كل سبت في اربع صفحات وقد جاء في عددها الاول « هذا هو العدد الاول لجريدة الاهرام ، المرعية بعناية الحكومة السنية ، والمستعدة الاستعداد التام لان تجعل من يتصفح صفائحها واثقاً بما يطالعه ، لانها تعاني البحث لتقف على الفوائد الصحيحة ، فتوفي بحقوق الجرائد وتكسب قبول الجمهور » واصدق مع الجريدة داراً للنشر .

ولم يكن من السهل عهدئذ نيل رخصة باصدار جريدة وقد جاء في الطلب المتقدم لهذه الغاية : « الجريدة الملتمس انشاؤها تحتوي التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية ولا تتعرض مطلقاً للامور السياسية » .

ومع « الاهرام » الاسبوعية ظهرت صحيفة يومية باسم «صدى الاهرام» في ٣ ايلول سنة ١٨٧٦ كانت تنشر بنوع خاص انباء الحرب الدائرة في البلقان . وقد اصدر الخديوي اسماعيل امراً بتعطيلها بعد سنتين لانها انتقدت حكمه وانتصرت للفلاح المظلوم وامر بالقبض على صاحبيها ثم افرج عنهما بعد وساطة فعالة .....

وفي سنة ١٨٧٧ اصدر سليم وبشاره تقلا جريدة اخرى باسم « حقيقة الاخبار » ثم جريدة « الوقت » التي اقفلت في اثناء الثورة العربية . وفي سنة ١٨٨٠ صدرت « الاهرام » يومية سياسية تجارية ادبية فكاهية وشعارها « انها لا تخلع على احد نفوذاً ليس له . ولا مدح بلا حق ولا طعن بلا مبرر » . وعلى اثر وقفتها الجريئة مع الثورة العرابية عطلت شهراً كاملاً واحرقت دارها بعد قليل فظهرت جريدة « الاحوال » بعد اسبوع من توقيف الاهرام لكنها لم تستمر .

بيد ان احراق الاهرام لم يقض عليها ، بل كان سبيلاً لتجديد معداتها وبعثها اشد حيوية من ذي قبل على رغم المشقة . ولما مات سليم تقلا سنة ١٨٩٢ واصل المهمة شقيقه بشاره وكان معاونه الاول .

وفي اول تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ صدرت الاهرام في القاهرة واستمرت . وصدرت الاهرام في الاسكندرية بحجم صغير . وبعد حين ظهرت طبعة فرنسية باسم « البيراميد » .

كان تأسيس الجريدة في ذلك الوقت ضرباً من المغامرة ليس فقط بالنسبة لسيف السلطة المصلت على الدوام بل لضيق وسائل العمل والمجال . وقد كتب بشاره تقلا في مذكراته يقول :

« كنت اطوف على الناس صباحاً ، اتعرف اليهم ، واعرض عليهم الجريدة ، ثم اقصد احد منتديات القهوة فأول ما اطلب جريدة اوروبية اعرب اهم اخبارها ومقالاتها اذ لم يكن في وسعنا ان نشترك في جرائد غربية توفيراً . فاذا ما فرغت من الترجمة اتيت إلى الادارة ونظرت في حسابها من دخل وخرج واشتغلت بالتصحيح وكتابة بعض الحوادث . ثم جلست اعاون الفعلة على طي الاعداد وتهيئتها للتوزيع . وكنت اتناول غدائي في الغالب وانا بين صحيفة اطويها ولقمة ازدردها . على انني كنت اشارف من وراء هذا العناء الجم اقبالا ونجاحاً » .

وما صحّ في « الاهرام » صحّ كذلك في سائر الصحف .

ومات بشاره تقلا في سنة ١٩٠١ فانتقلت ملكية الإهرام الى ولده جبرائيل وهو في العاشرة فتولى تحريرها داود بركات وكان قد رئس تحرير « المحروسة »[١] وانشأ « الأخبار » مع الشيخ يوسف الخازن . وفي عهده تطورت الاهرام وكبر حجمها وتنوعت موضوعاتها واصبح لها مراسلون في اوروبة والشرق وخلف داود بركات في رئاسة التحرير انطون الجميل ثم عزيز مرزا .

وكانت الاهرام منذ نشأتها حقلاً رحباً لاقلام الناشئين من الادباء والمفكرين المصريين واللبنانيين على السواء[٢] . فالشيخ محمد عبده رافقها منذ سنتها الاولى واطل منها في بداية عهده الكتابي وكذلك مصطفى كامل وخليل مطران وشبلي الشميل وطانيوس عبده . ومن ابرز الذين اسهموا في تحريرها نجيب الحداد واحمد شوقي وحافظ ابرهيم وعباس العقاد ومي زيادة ويوسف البستاني وطه حسين واحمد الصاوي واميل الخوري وبركات بركات .

بعد الاهرام صدرت في القاهرة سنة ١٨٩٥ مجلة « المقتطف » التي انشأها في بيروت يعقوب صروف وفارس نمر سنة ١٨٧٨ ندوة للعلم الحديث في شتيه النظري والتطبيقي وللمذاهب الفلسفية والفكرية على اختلافها . ولم تكن مهمة هذه المجلة في البدء سهلة ابداً لا في خلق الجو العلمي المؤاتي لانتشارها ولا في ايجاد وسائل التعبير الملائمة في العربية .

---

(١) اسسها عزيز الزند ثم انتقلت ملكيتها الى الياس زياده والد مي .
(٢) انشأت داراً للنشر .

كانت العلوم في اول انتشارها في الشرق عهد ذاك تطغى على حقائقها الخرافات الشائعة والسذاجات المتوارثة. فكان على رواد تعميم الحركة العلمية، في بادئ الامر، ان يمهدوا السبيل في القضاء على المعتقدات الشعبية الراسخة رسوخ تعاليم الدين مثل عملية السحر واسطورة الجن والجن. فثارت ثائرة المتشبثين بالخرافات، وما كان اكثرهم، الا ان المؤمنين برسالة العلم واصلوا طريقهم فأثروا، مع الايام، في ذهنية الجمهور وذللوا مشكلات التعبير باعتماد الطرق التي انطلقت من النهضة اللغوية في لبنان[1]. فاستحداث الالفاظ اما اشتقاقا واما قياساً واما ابتداعاً واما تعريباً حرفياً. وهكذا درج استعمال معظم الالفاظ المألوفة اليوم في البحوث العلمية والفلسفية والتقنية.

الا ان مجلة المقتطف الشهرية، على تطورها السريع ما كانت لتشبع نهم مؤسسيها الى النشاط الصحفي فاصدرا مع شاهين مكاريوس جريدة يومية باسم «المقطم» سنة ١٨٨٩ وانصرف صروف وحده الى «المقتطف» بينما تولى زميلاه الصحيفة الجديدة في تعاون وثيق معه فما لبثت هذه ان اثبتت وجودها الفعلي وصارت تنافس الاهرام في غنى المادة وسعة الانتشار ومستوى التحرير وحتى في الاعتدال بالرأي اكثر الاحيان.

وكانت المقطم اولى جرائد ثلاث في التسعينات منع دخولها الى تركيا: على حد قول سليم سركيس، «لانها صادقة حرة تقول الحق». اما الاثنتان الباقيتان فهما «لسان العرب» و «الرأي العام». لكن هذه الصحف – يضيف سركيس – «لم تكن متخصصة للمباحث الحرة العثمانية وكان الكتاب في اكثر مقالاتهم يحومون حول النقد». لذلك انشأ «المشير»[2] فما ان ظهر العددان الاولان حتى صدر امر من الاستانة بوجوب محاكمة المؤسس سركيس وحجز املاكه وقضي عليه بالاعدام ثم ابدل الاعدام بالنفي المؤبد. ولا يخفى ان «لسان العرب» التي انشأها نجيب وامين الحداد وعبدو بدران كانت تحارب سياسة عبد الحميد على غير هوادة وكذلك «الرأي العام». ورغم هذا لم يكن سليم سركيس راضياً كفاية عنهما بل كان يطمح الى عنف اشد وهذا ما حاوله في جريدته.

---

(١) يعود الفضل الاكبر في هذا المجال لبطرس وسليم البستاني وابرهيم اليازجي.

(٢) تصح في سليم سركيس كلمة فيليب حتي: «اينما حل البستاني حمل معه مطبعته ومطبخه ومعبده» فهو لما ترك «لسان الحال» في بيروت هربا من القلق اسس «المشير» في القاهرة ثم «رجع الصدى» في لندن ثم «الراوي» في نيويورك ثم «البستان» في بوسطن.

تولى خليل ثابت ادارة «المقطم» سنة ١٩٠٨ ثم رئس تحريرها بعد خمس سنوات واستمر حتى سنة ١٩٤٨ فخلفه ابنه كريم الذي ادار «المصري» فيما بعد. وكان خليل قبل ذلك يدير في الخرطوم جريدة «السودان» التي اسسها مع فارس نمر ناطقة شبه رسمية باسم الحكومة «باللغتين الانكليزية والعربية» وكان يعاونه لبيب جريديني. وبعد وفاة يعقوب صروف ادار المقتطف ابن اخيه فؤاد وكان قد تخرج عليه. اما المقطم فقد اصبحت بعد سنة ١٩١٩ ناطقة شبه رسمية بلسان الوفد المصري واستمرت الصحيفتان حتى سنة ١٩٥٢.

في سنة ١٨٩٢ انشأ المؤرخ جرجي زيدان الذي مارس الصحافة في المقتطف مجلة «الهلال» شهرية ثقافية عامة عززت الحركة الأدبية لا سيما وان داراً للنشر نشأت معها. وتولى «الهلال» بعد مؤسسها ولداه اميل وشكري فاصدرا عدة مجلات في ابواب متنوعة منها: «الاثنين» و«المصور» و«حواء» و«ايماج» (بالفرنسية).

واستمرت دار «الهلال» في طليعة دور النشر الى ان نافستها دار «المعارف» التي اسسها اللبناني نجيب متري وكان لها مجلة ادبية «الكتاب» استمرت فترة قصيرة. ويروى عن «الهلال» انه لما احتفلت بعامها الرابع عشر سأل امين الغريب صاحبها هل سيستمر في تسمية الهلال فاجابه نعم لكي يبقى قابلاً للنمو. فلو دعي بدراً لابتدأ في النقص.

ادت الصحافة اللبنانية في مصر خدمة جليلة للعمل الصحفي بوجه عام اذ اطلقته من النطاق الاقليمي الى الآفاق العالمية وطورت وسائله الفنية ووسعت ابوابه وحسنت اساليبه. وقد اسهمت اسهاماً كبيراً في معركة الحريات الفكرية والسياسية والاجتماعية اذ ساعدت الحركات التحررية في مصر نفسها وفي لبنان وفي اكثر الولايات الخاضعة للطغيان العثماني فكانت منبراً صادقاً لنشر مبادئ حزب «تركيا الفتاة» ولاذاعة افكار جمال الدين الافغاني ومحمد عبدو وانصارهما في التطور الاجتماعي الديني ولدعم حملة قاسم امين ومن معه من اجل تحرير المرأة الشرقية. وفي جملة القضايا التي ساندتها هذه الصحافة قضية الحركات السرية التي قامت في لبنان سنة ١٩٠٩ دفاعاً عن كيانه بعد ان عزم الباب العالي على ادغامه في الولايات وكان من نتائج هذه الحملة تأسيس حزب الاتحاد اللبناني في القاهرة والاسكندرية وشعاره المطالبة بتحقيق لبنان ناجزة في الاستقلال. وكان اوغست باشا وداود

بركات واسكندر عمون ويوسف السودا وانطون الجميل من الهم قادته. وتحت الاهرام واكثر الجرائد صدرها لنشاط هذا الحزب ومهدت لتعاونه مع الجمعيات المماثلة في اكثر المهاجر اللبنانية.

وعدا هذا قامت الصحافة بمهمة اطلاق الحركة العلمية والثقافية والادبية والفنية فكثرت المجلات المعنية بهذه الشؤون حتى الصحف السياسية اليومية خصصت حقولا واسعة لشؤون العلم والفكر والجمال. فاكثر رجال القلم الذين ظهروا في مصر من لبنانيين ومصريين وسوريين مدينون لها في نشر بواكيرهم وحتى جل انتاجهم. من «البيان» استأنف ابراهيم اليازجي وثبته. وفي «التقدم» و«مصر» بدأ اديب اسحاق حياته الادبية ومن «المقتطف» ظهر الصروفان يعقوب وفؤاد وفارس نمر وجرجي زيدان ومن «الشفاء» اطل شبلي الشميل ومن «الاهرام» طلع فرح انطون ونجيب الحداد وخليل مطران وطانيوس عبده وحبيب جاماتي وكوكبة من الأدبـاء. وفي «المقتطف» و«الهلال» و«المحروسة» شقت مي زيادة طريقها. وكانت «الزهور» منبر امين تقي الدين وانطون الجميل.

سنتناول بكلمة كلا من الادباء البارزين الذين عملوا في غير حقول الصحافة، مع عملهم الصحفي.

ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ – ١٩٠٦)

اشتهر في لبنان صحفياً ولغوياً وشاعراً لا سيما في تطوير اللغة العربية وتبسيط العلوم في مجلتيه «الجنان» و«الطبيب». لكنه ما استطاع ان يتحمل قيود الحرية طويلاً لا سيما بعد ان تطلعت «الجنان» سنة ١٨٨٦ فرأى ان ينتقل الى مصر ويواصل رسالته الصحفية في خدمة نشر العلم. فسافر سنة ١٨٩٣ الى اوروبة واستقدم منها ادوات طباعية حديثة واضطلع فيها على التطور الصحفي ثم عاد الى القاهرة فأسس مطبعة «البيان» مع رفيقه الدكتور بشاره زلزل ثم اصدرا مجلة «البيان» سنة ١٨٩٧ التي لم تعمر اكثر من سنة فأنشأ اليازجي وحده مجلة «الضياء». وكانت المجلتان منبرين مهمين لانطلاق مواهب الأدباء الناشئين جلّى فيهما المؤسس ببحوثه اللغوية والتاريخية المعمقة كما يبدو من خلاصة بحثه حول الفينيقيين:

«مما لا ينكر ان الفينيقيين كما كانوا قادة الملاحة واساتذة الصناعة في تلك العصور فقد كانوا أئمة العلوم والفنون وملقني العقائد الدينية والفلسفية

وعنهم أخذ اكثر الامم المعاصرة لهم ، ولا سيما اليونان ، لما كان بين الامتين من قرب الجوار وكثرة المخالطة . ولذلك فانك قلما تجد معبوداً للفينيقيين او أسطورة دينية او ذكر من اشتهر باختراع او عمل عظيم الا ما تجد ما يقابله في عقائد اليونان ومروياتهم ، مع تبديل صور الوقائع والاسماء والخلط بين ما اصله فينيقي بما اصله يوناني » .

اما في بحوثه اللغوية وقد سار فيها سيرة ابيه الشيخ ناصيف فكان بارعاً مجيداً في التحليل . كان يرى في المجاز ميزة خاصة بالعربية بقدر ما يلجأ الكاتب اليه بنجح في تعبيره . وكان على تمسكه بالتراث يقول بتشذيب العربية من شوائبها لكي تسهل منالاً . فهو ما كان ليؤمن بعصمة القدامى عن الخطأ وما كان بالتالي ليوفر شاعراً ، حتى اباه ، من نقده .

كان همه ان تجاري اللغة العربية عصرها فلا يضطر الباحث الى ان ينصرف عنها لسبب ضيق مجالها ، فراح يدرس اساليب تطويرها راجعاً الى علاقاتها بسائر اللغات السامية والى كيفية تطورها وتطور سائر اللغات العصرية . وكان على يقين بان الاشتقاق مورد خصب لتوليد الالفاظ فاندفع في حقله يخلق وينحت الالفاظ الجديدة والمصطلحات العلمية بوحي المنطق .

(البقية في العدد القادم)

العرب في العصور الكلاسيكية القديمة

تعريف لكتاب فرانتس التهايم وروث شتيل[1]

بقلم الدكتور مارتينيانو رونكاليا
المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت

سئل مرة الأب لاگرانج[2] الدومينيكي : ما هي اللغة الشرقية التي لا غنى عنها لكل مستشرق ؟ فاجاب جواب الواثق بنفسه وهو يبتسم بدهاء : الألمانية . إن اعتماد المذكور على خبرته الشخصية أدت به الى الاجابة على هذا النحو ، فانتاج حركة الاستشراق الألمانية تشمل كافة الحقول وتتحلى بدقة التحليل مما يجعلنا نلاحظ أن دور النشر المختصة بالاستشراق تعيد ، حتى في يومنا هذا ، طباعة مؤلفات الكثيرين من المستشرقين الألمان القديمة التي لا تزال تعتبر كلاسيكية وصالحة للاستعمال رغم التقدم السريع الذي احرزته العلوم الألسنية والفقهية ورغم صدور ابحاث حديثة تتعلق بحركة الاستشراق والشرق . فهذه ، على سبيل المثال ، دار فلتر ده گرويتر[3] التي تنوب الآن عن عدد كبير من دور النشر الخاصة بالاستشراق ، تقوم برسالتها وتنشر المؤلف الموسوعي (وهو لتاريخه يتألف من ست مجلدات) الذي يعالج موضوع العرب في العصور الكلاسيكية القديمة . إن اسمي المؤلفين فرانتس التهايم وروث شتيل كفيلان لضمان جدية هذا المشروع العلمي المتعلق بالاستشراق . ولئن تركنا المؤلف بعيداً عن متناول من يهمهم الأمر في الأولية اي العلماء العرب لتقصرنا في الواجب ولذا كان علينا ، رغم

(١) *Die Araber in der Alten Welt*, von Franz Altheim und Ruth Stiehl, Berlin, Walter de Gruyter and Co., 1964 *sq.*

(٢) Lagrange

(٣) Walter de Gruyter

صعوبات اللغة الألمانية واللغة التقنية المستعملة في المؤلف. أن نستثمر كنوز هذا السفر القيّم المشحون بمسائل فقهية وتاريخية وأثرية الخ... وإذ زُودت بعطف وتشجيع المؤلفين الأستاذين السيد التهامي والسيدة شتيل نفسيهما أقوم بتحليل هذه المجلدات الستة وتقديمها محتفظاً لنفسي في بعض الأحيان حق ابداء بعض الملاحظات الإضافية التي تمليها عليّ الحقيقة التاريخية كما اني أرى لزاماً عليّ احترام رأي المؤلفين والخضوع لسلطتهما غير المنازعة.

المجلد الأول: يبدي المؤلفان الملاحظة التالية في مقدمة كتابهما:

كاد تاريخ العرب في العصور الكلاسيكية القديمة أن يكون وقفاً على اختصاصي العلوم العربية والاسلامية ولم يولِ المستشرقون والمستعربون جلّ جهودهم للعصور الكلاسيكية القديمة بل عالجوها بشكل عابر. ومما يثلج الصدور الآن هو أننا نلاحظ أن هناك جهوداً تبذل لسد هذا الثلم ومن المعلوم اننا لا نستطيع التعرف على ظاهرة عصر معين دون أن نطلع على سوابقها. ولذا تم درس معطيات التاريخ في هذا الكتاب ليس في علاقاتها البيئية العربية المشتركة فحسب بل ايضاً في إطارها الطبيعي من تاريخ العالم: فالعلَمان اللذان يحددان هذه الحقبة هما الاسكندر الكبير ومحمد وقد طبعا بطابعيهما طريق الأحداث التي تلتهما: فينتج ان المكانة الكبرى التي يحتلها في هذا المؤلف تاريخ الجزيرة العربية الجنوبية تجد ما يبررها إذ تفقد الأحداث الاسطورية والتاريخية طابعها المحلي وتسجّل في مصير تاريخ العالم. يتقيد المؤرخان بلائحة التواريخ التي وضعها گونزاك ريكمانس وجاكلين پيرين[١] تدفعهما رغبة تقديم عواطف تبجيلهما لمدرسة لوفان[٢] التي استطاعت أن تدخل شيئاً من النظام في تاريخ هذه المنطقة العام.

لم يكن المؤلفان ممن يستنبط العلم في الكتب بل انهما قاما بعدة جولات في سوريا والاردن ومصر وتونس والحبشة والسودان وقد دفعتهما رحلاتهما العلمية لزيارة كينيا وزنجبار وحضرموت وللنزول في مدن القاهرة وأديس أبابا وأسمره وبغداد ودمشق دون التغاضي عن زيارة الحفريات التي تقوم بها مختلف البعثات الأثرية وقد سعيا دوماً للتحري عن العلاقات القائمة بين الحضارات الكلاسيكية الاوروبية والعربية وعن الروابط القائمة بينها وغالباً ما قاما بهذه الرحلات العلمية على حسابهما الخاص. وهذه أمور جديرة بالتنويه اذ تبين الرصانة التي تتجلى بمشروعهما العلمي الذي نفذ بحذافيره.

(١) Gonzague Ryckmans et Jacqueline Pirenne

(٢) Louvain

فيما يلي محتوى المجلد الذي سوف نفحصه مع كافة تفاصيله :

ملاحق

(١) Curtius Rufus

(٢) Iambulos

(٣) Omana et Gerrha

سارابيس[1] (صفحة ١٧ – ٣٠)

كانت الجغرافية الكلاسيكية تعين موقع جزيرة الاله سيرابيس[2] او سارابيس على ساحل عمان بالذات . قبل ان تتجه شواطئه نحو الخليج الفارسي دائرة حوله من الجهة الشمالية الغربية . ويذكرها بطليموس اكثر من مرة كجزيرة سارابيس[3] ويقول ان فيها معبداً ولربما هو للاله سارابيس كما يذكرها ايضاً اسطفانوس البيزنطي[4] تحت اسمها المقتضب سارابيس ولكن المصدر الذي يتكلم عنها منفصلاً هو « الرحلة حول بحر اريتيريا » . ف ٣٣[5] وهو يجعل الجزيرة . حين يصف شاطئ عمان . على بعد ٢٠٠٠ غلوة من جزيرة زينوبيوس[6] . وتتألف الجزيرة من ثلاث قرى يسكنها أناس يأكلون الأسماك ويتكلمون جميعهم العربية .

نصادف س ر پ ي و كاسم علم عند الانباط وقد حركه مارك لدزبرسكي[7] على شكل « سرابيون » وقد كتب ج . كانتينو[8] الاسم على شكل ش ر پ ي و وربطه باللفظة العربية ش ر ف وبما اننا نعلم ان اللغة النبطية تستعمل بدون تميز حرف س وحرف ش نستطيع ان نجزم أن شكلي س ر پ ي و و ش ر پ ي و يبينان بشكل قاطع صحة قراءة لدزبارسكي لهذا العلم .

ولا عجب ان نصادف اعلام تيمن بالالهة أمثال سارابيس وسيرابيون شائعة عند الأنباط ويعود ذلك الى قرب الانباط من وادي النيل ولكن الصعوبة تنجم عن إقامة العلاقة بين الاسم والمسمى اي جزيرة سارابيس لأن هناك أسباباً موجبة تنفي أن يكون أصل الاسم مصرياً وتفيدنا « الرحلة ... » ان سكان الجزيرة كانوا أناساً مكرسين[9] اي مكرسين لسارابيس ولربما كانت لفظة « هياروس »[10] مرادفة للفظة « هيارودولوس »[11] وهذا مما يحملنا

---

(١) Sarapis

(٢) Sérapis

(٣) νῆσος Σαραπίδος

(٤) Stephanos de Byzance

(٥) *Periplus maris Erythraei*, 33

(٦) Zenobios

(٧) Lidzbarski

(٨) J. Cantineau

(٩) Κάτοχοι او ἀνθρώποις ἱεροῖς كما ذكرتهم اوراق بردي سرابيون منفيس .

(١٠) ἱερος كاهن

(١١) ἱερόδουλος خادم المقدس .

على اعتبار التنافذ الحاصل في المفاهيم الدينية قد انتشر في كابادوسيا وبابل وعيلام وجنوب جزيرة العرب كما أنه يجب ألا ننسى أنه كان في خليج جره لاجئون كلدانيون قد ذكرهم سترابون[١]. وقد أخذت الآن فكرة وجود إله بابلي يحمل اسم سارابيس تلقى بعض القبول وكان ف. ديليتش[٢] قد أشار الى وجود إله يحمل اسم شربو[٣] في مجموعة الآلهة البابلية وقد سعى ليمن[٤] في تحديد هوية ذلك الإله وربطه بـ شَر أبْسي إله الاوقيانوس وقد أيدت هذه الفرضية الأخيرة كلياً الدراسات المقارنة التي قام بها ث. هوبفنر[٥].

واذا استثنينا بعض القضايا التي وجدت تلقائياً لنفسها الحلول الملائمة: كقضية جزيرة سارابيس وكونها مأهولة بالسكان العرب. وقد أقام الدليل على ذلك علماً العاديات والكتابات الحديثة: وكقضية أعلام التيس ومنها سارابيس التي شاعت في شبه الجزيرة العربية وفي أطرافها: والتي أدت الى مجموعة من التأملات تتعلق بمصدر العبادة التي حظي بها الإله سارابيس في الاسكندرية وفي ممفيس: وقد بين علماً العاديات والكتابات ان عبادة الإله سارابيس قد دخلت مصر قبل فتح الاسكندر الكبير وقد تدعم هذه النظرية النصوص التاريخية وقد يؤيدها الشعر اليوناني: تقول: اذا استثنينا هذه القضايا: نجد ان مشكلة أصل سارابيس لم تحل بعد وهي لا تزال مفتوحة: فنظريات ا. ڤلكن[٦] قد لا تلاقي من يحبذها ولكن التأييد اليوم قد يشفع تارة بالنظرية «البابلية» وطوراً بنظرية «سينوبيس»[٧].

اخبار تتعلق بأصل الأنباط

نعثر لأول مرة على اسم الأنباط في سنة ٣١٢ قبل الميلاد وقد ذكره هيرونيموس الكردياني[٨] بمناسبة قيام حملة عسكرية ضد هذه القبيلة العربية وقد خطط لهذه الحملة انطيگونس[٩] وكان قد شن عدة غارات على

(١) Strabon

(٢) F. Delitzsch

(٣) Šarrapu .

(٤) C. F. Lehmann

(٥) Th. Höpfner

(٦) U. Wilken

(٧) سينوبيس هي مدينة Sinope . «النظرية البابلية» تعزو عبادة سرابيس الى اصل بابلي بينما نظرية «سينوبيس» تعزوها الى هذه المدينة.

(٨) Hieronymos de Kardia.

(٩) Antigonos

سوريا وفينيقيا وهو يذكر أن « هؤلاء العرب الذين يطلق عليهم اسم الانباط »[1] كانوا يناصبونه العداء .

هيرونيموس الكرديانى

يقدم لنا لمحة خاطفة عن ميزات العرب ، فهم يعيشون أقواماً ويعشقون الحرية ويقضون حياتهم تحت قبة السماء وقد انتقوا لهم منطقة خالية من ينابيع المياه وخاوية من الأنهار . اذا تجرأ العدو ودخل المنطقة التي يعيشون فيها لسوف يقع في حيرة إذ لن يجد مكاناً يسكنه . لا يبذر العرب الأرض ولا يزرعون الاشجار وهم لا يشربون الخمر قط ولا يبنون المساكن ومن يخالفهم في الرأي فنصيبه الموت وهم يتصورون ان الابتعاد عن العادات المألوفة قد يقوي ارادتهم في البقاء احراراً فالرغبة في الحرية تلازمهم من مطلع حياتهم لغايتها .

ثم يعالج المؤلف ، بعد هذه الاعتبارات العامة ، تفاصيل حياة كل من الأقوام العربية ويذكر أن بعضها يربي الجمال ذوات السنام الواحد او السنامين وبعضها الآخر يهتم بتربية العجول ، ويحتل الأنباط في مؤلفه مكانة خاصة وهو يقدر عددهم بعشرة آلاف نسمة وينسب اليهم الثراء الطائل . يحمل الأنباط حتى البحر الأبيض المتوسط البخور والمر والأفاوي التي تسلمها من سكان الجزيرة العربية السعيدة[2] . ويتعلق الأنباط بحريتهم تمام التعلق واذا داهمهم العدو فهم يلوذون بالصحاري[3] وهي أرض حرام على العدو لانها خالية من المياه ولكن الانباط بنوا فيها الصهاريج حيث تتجمع مياه الأمطار وهم فقط يعرفون مكان هذه الصهاريج او الخزانات . ولا يسقي الانباط انعامهم إلا مرة واحدة في كل ثلاثة أيام وذلك لكي تعود ، إذا اقتضت الحاجة ، اللجوء الى الصحراء الخالية من الماء . ويقتات الأنباط باللحم والحليب ويشربون ماءهم ممزوجاً بالفلفل[4] وبنوع من الصمغ . قد يختلط العرب والأنباط منهم بالمتحضرين وقد يشتركون بزراعة الأرض مع غيرهم ولكنهم يأبون السكن في المنازل . إن الصفات المميزة للعرب ولغيرها من الأقوام العربية هي روحهم التواقة الى الحرية

(١) οἱ Ἄραβες οἱ καλούμενοι Ναβαταῖοι

(٢) Arabia Felix

(٣) πεπυργωμένοι ὀχυρώματα

(٤) πέπερι

واكتفاؤهم بقليل من الماء وتقيدهم بعدم إقامة الأبنية وأما في أمورهم المعاشية الأخرى فهم لا يتميزون عن الأقوام التي تجاورهم او التي تسكن في أطراف الصحاري .

يذكر ايضاً هيرونيموس البانيگوريس[1] وهو نوع من السوق الموسمي الذي يذكرنا بالأسواق السنوية التي سوف تقام في العصور المتأخرة في عكاظ ومكة . يقصد العرب والأنباط منهم السوق الموسمي مع أفاويهم ويقايضونها بحاجياتهم اليومية ويترك الانباط ، اثناء قيام هذه السوق ، نساءهم واطفالهم وشيوخهم وأموالهم ؛ لتصونها في «الموضع الحجري»[2] وهذا الموضع يقع على بعد مسيرة يومين عن كل مكان مأهول بالسكان .

يأتينا بعض المؤلفين بمعلومات إضافية تثبت ما تركه لنا بهذا الخصوص ديودوروس[3] فيفيدنا اگترخيدس[4] في ما كتبه عن البحر الأحمر بأن الأنباط لم يسكنوا داخل منطقتهم فحسب بل قد استوطنوا ايضاً على شواطئ البحر الأحمر ؛ وبأنهم اشتهروا بكثرة قطعانهم ؛ كما أننا نعلم من الكتاب نفسه أن الذين كانوا يجلبون اليهم البخور والعطور هم سكان جرّه والمينيّون القاطنون جنوب الجزيرة العربية . وقد تكون جديرة بكل اهتمامنا الملاحظة التي نعثر عليها عند اگترخيدس ومفادها أنه تقوم في قعر جون شواطئ البحر الاحمر ، غابة صغيرة ومقدسة من النخل[5] يحلها سكان المنطقة وفيها هيكل مع نقش لم يتوصل اي شخص يوناني الى حل رموزه . يسهر كاهن وكاهنة على خدمة الهيكل وتقام فيه كل خمس سنوات حفلة «پانيكوريس» ، يجتمع لمراسمها كافة سكان المنطقة المجاورة وتذبح فيها مئة رأس من النوق . يحمل الحجاج الذين يحضرون المراسم حين عودتهم الى بلدهم مياه المكان المقدس الى الذين لازموا بيوتهم وتنسب لتلك المياه خواصاً تشفي من الامراض والعاهات . ان نونوزوس الذي يذكر الموقع عينه والاحتفال نفسه يفيدنا ان ذلك يتم مرتين في السنة ، في الربيع وفي أواخر الصيف وإن احتفالات الربيع تدوم شهراً واحداً واحتفالات أواخر الصيف شهرين وان أمان الله في هاتين الفترتين يعم الكون ويشمل الناس والحيوانات .

---

(١) πανήγυρις
(٢) ἐπί τινος πέτρας
(٣) Diodore
(٤) Agatharchidès
(٥) φοινικών

وقد ترك لنا ديو دوروس ملاحظة قد سجلها لنا بدوره هيرونيموس الكرداني وكلاهما يتفقان في سرد النادرة التي تتعلق بسرق پانيگوريس وبعادة حجر الأطفال والنساء والشيوخ في مكان محصن . ونستطيع ان نتحقق من صحة هذين الأمرين من المهمة التي كُلف بها القائد اثينايوس من قبل انتيگونوس بوجوب قهر الأنباط .

انتظر القائد موسم الپانيكوريس واقتحم مقاطعة آدوم[١] بعد مسيرة ثلاث ايام وثلاثة ليال قطع فيها مسافة ٢٢٠٠ غلوة مداهماً في منتصف الليل الصخرة مستفيداً من غفوة الأنباط فباغت النائمين وأعمل السيف في رقابهم ونهب كل ما وجده تحت متناول يده واستولى على خمسمائة وزنة من الفضة وعلى كميات كبيرة من البخور والمر ولم يطل المقام به في الصخرة بل انسحب . ولكنه لم يكد يقطع ٢٠٠ غلوة حتى لحق به الانباط وباغتوه مع جيشه الغارق في النوم وقد نجا منه خمسون جندياً فقط استطاعوا ان يلوذوا بالفرار وعادت الغنيمة الى أيدي مالكيها الشرعيين .

كتب الأنباط إثر هذه الحادثة رسالة بالحرف السرياني[٢] إلى انتيگونوس يدفعون فيها التهمة عن انفسهم ويلصقونها فيه مدعين انه دبّر هو نفسه تلك المؤامرة ، وإن دلّت هذه الملاحظة العابرة على شيء فهي تبين لنا أن الأنباط لم يتبنوا الآرامية في القرن الأول قبل الميلاد فقط بل قد تبنوها كلغة رسمية في أواخر العصر الاخميني . أجاب انتيكونوس على رسالة الأنباط مخادعاً وادعى انه حاول صد اثينايوس عن تنفيذ مأربه وأخفى نياته الحقيقية رغبةً منه في طمأنة الأنباط لعلهم يولونه من جديد ثقتهم وقد اغتبط الأنباط من رد انتيگونوس ولكنهم لزموا الحذر وعندما حاول المذكور في هذه المرة ايضاً مداهمتهم وأرسل لهذه الغاية ابنه ديمتريوس[٣] على رأس ٤٠٠٠ من الجند المشاة مع ١٠٠٠ من الفرسان أخفق في مسعاه اذ اعلمت اشارات نارية الأنباط عن قدوم جيوش العدو فحملوا أموالهم « الى الصخرة »[٤] وجعلوا لها حامية وأطلقوا قطعانهم في الصحاري . ففشلت هجمات المعتدين وقرر الأنباط ارضاء ديمتريوس بالهدايا في حال موافقته على فك الحصار عن الصخرة وعلى الانسحاب فاكتفى المغيرون بالهدايا وابتعدوا عن المدينة .

---

(١) ἐπαρχίας Ἰδουμαίας τῆς ἀπὸ
(٢) Συρίοις γράμμασι
(٣) Demetrios
(٤) τὴν πέτραν ... εἰς

نعلم الآن حق العلم ان الصخرة التي نحن بصددها ليست إلا الموقع الذي سيصبح فيما بعد مدينة البتراء وهذا أمر تؤيده كافة النصوص والوثائق وهنا نذكر شاهداً أولا : « وكانوا ينصرفون الى موضع قفر ليحتموا به »[١] ؛ وشاهداً ثانياً : « كان في المكان آبار من حفر يديهم »[٢] ؛ وشاهداً ثالثاً ينوه معتزاً بدفاع مجيد وساعدته تضاريس المكان »[٣] . وبخصوص الشاهد الثالث لا يسعنا إلا أن نلمح الى زب عطوف الذي يرتفع الى علو ١١١٠ م. والذي ينتصب في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة التي ستنشأ فيما بعد .

اتجه جيش ديمتريوس بعد انسحابه نحو البحر الميت الشهير بأسفلته الذي يقبل عليه إقبالاً شديداً سكان مصر ويخلطون به موتاهم وكان سكان هذه المنطقة يحافظون على سلعتهم النفيسة ويسهرون عليها ورأى انتيكونوس في الأسفلت هذا وسيلة ناجعة كغيرها للاثراء قد تعوض عليه ما فاته بعد حملته الفاشلة ولكن الأحداث جرت مرة ثانية على غير ما كان يتوقع ويذكر هيرونيموس الكردياني أن انتيكونس لم يوفق في قهر ٦٠٠٠ من العرب تجمعوا هناك وتغلبوا عليه ونكلوا دم معظم رجاله .

ه

ونجد لأول مرة ذكر الأنباط ، قبل الأحداث التي سردناها أعلاه ؛ وكان يطلق عليهم اسم عرب وقد ثبت اسمهم هذا من نص حصار الاسكندر لغزة في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد .

تذكر نصوص اريانوس التاريخية أن الخصي « باتيس » هو الذي تولى أمر الدفاع عن المدينة وعندما اقترب جيش الاسكندر الكبير رفض المذكور ان يسلم المدينة بل قام بتحصينها وامتار مستعداً للمقاومة وقد قيل عن لقاوميه إنهم « عرب ... جاؤوا للمساعدة »[٤] وما لبث أن أصبح الدفاع عن المدينة أمراً شاقاً فأصيب ملكيا بالجراح مرتين لاقتراب المعارك من مشارف المدينة وقاوم سكانها الغزاويون[٥] حتى آخر رجل منهم وبيع اطفالها ونساؤها كعبيد .

---

(١) τὸ δὲ χωρίον ὑπῆρχεν ὀχυρὸν μὲν καθ'ὑπερβολήν, ἀτείχιστον δέ.

(٢) οὔσης μιᾶς ἀναβάσεως χειροποιήτου

(٣) διὰ τὴν ὑπεροχὴν τῶν τόπων

(٤) Ἄραβας... μισθωτοὺς ἐπαγόμενος

(٥) Γαζαῖοι

ونعلق أولاً على اسم البطل الذي ذاد عن المدينة Batis : واسمه هذا من أصل عربي : باطش ؛ وقد نقش في الخط النبطي على شكل بطشو وقد ربط ج. كانتينو الذي كان يجهل نص اريانوس الاسم بما قرأه في القاموس اي بطّاش.

وتأييداً لما أبداه الاستاذ النهايم من آراء بخصوص البقاع التي انتشر فيها الأنباط . نرى وجوب إضافة ما يلي : ألقى منذ سنتين الاستاذ لانكستر هاردن[1] المعروف في أوساط العاديات الأردنية ، محاضرة في المجلس الثقافي البريطاني في بيروت وعرض أفلاماً تبين أن عدداً ضخماً من الحجارة البازلتية التي تغطي كل منطقة آدوم تحمل نقوشاً نبطية بدائية . يشير ديودوروس أن الأنباط كانوا يحملون الى البحر الابيض المتوسط الأفاوي والعطور التي كانت تصلهم من بلاد العرب السعيدة ولا نستطيع بعد قراءة هذه الاشارة إلا اعتبار غزة كنقطة التقاء إذ كانت في نهاية الطرق التي تتجه اليها من ايلات على البحر الأحمر ومن شبه جزيرة العرب ، كما أنها كانت تقع على الطريق الذي يربط بلاد ما بين النهرين بمصر . وقد أبدى الأنباط اهتماماً كبيراً بغزة بسبب نوعية سلعهم ولذلك اظهروا دوماً استعدادهم لمساعدة المدينة ولربما ارسلوا اليها المرتزق Batis لكي يعاون سكانها ضد الاسكندر .

ونستطيع بهذا الصدد الاعتماد ايضاً على ملاحظة صادرة عن كورتيوس روفوس الذي يذكر فيها ان آمر موقع غزة كان يدعى « باتيس »[2] وأن حرساً « قليل العدد »[3] كان يحمي اسوار المدينة الحصينة يساعده في مهمته هذه المواطنون وقد تجرأ « عربي من جنود الفرس »[4] بتصويب ضربة كادت تقضي على الاسكندر وكانت مقاومة المدينة عنيفة وقد قرر المحاصَرون ايقاع خسائر جسيمة بالمحاصرين وقد أدت الغارة الى مقتل عشرة آلاف من الفرس والعرب . لا يميز كورتيوس روفوس قط بين السكان « الغزاويين » و « المرتزقة العرب »[5] (كما فعل اريانوس) وذلك لأنه قد يضفي على غزة الصبغة العربية دون سواها وقد رأى پوليبيوس وفلاڤيوس جوزف في مؤلفيهما

(١) Lankaster Harding
(٢) باليونانية Βᾶτις
(٣) modicum praesidium
(٤) Arabs quidam Darei miles
(٥) Ἄραβες μισθωτοί

التاريخيين الرأي عينه وهما عندما يتكلمان عن هذه المعركة لا يعرفان الا « الغزاويين » .

قد نستطيع القول ان غزة لم تكن عربية قبل الاحتلال الاسلامي ويرى W. W. Tarn عكس ذلك ويؤيد رأيه مستشهداً بـ Hérodote (انظر ٣ و ٥ و ٧ و ٩١) ولكن تعليله للنصوص لا يعتبر كحجة قاطعة ؛ وعلى كل لا تلمح النصوص المستشهد بها لاحتلال عربي لغزة وهذا هيرونيموس الكرديائي يسمي المنطقة آدوم وهذه المعلومات التي وصلت الينا تبين ان الجزيرة العربية في قديم الزمان كانت تختلف تمام الاختلاف عما هي عليه الآن ؛ وكل ما نستطيع ان نقوله هو ان غزة لم تكن قط يهودية وكانت لهجتها دوماً عربية .

ينقل لنا كورتيوس روفوس في تاريخه النادرة التالية : كُلف پوليداماس[١] بعد الحكم على فيلوتاس[٢] بالذهاب الى اكباتانا لاغتيال پرمينيون وقد تنكر للخروج من درانگاي[٣] عاصمة درانگيانا بزي عربي وصحبه عربيان تركا نساءهما واطفالهما «كرهائن»[٤] لدى الاسكندر الكبير ووصل ثلاثتهم عبر صحاري لا ماء فيها وبعد مسيرة تسعة أيام، الى المكان المقرر حيث خلع پوليداماس الثياب العربية التي تنكر بها وارتدى لباس أهل مكدونيا . وكان قد آثر لمسيرته من درنگاي الى اكباتانا اتخاذ طريق الصحراء المباشر ليحول دون وصول نبأ رحلته الى پارمينيون قبل أوانها[٥] ولربما قد أودى به طريقه الى القرب من بحيرة هامون وحازى هكذا كاباي اي اصفهان الحالية . ويجزم كورتيوس روفوس مؤكداً بوجود عرب في منطقة درنگيانا في فارس ولكن رواية اريانوس للحدث نفسه لا تذكر ؛ حتى ولا تلميحاً ، عرباً قد لقيهم پوليداماس في طريقه . وعلينا أن نتساءل : هل أقام عرب في بلاد فارس ؟ وفي حالة الايجاب ، متى تم لهم المقام فيها ؟ نعثر في « الرحلة حول بحر اريتريا » على خبر يتعلق بهذا الموضوع مفاده ان قمة « اسيخ » كانت النقطة التي تفصل فارس عن الشاطئ الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة العربية

(١) Polydamas
(٢) Philotas
(٣) Drangae
(٤) Vinculum fidei
(٥) Velocitate opus est, qua celeritatem famae antecedas

حيث تقع جزر زينوبيوس السبع والتي عرفت باسمها هذا بفضل اسم رجل عربي لقب بزينب ويبعد موقعها ٢٠٠٠ غلوة عن جزيرة سارابيس وكان الشاطئ بكامله حتى عمان الخالية تحت السيطرة الفارسية ويروي الطبري نفسه ان شاطئي الخليج الفارسي كليهما كانا تحت سيطرة فارس ولذا مر اردشير الأول بالبحرين عندما أراد فتح حترا.

يحدثنا المسعودي في القرن العاشر عن السيرافيين المقيمين في فارس ونجد ذكرًا لأهل سيراف في المؤلفات المتأخرة وذكر ميكان « محلة من سيراف» . فهل وقعنا عرضاً على سكان جزيرة سارابيس حسب ما ورد في « الرحلة ... » وفي مصادر تاريخية أخرى ؟

كان في عمان الحديث عرب يخضعون للسيطرة الساسانية ومجرد التفاء نظرة على الخارطة الجغرافية يبين لنا ان عمان الساساني هذا وكرمان وكدروسيه[١] تقع جميعاً مقابل بلاد فارس وقد عرف أهل هذا العصر مرفأ مدينة هارموزاي[٢] الموافق لهرمز وسوف يطلق على هذا المرفأ في العصور الهيلينستية المتأخرة اسم عمانه وقد ثبت على هذا الشكل في « الرحلة »٣٦ . استوطن عمانيو القسم الجنوبي من الخليج الفارسي العرب في شمال عمان الحديث ويذكر بلينوس في مؤلفه « التاريخ الطبيعي » عن قربهم من زيتيس[٣] الذي قد يكون اسماً مشتقاً من أصل عربي (زيتي من زيت) وكانت سيراف تقع على الشاطئ المقابل في فارس وقد ذكر ذلك ابن خرداذبه وقدامة. وهكذا اننا نجد عرباً يخضعون للسيطرة الفارسية في عمان الحديث كما نجدهم على شواطئ منطقة كرمان المجاورة لبلاد فارس ولربما نجد عرباً في بلاد فارس بالذات.

الرحلة حول بحر اريتيريا وكورتيوس روفس (صفحة ٤٠-٦٤) .

لم نجد بعد مشكلة سنة تأليف كورتيوس روفس لتاريخ الاسكندر حلاً نهائياً . فالأرجح انه كتب بين عصر الامبراطور كلوديوس وعصر الامبراطور ساويروس وما استجد في هذه المشكلة هو ربط الفترات الزمنية التي يحددها كورتيوس روفوس بالفترات الزمنية التي تذكرها « الرحلة حول بحر اريتيريا » وقد ظهر ان كورتيوس روفوس قد استمد تاريخ أزمنته من

(١) Gedrosia
(٢) Harmozaei
(٣) Zétis

« الرحلة » واستعان به ولذا كثر التوافق الزمني بين كورتيوس و « الرحلة » وفي حال قبولنا بأن التعامل التجاري الذي قد عرف رواجاً كبيراً بين الهند والغرب قد ذكره للمرة الأولى بطليموس و « الرحلة »، حتى لنا نسبة كورتيوس و « الرحلة » الى فترة زمنية واحدة. ولم يزل حتى الآن يتأرجح تأريخ وضع « الرحلة » بين عصر نيرون ونهاية القرن الأول الميلادي ولقد اخضعت السيدة جاكلين پيرين في مؤلفها (*Le royaume sud-arabe de Qatabān et sa datation*, 1961, 167-193) كل المعطيات الكلاسيكية التي توافرت لديها بهذا الخصوص الى غربلة ممحصة وقد استطاعت بالحجج الدامغة وبالاعتماد على معطيات علوم الكتابات القديمة وقراءتها والتاريخ والنصوص الفارسية: تثبيت السنوات ٢٢٥ و ٢٣٠ كحد أقصى لتأليف « الرحلة ». ووافق مبدئياً التهايم وشتيل على هذا الحد ولكنهما أدخلا على نظرية پيرين بعض التعديلات والتحسينات الطفيفة التي فاتت هذه الأخيرة أو أوقعتها في بعض الشك والحيرة.

فُحصت الآن الأصول الشرقية واليونانية واللاتينية واستفيد منها الى أقصى حد ولذا نستطيع بكل تأكيد نسبة « الرحلة » إلى النصف الأول من القرن الثالث او على الأصح الى عصر الامبراطور سبتيميوس ساويروس: فالنصوص والتحليلات والتعليلات تقنع بصحة هذه النسبة بشكل لا مواربة فيه.

البطالسة والأنباط (صفحة ٦٥–٧٩)

. ان المرجع الأساسي الذي يسلط الأضواء الكاشفة على نشأة سياسة البطالسة وتجارتهم في البحر الاحمر هو سفر الكندي اگاترخيدس الشخم وقد عاش هذا في الاسكندرية ولم يطبع مؤلفه الا طبعة واحدة قام بها مولر[١] في سلسلة *Geographi Graeci Minores* I, 1882, p. 111 s. وهي الطبعة المعمول بها الى الآن اذ لم تحل طبعة أخرى محلها وقد فحصته جاكلين پيرين من زاوية علاقته بالجزيرة العربية الجنوبية وكان مؤلفه قد وضع تاريخاً لاوروبا يقع في ٤٩ مجلداً وتاريخاً لآسيا في عشر مجلدات وقد عكف المؤلف في آخر حياته على تاريخ البحر الاحمر ولكن مجموعة من الظروف القاهرة الخارجية حالت دون انجازه العمل. ونعتمد لتحديد تاريخ مؤلفه البحر الاحمر على الحدس والتخمين ولربما قد قام المؤلف بعمله في الفترة الواقعة

(١) C. Müller

بين ١٣٢–١٣١ و ١١٧–١٠٨ قبل الميلاد . ولم نعثر على أصل المؤلف ولم يصل إلينا بكامله ولكن فوتيوس[١] وديودوروس ٣:١٢–١٨ احتفظا بمقطوعتين منه قد نشرهما مولر الذي أتاح لنا قراءة وصف « الخليج العربي »[٢] ٧٩–١٠٣ .

لم يكد البطالسة يجعلون البحر الاحمر صالحاً للملاحة التجارية حتى هرع الأنباط اليه وأخذوا يقومون بأعمال القرصنة ولذا اضطر البطالسة إلى إقامة شرطة بحرية وعندما سقطت مدينة ايلانا[٣] في أيدي البطالسة اتخذت لها اسم بيرينيكه[٤] وعسكرت فيها شرطة البحر التي كانت تتألف من ٩٨ « حارساً للقلعة العربية »[٥] .

ويمكننا ان نطرح السؤال التالي : من هم بالضبط هؤلاء التجار الذين مهد لهم البطالسة طرق الملاحة في البحر الاحمر ووضعوا تحت تصرفهم مرافئ بيرينيكه وميوس هورموس وفيلوتيرا[٦] ومن هم هؤلاء « رجال البحر »[٧] الذين كان يداهمهم الأنباط بنية نهبهم ؟ لم يكن بالطبع هؤلاء التجار من الاوساط التي كان ينتمي إليها القراصنة الأنباط . يقول مثل سائر ينسب الى أحيكار الحكيم عثر عليه في بردي قديم في اليفنتينا : « وإياك أن تدل عربياً على البحر او صيداوياً على الصحراء » . مما ينوه بأن العرب : اسياد البر . كانوا يتعاطون القرصنة في البحر وان الصيدونيين : اسياد البحر : كانوا لا يحجمون عن تعاطي القرصنة في البر . وعلى كل فلنا ما الحرية بتفسير هذا المثل على الوجه الذي نرتئيه .

اما امر وصول السلع الى مرفئ بيرينيكه على خليج ايلانا ومنه الى غزة فكان يتم على الوجه التالي : كان المينيون هم الذين يؤمنون نقل البضائع كلياً أو جزئياً الى غزة بينما كان يتم نقلها في البحر الاحمر إما على يد المينيين التابعين للبطالسة إما على يد اليونان خاصة . وكان الطريق المتبع لنقل سلع الجزيرة العربية الجنوبية هو أن يستلبها الأنباط من المينيين وان ينقلوها من البتراء

(١) Photius . في مؤلفه : بيبليوتيكا *Bibliotheca*
(٢) Ἀράβιος κόλπος
(٣) Ailana
(٤) Bérénikè
(٥) φύλακες τοῦ Ἀραβίου μυχοῦ
(٦) Myos Hormos, Philotera
(٧) πλέοντες

الى غزة وذلك عن طريق الصحراء . وحتى عندما كان السبئيون يملؤون بالذهب سوريا إبان حكم بطليموس الثاني ؛ كانت هذه السلعة نفسها تصلها بواسطة طريق البر فقط وما كانت التجارة البحرية البطليموسية تعتمد إلا على المرفأ الوحيد القائم في الجنوب ، «خرموثاس»[١] الذي كان بوسعه أن يستقبل الفين من المراكب تقريباً . ولم يكن يبعد المرفأ المذكور عن بلاد ثمود القريبة من اليمن وكان هنالك تيار من المياه يرتطم على جنوب المنطقة النبطية وقد كان هذا التيار يعوق الملاحة ولذا كثرت الحوادث الناجمة عن صعوبة الملاحة ومراراً ما أصابت بالأضرار الزوارق التي كانت تقصد مرفأ خرموثاس ونعتقد حسب معطيات التاريخ ان قراصنة البحر لم يكونوا عرباً فحسب بل انباطاً ايضاً ولم تنتصر اعمال القرصنة على البحر الاحمر بل تعدتها الى حوادث برية مما ارغم البطالسة على إقامة حصون على شواطئ البحر وعلى طول طريق نقل السلع وقد هدد سكان جره والمينيون يساعدهم السبئيون احتكار نقل السلع نحو البحر الابيض المتوسط ، هذا الاحتكار الذي استأثر به الأنباط وقد سعوا للذود عنه بكل ما أوتوا من قوة ولكن بطليموس الثاني الذي حاول انتزاع هذا الاحتكار منهم نجح في مسعاه ووصل الى البحر المتوسط بالدوران حول البحر الاحمر دون عبور أراضيهم .

كانت المحطة التجارية المينية التي توجه السلع نحو الشمال اي نحو الأنباط والبتراء هي مدينة ديدان في شمال الحجاز وكانت فيها جالية من المينيين وكان السبئيون الذين كانوا هم ايضاً يحملون بخورهم وأفاويهم الى الشمال ، لا يتوقعون أن يرحب بهم أهل ديدان ولذا كانوا يسلكون ، للوصول الى فينيقيا أو سوريا ، طريقاً يفضي بهم الى الشرق . إننا لا نعرف الكثير عن هذا الطريق التجاري ولكننا نفترض أنه كان يمر بالموقعين اللذين أقيمت عليهما اليوم الحائل والجوف وقد أقام اگاترخيدس وفوتيوس علاقة بين سكان جره والمينيين محددا الطريق التجارية المؤدية الى سوريا فقد كانت تنطلق من الجوف مخترقة وادي الرمة بالحائل تيماء وأخيراً وادي سرحان .

تمتع الانباط بامتيازات سياسية لكونهم حلفاء السلوقيين ومناهضيهم البطالسة وقد اهتم الانباط خاصة باحتكاراتهم التجارية ويجدر بنا أن نلاحظ ان الأراضي التي استولى عليها البطالسة في سوريا وفي فينيقيا كانت تخص السبئيين واهل جرة ولا تخص الأنباط . ويفهم من هذا أنه ، رغم اختلاف

---

(١) Kharmuthas

المصالح النبطية والسلوقية ؛ سلك التيمان مسلكاً موحداً في الأمور السياسية والعسكرية . ولما سقط الغور السوري وفلسطين في حوزة السلوقيين ، إثر الحرب السورية الخامسة (٢٠٠-١٩٥ قبل الميلاد) التي أدت الى احتلالهم لسوريا ؛ حارب في جيش انطيوخس الثالث عرب مع جمالهم واصبحت طريق العطور والأفاوي منفتحة من جديد للانباط حتى غزة اي النقطة النهائية للطريق التجارية المنطلقة من البتراء . أما وجود السبئيين في غزة فهذا شيء غير معقول . انسحب حرقان[1] الموالي للسلوقيين الى الضفة الشرقية من الأردن وأسس طوبياد ونحن نعرف اليوم أطلال قصره باسم عراق الأمير ؛ وحصنه الذي لا يزال بادياً للعيان باسم وادي الشير . وقد حارب حرقان العرب (أعني الأنباط) وقد قتل عدداً منهم ووقع الآخرون بأسره وقد حكم ما جاوره من البلاد مدة سبعة اعوام ولكن عندما تولى الحكم انطيوخس الرابع بعد وفاة سلوقس الرابع ؛ انتحر حرقان . خوفاً من أن ينتقم منه مليكه فتوثقت عرى الصداقة من جديد بين الأنباط والسلوقيين .

(للبحث صلة)

---

(١) Hyrcan

علم النفس القضائي

بقلم الدكتور انيس الصغيّر

دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ٣٤٦ صفحة

الدكتور فؤاد الصغيّر : المفتش القضائي العام والأستاذ في كليتي الحقوق بالجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية : يعد من القضاة الذين لهم في معرفة القانون على مختلف ضروبه طول باع ؛ وفي تدريس مواده خبرة ونظر . لما عهد اليه برئاسة معهد القضاء ، اضاف الى برامج التدريس فيه مادة علم النفس القضائي ؛ وها هوذا اليوم يبرز ثمرة تعليمه في مجلد انيق الطبع ، جذاب الاسلوب ، امثاله متنوعة حية ، ينم عن معرفة شاملة بدقائق النفس وعن روح انسانية رحبة .

يرى الدكتور الصغيّر – وكم هو في ذلك على صواب ! – ان القاضي العادل ، اذا ما اراد ان يزين بالقسطاس المستقيم ويبين مدى صحة ما يلصق بالمتهمين من شكاوى ، فلا بد له من ان يأخذ بعين الاعتبار ، في الأولية ، العوامل النفسية . فعليه ان لا ينظر الى المتهم نظرة العدو الى العدو ، بل من واجباته درس نفسيته بحسب الفئة التي ينتمي اليها « من حيث الجنس والعمر ودرجة الذكاء والعلم والمهنة التي يمارسها والبيئة التي ينتسب اليها ونوع الجريمة الموجهة اليه » ، فيمسي بالنسبة اليه طبيباً يعالج مريضاً .

ثم على القاضي « ان يعطي المتهم الفرصة اللازمة لاثبات براءته . فالتحقيق لا يقتصر على السعي الى ادانة المتهم (او تبيان مدى مسؤوليته) . بل يهدف الى اكتشاف الحقيقة واظهار براءة من لم تتوافر بحقه الأدلة الكافية » (ص ١٠) .

هذه النظرة الانسانية الى المتهم هي اسمى ما يتحلى به كتاب الدكتور الصغيّر ، وانها منه لبمثابة اللحمة والسدى ، تجدها في مقدمة كل مطلب ومن وراء كل تحليل ، تنبهك الى انه « اذا كانت مصلحة المجتمع تقضي باكتشاف المسؤول عن ارتكاب الجريمة ومعاقبته ، فان العدالة الاجتماعية

تأتي الباس الجريمة لبريء . اذ ان احكم على بريء افظع من الجريمة نفسها . فان بقاء الجريمة من غير عقاب لأفضل من ان يحكم على بريء » (ص١٥) .

يقسم الكتاب الى جزءين اساسيين : اولها مختص بالفرقاء والشهود في الدعوى الجزائية . والثاني بقواعد التحقيق القضائي واصوله . اما القسم الأول وهو الأعظم . فيدرس . في فصول خمسة . المتهم . ثم الضحية والمدعي الشخصي . ثم الانتحار واسبابه . فالشاكي والخبر . فالشاهد ، بينا القسم الثاني يتطرق بالتوالي الى قواعد التحقيق القضائي واصوله . فالى التفسير السيكولوجي للمستندات . فالى تعرف الأشياء والاشخاص ، فأخيراً الى الوسائل المتبعة في اكتشاف الحقيقة .

مؤلف الدكتور الصغير اثر نفيس يحق للمكتبة القضائية ان تعتز به.

كميل حشيمه

W. J. Schraml, *Initiation à la Pédagogie Psychanalytique*. Traduit par A. M. Seitz. Éditions Salvator, Mulhouse, 1970.

تحرص بعض السيدات الحديثات اذا ما تمتعت باليسير من الثقافة ان تجنب اولادها « العقد النفسية » و « مركبات النقص » . غالباً ما تستمد امهات اليوم مفاهيمهن وطرقهن التربوية من بعض المؤلفات التجارية التي لا تنجو من الاعتباطية والسطحية المشوهة لانه يعسر عليهن الاحتكاك بالكتب العلمية لجفاوة تعابيرها الفنية ومشقة فهمها . غير ان أ. م. سلتز نقل مؤخراً الى الفرنسية كتاباً للطبيب والمربي والمحلل النفساني ولتر شْرَمل ، الاستاذ في جامعة فريبورغ برسغو ، عنوانه : « مدخل الى التربية التحليلية النفسية » . اراد الكاتب ان يحيي به ، على ضوء خبرته الواسعة في مراكز التأهيل في المانيا الغربية والولايات المتحدة الاميركية ، تراث « مجلة التربية التحليلية النفسية » التي اسسها هنريش منغ وارنست شنيلر وتابعها تزوليجر وقدرن وآنا فرويد ... وهدفها الاول تطبيق التحليل النفسي على الاولاد وادخال الطرق التحليلية في التربية .

يحاول شْرَمل ببساطة ودقة ان يلقن القارئ مبادئ التربية التحليلية النفسية : ويعرض في القسم الاول من كتابه اسس التربية التحليلية النفسية فيلقي نظرة تاريخية على التحليل النفسي ومسائله ، ورغم ميوله الفرويدية يتميز عرضه لسائر المذاهب والمدارس الاخرى بالموضوعية الايجابية ، ثم يعرض مسائل علم النفس التحليلي ومفاهيمه الاساسية . ويبين في القسم

الثاني علاقة علم النفس التحليلي بنمو الشخصية فيستعرض مراحل الطفولة والمراهقة وأثرها اللاشعوري في الشخصية. ثم يعرض نظرة التحليل النفسي للشخصية الانسانية. وفي القسم الثالث يعدّد الاضطرابات النفسية وطرق علاجها. فيتكلم عن اضطرابات السلوك وبعض المشاكل التربوية خلال مراحل النمو الطبيعي للشخصية. ويصف اشكال العصاب في مرحلة الطفولة واثرها في شخصية الراشد ويبين طرق العلاج النفسي للولد والمراهق. وينهي الكتاب بالكلام عن علاقة التربية وعلم النفس التحليلي فيعرض مسائل التربية التحليلية النفسية واصول الصحة النفسية عند المربي. ثم يلحق عرضه هذا ببحث سريع عن الروائز وعلم النفس التشخيصي.

يستعرض المؤلف هذه القضايا العلمية باسلوب مشوق وسهل المنال نظراً لاختيار تعابيره وكثرة استشهاداته المأخوذة من قضايا يومية لاحظها بنفسه. ويبين لمتتبعي فرويد الذين صدموا من بعض تعابيره الجافة ابعاداً جديدة لهذه التعابير. غير اننا لا نوافقه — وقد نحسب شخصياً لذلك — على حصره الضمير المناقبي الاخلاقي بالانا الاعلى.

وهذا الكتاب اذ يركز على البعد التاريخي الزمني للشخصية الانسانية وديناميكيتها، يدعونا مرة اخرى الى الاهتمام العلمي بتربية الطفل الذي هو «اب الانسان» حسب تعبير وردورث. ويجدر لفت نظر المهتمين بالتربية الى هذا الكتاب وفوائده الكثيرة نظراً لسهولته المقترنة بالموضوعية العلمية.

جورج سلوم

صور حاضرة فينيقيا

بقلم معن عرب

دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠، ٢٥٨ صفحة مصورة

هذا الكتاب، المخصص بصُور، هو الأول من نوعه بالعربية؛ وان ما يتحلى به من طباعة متقنة وصُوَر عديدة لمما يجعل قراءته سهلة تلذ ورواجه اكيد.

يفتخر المؤلف بكونه من ابناء صور؛ ولكن انتماءه الى هذه المدينة يؤود بعض الشيء سداد ابحاثه. من ذلك ما فعل لما قابل، متكلفاً، ماضي مسقط رأسه بماضي صيدون. الا ان الكتاب لا يخلو من الحسنات؛ منها انه يحوي بين دفتيه معلومات جمة، ليست بغريبة عن ذوي الاختصاص.

ولكنها مفيدة لعامة القراء؛ وان ما ساعد الكاتب على ذلك، معرفته الالمانية ورجوعه الى المصادر العديدة المتوافرة في هذه اللغة؛ فجاءت دراسته شاملة لكل ما نعرفه عن صور؛ مفصلة فصولاً موجزة تذيلها لوائح مسهبة لأهم المراجع.

قسم مهم من الكتاب خصص بتاريخ صور السياسي. وهنا تجدر الاشارة الى ان المؤلف استند — وبئس ما فعل — الى بعض ما رواه المؤرخ نتوز من اخبار خرافية، والى اساطير سنكن ياطون. ثم انه ركن دون الكفاية من التمييز الى استعمال التوراة كمصدر تاريخي لا غبار عليه، بينا العلماء يسعون جهدهم في ان يثبتوا عن طريق الاكتشافات الأثرية ما روته اسفار الكتاب المقدس التاريخية باسلوب شتان ما بينه وبين الدقة العلمية احياناً. ولكن مهما يكن من امر هذه المسلكية الخاطئة. فان المؤلف يدرس صور ابان الحقبات الفينيقية، والأشورية الكلدانية. والفارسية والسلوقية والرومانية والبيزنطية؛ وقبيل انصرافه الى الحقبة العربية فانه يدرج بعض التفصيل عن مؤسسات صور: تجارتها؛ صناعتها (ارجوان: زجاج) ملاحتها؛ مستعمراتها؛ آلهتها وطقوسها؛ مما يتيح له فرصة التوقف عند بعض الشخصيات الصورية الشهيرة والتكلم عن الحقبة المسيحية.

اما الحقبة العربية فكل ما حظيت به لدى المؤلف، انما يقتصر على ما يقارب العشر صفحات؛ وهذا لا يكفي. كذلك فاننا نأخذ على الاستاذ عرب اهماله النسبي لما جاءت به مؤلفات الأب بوادابار والأمير موريس شهاب؛ مع العلم انها اعم فائدة علمية من اخبار حقبات فجر التاريخ.

ثمة ملاحظة أخرى في شأن المراجع والمصادر؛ فالمؤلف يتسند وينتبه الى مصادر عديدة. الا انه يذكرها بطريقة اعتباطية غير مرتبة؛ كأن يذكر اثراً لمؤلف لاتيني بعنوانه الألماني او تاريخاً فرنسياً للحروب الصليبية بعنوان لاتيني او تاريخاً لليونان باللغة الانجليزية. الخ...

نأمل ان تصحح الطبعة المقبلة هذه الهفوات لئلا تحط من شأن كتاب وجدناه مشوقاً لا يخلو من قيمة.

كارلوس شاد

الفارس الصغير

بقلم الأب اندره دالثرني اليسوعي

منشورات كشافة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٠ – ١٧٩ صفحة

مؤلَّف صغير بحجمه كبير بقلبه . وضيع المظهر إلاّ ان مخبره لجدير بأن يُعرَّف عنه ويقرظ . اول الأسباب لذلك ان كاتبه هو المرحوم الأب اندره دالثرني اليسوعي ، المستشرق المعروف الذي وقف قواه كلها ، حتى وفاته سنة ١٩٦٥ ، لخدمة العربية وابناء العرب . تخرج على يده عشرات محبي لغتنا من المستشرقين ، ضباطاً ورجال سياسة ودين ، في معهد الدراسات العربية الذي أشرف على ادارته سنين عديدة في بكفيا (لبنان) ؛ وطبعت له مقالات وكتب اهمها المؤلف المخصص لتدريس العربية للمستشرقين ، المعروف بـ Cours de langue arabe وكتاب لتعليم اصول الترجمة والتعريب . وان كان ثمة من دافع حدا الأب دالثرني الى تأليف « الفارس الصغير » ، فما هو الا امله في ان يقوم بخدمة اخرى للغة الضاد ولقرائها الفتيان .

لطالما لمس دالثرني ان المكتبة العربية تفتقر اشد الافتقار الى أدب للاحداث تمتزج فيه عناصر التشويق والمغامرات بالمثل العليا ، وشطحات الخيال بالواقع البناء ، والعواطف النابضة المرهفة بالعمل الايجابي السخي . فأراد ان يقدم الى الصغار والشبان قصة شيقة من صميم الحياة ، وكتب قصته هو ، منذ طراوة سنه حتى انخراطه في سلك الرهبانية وهو في السابعة عشرة من عمره ، سيرة فتى كسائر الفتيان ، فيه الصالح والطالح ، فيه الطموح يعتريه بعض الخمول ، يدرس ويلهو ويفرح ويتألم ويبني لنفسه مستقبلاً مثمراً من حبات ايامه الرتيبة .

ولقد حاول دالثرني جهده في ان يكون اسلوبه سهلاً قريب المنال ، متقفياً بعض الشيء طريقة طه حسين في كتابه « الأيام » . الا انه يقر بكل تواضع انه بعيد ايما بعد عن مجاراة هذا الكاتب العملاق وغيره من كبار الأدباء . اجل ، ان دالثرني لم يتوسع في تحاليله النفسانية وفي اوصافه على النحو الذي نلمسه في « الايام » او في كتاب « اسمع يا رضا » لأنيس فريحه . وانّ اسلوبه لم يخلُ من بعض الصلابة احياناً . غير ان كتيبه يشكر لأنه خطه مستشرق حبذا لو يجاريه دقةً ووضوحاً وسلاسة اسلوب ، الكثير من الشرقيين ، ولأنه يفوح منه عبير بساطة ورهافة شعور ينتقل بالقارئ الى اجواء وجدانية تزخر بالمعاني السامية .

كميل حشيمه

جبران خليل جبران

مختارات ودراسات

بقلم سهيل بشروئي

دار المشرق – بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٥٠ صفحة بالعربية و١٦٥ صفحة بالانجليزية

الدكتور سهيل بشروئي استاذ الأدب الانجليزي في الجامعة الأميركية في بيروت وعضو في ثلاث جمعيات عالمية مختصة بالأدب والشعر وقد حاضر في عدد من الجامعات الأوروبية والأميركية والأفريقية وله ابحاث وكتب بالانجليزية عن الشاعر وليم بطلر ييتس.

خصص الدكتور بشروئي دراسته هذه لجبران خليل جبران لمناسبة المهرجان العالمي المنعقد في بيروت اثناء شهر ايار الماضي احياء لذكرى الشاعر اللبناني الكبير. تنقسم الى جزءين. واحد بالعربية والآخر بالانجليزية. يحتوي كل منهما على ستة ابواب: ترجمة مختصرة لحياة جبران، مختارات من آثاره بالعربية. مختارات اخرى من آثاره بالانجليزية. مقتطفات من رسائله. بعض اقوال النقاد فيه. ثبت شامل بمؤلفاته وبالكتب ومقالات الصحف والمجلات التي تناولته بالبحث، وهذا الثبت يربو على الثلاثين صفحة اذا جمعنا بين المؤلفات بالعربية والمؤلفات بالانجليزية. الا ان ثمة نقصاً كان من المستحب محاشاته في هذا الثبت وهو عدم ادراج ما كتب عن جبران في غير العربية والانجليزية من اللغات العالمية، وهو لا يخلو من شأن.

كتاب جمع بين دفتيه الكثير في القليل، فكان خير مدخل الى دراسة جبران، لا بد للعامة والخاصة من الرجوع اليه. كميل حشيمه

في الشعر المسرحي

احمد شوقي، عزيز اباظه. عدنان مردم بك

بقلم عدنان بن ذريل

دار الاجيال، دمشق، ١٩٧٠ – ١٤٤ صفحة

دأب عدنان بن ذريل على درس المسرح العربي فألف فيه مقالات نشرت في كبرى المجلات العربية وكتباً نذكر منها «فن المسرحية» (١٩٦٣) و«الأدب المسرحي في سوريا» (١٩٦٤). وها هوذا اليوم يصدر مؤلفاً في الشعر المسرحي هو كتابة عن كتيب من القطع الصغير، يستعرض فيه

بعد مقلمة وجيزة : انتاج ثلاثة من كتّاب العربية ممن برزوا في المسرح الشعري ، احمد شوقي ، عزيز اباظه وعدنان مردم بك .

ليست هذه الدراسة تأثيرية بقدر ما هي موضوعية ؛ فقد حرص المؤلف في كل من الفصول الثلاثة التي خص بها الأدباء المذكورين ، والتي درس فيها اهم تمثيلياتهم ، ان يبين اولاً الخطوط الرئيسية لكل هذه المسرحيات ، ثم ان يحدد صلتها بالتاريخ ووقائعه بغية ابراز ما ابتدعه او حوره المؤلفون ، ثم ان ينظر في كيفية معالجة هذه المسرحيات للاصول المتعارف عليها في الشعر المسرحي من حركة مسرحية وعقدة والوحدات الثلاث (المكان والزمان والعمل) ، ثم ينتهي بتحليل سريع للشخصيات الرئيسية مع مقارنات مقتضبة بين بعض هذه المسرحيات .

من ميزات هذا الكتاب الصغير وضوحه وايجازه ، الا ان هذا الايجاز المتعمد والاسلوب الموضوعي الصرف المتبع ؛ ينتج عنهما جناف اشبه بجناف الكتب المدرسية المختصرة ، وكان بوسع المؤلف ان يتحاشاه بابدائه من الآراء ما هو اكثر شخصية والتزاماً ، وابعد مرمىً ؛ وذلك بأن يلجأ مثلاً الى مقارنات بين مسرحيات الأدباء الثلاثة المذكورين وغيرها من التمثيليات المعروفة في الأدب العالمي ، قديمه وحديثه .

كميل حشيمه

Post, Werner, *Kritik der Religion bei Karl Marx*, München, Kösei Verlag, 1969, 327 pp.

عنوان الكتاب ينبئ بما تتحلى به دار « كوسل » للنشر الكاثوليكية الاتجاه ، من رحابة صدر وروح انفتاح : فما ابعدنا هنا عن الحزازات والبلبلة التي تتوم في بعض الاوساط على اثر صدور كتب تتناول الدين بالنقد ! ثم ان المؤلف قد عالج موضوعه بروح منزهة عن الهوى مسلكة لمعطيات همها الأول دعوة القارئ الى التفكير الرصين . — كتب كارل ماركس : « نقد الدين هو المقدمة الحتمية لكل نقد » . وقد سبق لنا ان صرحنا ببعض آرائنا في هذا الصدد على صفحات الجريدة اللبنانية «لي جور» *Le Jour* (١٤ تموز ١٩٦٧) حول فكرة « الله والفكر العربي » . وكان قد اتضح لنا آنذاك ان بعض المواقف الالحادية خدمت الله والدين اذ ساهمت في تطهير الفكرة الانتهازية البورجوازية للديانة .

يبدأ المؤلف بعرض ما توصلت اليه الدروس حول فكر ماركس وما يأخذ عليها النقاد عامة ؛ ثم يبين الشروط والواجبات التي تترتب على كل

من يبتغي الاحاطة بافكار ماركس الحقيقية فينصرف الى ابراز الماركسية كنظرية للانسلاب واللاهوتية وكفلسفة للتاريخ العملي .

هذا الكتاب لسان حالَ تساؤلات ومشاكل هي من اهم ما يتمخض به عصرنا ؛ ولنا برهان على ذلك وفرة الدراسات التي تصدر اليوم حول فكرة « الالحاد المسيحي » الذي ينوه به توماس التيزر (Th. Altizer) او حول فكرة « موت الله » حسب ما بينه جبريال واهانيان (Gabriel Vahanian) . ولا شك ان مثل هذه التيارات لم تدخل الى حيز الوجود الا بعد تهيئة فكرية طويلة والتزام مواقف وجودية تجاه المعضلات التي تعترض طريق الانسانية في بحثها الديالكتيكي عن هويتها . كما يتجلى ذلك في مؤلفات الكاتب اللبناني خليل رامز سركيس . لا سيا في كتابة « مصير » . ولا شك ايضاً ان مستقبل الفلسفة هو سائر على هذه الطريق التي شرعها لوثر وشتراوس وفويرباخ وهيجل وماركس . فالعالم في « تفلسف » مستمر والفلسفة في « عينة » مستمرة . لم يكن بوسع ماركس ان يرى في الدين ، كما عرفه في ايامه ، الا افيوناً للشعب . وذلك ليس في جوهره بل في عرضه . اذا ما نُظر الى كيفية عرضه للشعب . لم يعرف ماركس الديانة المسيحية في مبدئها ومؤهلاتها ومقدرتها على النمو . بل انه توقف عند مظاهرها الخارجية : كيف كان الناس يرونها وكيف كانوا يعيشونها . — وهنا نلمس ضعف الحجة الماركسية وقوتها . ضعفها : لانها لا تأبه باصول الدين وعقائده المتعالية ؛ وقوتها : لأنها بانصرافها الى المظاهر تمسك بما لا بد منه لكل ديانة اذا ما ابتغت ان تسير في ركب الحياة . ان الديالكتيكية الماركسية تخلط بين المبادئ والواقع ، بين النظرية وتطبيقها ، ولم يستطع ماركس ان يحل المشكلة حلاً منطقياً بل انه قطع العقدة قطعاً على غرار ذي القرنين .

ومن متناقضات كارل ماركس الفادحة فيما يختص بنقده للدين انه من جهة اولى يجد ، بعد البحث ، سنةً للتاريخ — ومن قال بسنة ، ولو مادية ، اقرّ ضمناً بوجود مبدإ متعال — ، ومن جهة اخرى فهو يلجأ ، لبناء قواعده ، الى احداث عابرة وحالات زمنية ومحلية معينة محدودة لا صلة لها البتة بجوهر الدين . فليس الدين بالشرائع الخارجية او بكيفية ممارسة هذا الدين على يد اشياعه .

ينتهي المؤلف الى القول بأنه ، رغم التناقضات التي تعتري اسلوبها ، فالمقاومة الماركسية للديانة لا تخلو من اساس معقول . وان قيل يوماً ان الماركسية لم

يكن ليتيقظ ذا ان توجد لولا المسيحية . فلا بد من ان يقال اليوم ان الماركسية تسدي للابحاث اللاهوتية وللتفكر المسيحي اجل الخدمات . وان كان انتقاد الماركسية للدين لا يصح من الناحية النظرية ، فعلى الديانة المسيحية ان تظهر صحتها من الناحية التطبيقية .

مارتينيانو رونكاليا

Mgr Vladimir GHIKA, *Derniers témoignages*, présentés par Yvonne Estienne. Beauchesne, Paris, 1970, 104 pages.

كتيب لا نبالغ اذا نعتناه بالدرة . فهو عصارة قلب نابض منعم بالحب والسخاء ؛ وهو خلاصة فكر عميق زادته وزناً وسعته أفقاً خبرة بالغة في الحياة وحنكة .

المنسنيور فلاديمير گيكا كاهن من رومانيا قضى فترة من حياته في فرنسا . عُرف خلالها بغيرته الرسولية المتقدة واهتمامه بالمعوزين وممن نبذهم المجتمع . عاد الى بلاده في سنيه الأخيرة فقُبض عليه وقضى نحبه في السجن سنة ١٩٥٤ . خلف بين مدوناته جمهرة من الجزازات والوريقات كان يخط عليها . كلما تسنى له ذلك . فكراً وانطباعات وتأملات في الناس والدنيا والله . فجمعتها ابنتين استيان وبوبتها تحت عناوين شاملة ثلاثة : نحن . نحن والآخرون . نحن والله .

« لست اخاف الله بل اخاف ذاتي ؛ ولست اخاف الموت بل اخاف موتي » . — « في حياتك تذكّر انك الى الموت . وعند موتك انك الى الحياة » . — « ان ضحيتَ باللذة ، لا تعتم ان تجد لذة التضحية » . — « السعادة شيء نبحث عنه لذواتنا ولا نجده الا في الآخرين » . — هذه نتف من كل بغض بامثلها . إن تدل على شيء فعلى ما يتحلى به هذا المؤلَّف الثمين — على اقتضابه — من حكمة انسانية وثروة روحية .

كميل حشيمه

R. I. Oechslin, *Pour une foi personnelle*, Beauchesne, Paris, 1970, 160 pages.

مشكلة الايمان من أخطر مشاكل العصر ، ولا بد للمسيحي اليوم ، إن هو اراد تخطي الصعاب ، من ان يبني بيته على الصخر ويوطد ايمانه على العلاقة الشخصية بينه وبين المسيح . ذلك ان الايمان ابعد شيئاً من ان يكون اعتقاداً بحقائق جافة لا تمت الى صميم القلب والنفس بصلة ، بل هو اكتشاف مستمر لشخص ابن الله المتجسد ، المصوّر لنا في صفحات الانجيل ، الداعي الجميع الى التشبه به . والايمان حياة يجب ان تنمو ساعة بعد ساعة ، تغذيها وقائع يومياتنا الرتيبة الوضيعة بحيث تشارك في بناء الكنيسة وتسير مخطط الله نحو هدفه المنشود .

تلك بعض النقاط التي يجتهد هذا الكتيّب في تبيانها ، وانه لعمري كتاب سهل الاسلوب ، موضوعي ، واقعي ، قريب المنال لكل مؤمن يبتغي تعقل نوراً وتتقلب ارتياحاً .

جوزف حنا

الى قرائنا

بهذا العدد السادس والأخير لسنة ١٩٧٠ يتوقف «المشرق» عن الصدور وسيظل محتجباً حتى اشعار آخر.

A NOS LECTEURS

La parution d'*Al-Machriq* est suspendue sine die à partir du commencement de l'année 1971

ش

السنة الرابعة والستون — تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٧٠

الكتاب الثاني من مواقف النفري

مقتطفات تنشرها للمرة الاولى

الاب بولس نويا اليسوعي

الصوفية غرباء في التراث العربي والنفّري غريب في غربة الصوفية. عاش في القرن الرابع الهجري: فعرفه من عرفه آنذاك. ثم انطمس أثره واختفى اسمه. فلا الطوسي يذكره في «لمعه» ولا الكلاباذي في «تعرفه»: ولا السلمي يترجم له في «طبقاته»: ولا القشيري في «رسالته»: ولا ابو نعيم في «حليته». وهم جميعاً يكتبون عن معاصري النفري وعمن هم أقل أهمية منه.

النفري غائب عن موكب الصوفية لانه فريد في صفوفهم: ليس لتجربته الروحية التي أسرّ بها إلى «دفاتره» نظيراً في التراث الصوفي. جهل حلقات الصوفية فجهله تاريخهم واختفت آثاره: حتى جاء القرن السادس فكان وقت ظهوره على مسرح التاريخ الصوفي: ظهرت «مواقفه» في «الفتوحات

الى قرّائنا

بهذا العدد السادس والأخير لسنة ١٩٧٠ يتوقف «المشرق» عن الصدور وسيظل محتجباً حتى اشعار آخر.

A NOS LECTEURS

La parution d'*Al-Machriq* est suspendue sine die à partir du commencement de l'année 1971

الكتاب الثاني من مواقف النفري

مقتطفات تنشرها للمرة الاولى

الاب بولس نويا اليسوعي

الصوفية غرباء في التراث العربي والنفّري غريب في غربة الصوفية. عاش في القرن الرابع الهجري: فعرفه من عرفه آنذاك. ثم انطمس أثره واختفى اسمه. فلا الطوسي يذكره في «لمعه» ولا الكلاباذي في «تعرفه»، ولا السلمي يترجم له في «طبقاته»، ولا القشيري في «رسالته»، ولا ابو نعيم في «حليتـه». وهم جميعاً يكتبون عن معاصري النفري وعمن هم أقل أهمية منه.

النفري غائب عن موكب الصوفية لانه فريد في صفوفهم. ليس لتجربته الروحية التي أسرّ بها إلى «دفاتره» نظيرًا في التراث الصوفي. جهل حلقات الصوفية فجهله تاريخهم واختفت آثاره: حتى جاء القرن السادس فكان وقت ظهوره على مسرح التاريخ الصوفي: ظهرت «مواقفه» في «الفتوحات

ثم على الكتاب الثاني من المواقف وعلى القطع الاخرى المذكورة في المخطوطات السابقة. انظر وصفنا في كتابنا *Exégèse coranique et langage mystique*, pp. 355-357.

ونحن على وشك نشر جميع هذه القطع في كتاب خاص. واليوم نقدم لقراء المشرق مقتطفات منها ؛ حققنا نصها بمقابلة مخطوطة قونية : يوسف آغا ٤٨٨٧ (وهي تحمل ايضاً رقم ٤٩٠٥) ومخطوطة اسطنبول : حاج محمود ٢٤٠٦ . وقد كتبت الاولى بتاريخ ٦٠٧ هـ. اما الثانية فلم يذكر تاريخ كتابتها ؛ ولكن الحبر والورق يدلان على انها حديثة العهد. ونرمز الى الاولى بحرف (ق) والى الثانية بحرف (م).

بيروت — جامعة القديس يوسف

[١٣٩ ب] مواقف

لمحمد بن عبد الجبّار المصري [النِفّري]

العزة لله وحده ؛ وبه العون والحول والقوة . الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي خاتم النبيين ؛ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وعلى الروح الامين جبريل وسلم عليهم تسليما

فهرست موقف المواقف

موقف استواء المعرفة — موقف المقامات — موقف رحمة الخلق — موقف عبود الانبياء عليهم السلام — موقف وصايا الاولياء — موقف الاعيان — موقف الأسماء — موقف المعاني — موقف نفسي — موقف الدنيا — موقف الهموم — موقف الجلال — موقف الجمال — موقف الكمال — موقف حق معرفته عليّ — موقف المعرفة — موقف ما خلق — موقف المواقف — موقف أدب المعرفة — موقف العمل — موقف الصمت — موقف النطق — موقف النطق والصمت — موقف محادثة — موقف التقلوب المستترة — [١٤٠ أ] موقف العلم — موقف غربتي — موقف البلاء — موقف العافية — موقف التقليب — موقف العقل — موقف النار — موقف علمه — موقف المجلس — موقف الهوى — موقف السرّ — موقف غيرته عليّ — موقف الاسماء — موقف العلوم كلها — موقف الضنائن — موقف قبل كن — موقف مقامه الذي لا ستر فيه — موقف مهرب الانبياء — موقف اليقين الحق — موقف حنانه — موقف أدب الحروف — موقف أقصى كل شيء — موقف الأمر — موقف رفقه — موقف حجته — موقف حضرته — موقف النظر الى وجهه — موقف النفس — موقف الضمير — موقف المجالسة — موقف الحزن — موقف مجلس الغنى — موقف أدب المجالسة — موقف حضرته التي تمتحن فيها الاسماء ويخترق فيها العلم والعلماء — موقف السياحة — موقف مجلس العزيز — موقف ما بدا وما[1] يبدو — موقف الابواب : وفيه كلمات الصبر — موقف الوسوسة — موقف المقامات — موقف رويته الكبرى — في سنة ست وستين وثلثمائة .

---

(١) ق : — ما

موقف المواقف

[١٤٠ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن عبد الجبار بن الحسن رحمه الله تعالى :

١ — اوقفني في استواء المعرفة وقال لي :

هو الآ[١] أتقرّبُ اليك بكن ولا بكينونة كن ، وهو الآ يزدك معرفة بي كن ولا[٢] كونية كن ، فتعرفني بصفتي التي لا صفة لها في علمك .

هي لَكَ تَنَفّس ترى به ولا تراه بسواه ، وتعلم به ولا تعلمه بسواه .

٢ — واوقفني في المقامات وقال لي :

اعرف مقامك وقف بين يديّ لا فيه . فان قلتُ لك : قم فيه ، فقم فيه ، واذا جاءتك الغيبة فقم فيه .

وقال لي : لا بد لك من مقام . مقامك هو بيتك الذي به يعرفك أهل السماء والارض ، ويقصدك فيه ويخاطبك اهل السموات والارض .

وقال لي : قف في مقامك مني . فقمتُ في مقامي منه وهو اني أراه لا يفعل .

وقال لي : أريدُ ان افعل واريد ان تراني افعل . وقيامُكَ في هذه الرؤية ان تراني افعل ولا ترى غيري يفعل . وهذا المقام باب ذاك المقام . وهو مقام ضعفك وذاك المقام هو مقام قوّتك .

٣ — واوقفني في رحمة الخلق وقال لي :

صنعُك صنعتُهم [١٤١ أ] . فسترتُ صنعتك بنور صنعتي . فمن رأيتني سترتُ صنعته بنور صنعتي : فأكرمه ، ومن رأيتني لم أستر صنعته بنور صنعتي ، فارحمه .

وقال لي : أنا صنعتهم : فأكرمْ صنعتي . واذا جاءك غيرك بما يسوءه : فارحمه : لما جاءت به صنعته من السوء . ثم اكرم صنعتي لأني[٣] : ثم اكرم صنعتي لأنها ، ولا تغلظ على ما في صنعتي فانه هو فيك : فاغلظْ عليك ان شئتَ ان تغلظ على غيرك .

---

(١) م : لا
(٢) م : لا
(٣) م : (الجملة مكررة)

وقال لي : تغلظ لي : اطالبك أن تغلظ على نفسك . تغلظ لنفسك : هذا مقام ربك لا مقامك !

٤ — واوقفني في عبيد الانبياء عليهم السلام ، فسمعته يقول لهم : ادعوا الى معرفتي ! فاذا عرفني ، فادعوهم الى أمري . وقال لهم : ليس معرفتي على اعداد التقليب . ولا اعداد الافكار . اني أنا الدايم الذي لا تنفد معرفته !

وقال لهم : ادعوا الى معرفتي كل قلب من حيث عرف ، لا من حيث أقرّ . وقال لهم : من كان حدّه الاقرار فليس مقامه المعرفة ، ومن كان حدّه المعرفة فليس مقامه الاقرار .

وقال لهم : لا تخرجوا قلباً عن حد معرفته . فان اخرجتموه عنها[1] فلا تردّوه . فان [١٤١ ب] رجع هو ، فلا تمنعوه . ومن اخرجتموه ، فاصحبوه حتى يصل الى ما اخرجتموه اليه .

٥ — واوقفني في وصايا الاولياء وقال لهم : قولوا ما اقول لكم ، وتكلموا بما أكلّمكم به ، وانتم بين يدي لا في المراتب .

وقال لهم : ان قلتم غير ما قلتُ لكم ، فابينوا لمن قلتم له جنة ونارًا عن ايمانكم وشمائلكم .

وقال لهم : اذا خرجتم الى المراتب ، فلا تدعوا اليّ . فقد نصبت عبيد المراتب .

وقال لهم : الوليّ هو الواقف الذي لا يبرح .

٦ — واوقفني في الأعيان فارتني الاسماء . واوقفني في الاسماء ، فارتني المعاني . واوقفني في المعاني ، فارتني نفسي . واوقفني في نفسي ، فارتني الدنيا . واوقفني في الدنيا ، فارتني الشرك والشكر والكفر .

٧ — واوقفني في الهموم وقال لي :

ان كان همّك من الطوافين ، لم تدخل عليّ !

وقال لي : انظر الى الهموم ! فرأيتُ كلّ همّ لا يقف بين يديه ، يقف بين يدي ابليس ، شاء ام أبى . ورأيتُ ابليس يدعو الهموم الى انفسها ولا يدعوها الى نفسه ، فتستجيب له ، ولا تفطن للوقوف بذلك بين يديه لانه سترها بأنفسها عن نفسه .

---

(١) م : — عنها

وقال لي : انا ادعو الهموم [١٤٢ أ] اليّ لا الى انفسها . فلا تقف[١] بين يدي او تخرج عن انفسها ولا تدبر عنّي او تدخل في انفسها .

٨ — واوقفني في الجلال . فرأيتُ فيه الصفات . واوقفني في الجمال ، فرأيتُه في الصفات . واوقفني في الكمال ، فرأيتُ فيه الجلال والجمال !

٩ — واوقفني في حق معرفته عليّ وقال لي :

حق معرفتي عليك ان تعرفني معرفة لا تزداد الا النظر .

وقال لي : كيف تنفقه ذلك؟ هو ان تنزل : ألقى وليّ الله فيزيدني معرفةً بالله ، اسمع علم كذا فيزيدني معرفةً بالله ، انظر الى كذا فيزيدني معرفةً بالله . انما يزيد ذلك معرفةً مَن لا يعرف الله . فانظر اليّ : انا[٢] آتي بذلك اليك ، لا هو يأتي بي اليك . فاذا رايتَ ذلك ، لم يزدك شيء بي معرفةً ، وجاءتك معرفتي بمعرفة كل شيء ، ولم تعرف[٣] معرفتي بشيء .

فاذا قمتَ في هذا المقام ، فقد قمت في حق معرفتي التي لا تزيد الا بكشف الغطاء .

وقال لي : حق المعرفة هو ان لا تنتظر معرفتي ليلاً ، ان كنتَ في النهار ، ولا نهاراً ، ان كنتَ في الليل ، ولا حالاً ان كنتَ في الحال — وهو ان لا تنتظر بها القيامة ولا الآخرة ، فانه [١٤٢ ب] ان بقي عليك من معرفتي ما تنتظره ، جاءك الروع والفزع من قِبَل ما تنتظره ، ولم تأتك المعرفة من قِبَل ما تنتظره .

١٠ — واوقفني في المعرفة وقال لي :

ان قمت في حق المعرفة ، فانت عارفُ الله ، وان لم تقم في حق المعرفة ، فانت عارفُ ما عرفت ، ومعروفُك هو الذي تُضمِر به في السرّ . فلا تبال اذا كنت به ، ما فاتك سواه .

١١ — واوقفني فيما خلق . فرأيتُ الحركة والسكون والاختلاف والائتلاف ، وقال لي :

انظر الى هيئات كل شيء ! فنظرت حتى الورقة الملقاة والجدار المائل وحتى القطنة والنواة ، والخوصة والنتمة وما بين ذلك وكل شيء .

---

(١) م : يقف
(٢) م : – انا
(٣) م : يعرف

وقال لي : كم للنواة من هيئة ؟ فا ألف هيئة وكذلك لكل شيء ألف هيئة . فمن هيئة النواة . هيئة ملتقاها . وهيئة خدّها . وهيئة تلقيها . وهيئة حبلها . وهيئة جلدها . وهيئة لونها . وني في كل هيئة من الف هيئة كل شيء لسانٌ فيه علم كل شيء . ينطق بلسان تلك الهيئة . فمن عرف حكمتي في كل شيء . فلا ستر بيني وبينه . انما الستر على من رأى الهيئة فتفرق بينها وبين الهيئة في الحكمة الواضعة تنبيئة . لا فرقان في الحكمة [١٤٣ أ] الواضعة . بلى ! فرقان في الحكمة المرتبة .

وقال لي : اطرد عقلك عن الحكمة المرتبة . ففيها مقدم ومؤخر . وتقول « لمَ » و « كيف » فتعترض ، وسقه الى الحكمة الواضعة : فاذا ثبت ثمّ ، لم يختلف في الحكمة المرتبة .

١٢ — واوقفني في المواقف . فرأيتها ناراً لأني رأيت نور حضرته لا يطلع عليها .

وقال لي : كل ما لا يطلع عليه نوري فهي النار .

وقال لي : اذا رأيتني . فكل موقف نار ، واذا لم ترني . فكل موقف نور .

١٣ — واوقفني في ادب المعرفة وقال لي :

ليس هو ان يتعلم الاقبال . هو ان يتعلم الانصراف . لان الاقبال من صفتي والانصراف من صفتك . فما كان من صفتي : فانا آتيك به ، وما كان من صفتك . فالادب فيه هو فريضة المعرفة عليك .

١٤ — واوقفني في العمل وقال لي :

وزنتُ اعمال العاملين ، فما وفت كلها بمعرفة أدناهم معرفةً . فبقي فضل المعرفة فارغ لا عملَ فيه . فاظهرتُ منه النعم . ففضل المعرفة فارغ لا عمل فيه ، والنعم فوارغ من العمل .

وقال لي : خوف الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين من الفضل الفارغ [١٤٣ ب] لا يدرون أبدي منه حجةً او عفواً .

١٥ — واوقفني في الصمت وقال لي :

ان لي[١] عباداً صامتين رأوا جلالي[٢] . فلا يستطيعون ان يكلموه ،

(١) م : — لي
(٢) م : إجلالي .

ورأوا بياني ، فلايستطيعون ان يسبحوه . فلا يزالون صامتين حتى آتيهم فاخرجهم من مقام صمتهم اليّ . فمن صمت عنّي ، فهو عبدي الصامت .

وقال لي : أصمتْ لي ما استطعت ، تكن أول من يُدعى اليّ اذا جئتُ .

وقال لي : عبدي الصامت أتلقاه قبل موقفه وأشيّعه[١] الى داره .

١٦ — واوقفني في النطق وقال لي :

ان لي[٢] عباداً ناطقين ما كلموا سواي ، ولا يكلمون . فمن كلّمني ولم يكلم سواي ، فهو عبدي الناطق .

وقال لي : كلّمني ولا تكلّم سواي ما استطعتَ : أجعل لك شفاعةً .

١٧ — واوقفني في النطق والصمت تارة وتارة وقال لي :

ما وقف فيه ناطق ولا صامت . فمن نطق وصمت فهو من اهل معرفتي التي عنها نطق وصمت .

وقال لي : بين النطق والصمت برزخ فيه قبر العقل وفيه قبور[٣] الاشياء .

١٨ — واوقفني في محادثته واوقفني في رؤيته وقال لي :

انما أحادثك لترى : لا لتُحادثَ ، وانما اقول لك : هذه رؤيتي ، لتتبيّن في [١٤٤ أ] معرفتي ، لا لتدلّ عليّ من لم يرني : ان هداي ليس في يدك ، ولا لتُدخل عليّ من رآني : ان الذين أريتُهم تنشيّ ، اولئك قلوبهم عندي . فاذا حادثتُك ، رأيتَ ، فاذا رأيتَ ، فلا حديث !

١٩ — واوقفني في القلوب المستقرة وقال لي :

هي قلوب الحضرة ، لا تتقلب بالخواطر لأنها رأتني قبل « كن »[٤] فلما جاءت « كن » وجاءت الخواطر ، أوقفتها في مقامها الذي جاءت منه ووقفت هي في مقامها الذي أخبرتُها فيه عن مجيء « كن » .

٢٠ — واوقفني في العلم وقال لي :

العلم كله لا يحملك ولا يحمل بابك : فلا تدخل اليه . فانّك ان

---

(١) م : او اشيقه (sic)
(٢) م : — لي
(٣) م : قبول
(٤) م : — كن

دخلت اليه : حملته . فالى اين تحمله ؟ اليّ ؟ تأكلك وتأكله ناري التي حطبها علم العالمين . اليك ؟ يأتك بمعلوماته فيتامر عليك تارة وتتامر عليه تارة . اذ ذاك : فما أنت مني ولا انا منك . ثم يجيء العلم فيقف موقفه بين يدي . يسألني[1] الحكم له عليك . لِمَ حملته . وتلبثُ انت لا موقف لك .

٢١ — واوقفني في غربتي وقال لي :

قل لكل علم وقل لكل عالم : لا تعلم علمي ولا تفهم فهمي ولا يقوم شيء في [١٤٤ ب] مقامي .

فمعرفتي هي الله عز وجل . به عرفتُ كل شيء . ومعرفتي بكل شيء معرفة الجواز والعبور . جزتها الى معرفتي التي تحملني ولا احملها وتقوم بي فلا استقيم الا بها . وهي مقامي بين يدي الله عز وجل . فلا مقام لي في علم ولا معرفة . انما أعبره : فمعرفتي به معرفة العبور . لا معرفة الثبات . وما عرفتني الا ما شاء معرفة العبور : لا معرفة الثبات — ولو عرفتني معرفة العبور . تطلع[2] علي من نورها كما طلع عليها من نوري .

وقال لي : كيف تجوز العلوم وكيف تعبر المعارف ؟ لا تستمع فتجيب ، ولا تلتفت فتفارق ! فاني قدّام كل شيء اليك .

٢٢ — واوقفني في العافية وقال لي :

ألق اليّ كما ألقيتُه اليك وقف بين يدي . لا معك ما أسررتُ به اليك ولا معك ما اعلنتُ به اليك . انت اكرم عليّ مما قلتُ لك واقول : فكيف تحمله إليّ ؟ وانت أعزّ عليّ مما قلتَ لي وتقول : فكيف تحمله اليّ ؟ فلا تكن مطية سواي : فيصحبك[3] البلاء وتستتر فيه العافية !

٢٣ — واوقفني في التقلوب : فرأيت [١٤٥ آ] قلوب العلم تأوى الى العفو : ورأيتُ العفو يحتضنها دون ما علمته : ورأيتُ قلوب المعرفة تميل الى العلم : وهي في المعرفة : وتميل تارة الى المعرفة : وهي في المعرفة . ورأيتها اذا جاءها العلم : تقف في أقصى ما عرفته . واذا لم يأتها العلم : فمعرفتها كلها موقفٌ .

---

(١) م : تسألني
(٢) م : واطلع
(٣) م : فيسحبك

ورأيتُ قلوب آل الله لا تأوي الى شيء ، ورأيتُ العلم يأوي اليها ولا يدخلها . ورأيتُ المعرفة تأوي اليها ولا تدخلها .

وقال الله : ان دخلتَ يا علم الى بيتي ، جعلتُك فيه جهلاً ، وان دخلتِ يا معرفة الى بيتي ، جعلتُكِ فيه نكرة .

وجاءت قلوبٌ فقالت : انّا قلوب العلم والمعرفة ! قال لها الله عز وجل : انما انت قلوبٌ ما رأيتني فيه ! وان رأيتني في العلم ، فانتِ قلوب العلم ، وان رأيتني في المعرفة ، فانت قلوب المعرفة . قالت القلوب : فلمَ نسبتني الى العلم وانا اراك فيه ؟ والى المعرفة ، وأنا اراك فيها ؟ ولم تنسبني الى رؤيتك ، وانا اراكَ ؟ قال لها الله عز وجل : لانك اذا طرحتَ العلم ، لم ترَي . واذا فارقت المعرفة ، لم تري . فانت من العلم وان رأيتني فيه ، لا مني . وانتِ من المعرفة وان [١٤٥ ب] رأيتني فيها ، لا مني .

وقال لها : لو لم تريني في العلم ، ما كنتِ منه ، ولو لم تريني في المعرفة ، ما كنتِ من المعرفة . كنتِ تكونين منكِ ، لا من علم ولا من معرفة .

٢٤ — واوقفني في العقل ، فرايته في الحكمة[١] ورأيتُ لكل شيء فيه بيتاً[٢] . وقال لي :

بيتي في الحكمة وليس للحكمة باب ولا سور . وهوذا يدخلها الحق والباطل ، والحسن والقبيح .

وقد قال لي ربي : قد قلدتك الحكم ، فاحكم بما عهدتُ اليك في اقبالك ، ولا تحكم بما رأيته في إدبارك . والحكمة في ادباري ، وفيه بيتي . وكل بيتي ابواب لا سقف له يظلّه ، ولا ارض له تقلّه . فكل شيء[٣] يلج عليّ وكل شيء يخاطبني وكل شيء يختصم اليّ وكل شيء يخاصمني ، ولي في كل شيء هوىً : لي فيما أحب هوىً ، ولي فيما اكره هوىً ، ولي في الحق هوىً ، ولي في الباطل هوىً . فلهذا لا يردوك في الحضرة . وقد دخلت انت في الحضرة وفارقتني انت[٤] بنور مقامك . ولم أفارقك أنا ، لان مقامي فيك . فانت لا تخبرني وانا لا أفقه عنك . فانا بلاك لاني آلتك التي تحوي

(١) م : — فرايته في الحكمة
(٢) ق : بيت
(٣) م : — شيء
(٤) م : — انت

بها على كل شيء . وكل شيء بلاك وليس الاشياء في مقامك . بلى ! آلة الاشياء فيك معطلة : فاذا [١٤٦ أ] خرجت : جاءك كل شيء فقال لك[1] : اعرفني ! وقالت لك الآلة : خذه بي !

٢٥ — واوقفني في النار فرأيتها تأكل العلم والعمل والحكمة والمعرفة والمواقف والمقامات . ورأيتُ العقول في اقبالها حطباً لها . ورأيتُ القلوب في إخلاصها حطباً لها . فحرتُ ! فقالت لي : ان كنت قد رأيتَ الله . فسوف تأتيني انت بالعلم والعمل والحكمة والمعرفة وتقول لي : هذا حطبك فكُليه . وان كنتَ لا ترى الله . فانتَ حطبي . لا علمُك ولا عملك ولا حكمتك ولا معرفتك .

٢٦ — واوقفني في علمه . فرأيته يشقى لسبب هو سببه . ويسعد لسبب هو سببه . ورأيته لا يُظهر علمَ ذلك . ورأيته يقلّب الكفر : ورأيته يقلّب الايمان . فصرختُ : يا علم ! قال : مرجعي الى علمه . قلتُ : يا معرفة ! قالت : مرجعي الى علمه . خفتُ ! قال خوفي : لا أجيرك . حزنتُ ! قال حزني : لا أجيزك . قلتُ : يارب ! قال : لبّيك ! قلت : لبّيك ربّ وسعديك ! قال : ما تريد؟ قلتُ : ثبّتني ! قال : لي او لك؟ قلتُ : لك ! لك ! قال : اتبعني بلا علم . قلتُ : ثبّتني ! قال : كن من وراء العلم ولا تدخل الى العلم فتقع وتقوم . ان العلم لا يوقفك بين [١٤٦ ب] يدي . انما يوقفك بين يديه : وانا اخترعتك لي لا للعلم : فلا تقف فيه ولا تقم بين يديه : فانه مفارقك وانت مفارقه : وقف بين يدي : لا افارقك .

٢٧ — واوقفني في المجلس : فرأيت من الملائكة حافّين بالمجلس : لا يؤمرون ولا يحدّثون .

وقال لي : هؤلاء ملائكة الزينة . زينة الله عز وجل . وسع نورهم أنوار كل ملك .

ورأيتُ من الأنبياء مجالسين . يحدثون ولا يؤمرون : ورأيتُ من الأولياء مجالسين : يحدثون ويؤمرون : ورأيتُ بين الأنبياء والأولياء ستراً مكتوب عليه : ستر الأولياء : اذا رُفع حُدّثوا واذا سُدل أمروا !

٢٨ — واوقفني في الهوى وقال :

(١) م : - لك

هو رسول من رسل البأس الشديد. فجئتُ بالعلم فقال: اليه ارسلتُه! فجئتُ بالمعرفة فقال: اليه ارسلتُها! فجئتُ بالعقل فقال: اليه ارسلتُه! فجئتُ بالقلب فقال: اليه ارسلتُه! فجئتُ وحدي فقال: اليك ارسلتم! فقلتُ: ما أصنع؟ قال: قِ الهوى ناري، فاذا جاءك جاءتك فيه، فادخلها! قلتُ: كيف أدخلها؟ قال: لا تستجر بعلم ولا بمعرفة [١٤٧ أ] فيقولان لك: نحن نجيرك! فان استجرتَ بهما، أسرك الهوى وأسرها!

وقال لي: لا مجير الا الله، ولا تخرج من النار بعلم، فتأكلك وتأكله، ولا بمعرفة، فتأكلك وتأكلها، وأقم في النار حتى تأكل منك الجزء الذي يستجير بالعلم وتستجير بالمعرفة. فاذا أقمت في النار وأكلتك النار، جئتُك. فلم تعُد من بعد اليك.

٢٩ — واوقفني في السرّ وقال لي:

لكل شيء سرٌّ: اذا وقفتَ عليه، حملته ولم يحملك، ووسعته ولم يسَعْك.

وقال لي: للعلم سرٌّ وللمعرفة سرٌّ وللحكمة سرٌّ وللصبر سرٌّ وللدنيا سرٌّ وللآخرة سرٌّ. فاذا عرفتَ سرّ الشيء، لم يأخذك عني ولا عنك. واذا لم تعرف سرّه، أخذك عني واخذ عنك.

وقال لي: سرّ العلم هو طلب العين المسمّاة فيه، وهو لا يهدي الى العين المسمّاة فيه لأنها سرّه. وليس سرّه في يده فيبذله. انما السرّ وديعة الله عز وجل فيه. فهو يدعو الى ما لا يستطيع اظهاره. وبهذا السرّ يستجاب للعلم في تعلّمه.

وسيأتيك علم الخلق، فيه أعيان الخلق وصفات الخلق، فيدعوك الى تعلّمه طلبَ ملكِ [١٤٧ ب] الأعيان وملك الصفات. فالعلم لا يظفرك الا بالعلم، وتبقى الأعيان وصفات الأعيان لا تنال بالعلم.

وسيأتيك علوم الربّ، تدعوك الى الربّ. والرب لا يُظهره علمٌ ولا يستره، ولا توصل الى معرفته العلوم. فانت تستجيب لكل علم دعاك بذلك السرّ وهو طلب العين المسمّاة. فاذا علمتَ ذلك، لم تستجب للعلم واستجبت لله، وصار العلم طريقاً من طرقاتك الى الله، وأخذتَ العلم به ولم يأخذك لانه كان يأخذ منك بالسرّ فيه وانت لا تعلمه. فلما صار السرّ الذي فيه فيك، أتاك على علم بك وأتيتَه على علم به.

وقال لي : السرّ في المعرفة رؤية المعروف . والمعروف لا يُرى بالمعرفة : انما يرى به ويدعو الى رؤيته بالمعرفة . فاستجبتَ لي : انني المعروف الذي دعوتُ بالمعرفة . فاذا جاءتك : فادخلها بي : تر الابواب التي فتحتُ فيها اليّ . فتلج في أبوابي : فتصل اليّ . فتكون المعرفة عتبة بابك الذي ولجت فيه ولا يدخلها بك : فترى الابواب التي فتحتها في المعرفة الى العلوم . فتلج فيها : فتخرج من المعرفة .

ان المعرفة ذات بابين : بابُ اليّ وباب [١٤٨ أ] الى كل شيء . فمن دخل اليّ : كانت المعرفة جواده : ومن دخل الى المعرفة : خرج بها الى كل شيء : وكانت زلّتهُ[١] .

وقال لي : العلوم بيتٌ والمعرفة طريقي في ذلك البيت . فمن سلكه اليّ : خرج اليّ وكان نقيباً من نقباء الطريق : ومن سلكه الى سواي : خرج الى البيت : لا اليّ .

وقال لي : قف بين يدي : تكن المعرفة نوراً من انوارك ومتحدّثاً من متحدثات حجابك . لا حديث لك بين يدي : انا احادثك ! ولا نور لك بين يدي : انما نوري عليك !

وقال لي : من وصل اليّ : فلا انساب له في العلوم ولا انساب له في المعرفة . انما المعرفة تُنسب الى مقامه : لا اليه : وانما العلوم تنسب الى مقامه : لا اليه .

وقال [لي] : قل لعارفين : من عبر منكم المعرفة : فليَدعُ اليّ : ومن لم يعبر منكم المعرفة : فلا يَدعُ اليّ . أيدعو اليّ وهو في الطريق اليّ ؟ فاليه دعا : لا اليّ ! انه ما وصل اليّ وبين يديه طريق اليّ .

وقال لي : المعرفة بحر الله الذي لا تخفته السواحل ولا يحتمله القعور : سفاينُه كل العلوم وسفاينه كل الافكار . سفاينٌ لا تخرج : لانه [١٤٨ ب] لا ساحل له ، ولا ترسُب فيه : لانه لا قعر له . فهي سيارة لا تستقر فيه . فمن ركبها سار فيه ولم يسر عنه .

وقال لي : السرّ في العمل : حصول الآخرة وبها استجاب العُمالُ للعمل . ومن إستجابتهم للعمل : يختلفون فيه ويفترقون عنه . فالعلم مختلفٌ : ومن استجاب له : يختلف باختلافه .

---

(١) ولعلها « زلقة » ؟

وقال لي: إطّلع إلى سرّ العمل! وكشف لي عن صفة من صفاته وقال لي: هذه الصفة معرفة.

وقال لي: إطّلع الى عين عمل العاملين كله: ما جئتُهم انا به مما جاءوا به. فرأيتُه كله لا يفي بمعرفة ادناهم معرفة. لانهم بتلك المعرفة عملوا، ليس بذلك العمل عرفوا.

وقال لي: اذا عملت لي: فاطّلع في هذا المطلع، تكن بي: واقول لعملك: انا بينك وبينه. انّما سمع مني فيك، ولم يسمع منك فيّ.

[١٦٧ أ] ٣٠ — واوقفني مولاي في رؤيته الكبرى وقال لي:

يا صاحب الرؤية ويا جليس الله! أين مقامات الاولياء؟ وأين مواقف الواقفين؟ انظر اليّ كيف بنيتُ الحجاب وكيف بنيتُ فيه كل مقام وكيف بنيتُ فيه كل موقف! انظر! هذه حجب العيون؛ ثم انظر! هذه حجب[1] القلوب. فرأيتُ الملك والملكوت حجبَ العيون، ورأيتُ العزة والجبروت حجبَ القلوب. فقال [١٦٧ ب] لي:

اول حجاب تنفصل اليه الرؤية: حجاب الانصيات. تنصت لله: فانصياتك له حجاب، وفي ذلك الحجاب الف مرتبة؛ كل مرتبة منها حجاب. لكل حجاب الف علم؛ لكل علم رؤية، يقصرك عليه ولا يجيرك منها ولا يجيرك منه. فان الانصات لله ينفصل الى حجاب الصمت لله. كذلك الصمت في مراتبه كمراتب الانصيات.

وقال لي: كيف تصمت: لا تفكر. كيف تنصت: لا تهم. قلتُ: مولاي! كيف لا افكر؟ مولاي! كيف لا اهمّ؟ قال لي[2] مولاي: اذا رأيتني فقال كلّ شيء: لِمَ تفكر؟ واذا رأيتَ الاشياء فعلي ولم ترني، فكرتَ. واذا فكرتَ، جاءتك نفسُك فقالت لك: هذا فعله وهذا فعلك. فاذا أرتك التفصل — ولا فصلَ — انفصلتَ. واذا أرتك التفرق — ولا فرقَ — انفرقتَ. واذا انفصلتَ وانفرقتَ، جئتَ اليّ تناظرني وتحتج عليّ. فانظر الى فعّال كل شيء ولا تنظر الى علم هذه الفعلانية. تصمت لي ولا تفكر. انما العلم اذا جاءك، جاءك التفكر.

وقال مولاي: اذا رأيتَ الفعل والفعلانية من وراء ظهرك، لا من

---

(١) ق: حجاب
(٢) ق: — لي

بين يديك . ورأيتَ ليس بيني وبينك انت ؛ ولا بيني وبينك فعلانية [١٦٨ أ] لم تبم .

وقال مولاي : لي في الأقوال رؤية قولانية . ولي في الافعال رؤية فعلانية . ولي في العلوم رؤية علمانية . ولي كل شيء رؤية قيومية . وكل رؤية تتقصر من رآها على ما رآها فيه . فان رآها في العلم ، قصرته عليه . فلا تجرد منه . ولو أجازته منه . لفارقه ونطق عنها . لا عنه .

وقال لي : ان صاحب الرؤية القولانية يراني اذا قال — وهو من رؤيتي على خطر . وان[1] صاحب الرؤية العلمانية يراني اذا علم — وهو من رؤيتي على خطر[1] . قلتُ : مولاي ! ما الخطر ؟ قال : لا يدوم له القول . وما للقول دوامٌ . ولا يدوم له العلم ؛ وما للعلم دوامٌ . فاذا فارقه ما رأى فيه . فارق الرؤية . فهذا هو الخطر : يفارق القول ويفارق الرؤية ويفارق العلم ويفارق الرؤية .

وقال لي : صاحب القولانية يراني اذا قال . ولا يراني تلك الرؤية اذا صمتَ ! فرؤيته التي هي حقيقته ، في قوله ، وحقائق قوله في صمته . لا في قوله . وانت ترى ذاك وهو لا يراه ؛ لأنك تراني لا في قول وتراني لا في فعل وتراني لا في علم وتراني لا في عمل . فانت صاحب الرؤية الكبرى : ترى الله [١٦٨ ب] ؛ لا سترَ بينك وبينه . ان القول سترٌ في الرؤية ، وان العلم ستر في الرؤية وان العمل ستر في الرؤية . وان لي عباداً يرونني من وراء الستور .

فاذا رأيتني لا من تحت ستر . واذا رأيتني لا من تحت اسم ؛ فقد رأيتني رؤيتي الكبرى .

وان لي عباداً لا يستعظمون هذه الرؤية لاني ارفع الستر ولا أوذنهم ستراً رفعتُ . وارفع الاسم ولا أوذنهم اسماً رفعتُ . فلا يسكنون على رفع الستر والاسم . قلتُ : مولاي ! ما الستر وما الاسم ؟ قال : الستر والاسم قولٌ يراني فيه . وعلم يراني فيه . وحرف يراني فيه . وخوف يراني فيه . فاذا رآني ولم ير الستر والاسم بيني وبينه ؛ ذهب عني .

وقال : أثبتْ ! أثبتْ ! فيا صاحب الرؤية الكبرى . ادركْ العالمين ! ويا صاحب الرؤية الكبرى . ادركْ الناظرين ! ويا صاحب الرؤية الكبرى :

---

(١) ق : — وان ... خطر

ادركُ العاملين والواقفين ! انك تراهم في رؤيتهم ، وانك تراهم اذا خرجوا من رؤيتهم .

وقال لي : لا مجالسة الا لصاحب الرؤية الكبرى !

وقال لي : المجالسة على عتبة هذه الرؤية ، ومن وراء العتبة باء الصفة عن اليمين وباء الصفة عن الشمال .

وقال لي : اصحاب الرؤية [١٦٩ أ] ثلاثة : صاحب أسماء وستر . جليسُ خطر لا جليس ربّ ، يراني في حجاب : فهو جليس ما يراني فيه . لا جليسي – ومفارقٌ للاسماء والستر ، باهتٌ رآني في البهوت : فهو جليس البهوت .

[قلت] : مولاي ! ما البهوت ؟ قال مولاي : يخرج من الاسماء والستر فيراني ، فيطمئن برؤيتي ، ولا اقول له في هذه الرؤية ولا يقول لي .

« في نسخة[١] الاصل التي بخط المؤلف رحمه الله تعالى ، بقلم آخر : حتى أخاطبَ بلغاتي مَن أشاء . والسلام » .

[١٦٩ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

ومن جزء آخر بخطه رحمه الله تعالى :

اوقفني وقال لي : لا يعلمني الكون . كما لا يعلم ما لا يعلم اسمه ولا وجوده .

وقال لي : أنا أقرب الى الشيء من نفسه ، وانا أبعد من الشيء بعدد مما لا وجود له .

وقال لي : ذكّر بي من جحدني ، كما تذكّر بي من أقرّ بي : فقد رآني كما رآني .

وقال لي : اذا رأيتني ، لم تستتم الا على رؤيتي .

وقال لي : اذا رأيتني . فعين البشرية ، لا حكم البشرية . واذا لم ترني ، فعين البشرية وحكم البشرية .

وقال لي : عين البشرية جسد محتاج ، حكم البشرية طبع غافل .

وقال لي : ان داويتَ الحاجة بغفلة ، إزددت حاجة ، وان داويتَ الغفلة برجاء ، إزددتَ غفلة .

---

(١) بخط مختلف

وقال لي : اذا رأيتني ، كنتَ بحكمي وكانت النعم عندك أعياناً لا أحكاماً .

وقال لي : ان ظهر عليك حكم الغير ، فأنتَ للغير !

وقال لي : من رآني . كان ذنبه أعظم من انكون عُظماً ، وكان نكاله أقبح من النكال ضيراً .

وقال لي : لا تذنب في كل شيء الا في رؤيتي . تَسُرّ اليها ، تجرك مما سواها .

وقال لي : ان فررت اليها لتُقيم بها ، رددتُ عنك كل شيء . وان فررتَ اليها لتعود الى ما فررتَ منه ، احرقتُك بنارها [١٧٠ أ] الكبرى .

وقال لي : ان دمتَ في رؤيتي ، أوحشتك منك ، كما تستوحش من عدوّك .

وقال لي : كل الاحكام تعلمها ثم تشهدها بقدر ما علمتَ منها ، الا الأحكام الربانية . فانك تشهدها ثم تعلم علومها .

وقال لي : اذا رأيتني ، صارت العلوم والمعارف حطباً لناري . فان رُمتها ، أحرقتُك بها .

وقال لي : اول درجة من علوم الرؤية فني الحدثان عن القلب ، سوائه حاضته ومعصيته .

وقال لي : العارف تفتّرده المعرفة مما سوى الله .

وقال لي : العلم طريقي والمعرفة دليله .

وقال لي : الطريق بلا دليل مضلة .

وقال لي : لا تعرف أو تردّ هواك ، ولو جاءت به يدي .

اوقفني وقال لي : الاظهار كله حدود . والحدود كلها صور . والصور كلها أجناس ، والأجناس كلها أشباه ، والأشباه كلها أضداد . والاضداد كلها تأتلف وتختلف . فائتلافها من قبل الاشباه ، واختلافها من قبل التضدّية .

وقال لي : الاظهار حجابي ، وللاظهار بواطن هي حجابي . وللبواطن مبالغ هي حجابي . وللمبالغ نهايات هي حجابي . وللنهايات غايات هي حجابي . وللغايات ادراك هي (Sic) [١٧٠ ب] حجابي . وللادراك علوم

هي حجابي : وللعلوم أقسام هي حجابي : وللاقسام احكام هي حجابي . وللاحكام محكومات هي حجابي . وللمحكومات متقلّبات هي حجابي ، وللمتقلبات معقبات هي حجابي . ومن وراء المعقبات أمري وهو حجابي .

وقال لي : حجبي التي تنقال جزء لا يتجزأ من حجبي التي لا تنقال . والسلام .

موقف في التثبيت

اوقفني في التثبيت وقال لي :

اذا بدت آية ، فاشهدني فيها . فاذا شهدتني ، فاذكرني . ولا تذكرني في مباديها من قبل ان تشهدني فيها : تخطفك وتخطف ذكرك !

وقال لي : اشهدني في الآية البادية . فان شهدتني ، فسيعترض عليك علم الآيات غيرها . فتدعوك كل آية إلى ان تشهدني فيها كما شهدتني في الآية البادية . فانبذ الآيات المعترضات نبذ الخاطر ولا تتحول من رؤيتي في الآية البادية الى رؤيتي في آية لم يبدُ حكمها : تحرقك البادية ولا تُجيرك الخافية !

وقال لي : اذا بدت الآياتُ الأرواعُ ، فلا تشهدني في آية دون آية : يقوم بك ما تشهدني [١٧١ أ] فيه : لانه لا علم لك بقوى الآيات بعضهن على بعض . ولكن اشهدني في الابداء ، لا في أعداد الآيات. فاذا شهدت ذلك ، ثبتَ بما شهدت وكنتَ في ثبتك بالمعنى الذي هي عنه في الابداء والتقليب ، فلم يختطفك معنى انتَ به ، ولم يستأصلك حكمٌ انت عليه .

وقال لي : لا تشهدني ابداً بمعناك ، لان معناك لا يحمل الا معناه ، وانما تشهدني باشهادي .

بين خطه رضي الله عنه . بسم الله الرحمن الرحيم . نسخة دفتر لطيف كتبه[١] بالنيل في شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلثمائه .

---

(١) كتبة (sic)

موقف البينة

اوقفني في البينة وقال لي :

اذا رأيتني في شيء ، فرؤيتي بينتُه ، واذا لم ترني فيه ، فلا بينة له .

وقال لي : ما انا بشيء ولا في شيء . وانما أشهدك آثار تبييني في الأشياء . فانت لا تشهد مشهوداً الا في شيء . فأنتى وصفك لا وصفي ، وأنتى لك لا لي .

وقال لي : ان وُجدتَ بي ، رأيتَ البينة . وان رأيت البينة ، اجريتَ العلم والجهل مجرىً واحداً .

[١٧١ ب] وقال لي : لا يُجري العلمَ والجهل مجرىً واحداً الا عالم ذلّ له العلم .

وقال لي : لا يذلّ العلم من اعتمد عليه . ولا يعتمد عليه الا مفتقر اليـه .

وقال لي : لا يفتقر الى العلم من رأى معلّمه ولا يستقر على المعرفة من رأى معرّفه .

وقال : عزّ العلمِ مطالبتُه . ولا يزال يطالبك ما رأيته ولم ترني . فاذا رأيتني ولم تره ، طالبتُك انا في وطالبتُك له .

وقال : البينة ما لم يبدُ وراءه مصدق ولا مكذب .

وقال لي : اذا بدت البينة فهي البادية وهي الخافية .

وقال لي : استجر بعلمي من غلبته واستعذ بفضلي من فتنته .

وقال لي : علمي يقطعك عني وفضلي يصرفك عني . فكن بي . أبدي لك بلا سبب حكومةً تبدو في كل سبب . فتحمل كل شيء ولا يحملك ، وتسع كل باد ولا يسعك .

وقال لي : البينة ما هي قول وهي في القول ، وما هي علم ، وهي في العلم ، وما هي معرفة ، وهي في المعرفة .

وقال لي : البينة لا تميل ولا تستميل .

وقال لي : اقررتُ كل شيء على معرفة هي مبلغه . فرماه الاقرار الى مستقره ، فنامت عين علمه وطويت صحايف ما بيني وبينه .

وقال لي : البينة وجود [١٧٢ أ] ما لا يعدمه العدم .

وقال لي : ما في البينة غطاء ولا للبينة وراء .

وقال : البينة ما تعرفتُ به في رؤيتي ، والمعرفة ما تعرفتُ به في غيبتي . فالمعرفة لسان بيّنتي ، والبينة لسان قيوميّتي .

وقال لي : اذا رأيتني : فلا بينة تتبين ولا معرفة تستبين .

وقال لي : الصمت من احكام البينة ، والنطق من احكام المعرفة .

وقال لي : معرفة المعرفة هي المعرفة !

بسم الله الرحمن الرحيم .

موقف الاشارة

اوقفني في الاشارة وقال لي :

هي منك ، لا تهدي ولا تبتدي .

وقال لي : فات وصفي الاوصاف : فلا هو كما بلغت بل كما أحاط

وقال لي : المعرفة التي تخرجك في النطق عن الوجد بي إشارة .

وقال لي : اذا لم تخرج في النطق عن الوجد بي ، عرفتَ الاشارة .

وقال لي : ان لم تسمع نعيمي ، لم تحمل حكمتي .

وقال لي : لا تسمعه حتى تراني أنعم به .

وقال لي : اذا رأيتني في البلاء ، فنيه رآني عموم الرائين . وان رأيتني في النعيم صلحتَ للأبد ولم تغب بالبدايات .

وقال لي : ان رأيتني ، لم تنجك الا رؤيتي . وان لم ترني ، لم يُنجك الا الاخلاص لي [١٧٢ ب] .

وقال لي : ان رأيتني ، رأيتَ ما من التراب كالتراب . فان خاطبته ، فخاطبْ ما منه .

وقال لي : ان خرجتَ من علمي ، وقعتَ في العلوم . فلا علمي علمتَ ، ولا علومك جاءت بك الي .

وقال لي : إذا رأيتني فذكرتني ، فارقتني .

وقال لي : كل ما سواي يجمعك ذكرُك له عليه .

وقال لي : من رآني : لم يغض . ومن لم يغض ، لم ينم ، ومن لم ينم ، رآني . ولا يراني من ينام .

وقال لي : لا يؤدي [اليّ] الا من رآني . ولا يخلفني الا من يؤدي اليّ . ولا يعرفني الا من يخلفني .

وقال لي : قد رأيتني قبل الشيء . فاذا رأيتني في مجيء الشيء ، فاخلفني على الشيء ، والا استخلفك الشيء على الشيء .

تمّ نسخ الدفتر المكتوب بالنيل .
والحمد لله رب العالمين .

حول ما كتبه اللبنانيون في ديار الاغتراب (تابع)

بقلم الدكتور جميل جبر

يعقوب صروف (١٨٥٢ — ١٩٢٧)

رغم العمل الصحفي الشاق انصرف يعقوب صروف الى الترجمة والتأليف فعرّب بعض روائع الادب الغربي ووضع عدة روايات منها « فتاة مصر » و « فتاة الفيوم » و « امير لبنان » كان ينشرها فصولاً في « المقتطف » متخذاً من القصة التاريخية ذريعة لدرس احوال عصره. وادخل الاسلوب العلمي الواضح الموجز في الكتابة. وفي هذا يقول انستاس الكرملي « كان الكاتب عندنا اذا كتب في موضوع صدّر كلامه بمقدمة طويلة عريضة يختمه بمؤخرة اطول من ذنب الطاووس. اما صروفنا فكان يهجم على الموضوع ولا يتركه الا بعد ان يوفيه حقه من البحث ». كان صروف يتوخى السلامة على اقتصاد في التعبير وبعد عن التكلف كما يشهد هذا المقطع :

« و « الزهرة » فلكها داخل فلك الارض كعطارد ، فاذا كانت الى الجهة الشرقية من الشمس فهي نجمة المساء وتغرب بعد الشمس ، واذا كانت في الجهة الغربية من الشمس فهي نجمة الصباح وتطلع قبل الشمس واذا كانت في الاقتران الاسفل فقد ترى شامة سوداء على وجه الشمس او لا ترى مطلقاً. ويظهر من بعض الارصاد ان لها جوّاً يحيط بها مملوءاً بالغيوم حتى تتعذر رؤية سطحها من ورائه. وقد ادعى البعض انهم رأوا لها قمراً يدور حولها ولكن الارصاد الحديثة نفت ذلك او لم تثبته ».

وفي الحقل العلمي برز الطبيب شبلي الشميل الذي وضع اطروحة بالفرنسية عنوانها « تحولات الحيوان والبشر تحت تأثير المناخ والغذاء والثقافة » واسس مجلة « الشفاء » سنة ١٨٨٦. وقد اشتهر في نشره افكار دروين في النشوء والارتقاء واهم ما كتبه « فلسفة التطور » وهو كتاب اكد فيه وحدة القوة والمادة.

قابل صروف بين طريقته العلمية وطريقة الشميل فقال :

« اساس الفرق بيننا في الامور العلمية والاجتماعية انما نحن نميل الى

الحذر ويرى ان يذكر كل امر بما يستحقه من الاحتمال او الترجيح او التحقيق اثباتاً كان او نفياً مدفوعين بما اثرته فينا العلوم الرياضية التي تعلمناها وعلمناها. اما هو فلم يدرس العلوم الرياضية وكان حاد الذهن سريع التصور فيبادر الى المجاهرة بما يعتقده صواباً ولو خالف المألوف ولم تقم أدلة ساطعة على تأييده». لكنه يستدرك فيقول: «كان نابغة في التعليل المعيأ في اكتشاف حقائق ومن ثمّ كان من مشاهير الاطباء في التشخيص كأنما كان يوحى اليه».

ولم يكتف شبلي الشميل بحقله العلمي بل كتب في السياسة والحرية الفكرية وطالب باطلاق حرية التعبير لان القلم على حدّ قوله ما هو الا عضو اضافي متمم لاعضاء الانسان الطبيعية. اما القضايا الاجتماعية فكان ثورياً في معالجتها. ومن اقواله: «ان حكومات الشرق هي التي ساعدت على فساد الاخلاق. الفرق بين حكومات المغرب وحكومات المشرق هو ان تلك تحكمها شرائعها وهذه تحكمها ملوكها وان تعدلت الاحكام في بعض ممالك الشرق اليوم فما تعديلها الا صورة لا معنى. فان ملوك الشرق ما زالوا فوق شرائعهم».

اديب اسحاق (١٨٥٦ – ١٨٨٥)

نزح يافعاً الى وادي النيل فاتصل بجمال الدين الافغاني وتأثر بآرائه الاصلاحية. تولى تحرير صحيفة «التقدم» وهو لما يجاوز السابعة عشرة فتميز بانشائه المزيّن على اناقة وانشأ فيها بعد مجلة اسبوعية اسمها «مصر» في القاهرة كانت منبراً للافغاني؛ ثم نقلها الى الاسكندرية. وأنشأ مع سليم النقاش جريدة يومية اسمها «التجارة» كانت تنتقد الحكومة بدون تحفظ فعطلتها السلطة وذهب اديب اسحاق قانطاً الى باريس حيث اسس صحيفة «القاهرة» وهناك تشبع من افكار الثورة الفرنسية. ولما رضي عنه في مصر عاد اليها واستأنف العمل في صحفه.

يوم اصدر اديب اسحاق صحيفته في باريس كتب: «هذه صحيفة «مصر» طواها الاستبداد فماتت شهيدة ثم احيتها الحرية فعاشت سعيدة. حاول احدهم (رياض باشا) اطفاء نوري وابى الله الا ان يتم نوره وان كره الظالمون. اماتني بدعوى الحرص على الخواطر ان اثيرها الى الفتنة بل خاف ان اكشف الحجاب عن حقيقة احواله فزعم اني ناصبته الشر نفرة منه وتشيعاً لسواه. وما انا في شيء من ذلك. فاني اعز نفساً وانبل قصداً من ان

تستميلني الاشخاص : وانما اميل مع المقاصد . فما كان منها ملائماً للمشرب الذي احسبه حقاً ؛ فذلك من دون المشارب مشربي وما كان مغايراً للمبدأ الذي اراه عدلاً رميت به من حالق رمي حانق . وانا تحت سماء الانصاف على ارض الراحة بين اهل الحرية اذكر ابني قومي في مجالس الظلمة وتحت سياط الجلادين فانوح نوح الثاكلات وارى علائم النعمة في معاهد المساواة فاذكر شقاء سربي في ربوع الظلمة فأذرف الدمع ممتزجاً بسواد القلب » .

« رأيت من الواجب علي ان اصرف العناية والاجتهاد الى تهذيب العبارة وتقريب الاشارة لتقرير المعنى في الافهام من اقرب واعذب وجوه الكلام وانتقاء اللفظ الرقيق للمعنى الرقيق متجنباً ما كان من الكلام غريباً وحشياً او مبتذلاً سوقياً . فان التهافت على الغريب عجز وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الانشاء داء اذا سرى في القراء والمطالعين ادى الى فساد عام واغلق على الطلبة معاني كتب العلم . والتنازل الى الفاظ العامه يقضي باماتة اللغة وضياعة محاسنها »[1] .

هذا هو الدستور الكتابي الذي رسمه اديب اسحاق لنفسه فبقي وفياً له في بحوثه وقد اراد ان يعتمده كذلك الكتّاب المجددون لان منهم من فهم بالتجديد خروجاً على اصول اللغة . ومن اهم القضايا التي تصدى لها اديب اسحاق في بحوثه قضية تأخر الشرق بالنسبة للغرب وقد عزا اسبابه الى استبداد زعمائه وفي هذا يقول : « قضى على الشرق جهل عامته واستبداد خاصته وخيانة زعمائه وتعصب رؤسائه ان يهبط بعد الارتفاع ويذل بعد الامتناع ويكون هدفاً لسهام المطامع والمطالب تعبث به ايدي الاجانب » . بهذا الانشاء الترق المسجع الوجيز يعبر بسطر واحد ما كان اسلافه يعبرون عنه بصفحات . الا ان اديب اسحاق وان سار على النهج الاصولي من حيث سلامة الجملة وصحة التعبير فانه ما كان مقلداً في المعاني ولا حتى في المباني وكان حرباً على التقليد الاعمى في كل مجال .

بيد ان اديب اسحاق تلميذ الثورة الفرنسية البار ما كان حتى في حمى تمرده الاجتماعي ليقضي على الحنين في نفسه الى موطن احلامه لبنان . ومما قاله فيه :

« ومن فوق ذلك جبال لبنان تستهزئ بعاديات الزمان لزم رؤوسها الشيب فازدادت جمالاً تنادي لسان حالها رب زدني كمالا فكان في هامها

---

(١) في باريس كتب في الصحف الفرنسية عن السياسة المصرية خاصة والشرقية عامة .

الشتاء وفي عنقها الربيع وفي قلبها الخريف وتحت اقدامها الصيف . والبحر من وراء ذلك يخدجها بعينه الزرقاء : فترده صخوره الصماء . فيعود راغياً واجداً ؛ مزبداً حنقاً يدفع سابق موجه اللاحق انكساراً كمن هزم الجيش فارتدت طلائعه فراراً » .

الصورة المحسوسة في بيان بليغ كانت الوسيلة الاولى التي يلجأ اليها اديب الحاق في التعبير عن افكاره في جميع المواقف . وقد حذا الكثيرون حذوه من بعد .

جرجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤)

سافر الى مصر سنة ١٨٨٤ ليكمل دراسة الطب التي بدأها في لبنان . فانصرف اول الامر الى الشؤون العلمية الصرف ثم استهوته الصحافة اليومية فحرر في جريدة الزمان نحو سنة عاد بعدها الى بيروت وألف كتابه «الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية» ثم رجع الى مصر وعمل مديراً لادارة «المقتطف» واسهم بتحريره . ثم اصدر «الهلال» ، كما ذكرنا ، الذي عاش معه ٢٢ سنة وما زال مستمراً حتى اليوم .

كتب في آداب اللغة العربية والتمدن الاسلامي ووضع تاريخ مصر الحديث في مجلدين والتاريخ العام عن ممالك آسيا وافريقيا . وتاريخ العرب قبل الاسلام . ووضع عدداً كبيراً من الروايات التاريخية التي ترجمت الى عدة لغات فكان ينقل بعضها فصولاً متسلسلة في مجلته ناهجاً فيها نهج مواطنه جميل مدور في روايته عن عهد هارون الرشيد ونهج الاسكندر دوماس الاب . وقد استوحى مواضيعه اما من العهود الوسطى والفتح الاسلامي كما في «هارون الرشيد والبرامكة» واما من التاريخ الحديث من عهد محمد علي الى عرابي باشا الى الثورة التركية كما في «الانقلاب العثماني» .

ان له فضل الرائد في تاريخ آداب اللغة العربية وتبويبها في عصور حسب العوامل السياسية التي اثرت في تطورها . انشاؤه سهل واضح وطريقته قريبة من الطريقة العلمية رغم المآخذ التي اخذت عليها . اما في تفكيره فقد تأثر ، شأنه في ذلك شأن معظم طلاب العلم يومذاك ، بنظريات النشوء والارتقاء التي كان شبلي الشميل ينشرها في مصر على غير هوادة . وقد حاول زيدان تطبيقها في درسه تطور اللغة العربية وتراكيبها عبر العصور . وفي هذا يقول : «سارت اللغة سير الكائنات الحية بالدثور والتجدد المعبر عنه بالنمو الحيوي . فالوقوف في سبيل النمو مخالف لناموس الارتقاء . فلا

ينبغي احتقار كل لفظ لم يتعلق به اهل البادية منذ بضعة عشر قرناً . ولا بأس من استعمال الالفاظ المولدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي . واذا عرض لنا تعبير اجنبي لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه فلا بأس من اقتباسه» . وقد سار هو نفسه على هذه الطريقة التي ميزت رواد النهضة في مصر كما في لبنان . اما في درسه اللغة العربية فيعود الى اصلها معتمداً الاسلوب المنطقي الذي اعتمده ابراهيم اليازجي فيدرس تكون الافعال والاسماء والحروف والاشتقاقات والتأثيرات الخارجية عليها بعد اختلاط العرب بالاعاجم . ومن ميزات اللغة العربية في نظره كما في نظر اليازجي الاصوات والاعراب والايجاز ووفرة امكانات الاشتقاق والمرادفات والاضداد .

خليل مطران (١٨٧٢ ــ ١٩٤٩)

لا تذكر النهضة الشعرية في مصر الا ذكر معها الثالوث الشهير شوقي ــ مطران ــ حافظ . وكثيرون من النقاد قدموا خليل مطران على رفيقيه :

التزم خليل مطران العمل السياسي في لبنان . اول شبابه ، فأيد المبادئ التحررية التي قام عليها حزب تركيا « الفتاة » ضد عبد الحميد . ولما شعر بعزم السلطة على سجنه هرب الى باريس حيث استكمل عدته الثقافية . ثم عاد الى مصر فمارس الصحافة في « الاهرام » واصدر « الجوائب المصرية » ثم « المجلة المصرية » ؛ وكان طيف عبد الحميد ما يزال ماثلاً امام عينيه ، فكان هاجسه الاول صحفياً وشاعراً . ومما روائعه في الشعر الملحمي حول نيرون وبزرجمهر الا من وحي الطاغية واليقين بنهايته . وقد عرف كيف يفصل في قصائده المبنى على قياس المعنى بحيث يعبّر الايقاع عن مقاصده بقدر ما تعبر الافكار يسانده نفس خارق :

كل قوم خالقو نيرونهم قيصر قيل له ام قيل كسرى

كان مرحلة وصل بين القديم والحديث . في جزالة تعبيره وعنفوان الكلمة امانة للتراث الاصولي ، وفي تصديه لقضايا عصره مشاركة وشق طريق لمدرسة جديدة . وابرز ما في عطائه الشعري الرائع ــ فيما عدا شعر المناسبات ــ سعيه المحموم الى التركيز في بناء القصيدة فاذا هي عمارة متكاملة الهندسة على تناسق ووحدة عضوية لا مجموعة ابيات لا تربط بينها الا القوافي والتفاعيل . وفي هذا يقول الدكتور فؤاد البستاني : « شعر مطران بناء . ولكنه ليس بناء باللبن سهل الانشاء ، سهل الزوال ، لا يدوم على الزمن ،

ولا يقاوم عناصر الطبيعة ، يتبرأ ويتآكل ، ويتهافت ، اذا ما ضربته الانواء ، واخنت عليه العوادي .

ولا هو بناء بالباطون يصب في قالب واحد ، على وتيرة واحدة . فلا تنوع ، ولا ابتكار . انما هو بناء صعب المراس ، وافر التكاليف . بناء بالحجر الصلد السليم المقلع . المقصوب المكسر . المنحوت الصفحة . يختال مكانه على قياس . فيلتحم برصيفه مباشرة ، لا خلل بينها تسده حشوة . ولا فراغ تملأه وصلة او رقعة . انما هو صفحة قائمة متماسكة الاجزاء متلاحمة الفروع . كقوله في وصف الجبل الاصلد » :

كثير الثلوم ، كسان التقي اذا زل ، يهوى على مبرد

وفي وصف الخلائق المستعبدة تبني قبراً لفرعون :

صفر الوجوه ، نادياً جباههم . كالكلأ اليابس يعلوه الندى .
محنية ظهورهم ، خرس الخطى كالنمل دب مستكيناً مخلدا

وفي وصف قلعة بعلبك :

هم فجر الحياة بالادبار فاذا مر فبهي في الآثار
والصبا كالكرى نعيم ولكن ينقضي والفتى به غير داري
يغنم المرء عيشه في صباه . فاذا بان عاش بالتذكار
ايه آثار بعلبك سلام بعد طول النوى وبعد المزار
وبقيت العفاء من عرصات مقويات اواهل بالفخار
ذكريني طفولتي واعيدي رسم عهد عن اعيني متواري .

ولئن حلّق شاعر القطرين في شعره الملحمي فهو لم يقصر ابداً في شعره الوجداني . فقصيدته « المساء » مثلاً نموذج حي لانعكاس الالم الجسدي على نفسية الشاعر فاذا كله عليل قلباً وروحاً وجسماً واذا الحنين يعاوده الى حبيبة اودى بها المرض وكانت قد اوحت اليه « حكاية عاشقين » . من خلال ذاتيته تلك ينظر مطران الى الوجود فيراه بلون عنه . كأنما يئن ويشاطره الشقاء ، فاذا بالصور الحسية المتعاقبة تعبّر من تلقائها عن أساه :

فكأن آخر دمعة الكون قد مزجت بآخر ادمعي لرثائي
وكأني آنست يومي زائلاً فرأيت في المرآة كيف مسائي

وصرف خليل مطران جهداً كبيراً في الترجمة المسرحية فعرّب من شكسبير « مكبث » و « عطيل » و « هملت » و « تاجر البندقية » ومن

كورنراي « السيد » . وقد أخذ عليه بعضهم ومنهم نعيمه في «الغربال» عدم التقيد الكلي بالنص الاصلي باعتبار انه لم يكن متضلعاً التضلع الكافي من الانكليزية فعرّب عن ترجمة فرنسية آثار شكسبير .

خليل مطران في الشعر ديوان « الخليل » (جزءان) و« النيرونية » و« الاسد الباكي » و « آثار بعلبك » وله في النثر بحث في التاريخ العام (ستة اجزاء) .

فرح انطون (١٨٧٤ — ١٩٢٢)

هرب من ظلم عبد الحميد الى الاسكندرية سنة ١٨٩٧ وحرر في « الاهرام » ثم أنشأ مجلة « الجامعة العثمانية » وشعارها إصلاح الدولة العثمانية . ولما يئس من اصلاح يتم على يد من لا يقوم سلطانهم الا على الفساد غيّر اسم مجلته فصارت « الجامعة » وجعل نزعتها فلسفية سياسية اجتماعية تعمل على نشر الافكار التحررية الغربية ولاسيما افكار الثورة الفرنسية وفولتير ورينان وقد عرّب الكثير من آثار هذين الكاتبين .

مع اصداره « الجامعة » ترجم عن الفرنسية روايات كان ينشر بعضها في مجلته . الا ان عمله الصحفي لم يؤمن له اسباب الحياة على ما كان يتمناها فانتقل سنة ١٩٠٥ الى نيويورك وكانت شهرته قد سبقته الى اوساط المغتربين فيها . وهناك شاء ان يعمل في التجارة والصحافة معاً فاصدر جريدة « الجامعة اليومية » فما حققت امانيه فعاد الى مصر بعد اعلان الدستور العثماني وانصرف الى الأدب السياسي والى الكتابة في المسرح ترجمة واقتباساً وتأليفاً . الا ان بعض ترجماته كان من نوع الدراما العامية الغنائية الرخيصة .

اهم مؤلفاته خمس روايات اجتماعية هي « اورشليم الجديدة » . «سياحة في ارز لبنان » ، « المدن الثلاث او الدين والعلم والمال » . « مريم قبل التوبة » ، و « الحب حتى الموت » واربع مسرحيات هي : « صلاح الدين » ؛ « مصر الجديدة » . « بنات الشوارع » و « ابو الهول يتحرك » وقد تكون روايتاه « اورشليم الجديدة » و « الحب حتى الموت » افضل آثاره . ففي الاولى يتناول قضايا اجتماعية وفلسفية ودينية في اطار غرام رومنطيقي وقد صور فيها بشكل مؤثر واسلوب بسيط عفوي مدينة اورشليم يوم عيد الميلاد وكان العرب قد فتحوا الشام وحاصروا بيت المقدس .

اما « الحب حتى الموت » التي نشرها بالتسلسل في مجلة « الجامعة » فتروي قصة المهاجر اللبناني الى اميركا في ذلك العهد . وهي من اولى المحاولات الروائية العربية .

بطل الرواية شاب اسمه « اميل » يعزم على السفر فيأتي نسيب له راهب يودعه عند رابية بين البترون وطرابلس (منطقة المؤلف). ودعه هناك لانه اراد ان يسافر خلسة الى الولايات المتحدة ، فالهجرة كانت محظورة عهد ذاك. تدور بين الراهب والفتى محاورة طريفة يقول فيها اميل انه عزم على مغامرة السفر لأنه يأبى حياة خانعة في ظل جدران اربعة. وينطلق المسافر من على شاطئ البترون في قارب ينقله « بالتهريب » الى الباخرة. وفي الفصل الثاني يصف المؤلف مجازفة بطله في نيويورك حيث يجد نفسه غريباً مستوحداً. فما لبث ان عشق فتاة من اصل لبناني تبيّن له في آخر الامر انها اخته وقد سافرت مع امها وهي طفلة فتبنتها رفيقة لها واعطتها اسم عائلتها بعد موت امها.

الفن الروائي قد يكون بدائياً هنا من حيث التحليل والتسلسل لكنه يمهد لنشأة الرواية العربية بمفهومها الحديث.

نجيب الحداد (١٨٦٧ – ١٨٩٩)

عمل في « الاهرام » تسع سنوات ثم أنشأ مع اخيه امين « لسان العرب » في القاهرة ثم نقلها الى الاسكندرية وأسس مع غالب طليمات « السلام » اليومية وكتب في « انيس الجليس » فبرز في ادب المقالة والشعر والمسرحية الشعرية ترجمة وتأليفاً. من اهم آثاره ، على قصر حياته. في الشعر : « تذكار الصبا » و « منتخبات نجيب الحداد » وفي النثر « عداوة الآخرين » ، « المبدي » ، « غرام الملوك » (مسرحيات) و « العاشقة المتنكرة » و « فرسان الليل » و « غصن البان » (قصص) و « اديب الملك » و « السيد » و « برنيس » (ترجمات).

تميز شعره بصفاء الديباجة وقوة التركيب وتفرد بالسهولة الممتنعة والطرافة.

طانيوس عبده (١٨٦٩ – ١٩٢٦)

بدأ صحفياً في الاسكندرية فاصدر « الرقيب » مع حنا النقاش فلم تعش. فأنشأ « الشرق » يومية و « الراوي » اسبوعية قصصية. ثم عاد الى لبنان سنة ١٩٠٩ لعل حظه فيه بالنجاح يكون اوفر بعد بريق التبدل السياسي. لكنه خيب بعد حين ولم ينجح الا في الشعر ، لا سيما التكاهي الذي جمعه في ديوان خاص. ورجع الى مصر سنة ١٩٢٦ وتابع ترجمة الروايات وكان قد بدأها في لبنان فكانت حصيلة ترجماته ما يزيد عن خمسين قصة عن

الفرنسية باسلوب ماتع على بساطة. ومن اشهر هذه القصص «روكامبول» و «البؤساء» و «عشاق البندقية» وكان يتوجه فيها الى الجمهور لا الى النخبة، لذلك كان لا يتقيد بالاصل. قال عنه صديقه الاخطل الصغير: «انظر الى الرجل النضيل الشاحب او بالاحرى الى هذا الوجه المحروق بالسويداء جالساً الى طاولة صغيرة عليها كأس من العرق في قهوة «خضراء» وبيده رواية فرنسية يطالع العشرين من صفحاتها دفعة واحدة ثم يضعها جانباً ويتناول اوراقاً وقلم رصاص بطول الاصبع ويأخذ في درز الكلمات درزاً سريعاً فما هو الا نصف ساعة حتى يملأ نحو الخمسين ورقة بحجم الوسط من غير ان يراجع كلمة او يأتي بحركة الا ان يمد يده الى الكأس المرة بعد المرة».

مصطفى الرافعي (١٨٨٠ – ١٩٣٧)

اصله من طرابلس، ولد وعاش في مصر عيشة رومنطيقية. احب مي زياده حباً عنيفاً لم يلق جواباً فتركت فيه خيبة الهوى مرارة عنيفة جعلته يكتب من وحيها معظم خواطره الشعرية ومنظوماته. من اهم آثاره «رسائل الاحزان» و «السحاب الاحمر» و «حول المرأة والحب» و «وحي القلم» و «ديوان الرافعي».

فليكس فارس (١٨٨٢ – ١٩٣٧)

نشأ في مصر ومارس فيها الصحافة وكتب شعراً ونشر ديواناً عنوانه «القيثارة» وكان يؤمن بان الشعر موسيقى قبل ان يكون أي شيء آخر. وكان لادب المهجر الاميركي اثر في نتاجه. لا سيما وانه سافر فترة الى اميركا واتصل بمغتربيها اللبنانيين. كتب في عدة مجلات ولا سيما مجلة «سركيس» وعرف خطيباً مفوهاً ومترجماً قديراً؛ لا سيما في ترجمته لنيتشه «هكذا تكلم زردشت» ولموسيه «اعترافات فتى العصر» و «رولا» وكتب روايات اخلاقية منها: «شرف وهيام» و «الحب الصادق» وله بحث ادبي دقيق بعنوان «رسالة المنبر الى الشرق العربي».

اسكندر شلفون (١٨٨٢ – ١٩٣٧)

نظم شعراً زجلياً في رواياته الغنائية التاريخية مثل «السبايا» التي مسرحها روما القديمة وألف قصصاً اجتماعية فنية اهمها: «صبر العذارى» و «معبد

النيران » ، بيد انه اشتهر بنوع خاص في عمله الموسيقي وفي بحوثه عن الموسيقى وكان ينشرها في مجلته الشهرية « روضة البلابل » .

امين تقي الدين (١٨٨٤ – ١٩٤٧)

اسس مع انطون الجميل مجلة « الزهور » في القاهرة فكانت على حق ندوة الادباء والشعراء على اختلاف المذاهب . كان امين شاعراً مطبوعاً تأثر بالرومنطيقية وكتب من وحيها قصائد حنين الى لبنان فضلاً عن الغزليات ومن شعره قصيدته التي لحنت :

الله يا لبنان ما اجملك — واروع الشيب الذي جللك
بين يديك الملك في جاهه — على الثرى او عزه في الفلك
سبحان من خبأ فيك الصفا — وسال من قلب الصفا جدولك
انت نعيم الله في وعـــده — مثلث بالنعماء من مثلك

مي زياده (١٨٨٦ – ١٩٤١)

الآنسة مي كما كانت توقع هي ولا شك ابرز اديبات عصرها . ولدت في ناصرة فلسطين ولما بلغت الرابعة عشرة دخلت معهد عينطورة للبنات في لبنان حيث اكملت دراستها ، ثم مضت الى القاهرة وكان ابواها قد انتقلا اليها وانصرفت الى الدرس بنهم . وفي سنة ١٩١٠ نشرت باكورتها « ازاهير حلم » (بالفرنسية) بتوقيع ايزيس كوبيا . ثم اسهمت في تحرير « المحروسة » التي كان يتولى ابوها ادارتها عهد ذاك . فلفتت اليها المثقفين وجعلت من منزلها ندوة ادبية يلتقي فيها ادباء عصرها . وقد وصفت آمي خير هذه الندوة قالت :

«كنا ندخل هذا الصالون من باب عن يمين المدخل . واني ما ازال اذكر المقاعد العربية والكراسي المغطاة كما واللوحات المعلقة فوق البيانو ، وتلك الزاوية مع المرآة المطعمة بالموزاييك . كان الثلاثاء يوم استقبالها . وكان الزائرون الاولون يفدون حوالي الساعة الرابعة . غير ان ميا ما كانت تستقبلهم اول الامر بل كانت امها تنوب عنها فتقدم القهوة وشراب الورد والسكاير . ثم عندما يضج الصالون بالناس تقبل مي مرتدية لباساً انيقاً على غير تصنع فتجلس قرب من شاءت ان تكرمه ضيفاً على الصالون .

وكان بين رواد هذا الصالون ، وهو الاول من نوعه في العالم العربي ، لطفي باشا السيد ، داود بركات ، خليل مطران ، انطون الجميل ، ولي الدين

يكن . شبلي الشميل . اسماعيل صبري . يعقوب صروف . طه حسين . جرجي زيدان . فارس نمر وخليل ثابت .

وكانت اهداف الصالون واضحة . اولا البحث عن اسلوب عربي جديد يتوسط الاسلوب القديم واللغة المحكية ثم محاولة التقارب الثقافي بين الشرق والغرب وخصوصاً خلق مناخ ملائم لتفتح المواهب الجديدة .

كانت مي تشترك في جميع الاحاديث . وتوجه النقاش وكان لها من الذكاء ما يفرض كلامها على الجمهور . كانت ترى في احترام الحاضرين لها الامل الكبير الذي يعلقه هؤلاء على النغم الذي سيفتح امام المرأة الشرقية الحياة الاجتماعية من بابها الواسع ويسمح لها بالتالي ان تسهم في نشاط الرجال » .

كتبت مي في تلك الفترة في ابرز صحف مصر « كالاهرام » و « الهلال » و « المقطم » و « المقتطف » و « البروغره » و « الاجبشن ميل » (بتوقيع رأفت خالد) والقت خطباً اجتماعية في المناسبات وحاضرت والتحقت بالجامعة المصرية .

اولعت مي منذ صباها بجبران وقد قرأت « الاجنحة المتكسرة » فاهتزت لها وتراسلا مدة طويلة لكنهما لن يلتقيا . لقد رأت في صاحب « النبي » اكثر من رفيق يبدد وحدتها المعنوية . رأت فيه المثل الاعلى للفنان الشرقي . دعته الى مصر فما استطاع ان يلبي رغبتها فقال معتذراً في احدى رسائله : « اي رجل يستطيع ان يترك بناء صرف عمره بنحت حجارته ورصفها حتى وان كان ذاك البناء سجناً له . فهو لا يقدر او لا يريد ان يتخلص منه في يوم واحد » . الا ان جبران رغم بقائه في نيويورك ظل صديقاً وفياً لمي وموجهاً روحياً لها وقد ظهر تأثيره في كتاباتها الاولى لا سيما من حيث التفكير الصوفي . الا انها ما كانت لتشاطره التمرد العنيف على التقاليد ولا آراءه المتطرفة في « المجنون » و « العواصف » .

واطل الخريف قاتماً على مي وقد مات اهلها واكثر اصدقائها فوجدت نفسها وحيدة اكثر من ذي قبل فساورها نوع من الهستيريا السوداء فعادت الى لبنان تطلب الشفاء وهي ما انقطعت عن زيارته ولا عن السفر الى اوروبة في مواسم الصيف . ثم عادت وقد تحسنت صحتها الى حد ما الى القاهرة لتقضي البقية الباقية من حياتها اسيرة الوحدة والكآبة والمرض .

صرفت مي اهم نشاطها الادبي في الدفاع عن حقوق المرأة . فكتبت سيرة « باحثة البادية » : و « عائشة تيمور » لتظهر الدور الكبير الذي يمكن

ان تقوم به المرأة المثقفة : وكتبت في الادب الوجداني خواطر نشرت بعضها في « ظلمات واشعة » ، حيث عبرت عن احلامها وآمانيها وآرائها في الحياة والناس وصورت نفسها الغريبة التي تنادي الغريب ولتحصي له الاثقال التي قوست كتفيها وتصيح بكل قواها : « بي احتياج الى الألم . أليس بين الناس من يتقن تعذيني » ؟ ثم تهيم على وجهها في العالم سائلة عن مصيره « من اين والى اين ؟ »

« والآن اذ اسمع الرياح تعول وتندب ، والاجراس تطن طنين الغم والكرب ، والارعون يعزف الحان التفجع والانتحاب ، ثم تتراءى لي اودية وجبال زرعت فيها انعظام منا وامتدت الاعصاب ، وتنبسط لمخيلتي سبيل ومروج تغذت من اجسامنا وارتوت بدمائنا ، وتضج حولي اصوات الباكين الحزانى ؛ وتتزاحم امام ناظري جميع مشاهد الفراق — فراق مر يحتمه الموت وفراق امر تقضي به الحياة . فأذوب واتضاءل ثم اذوب حيال بحر الشقاء العام حتى . البث ذرة واحدة مترجعة متلهفة متنجعة تتوق الى التلاشي والنسيان . اذ ذاك تنشع عن عاتقي حجب الجهل والانانية . وتلقي بي يد الروح الاعظم في فضاء اللانهاية . ويحملني جناحان قويان الى حيث اجد الموت حدثاً عرضياً والشقاء خيالاً زائلاً . اذ ذاك ينمو كياني ويتعالى ويعظم فيتنشق هواء الحياة الواحدة السائدة في كل مكان » .

كتبت مي بحثاً في المساواة . تطرقت فيه للاشتراكية ومبادئها وجمعت خطبها الاجتماعية في « كلمات واشارات » ودراساتها النقدية في « الصحائف » و « بين المد والجزر » وآراءها التوجيهية في « سوانح فتاة » . لقد اتقنت عدة لغات فترجمت عن الانكليزية « رجوع الموجة » وعن الالمانية « ابتسامات ودموع » لماكس مولر وعن الايطالية « نماذج من الشعر الرومنطيقي » . اما اسلوبها الكتابي فرشيق سلس بارز الشخصية غني بالصور : « اني اكره التقليد الذي يشوه المقلد ويمسخ المقلد واحب ان اكون انا انا في كتاباتي » . اما افكارها فكانت مزيج من التقدمية الاجتماعية لا سيما بالنسبة للمرأة ومن الحلولية الصوفية التي اخذتها عن جبران بنوع خاص .

بشر فارس (١٩٠٦ — ١٩٦٣)

قد يكون بشر فارس الاديب اللبناني الوحيد في مصر الذي لم ينطلق من دنيا الصحافة . لقد عاش في قطيعة مع المجتمع فتنسك للأدب وللتعمق

في قضايا الوجود . كان صعباً مع نفسه ينحت ويصقل . كتب نثراً وشعراً على طريقته الخاصة وترجم وحاضر . من ابرز آثاره :

«جبهة الغيب» وهي احدوثة شرقية : على حد تعبيره ، في خمس مراحل اخرجها بشكل مسرحي يوافق مفهومه الخاص لهذا النوع الادبي . كان يعتقد ان المسرح الذي لا يتحقق فيه نضال الابطال فعلاً وقولاً انما هو مسرح كاذب فاتر . اما موضوعها فما هو الا توسيع لفكرة اقصوصة حوارية له عنوانها «رجل» ظهرت في مجموعته «سوء تفاهم» خلاصتها ما يلي : في زاوية من الارض جبل عسير المنال على رأسه بيت منقور من ناحية السماء : طريقه وعر والتصعيد فيه خدعة الموت . ولم يقو على بلوغ هذا البيت سوى اثنين . وقد عاد احدهما كسيحاً من الاعياء والآخر مكفوفاً . عادا وبين يديهما الابدية . ويدور الصراع حول حرية الانسان الكائن المحدود الذي يسمو الى الخلود عن طريق امتلاك الابدية . لكنه صراع نفس تريد في جسد لا يستطيع : اي صراع مصيره العجز عن بلوغ الهدف وبقاء الانسان كتلة «هموم تحترق» وتترجح بين ارض تشد الى تحت وسماء تشد الى فوق وتبقى عالقة بين الطرفين معرضة لاعاصير الوجود . يقول بشر فارس في هذا الكتاب :

«رأيت صخوراً توشحت بالياسمين . اخذت ترقص دوارة . بين لفتتين نحت اليه يصعد . شبح شجرة يبس عودها وقسا . ظل الشبح يسرع من مرقى الى مرقى ، تدفعه يدان على مثال يدي ، الا انهما من صوّان . كان الليل اسود ، ولكن في غيابة جفني فز برق . ما كنت اجرؤ على ندائه» .

كان يبحث في المعاجم ليرى هل قالت العرب «نحته» او «نحت اليه» فان وجد ان الوجهين جائزان اختار اقلها شيوعاً . ذلك انه كان يأبى ان يستعمل الا اللفظة النادرة .

«مفرق الطريق» وهي مسرحية يعالج فيها مشكلة المرأة الشرقية المحرومة من اطلاق شعورها المكبوت . عنوانها يعني نقطة التقاء العقل والشعور وانطلاق التجاذب بينهما . فيها جانبان : جانب مظلم يتهر فيه الشعور العقل فينحدر المرء ، وقد عمي رشده ، الى غاية تحترق عندها النفس . وجانب منار فيه يصرع العقل الشعور وينتصر . وموضوع المسرحية وحركتها تنحصران في محاولة البطلة سميرة سبر اغوار ماضيها الخصب ، من خلل الحاضر الجاف عن طريق تداعي الافكار والتأمل الباطني . تقول سميرة :

« اني عرفت ذلك السراب بل شربت منه وكان الماء اجاجاً على لذة . واني أود لو ارتشفه مرة اخرى . آه حتى هذا لا يفوتني اليوم . الحب معترك تتلاه الاوهام » .

اما في شعره فكان مغتنقاً اكثر منه في نثره وقد تأثر الى حد بعيد بملارميه ورمزيته . تفهمه باحساسك اكثر مما تفهمه بالمنطق . ويعتبر بشر فارس من روّاد الشعر اخر الاصيل الذي يتنكر لزيف المشعوذين وهو يرى ان مثل هذا الشعر يلتزم امرين : الاول هو العناية بامر التعبير بحيث يكون اللفظ صحيحاً موفور الايحاء . لا قلق فيه ولا افتعال . والثاني : هو الحرص على الجرس الدقيق الخفي بوساطة التنغيم الحاذي للتفعيل العروبي والتجنيس التنفظي بلا استدعاء . وقوام هذا الشعر صورة مستطرقة تنضح شيئاً فشيئاً :

وعـــذير رمى بنـمي عند حقل من الفتن
نزهة الارض من سقمي انـــا اسطورة الزمن

يقول بشر فارس في طريقته الكتابية في الشعر : « اكافح نظرياً وعملياً لأجل ردّ سيادة القول الى الشعر لانه صاحب كلمة لا مكرر القناع . وبين الكثسة والتنفظ ما بين التحم والعظم . الاول يرتم فيه نطق الحياة والثاني يرن رنة جوفاء اذا ما نقرت عليه . الشعر لا غنى له عن شرارات الثورة » .

ولبشر فارس بحوث عدة منها : « التصوير العربي والاسلامي » ، و « سر الزخرفة الاسلامية » ، و « كيف زوقت العرب كتب الفلسفة واتقنه » . وكتب بالفرنسية اطروحته « العرض عند عرب الجاهلية » . ونشر بحوثاً في دائرة المعارف الاسلامية وترجم « مفرق الطريق » وهي مجموعة قصص وضعها بالعربية الى الفرنسية . ووضع « سوانح مسيحية وملامح اسلامية حول مخطوط مزوق من القرن السابع الهجري » وله بالفرنسية قصائد وقصص رمزية .

الباحثون

انصرف الى البحث العلمي والتاريخي والفلسفي في مصر عدد كبير من اللبنانيين نذكر اهمهم :

فؤاد صروف : بعد ان مارس الصحافة في « الاهرام » وتولى « المقتطف »

حتى سنة ١٩٥٢ مكملاً رسالة عمه يعقوب في العرض المشوق المبسط لشؤون العلم ، وادار مجلة «المختار» المقتبس عن «ريدرز ديدجست» ؛ عاد الى لبنان وتولى منصب نائب رئيس الجامعة الاميركية والتحق بالانسكو وهو اليوم عضو في مجلسها التنفيذي[1]. اما في مصر فقد كتب عدة كتب منها «فتوحات العلم الحديث» ، «اساطين العلم الحديث» ، «وآفاق العلم الحديث» ، «الفتح مستمر» ، «مذبح المريخ» (والمريخ هنا اله الحرب) و «النار الخالدة» الذي تناول فيه مبادئ واصول الطاقة الذرية منطلقاً من فريد الدين العطار الصوفي القائل : «اذا فلقت اية ذرة وجدت في قلبها شمساً» . وقد تميز اسلوبه بالبساطة ودقة التعبير واستعمال المصطلحات القريبة الفهم .

نقولا يوسف الحداد : انصرف الى علم الاجتماع والنفس فكتب في المجتمع والديموقراطية وترجم في هذا الحقل وله كذلك روايات يغلب عليها الطابع العلمي منها «آدم الجديد» و «ثورة عواطف» و «الحقيقة الزرقاء» .

يوسف كرم : اشتهر ببحوثه الفلسفية وتعريبه «الفلسفة اليونانية» ودراسته لمختلف حقباتها باسلوب علمي رصين .

محمد رشيد رضا : وقد اسهم مع الشيخ محمد عبده في حركته الاصلاحية وكتب «الوحي المحمدي» . و «انجيل برنابا» وبحوثاً دينية اجتماعية دعا فيها الى التساهل والتطور .

اسعد خليل داغر : كتب في التاريخ ومن اهم بحوثه «تاريخ الحرب الكبرى» وله ترجمات تاريخية منوعة . وقصة عنوانها «الاميرة المصرية» .

نجيب عقيقي : وهو ما يزال يمارس التعليم الجامعي في القاهرة منذ عهد بعيد . له دراسة في الأدب المقارن ورواية عنوانها «برج بابل» وصف فيها هجرات اللبنانيين الى مصر منذ اواخر القرن الماضي وجعل شارع الفجالة وحي الظاهر مسرحين لها . وقد ظهرت له دراسة ضخمة «المستشرقون» في ثلاثة مجلدات رتبها على الحروف الابجدية بحسب البلدان والاشخاص متناولاً سيرة المستشرقين من كل بلد واعمالهم محللاً ناقداً واحتوت الدراسة فهارس علمية ومراجع المؤلفين .

---

(١) الف في لبنان عدة كتب لكنها لا تدخل في نطاق بحثنا .

المسرح

اسهم معظم الكتاب اللبنانيين في كتابة المسرحية ترجمة وتأليفاً : كما رأينا . اما ظهور المسرح العربي في مصر فيرجع الى سنة ١٨٦٧ بعد ان رحل اليها من لبنان سليم النقاش مع بعض عناصر الفرقة التمثيلية التي كان اسسها عمه مارون في لبنان وجاء معه بمسرحياته المنظومة الثلاث : «البخيل» ، و «ابو الحسن المغفل وهارون الرشيد» . و «الحسود» فقدمها اول مرة على مسرح الاسكندرية . وقد عاون سليم النقاش في عمله اديب اسحاق . ثم تركا هذه الرسالة الشاقة ليوسف الخياط فقام بها حتى الحرب الاولى الا ان هذا المسرح استمر بدائياً الى حين تولاه لبناني آخر هو جورج ابيض وكان قد تتلمذ على سيلفان في باريس واسس سنة ١٩١٢ فرقة جديدة استأنفت نشاطها بعد الحرب . وكانت المسرحيات التي تمثل اما مترجمة واما مقتبسة واكثرها مستوحى من التاريخ العربي مثل : «جهاد الاحرار» لانطون الجميل ومن الكتب المقدسة مثل «مقتل هيرودس» لعبدالله البستاني صاحب «البستان» . وتنظمت شؤون المسرح بعد ان فتحت له دار الاوبرا ابوابها وتألفت فرقة قومية بادارة خليل مطران .

كاتبات بالفرنسية

ثمة كاتبات لم يكتبن الا بالفرنسية مثل : جان ارقش . التي ولدت في الاسكندرية وتخصصت في الادب والموسيقى وقامت برحلات عدة في الشرق وفي اوروبة واهم ما كتبته وقد ظهر في باريس بين ١٩٣١ و ١٩٣٨ : «مصر في مرآتي» ، و «الغرفة العالية» و «الامير ذو الصليب» . في الكتابين الاولين خواطر شعرية وانطباعات مبتكرة الاسلوب . موضوعاتها تستمدها من اشياء عادية جداً كالنافذة او الغسيل المنشور او حديقة الازهار او طلوع البدر فتنطلق منها الى تأملات عميقة في الوجود والانسان . تقول مثلاً : «القمر يتسلل الى غرفتي ويرسم في الليل صليباً من الضوء الابيض الميت . اسير بدون ضجيج في غرفتي : وحدي . حتى بدون هذا الظل الكبير الذي تلقيه الشمس الغاربة على جوانبي . وحدي مع كل الفراغ الذي اورثه يوم طويل عقيم فاتر : التي برجلي العاريتين على هذا الشحوب اللاصق بالارض ، وعندئذ ينبض العرق خلل الحمى اللاهثة التي تمر . الاقدام ... كلها تضيع في الليل» .

اما « الامير ذو الصليب » فهو سيرة الامير فخر الدين تروي فيها انتصاراته المتعاقبة ولا سيما موقعة عنجر وتصف حنكته السياسية وميله الى البناء وتصور قصر بني معن وتبرز اثر حضارة فلورنسا في تفكير الامير وذوقه الجمالي .

آمي خير : وقد كتبت في حقول منوعة في الشعر والقصة والرواية والبحث . من كتبها الروائية « ضجة في باب توما » ؛ « سلمى وقريتها » ؛ « حداثة برينيس » ، و « اخواتي » وقد تميزت بوصف القرية اللبنانية في جوها الطبيعي قبل الحرب وحياة الفلاح الآمنة وضيافته السخية وتعلقه بالارض كما تميزت بتصوير الريف المصري في بساطة اهله وبؤسهم وظرفهم .

في الشرق العربي خارج مصر

لئن كانت الهجرة اللبنانية الى مصر اتسمت بطابع خاص كما رأينا فتميزت بالعدد والفاعلية فانها لم تنحصر فيها من دون سائر البلدان العربية . وثمة من بلغ تونس والسودان واسهم بالصحافة فيها كما رأينا . وثمة من قصد الى المملكة السعودية كالريحاني والى العراق وفلسطين وسوريا منذ عهد بعيد او قريب .

ففي العراق برز آل الصدر (واصلهم من جبل عامل) في البحوث الدينية ولا سيما فيما يتعلق بالشيعة . ومن علمائهم العلامة حسن الصدر الذي عرف مؤرخاً ومفسراً ومجتهداً (١٨٨٥–١٩٣٥) ومن آثاره الكثيرة « تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الاسلام » و « تعريف الجنان في حقوق الاخوان » و « وفيات الاعلام من الشيعة الكرام » .

ولمع في بلاد الرافدين الاب انستاس ماري الكرملي وهو من آل عواد (١٨٦٦–١٩٤٧) ببحوثه اللغوية المعمقة ودراساته التاريخية . فكانت مجلتاه « لغة العرب » و « دار السلام » ملتقى ادباء العراق . وقد اسهم في حركة الاستشراق وفي نشر المخطوطات القديمة . له اكثر من خمسين مؤلفاً منها : « اغلاط اللغويين الاقدمين » ، و « خلاصة تاريخ العراق » ؛ و « النوز بالمراد في تاريخ بغداد » ؛ و « والالفاظ العربية في اللغة الفرنسية » ، و « حكايات في اللغة الدارجة » ، و « العرب قبل الاسلام » ؛ و « الالوان عند العرب » ؛ وتاريخ الملابس وتطورها عند العرب » .

اما في سوريا فقد كثر اللبنانيون الا ان سهولة التنقل بين البلدين

المجاورين جعلتهم وكأنهم ما زالوا مقيمين. نذكر مثلاً: خليل الهنداوي وكوليت سهيل خوري في القصص وماري عجمي في البحث.

اما في فلسطين فأبرز من اقام فيها من الكتّاب اللبنانيين وديع البستاني (١٨٨٦–١٩٥٤) وقد ترك التدريس في لبنان حيث نشأ ليتولى رئاسة الترجمة في القنصلية البريطانية في الحديدة (اليمن). وبعد حين انتقل الى القاهرة ومارس الترجمة من الانكليزية فعرّب آثار اللورد ليفري في معنى الحياة والسعادة والطبيعة. ونشر سنة ١٩١١ اول ترجمة عربية لرباعيات عمر الخيام في سباعيات موشحة. وفي السنة التالية سافر الى الهند وقضى عامين فكانت له خلالها اتصالات بطاغور. فعرب ديوانه «البستاني» وكتب موجز «الاساطير الهندوية» ولما عزم على الرجوع الى القاهرة توقفت الباخرة في الطريق على اثر اندلاع الحرب الاولى فاقام مضطراً في الترانسفال حتى استطاع ان يرجع بعد سنتين الى فلسطين. وهناك بدأت مرحلة جديدة في حياته: مرحلة الدفاع عن قضيتها بعد وعد بلفور واستئناف النشاط الصهيوني ونشوب الاضطرابات فنظم ديوانه المعروف «الفلسطينيات» وكتب في الصحف العربية والانكليزية ملتزماً قضية الحق بكل جرأة الى ان وقع اسيراً بين ايدي عصابة «الهاغانا» فنبح في اسره «المهابراته» وكان قد عربها شعراً منظوماً وهي ملحمة هندية شهيرة تعتبر اخت الالياذة وتروي قصة حرب بني مهبرات في سفر ضخم. وعرّب كذلك «الرامايانه» الملحمة الهندية الثانية وترجم الى الانكليزية رباعيات المعري. وكتب فيها دراسة مفصلة عن الانتداب على فلسطين.

لقد ترسم وديع البستاني خطى نسيبه سليمان في الاسفار وترجمة الملاحم وخدمة القضية الفلسطينية وفي وفرة النتاج على تنوع.

الهجرة البعيدة

الهجرة اللبنانية بمعناها الكامل هي تلك التي اتجهت الى العالم الجديد وسائر الاقطار النائية فاتسمت بطابع جماعي متصاعد. وقد بدأ مدها في الثلث الاخير من القرن الماضي[1] فما انقضى خمسون عاماً حتى بلغت ذروتها وزاد عدد المغتربين والمتحدرين منهم على عدد المقيمين.

---

(١) انطون فرحه البشعلاني هو اول المهاجرين. نزل في بوسطن سنة ١٨٥٤ ومات في بروكلين وقد كتب على ضريحه: «كان شجاعاً كالاسد وحكيماً كالحية ووديعاً كالحمل»، وهذه الصفات تنطبق على غالبية المغتربين اللبنانيين.

ولا تختلف اسباب هذه الهجرة عنها الى اوروبة والى مصر الا اختلافاً نسبياً. واهم هذه الاسباب، كما رأينا، التطلع الى آفاق حرة لا تلبدها غيوم الظلم والاستبداد والميل الفطري الى المغامرة سعياً وراء الثروة والمعرفة واكتشاف المجهول.

ليس من المصادفة ان تكون قصة «روبنسون كروزوه» من اول الكتب التي عربت في بيروت ان لم تكن اولها. فان في معظم طبيعة اللبنانيين نزوعاً للتشبه ببطل دانيال ديفو في المجازفة والاتكال على النفس[1]. ولعل السبب الاقتصادي هو الاهم بالنسبة للهجرة الاميركية، كما يؤكد الأدباء المغتربون انفسهم. يقول بولس نجيم في كتابه «المسألة اللبنانية» (بالفرنسية):

«ان نظامي سنتي ١٨٦١ و ١٨٦٤ شوها لبنان وسلباه بعض اخصب مناطقه وحرماه خصوصاً من مرفأ بيروت الكبير اذ وضعاه تحت ادارة الباب العالي مباشرة فحرمت التجارة اللبنانية المزدهرة آنذاك من منفذ الى البحر. ولم يسمح الباب العالي بانشاء مرفأ على الساحل اللبناني فوجد اللبنانيون انفسهم، وهم المكثارون، في رقعة صغيرة تضيق بهم... فكانت كل سنة تمر تشهد رحيل آلاف اللبنانيين من سكان الجبل».

ويؤكد ميخائيل نعيمه في محاضرة له حول ملحمة الهجرة: «ان لبنان بعد ان جرّد من سهلي البقاع وعكار ومن مدنه الساحلية، لم يبق للبنانيين الا ان يغتصبوا لقمة العيش اغتصاباً من ضلوع جباله الصخرية ولم يبق لهم من موارد العيش الا تجارة التوت والزيتون والكرمة وزراعة الحبوب».

ولكن حتى اوراق شجرة التوت لم تعد تصلح الا طعاماً للماشية بعد نكبة موسم الحرير، أهم المواسم، على اثر فتح قناة السويس واتصال اوروبة عن طريقها باسواق الشرق الاقصى فضلاً عن ارهاق الضرائب.

ويقول مخائيل نعيمه ايضاً: «بطريقة تشبه السحر راح تيار غريب يمتد في لبنان من الشواطئ حتى القمم. وهذا التيار الذي بدأ ضئيلاً اخذ ينتشر بسرعة حتى بات في نهاية القرن سيلاً جارفاً... لقد كان نداء المجهول اقوى من ان يعاند. فمنهم من جرفهم التيار الى اميركة او الى افريقيا او الى الفيليبين واليابان وحتى الى الهند الصينية، وكلها بلاد كان المهاجرون، وهم في غالبيتهم اميون، يجهلون كل شيء عن جغرافيتها وعن سكانها وعاداتهم ولغاتهم وتاريخهم وثقافتهم».

ويذكر ادوار عطيه في كتابه (بالانكليزية) «عربي يروي سيرته»:

(١) ترجمها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٣٥

« فيما استمر بعضهم يعلل نفسه بمستقبل افضل في بلاده منتظراً من اوروبة ان تنقذها من النير العثماني حزم البعض الآخر – وفي عروقه دم فينيقي اوفر – امتعته ومضى نحو مواطن جديدة في مختلف انحاء الارض » .

وكانت اخبار الذهب الدافق في العالم الجديد والاساطير الكثيرة حول مغرياته تضع حداً لأي تردد .

قد لا ندرك كل ابعاد الادب المهجري في القارة الاميركية وفي سائر الاقطار النائية ان لم ندرس انطلاقة هذه الهجرة وتطورها والظروف التي جرت فيها استناداً الى تجربات الرواد المدونة في مذكرات الكتّاب بينهم .

في « ذكرى الهجرة » لتوفيق ضعون قصص ، يؤكد واقعيتها ، تبدو لغرابتها كأنها اساطير . وقد استخلصنا منها بعض ما تعلق بالسفر من لبنان وبالمرحلة الاولى بعد الوصول نثبته بايجاز كلي :

كانت الهجرة محظورة رسمياً في العهد العثماني ، فكان يضطر الراغبون في السفر الى وسائل غير مشروعة كتلك التي يلجأ اليها الهاربون او الفارّون من وجه القضاء .

عند وصول السفن الصغيرة الى مرفأ بيروت كانت توفد سماسرة الى اسواق المدينة والقرى لتعلن عن موعد سفرها فتتهافت جماعات من الجبل . وقد رهنت او باعت املاكها واثاثها ، لتجمع نفقات السفر . وتتم عملية الانتقال كما يلي : يسلم السمسار طالب السفر الى خفير الشاطئ فيصعد به من وراء الحدود الجمركية الى مركب محمل بالبضائع ، فيتولى الربان ادخاله الباخرة كحمال . وهناك يتسلمه التهريجي ويضعه في احد المستودعات ويبقى هكذا حتى تصل الباخرة الى مرسيليا فيستلمه سمسار جديد ينزله في خان وضيع ويبقيه حتى يستنزف كل نقوده ثم يدفعه الى باخرة تنقله الى اميركة فيلتقي فيها حشداً من امثاله المكرهين على الرحيل .

السفر البحري كان يومئذ بدائياً ومتعباً . ان صعد الركاب الى ظهر الباخرة تعرضوا للحر تارة وللبرد تارة . وان احتشدوا في الطابق السفلي تعرضوا للاختناق . وكثيراً ما كان يسلط عليهم البحارة نرابيش الماء الساخن لردعهم عن الاحتجاج . وكثيراً ما انزلتهم الباخرة في بلد غير البلد الذين يقصدون اليه فتشتد مأساتهم في ارض غريبة بين شعب غريب . وكان السعيد السعيد بينهم من وجد على الميناء شخصاً ينتظره او عرف عنواناً لرفيق او نسيب او حمل رسالة توصية لمن يؤمن له مكاناً يبيت فيه الليلة

الاولى . اما الذين لم يحظوا بمثل هذه النعمة وهم كثر فكانت الارصفة والاروقة مضاجعهم لعدة ليال . ويروي ميخائيل نعيمه في «سبعون» حكاية اسفاره ، بعد ان تحسنت نسبياً اسباب السفر في عهده فيقول : «كنت اسافر ذهاباً واياباً على ظهور بواخر صغيرة قذرة تجمع اجناساً من البشر فأنام ولا سقف فوق رأسي الا السماء ولا سرير تحتي الا اخشاب الباخرة الصلبة ولا غطاء علي الا ثيابي . وكنت اصاب بالدوران واتألم من البرد والاقذار ومن الجوع احياناً» . لكن اللبناني الذي حوّل الصخور الى جنائن في بلاده ما كان ليتهيّب اقتحام الصعاب .

بعد الوصول كانت تبدأ المشكلة الثانية . مشكلة العمل ، فالمهاجر الذي انفق ما معه على الطريق وهو يجهل لغة البلد الذي وصل اليه ماذا تراه يعمل ؟ لكن الحاجة التي تفتق الحيلة جعلته يلجأ الى نوع جديد من التجارة في تلك البلاد هو بيع «الكشة» . كان يفتش عمن يأتمنه من التجار ، لقاء رهن ساعته او خاتمه ، بعض ادوات الزينة والعطور والدمى وما اليها يطوف بها في علبة كبيرة على البيوت ويعرضها بالايماء والاشارة ثم يعود في المساء الى صاحب المتجر ليحاسبه ويجدد «اصنافه» لجولة الغد . حتى اذا طاف جميع احياء المدينة انتقل الى ضواحيها بعلبة اكبر ثم الى القرى النائية بعد ان يكون قد استقل ببضاعته وادخر المال الكافي لمثل هذا العمل .

وقد عبّر الشاعر مسعود سماحه الذي اصبح فيما بعد ضابطاً كبيراً في الجيش الاميركي عن المشقات التي قاساها هو وزملاؤه في اقتحام المجاهل سعياً وراء الرزق قال :

«كم طويت القفار مشياً وحملي   فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الابواب غير مبال   بكلال وقرّ فصل وحر
كم تعرضت للعواصف حتى   خلت ان الثلوج في القفر قبري»

ويقول الشاعر القروي في مذكراته :

حملت صندوق الزنك مملوءاً بمختلف السلع ومربوطاً بسيور جلدية الى كتفي . وضربت في مناكب ولاية ميناس معرضاً لاقسى مشقات الحر والسيول الطامية . وفي الغابات الخيفة كنت ارفع بصري الى السماء كلما امطرت ، واغني العتابا حتى يمتلئ فمي بالغيث المدرار . ثم اشتدت الازمة التجارية اثناء الحرب وكثر العمال العاطلون حتى ملأ المشردون طرقات العاصمة

فعمدت الحكومة الى قيد اسمائهم وايوائهم في باحات المخافر يؤمونها كل مساء ويلقون باجسادهم المنهوكة على حبال مشدودة بين حيطانها. فاذا اصبحوا حل الموكلون بهم اطراف الحبال فسقطوا على وجوههم ثم خرجوا يبيعون. وقد طال سعيي شهوراً في تلك الاثناء ولم اجد مرتزقاً حتى فرغ آخر فلس من هميانى فقيّض الله لي احد هواة العود فشرعت في تعليمه مستلفاً اجرتي. ثم انتقلت من الداخلية الى ساوباولو واخذت اعلم في المدارس وفي البيوت ثم تحولت الى التجول في الولايات المتحدة كمعتمد لبعض المحلات التجارية. على اني كنت انقطع عن التجوال شهراً كاملاً مضحياً باجرتي لأنظم قصيدة في حفلة وطنية:

بعدت همتي فعفت كنوز الارض لما عرفت قيمة كنزي
لا ابالي شبعت ام جعت والفن شرابي وعزة النفس خبزي

اما الشاعر الياس فرحات وهو لم يبدأ حياته بائعاً متجولاً بل حاول تربية المواشي في البدء فلم ينجح فعاد الى « الكشة » المضمونة الربح اعلى متاعبها فانشد:

ونشرب مما تشرب الخيل تارة وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ونكن لبعدها عن الذل تصنو للالاى وتعذب

وفوق هذه المتاعب كان الاميركيون ينظرون الى المهاجرين بشيء من الازدراء وينعتونهم بالاتراك. فيضطر بعضهم الى تغيير اسمه تجنباً لنعت « التركو » وتسهيلاً للتفظه. فاذا يوسف الاسمر مثلاً يصبح جو براون ويحول ميكال وسلهان وليم الخ... وكانوا يتعاونون فيا بينهم ويتجاورون ويشكلون مستعمرة قائمة برأسها. يقول نعيمه: « هناك في اسفل المنهاتان على مرمى حجر من وول ستريت كانت متاجرهم ومطاعمهم ومقاهيهم. وهناك كنت تسمع لهجات القرى اللبنانية مع لهجات بيروت وحمص وحماه والقدس الى جانب كركرة النرجيلة وطقطقة النرد ودوي المدقة في جرن الكبة. كان ذلك قبل الحرب الكونية الاولى اما بعد الحرب فقد انتشروا على جادة الافنيو الخامس وفي اهم شوارع المدينة ».

وهكذا جاء اليسر بعد العسر بالنسبة للمهاجرين في جميع الاقطار الاميركية بفضل همتهم واخلاصهم ومثابرتهم على العمل: فـ « كشة » المهاجر في عهده الاول كانت منطلقاً له ولابنائه بعده الى ارفع المراكز في جميع

الحقول من الصناعة الى التجارة الى الزراعة الى الادارة الى الثقافة الى انعدام الى مجالس التشريع الى الوزارات والرئاسات فاكتسبت الجاليات اللبنانية ثقة الشعوب التي عاشت بينها وفرضت احترامها عليها حتى ان شهادات كبار المسؤولين في اللبنانيين المغتربين باتت تملأ مجلدات ضخمة[١].

اللبناني المهاجر : على رغم تعلقه الشديد بالوطن الام : وفيّ للبلد الذي تبناه لا يوفر جهداً في سبيل أعلاء شأنه . لقد تجاذبه حبان متعادلان بين وطنيه . حب غريزي وحب اكتسابي . وفي القطعة الرمزية التي كتبها امين الريحاني بالانكليزية وعنوانها « بلادي » تعبير صادق عن الصراع العاطفي الذي عاناه ويعانيه المغترب بين بلد احتضنه وبلد اراه النور :

« عاشق الطبيعة ، شاعراً كان أم فيلسوفاً أم حقلاً لا يستطيع الا ان يستجيب لدعوة ازهار بلاده . فهي لا تنفك تناديه . وهذا يفسر اجتيازي المحيط مرات لزيارة موطني لبنان مع انني اموت مرات في السفر البحري قبل الوصول .

اميركا موطن بلادي الثاني . اجدني مطمئناً في احضان طبيعتها . هنا الحدائق التي ابتدعها الانسان تفوق الطبيعة جمالاً . لكني انّى اجلت نظري بين ازهارها الفاتنة رأيت صورة ازهار بلادي المحببة الى امي . هنا ايضاً ازهار اجمل واصلب من تلك الازهار الرخصة التي تنشق عنها اخاديد صخور بلادي . وكلما رأيتها تخيلتني راكضاً عاري القدمين في هضاب لبنان اجمع باقة من الزهر ليوم الجمعة العظيمة اضعها تحت قدمي الصليب .

ونبات المنحدر في موطني الثاني لا يقل جلالاً وبهاء عن الصنوبر في لبنان . ان له علي حق عرفان الجميل لاني عايشته فترة وافدت من تأثيره الشافي . لكن هذا لن يصرفني عن حبي الاول لاشجار طفولتي وملاعب طفولتي وايمان طفولتي .

ما هو ذلك الذي يتغلب على ارواحنا في هذه الدنيا قاهراً جميع ملكات المنطق ليصلنا بعطف باماكن واشياء معينة ندعوها الوطن او البلد الام ؟ حقاً ان تاريخ بلادي هو تاريخ ارض بدون علم لكن رسالتها الروحية حركت مرة اعمق اعماق العالم . حقاً ان تقاليدها تقاليد امة بدون ملك وشعب بدون صوت وروح وهيكل . لكن روحها القديم ما زال حياً ويؤمل له ان يتغلب فيبعث . ان بلدي ارض الورود . ان بلدي مهد الآلهة ولحدها .

---

(١) اطلق اسم لبنان على عدة مدن اميركية .

ولكن اذا كانت اصوات الانبياء عادت لا تدوي على جباله فان البلابل ما زالت تغرد في الاودية والوهاد ، والورود تتفتح على اجنانه ، وارزه الشامخ من اعالي الجبال المكللة بالثلوج ما فتئ يلقي ظلاله على رماله الذهبية ».

في هذه الخطرات انعكاس صادق لنفسية المغترب . لا سيما ذاك الذي ترك بلاده فتياً . وهي تفسر الى حد كبير بروز « الحنين » كموضوع رئيسي في الأدب المهجري الاميركي ولا سيما الشعر في المرحلة الاولى وحتى في المراحل الاخيرة .

كان المغتربون الى العالم الجديد والاقطار النائية يعللون النفس بالعودة اغنياء الى بلادهم وقد تحررت . فما كانت الهجرة في نظرهم الا مرحلة اكرهوا عليها اكراهاً فعاشوا غرباء بانتظار اليوم الموعود . قال أبو ماضي :

لبنان لا تعذل بنيك اذا هم ركبوا الى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة لكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون ؛
لـما ولدتهم نسوراً حلقوا لا يقنعون من العلا بـالدون
والنسر لا يرضى السجون وان تكن ذهباً فكيف محابس من طين

لذلك كان المغتربون يعيشون في اجواء خاصة بهم . والاشارات الى هذا الواقع كثيرة في مذكراتهم . يصف نعيمه احدى جلساته مع جبران وبعض الشعراء في كتابه « جبران خليل جبران » حول شلال في اميركا فيقول انهم غنوا جميعهم على صخرة اغاني لبنانية كالعتابا والميجانا والمعنى وشربوا عرقاً ممزوجاً برشاش الشلال وكأنهم في قلب لبنان .

اما قال سعيد تقي الدين في « غابة الكافور » : « تخيرت بعقلين بلدة اسقط فيها رأسي . ولو أعطي لي ان اتقمص الف مرة لما نزلت الا بعقلين دار مولد » .

وجبران نفسه رغم انه آمن بوطن عالمي للانسان في نظراته الفلسفية اجاب من سأله هل يرغب بالعودة الى وطنه قال : « نعم اريد ان ارجع الى موطن حداثتي الى مهبط الوحي الى ضفاف الوادي الذي منه تغذت روحي ... اود ان اعود كل يوم الى لبنان الى بشري . اتمنى العودة الى مار سركيس لاقطف زهر الصيام في الربيع . اتمنى الرجوع لأجلس على شرفة مار جرجس التي يزلق عنها الطير وارى الوادي المقدس تجري فيه مياه نهر قاديشا فتبين كخيط ابيض وانا اعلو عنها خمساية قدم . اتمنى العودة

الى لبنان الى بشري لارى ثانية موطن «خليل الكافر» و «مرتا البانية» و «يوحنا المجنون»[1] اتمنى العودة لاذهب الى مرجحين وراء جبال الارز، حيث تملك مزرعة، فاعيد ذكريات الصبا في احراجها واسمع حدو الاهالي:

يــا بيكنا محمد سعيد   وبــارودنا يرعد رعيد

اتمنى العودة الى لبنان، الى الارز، لاقطف العطر في الخريف واشرب الحليب عند رعاة الماعز واسمع صوت منجيرة انتعصب مالئاً تلك الهضاب».

كان جبران في منزله، على حدّ ما يصفه نعيمه، يلبس جلابية شرقية ويتربع على طراحة امام موقد من الفحم يراقب «ركوة القهوة» تغلي على الجمار. اما قال لمي زيادة في احدى رسائله الحميمة اليها: «انا أكره ملابس رجال الغرب فهي بدون وزن ولا قافية. واذا ما عدت الى الشرق فلن ارتدي الا الثياب الشرقية القديمة.

لكن جبران ورفاقه ان راموا الرجوع الى لبنان فانما لكي يؤدوا فيه دوراً رسولياً في رفع مستواه، لانه كان يعز عليهم ان يتبخر سراب احلامهم. وهذا ما يفسر، كما سنرى، حملاتهم على الجمود والتعصب وكل ما يؤخر بلادهم. وهذا يسوغ المشاريع المنوعة التي كانوا يتدارسونها في سبيل تحقيقها بعد الرجوع. ففي اول لقاء بين الريحاني وجبران ويوسف حويك في لندن سنة ١٩١٠ دار النقاش حول تأسيس دار للاوبرا في بيروت رسم جبران خططها الاولى وقد ظهرت فيه قبتان ترمزان الى المسيحية والاسلام فتصافحا وقد وقّع المخطط كل بدوره، وكتب الريحاني فوقه: «اول كلمة من قصيدة لم تنظم. لفظت في لندن في غرة تموز سنة ١٩١٠».

صحيح ان اللبناني سريع التكيف لانه ذو عقل مرن وارادة قوية. لكن هذا التكيف ما كان الا ظاهراً بالنسبة للاولين. حتى الظاهر كان يتقلص تقلص القشور الاصطناعية عندما يعودون الى نفوسهم ويعيشون في وحدتهم الحميمة. اما الذين قطعوا كل علاقة بموطنهم ساعة تركوه ولم يفكروا حتى بالعودة اليه مثل ادوار عطيه كما يقول في «عربي يروي سيرته» فقلة لا تذكر.

حتى الذين لم يعرفوا لبنان من الاجيال الجديدة يهزهم حنين مجهول

---

(١) ابطال اقاصيصه.

الى الوطن الام . فكم من حفيد مُغترب قبّل تراب لبنان حين وصل اليه . وكم من ولد نال غير جنسية ولم يعرف قط لبنان ثار ثورة الاحرار في سبيل الذود عن كيانه . يقول ابو ماضي مثلاً معبراً عن رأيه ورأي الاجيال الحديثة في الخطر الصهيوني .

ما كنتنا مظالم الترك حتى   زحفوا كالجراد او كالوباء
طردوا من ربوعهم فارادوا   طردنا من ربوعنا الحسناء

هذا الحنين الحار يفسر نضال المغتربين في سبيل تحرير بلادهم من النير العثماني ومن الانتداب ومن كل طامع بالسيادة عليه . وهذا النضال لم ينحصر في مقالات صحفية وقصائد بل تعداها الى تأسيس الجمعيات[1] وجمع الاموال وعقد المؤتمرات والقيام بالاتصالات الدولية على اوسع نطاق . وما انتفاضة المغتربين اليوم ضد الصهيونية الغادرة المغتصبة الا دليل حي على التعلق الاصيل بالوطن الام .

اما اول بلد اميركي أمه اللبنانيون فهو الولايات المتحدة ثم البرازيل فالارجنتين . واول اديب هاجر (قبل حوالى قرن) هو مخايل رستم والد الشاعر الساخر اسعد رستم . وكان ينظم الزجل وهو اول لون ادبي مارسه المغتربون وما زال بعضهم يمارسه حتى اليوم . اما اول قصيدة نظمت بالفصحى فهي للدكتور لويس صابونجي . وقد انشدها في وصف السنترال بارك يوم زار نيويورك اول مرة وقد نشرها في مجلته « النحلة » في لندن ١٨٧٢ .

وكان بدء الهجرة الى البرازيل سنة ١٨٧٤ [2] وكانت حكومتها تشجع على الاقامة فيها لاستثمار اراضيها الشاسعة . بيد ان اول لبناني حلّ فيها يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل المسيح . فقد اصبح اليوم من الثابت لدى علماء الآثار بعد الاكتشافات التي بدأت سنة ١٨٧٢ واستمرت حتى اليوم ان الفينيقيين وصلوا منذ ذلك العهد الى العالم الجديد . وبين الكتابات التي عثر عليها في البرازيل ما يروي مغامرة مركب فينيقي انطلق مع عشرة قوارب من العقبة فقذفته العاصفة الى الشاطئ البرازيلي . وليس ما يؤكد ان هؤلاء المغامرين او ابناءهم عادوا الى بلادهم بدليل ان لا الجغرافي الفينيقي

(١) من الجمعيات التي وجهها المفكرون ودعت الصحافة « النهضة اللبنانية » في الولايات المتحدة والبرازيل « والاتحاد اللبناني » في كندا والارجنتين . اما الاندية فهي في كل مدينة ودسكرة .

(٢) اما الهجرة الى اوستراليا فقد بدأت سنة ١٨٧٦ وبعدها الى الفيليبين وزيلندا الجديدة وافريقيا السوداء .

المعروف مارينوس الصوري ولا سواه من الجغرافيين او المؤرخين ذكر شيئاً من هذا القبيل. وقد اشار العلامة البرازيلي لوديفيكوسيون دانج في تقرير الى اكاديمية التاريخ والجغرافية في البرازيل الى الاكتشافات الكثيرة في دول اميركا ولا سيما في منطقة الامازون من آثار فينيقية. وأكد ان اسم البرازيل نفسه قد يكون مركباً من كلمتين فينيقيتين : بر وازل : اي بلاد ازلية. ولعباس العقاد بحث مطول عنوانه : «اللبنانيون اكتشفوا اميركا قبل كولمبس».

اما وقد عرضنا تاريخ الهجرة الى اميركا والبلدان البعيدة وما رافقه من مغامرات ومشقات والقينا نظرة على الاجواء اللبنانية هناك مستندين على مذكرات الادباء، فننتقل الآن الى درس ما خطته اقلامهم بادئين بالصحافة ثم بالشعر المهجري وخصائصه العامة لننتهي الى ابرز الكتّاب.

الصحافة

نزعة التفرد والاستقلال بالرأي من طبيعة اللبناني. فهي وراء تعدد المشاريع المتشابهة على الغالب التي يقوم بها اللبنانيون وهي مفتاح السر في كثرة الاندية والمعابد والجمعيات والصحف. فبينما كان للجالية الفرنسية في الارجنتين وهي جالية كبيرة بعددها، جريدة واحدة تنطق باسمها في اصدار ضخم وتستمر اكثر من ثمانين سنة كان لجاليتنا فيها ما يزيد عن الخمسين صحيفة ومجلة محدودة النطاق تظهر ثم تغيب ويصدر غيرها!! لذلك قلّت الصحف اللبنانية في المهاجر الاميركية التي كان لها «كالهدى» اثر يتجاوز محيطها.

اما اول جريدة عربية انشأها اللبنانيون في اميركا فهي «كوكب اميركا» للاخوين عربيلي. وقد ظهرت في نيويورك ١٨٨٨ ثم صدرت «الهدى» لنعوم مكرزل في فيلادلفيا بعد عشر سنوات[1]. اما في البرازيل فقد ظهرت اول صحيفة سنة ١٨٩٥ وما انقضت خمس سنوات حتى ظهرت اربع صحف غيرها. وهذه الصحف الخمس هي «الفيحاء» و «الرقيب» و «البرازيل»

(١) كانت اسبوعية ثم انتقلت الى نيويورك سنة ١٩٠٢ واصبحت يومية. تولاها نعوم حتى ١٩٣٢ فخلفه اخوه سلوم حتى سنة ١٩٥٢ ثم ابنته ماري وكان نعوم قد تمرس على الفن الصحفي في مصر واشترك كنيس لجمعية النهضة بمؤتمر الصلح في فرساي للمطالبة باستقلال لبنان. وتصدر ماري مكرزل مجلة بالانكليزية مع «الهدى» (الجريدة اللبنانية) وكان سلوم مكرزل اول من انشأ اللينوتيب العربي.

و« المناظر » و« الصواب » . وظهرت في الارجنتين في سنة ١٨٩٨ « الصاعقة » التي تحولت فيما بعد الى « صدى الجنوب » .

لم تكن مهمة الصحفي اللبناني هناك يسيرة في المرحلة الاولى ولا في مصر كما رأينا . فقد كان صاحب الجريدة مدير ادارتها ومحررها ومنضد احرفها وطابعها واحياناً موزعها . وقد سجل عدد الصحف والمجلات رقماً قياسياً في اواخر العشرينات (منها ما ظهر مدة ثم احتجب) . منها، حسب احصاءات ذكرها الدكتور فيليب حتي، ١٠٢ في الشمالية؛ بينها ٧١ جريدة (٧٩ في الولايات المتحدة، ١٧ في المكسيك و ٦ في كندا) و ١٦٦ في الجنوبية، بينها ١٣٤ جريدة (٩٥ في البرازيل ، ٥٨ في الارجنتين ، ٨ في الشيلي ، ٣ في كوبا وواحدة في الاورغواي) .

اهم هذه الصحف في الولايات المتحدة بعد « الهدى » ، « السمير » للشاعر ايليا ابو ماضي و« مرآة الغرب » لنجيب دياب . و « الحارس » لامين غريب و « الايام » ليوسف نعمان المعلوف و « الاصلاح » (ويديرها اليوم الفونس شوريز الذي يوقع ابو فيليب) . وفي المكسيك « الشرق » ليوسف كرم وعقل بشعلاني ، « الفكر الحر والمسامير » لسليم نصار و « الرفيق » لرفيق محبوب الشرتوني ، و « صدى المكسيك » لبطرس الخوري طوبيا . وفي البرازيل عدا التي ذكرنا « العدل » لشكري انطون و « البريد » ليوسف نسيب ضاهر و « الحمراء » للياس طعمه و « بريد الشرق » لنخله الخوري (شقيق الاخطل الصغير) و « الاصمعي » ثم « ابو الهول » لشكري الخوري و « الجريدة » للدكتور خليل سعاده و « الاحرار » لنجيب بشعلاني و« الدليل» لتوفيق ضاعون و « الافكار » لسعيد ابي جمره و « فتى لبنان » لرشيد عطيه و « الاندلس الجديدة » لشكرالله الجر .

اما في الارجنتين فأهم الصحف التي ظهرت « الصبح » لشكري الخوري (مؤسس الاصمعي وابو الهول في البرازيل) و « السلام » لوديع شمعون و « النسر » لسمعان منصور جاماتي و « الجالية » لجورج مسرة و « الارجنتين » لسليم ابو اسماعيل و « الاتحاد اللبناني » (لسان حال النادي الذي يحمل اسمه) و « التترة » لمحمود محمد سلوم و « الحياة » لجورج عساف و« لبنان » ليوسف خوري مخايل ابو زيدان و « الاستقلال » لأمين ارسلان و « المنبر » لرشيد زين و « العلم العربي » لعبد اللطيف الخشن و « صدى الشرق » لنجيب بعقليني و « المهجر » ليوسف نجم الرشاني . وفي

التشيلي » المرشد » لبولس الخوري و « الوطن الاول » لداود مجاعص و «الاعتدال» لتوفيق ضعون و « الهادي » لانطون جمال .

لقد قال شكري الخوري (صاحب « ابو الهول » ومؤلف التحفة العامية في قصة فينانوس وطولة العمر في حديث ابو يوسف تمر ١٨٧٢–١٩٣٧) من قبيل النكتة : « لو كان للقمر طريق لرأيت لبنانياً يحمل كشته ويصعد اليه وخلفه لبناني آخر شك دواته في زناره لينشئ اول جريدة في كوكب العشاق » ! اما وقد انفتحت اليوم طريق القمر وتنوعت وسائل الاعلام فقد لا يكون من المستغرب ان يكون لبنانياً اول من ينشئ محطة اعلامية في الكواكب .

تضاءلت عدد الصحف العربية على مرور الزمان فلم يبق اليوم الا القليل وذلك لاسباب مختلفة : منها اقبال الجيل المولود في الوطن الثاني على اللغة المحلية بحكم الضرورة المعيشية ومنها انقطاع مد الهجرة بعد الثلاثين في معظم الدول وغياب المدارس العربية (باستثناء بعض دراسات جامعية كما في ساوباولو) ومنها حظر بعض الدول صدور الصحف بغير لغتها كما فعلت البرازيل في الحرب العالمية الثانية فتحوّل بعضها الى لغات اجنبية : « الارز » صار بالاسبانية El Cedro (في فنزويلا) و « الوطن » Patria في الاورغواي . و « لبنان » Libano و « لا يزول » و « الامير » تخلتا عن اسميهما العربي وتصدران بالاسبانية ، كما صار بالبورتوغالية « فتى لبنان » Brasil-Portugal و « الشرق » O Oriente في البرازيل . وثمة صحف صارت تصدر بلغتين كـ « المراحل » لمريانا دعبول فاخوري (عربي برتغالي) و « الغربال » لسليم عبود (عربي اسباني) في المكسيك ، او بلغات ثلاث كمجلة الشرق الاوسط لجوزيف لحود في كندا (عربي ، فرنسي ، انكليزي) وصدرت عدة صحف جديدة بلغات اجنبية نذكر منها : Cercano Oriente, Tozohas Selectiones, The Voice, The Heritage, The Caravan, Le Moraliste فضلاً عن الصحف المختصة بالامور الدينية The Word او بالرياضة وصراع الثيران مثل Redondel او بالتصوير مثل Pictures وبالسينما مثل مجلة هوليود .

الا ان اللبنانيين لم يقتصروا على الكتابة في الصحافة اللبنانية بل ان كثيرين منهم اسهموا في الصحف المحلية الكبرى . نذكر مثلاً نجيب الجميل في « النيويورك ديلي نيوز » وايليو خزامي في « الدياريو » وميك حبيب « في نيويورك تايمز » وداود نصر في «اوكروزيرو» وهيلين توماس في « وكالة

الصحف الدولية ». وثمة اذاعات خاصة يتولاها المغتربون بعدة لغات في معظم المحطات على سبيل الدعاوة للبنان خاصة والقضايا العربية عامة[١].

لقد اسهمت المرأة اسهاماً بارزاً في الصحافة ونذكر من اللبنانيات، عدا مريانا دعبول فاخوري. عفيفه كرم التي كتبت في « الهدى » واسست سنة ١٩١٢ اول مجلة عربية نسائية في اميركا « العالم الجديد النسائي » (كما اسست هند نوفل اول مجلة نسائية في مصر سنة ١٨٩٢ « الفتاة ») ولبيبه هاشم التي أنشأت « الشرق والغرب » ثم « فتاة الشرق » وماري يني عطاالله مجلة « مينرفا » وكلتاهما في التشيلي. وانجيل عون شليطا وليلى تفاع وامينه نصر وقد اسهمن في عدة صحف.

ثمة قاسمان مشتركان بين الصحافة اللبنانية في ديار الاغتراب على اختلاف اللغات والمناطق والاجيال هما:

— الاسهام الفعال في اثارة الوعي القومي وفي تنظيم العمل الجماعي للدفاع عن القضايا الوطنية منذ العهد العثماني حتى ايامنا هذه مروراً بالانتداب ومرحلة بناء الاستقلال والخطر الاسرائيلي على لبنان.

— تسهيل مجال انطلاق الادباء والمفكرين ونشر افكارهم بين الجوالي فضلاً عن الاتصال بالمؤسسات الوطنية المقيمة والاوساط الثقافية في لبنان والخارج.

بيد ان الصحف اللبنانية في اميركا كانت تستهدف غايات اخرى منها اذاعة اخبار الجالية الناطقة باسمها وجمع شملها وابراز نشاطاتها ومآثرها والدعوة الى الاتحاد بين الجاليات واثارة الحمية للقضايا الوطنية كالدعوة الى مساعدة لبنان بعد ان نكب بالجوع في الحرب الاولى والحث على التطوع لمساعدة الحلفاء في الحربين وتوضيح القضية الفلسطينية بالنسبة للغرب.

جاء في العدد الاول من « العروة الوثقى » التي اسسها جبران قطان ويوسف معوض بالارجنتين:

هدفها: « تدوين الاعمال المحمودة التي اتاها كرام الجالية في سبيل المصلحة القومية المشتركة. وما المواضيع الاخرى المطروحة نثراً ونظماً الا نقط ترمي الى الخدمة الوطنية وتذكارات تاريخية تعيد الى اذهان الابناء آثار

---

(١) بعد ان توقفت « الرسالة » لموريس فنيفل لم يعد في استراليا صحف عربية ولا انكليزية خاصة باللبنانيين الا ان بعض المغتربين مثل رودلف ابو خاطر يحررون في الصحف المحلية. اما في افريقيا السوداء فقد اسس نجيب مكرزل في مدينة دكار مجلة اسبوعية بالفرنسية « افريقيا التجارية » عاشت من ١٩٣١ الى ١٩٣٥.

الاجداد كي تثير فيهم الحماس وتدفعهم الى الاقتداء بهم ووسائل لايجاد التعارف بين ابناء الوطن وعواطف تجلى فيها التحبب بالوطن والتحريض على تعزيزه ونقض كل حواجز وتقليدات تقف بوجه المحبة الوطنية».

وجاء في العدد الاول من جريدة «السائح» لصاحبها يوسف مسلم التي صدرت ١٩١٠: «من يحب ان يكرم من السائح عليه ان يتجنب كل ما يغض من كرامة الجالية ويجحف بحقوقها ويشوه سيرتها بين بقية الجوالي واهل المهجر وان يسعى الى خيرها غير شامخ بانفه ولا متكبر على مواطنيه».
ولما اصدر فيليب جرجي بدران جريدته الاسبوعية «جوفر» في مكسيكو اثناء الحرب الاولى كتب في عددها الاول: «في الاسبوع المنصرم كانت مصالح اللبنانيين والسوريين مهددة بضروب الاخطار من سياسة الاحلاف الذين كانوا يعدوننا اتراكاً حلفاء الدول المحاربة لهم وكدنا نذهب ضحايا هذا الظن ونكون في جملة التجار الذين قطعت عليهم طرق التجارة وسدت في وجوههم الابواب. منذ عشرة ايام وصلت اوامر دول الاحلاف مصحوبة بتشديد عنيف من الرئيس ولسون الى جميع تجارها ومصارفها في المكسيك بقطع علاقاتهم التجارية مع اعدائهم. ولما كنا معدودين تركيين نظراً لظاهر بعضنا كاد يختلط الحابل بالنابل ويؤخذ البريء بجريرة الجاني».
ولقد اسهمت هذه الجريدة وسائر الجرائد المهجرية بانقاذ الموقف عن طريق التوضيح بان لبنان هو غير تركيا. ثم تركزت حملة باللغة الاسبانية على هذا الموضوع.

لئن ادت الصحافة المهجرية الاميركية رسالة وطنية مهمة فقد أدت كذلك رسالة ادبية لا تقل اهمية لا من حيث اسلوبها وهو ركيك بسيط في اكثر هذه الصحف على عكس الصحف اللبنانية في مصر بل لان الصحف الادبية منها كانت المنبر الاول للادب واشهر الادباء برزوا اول الامر عن طريقها. فجبران مثلاً كتب اول مقال له في «المهاجر» للاديب المؤرخ امين غريب بعد ان تعهد له هذا بتصحيح الاملاء وتقويم الجمل (٥ آذار سنة ١٩٠٤) وكان اذا عجز عن التعبير صوّر ما يرمز اليه تصويراً وترك لصاحب الجريدة مهمة التصحيح. وكذلك كان اول مقال نشره بالانكليزية سنة ١٩١٨ في مجلة «الفنون السبعة» وكان شريكاً فيها. وكانت مجلتا «الفنون» و«السائح» منبري انطلاق ادباء الرابطة القلمية كما كانت مجلة «العصبة الاندلسية» لسان حال كتاب هذه العصبة في اميركا الجنوبية. الا ان الكتّاب المهجريين لم يكتفوا طبعاً بمنبر الصحف بل نشروا دواوينهم وكتبهم في اميركا وفي لبنان وفي مصر.

الشعر المهجري

قلّ بين الادباء اللبنانيين في الأميركتين من لم ينظم الشعر وكثير منهم من اكتفى به دون النثر . وقد غلب على هذا الشعر ، في نسب مختلفة ، طابع خاص جعله مدرسة قائمة برأسها . فما هو هذا الطابع ؟

يتميز الشعر المهجري بانه ، في معظمه ، تعبير حي صادق عن تجربات شخصية . انه نوع من التنفس الطبيعي لكائنات مستوحدة في محيط غريب لم تنسجم مع اجوائه فظلت موزعة بين حياة جديدة ما ائتلفت وحياة ماضية لم تنسها . ومن هنا كان الحنين في جميع وجوهه من ابرز المواضيع وأكثرها شيوعاً في شعر المغتربين الى الاميركتين .

هذا الحنين الذي يبدأ بمسقط الرأس المحدود لا يلبث ان يتعداه الى الوطن بطبيعته واهله وطريقة العيش فيه ثم الى المطلقات التي صبا اليها الرومنطيقيون ازاء صدمة الواقع ونسبيات الوجود . وهكذا يتطور الحنين من عاطفي الى ميتافيزيقي عند البعض ويستمر عاطفياً صرفاً عند الآخرين .

يروي امين الريحاني في « قلب لبنان » ان رشيد ايوب رأى ذات يوم الثلج يتراكم في اسواق نيويورك وسمع زقزقة طير شريد يحوم حول المدخنة على سطح من سطوحها ليصطلي فنظم قصيدته المعروفة :

يا ثلج قد هيجت اشجاني ذكرتني اهلي بلبنــاني

« في ذلك اليوم ، اطل الشاعر الدرويش ولا يزال الجسم منه مكبلاً بالكبول الاميركية يروح ويجيء في اسواق نيويورك ومكاتبها كالماشي في نومه : تأكل نعاله وحشة التمدن وتخترق الاضلع منه الى الصميم » .

حتى لو لم ير الثلج لكان رأى شيئاً يذكره بلبنانه كما ذكرت خصلة الشعر الياس فرحات بحبيبته في الوطن فأنشد :

خصلة الشعر التي اعطيتنيها عندما البين دعانــا بالنفير
لم ازل اتلو سطور الحب فيها وسأتلوهــا الى اليوم الاخير

في هاتين القصيدتين كما في اكثر القصائد المنظومة من وحي الحنين العاطفي عفوية مؤثرة في بساطتها وبراءتها حتى ولو لم تكن من مستوى رفيع . وهي ان دلّت على شيء فانما تدل على نفسية الطائر المغرد خارج سربه في توقه للعودة اليه . وهذا ما يشير اليه شفيق المعلوف في قوله :

هاك ملهى الصبا فيا قلب لملم ‏ ‏ ذكرياتي على ضفاف الوادي

او رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) :

لبنان هل في الارض غيرك مربع ‏ ‏ حلا لي وهل في جنة الخلد مرتع

او ايليا ابو ماضي :

وطني ستبقى الارض عندي كلها ‏ ‏ حتى أعود اليه من ارض التيه

الا ان هذا الشاعر يخشى الا يجد « فردوسه » كما كان ويأبى ان تصعقه الخيبة فيتقلص السراب :

لا غابتي اليوم كعهدي بها ‏ ‏ ولا التي احببتها فيها
قد بدل الانسان اطوارها ‏ ‏ واغتصب الطير مأويها

وربما كان هذا الشعور هو ما دفعه الى اطلاق وطنه من ابعاده المادية فعاد لا « طوداً ولا بلاداً ، لكن سماء » .

ويتخذ هذا الحنين طابعاً مأساوياً كلما تقدمت السن بالشاعر فاذا الاسى بكل ما يرمز اليه هو محور الدائرة .

يقول يوسف الفاخوري :

تعالي نجمع بقايا الشباب ‏ ‏ فقد لوحت شمسنا للغروب
تكاد سفينتنا في الضباب ‏ ‏ تضل عن الشط عند المغيب

وميشال المعلوف :

سيأتي زمن به نقلع ‏ ‏ بزورقنا ماخرين العباب
الى اربع جوها أهلع ‏ ‏ بأطياف احلامنا في الغياب

الا ان ميخائيل نعيمه ، وقد فلسف الحنين على طريقة ابن سينا والحلولية الهندية ، يرنو الى الغروب كمرحلة انعتاق الروح من الجسد وزوال رغائبها الفانية :

غير اني لا بد ابلغ يوماً ‏ ‏ فيه ابقى حرًّا عديم التمني

وكذلك فوزي المعلوف اذ يقول في الشاعر :

هو بالرغم عنه من عالم الارض ‏ ‏ وان كان تزيا بشكل ابناء جنسه

وهذه الطمأنينة التي يسعى نعيمه وتعلوف اليها في غير هذا العالم يصبو اليها جبران في قلب الطبيعة البدائية التي يرمز اليها الغاب والناي في «المواكب».

وهكذا يجسد كل من هؤلاء الشعراء على طريقته الخاصة فكرة الفردوس المضيع التي شغلت الرومنطيقيين وهم غرباء في ديارهم غربة الملاك الساقط الذي يتذكر السماء على حد تعبير لامارتين. ومن هذا النوع كانت مثلاً غربة جبران التي يصفها بقوله: «انا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير انها تجعلني افكر ابداً بوطن سحري لا اعرفه».

وهكذا سيطر الحنين على المهجريين بدون استثناء. فالناجحون لم تنسهم النعمة وطنهم والفاشلون زاد اليأس حنينهم الى حضن الام. الى البيت المهجور. الى الكرم الاخضر. الى ملعب المدرسة. الى الموقد والعرزال.

وعدا حس الاغتراب الذي يتجاوز مجرد الحنين الى وطن معين ثمة عناصر رومنطيقية اخرى تتجلى في الشعر المهجري: منها الملل الذي يعززه مشهد كآبة الخريف والعجز عن تحقيق الاماني الذي يورث نوعاً من شعور اليأس نتيجة الصدام الذي يشهده الشاعر بين ما هو كائن فعلاً وما يجب ان يكون بوحي مثاليته. فيدرك ان السعادة وهم ومع هذا يتشبث بذلك الوهم كما الغريق بالحطام. ومنها التعلق بالطبيعة: رمز النقاء الذي يناقض فساد البشر. ومنها النزعة الى تعرية الذات وكشف بواطنها عن طريق الاعتراف والنجوى ومنها قدسية العاطفة التي يرفعها الخيال او الحلم الى ما وراء الواقع في مواكب النغم المجنح. ومنها الحس الوطني المرهف المتجلي في ردات فعل تبلغ احياناً حد العنف الشعوري. لذلك نرى ان اكثر الشعر المهجري من نوع الاناشيد يتجلى فيها الايقاع والمعنى الجديد على حساب البلاغة والتأنق وخصوصاً في اميركة الشمالية. وهذا ما حدا بعض النقاد على وصفه بالركاكة فأثار ثائرة ميخائيل نعيمه في «غرباله» كما سنرى وحمل النقادة المصري على الدفاع عنه بقوله:

«اما استخدامهم للالفاظ المألوفة فلا ارى فيه موضع ضعف بل قوة: لان الالفاظ المألوفة (ولا اقول المبتذلة) هي التي تستطيع في الغالب ان تستنفد احساس الشاعر. كما انها اقدر من الالفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا الى التداعي. وقد كثر استعمالنا لها في الحياة فتحددت معانيها وتلونت في نفوسنا فحملت شحنة عاطفية وهذه صفات من اول قصائد

الاسلوب الشعري ، بل اسلوب الادب بوجه عام . (الدكتور مندور : « في الميزان ») .

وقال جبران : « لكم منها الرثاء والمديح والفخر والتهنئة ولي منها ما يتكبر عن رثاء من مات وهو في الرحم ويأبى مديح من يستوجب الاستهزاء . لكم منها التصحيح دون التركيك والبليغ دون المبتذل ولي منها ما يتستمه المستوحش وكله فصيح مما يغص به المتوجع وكله بليغ » .

وقال شفيق المعلوف : « افهم بالتجديد في شعرنا العربي ان نرأب ثلمة لا ان نثغر ثلثات وان نخرج به من المحاكاة الى الابتكار مستحدثين له المعاني التي نريدها نحن لا التي تجرنا اليها الثقافة دون ان نخرج على روح اللغة وروابطها الصحيحة او نتنزل عن تخيلاتها الشرقية الموسومة بطابع خاص يميزها عن تخيلات شعراء الغرب» .

وشعراء المهجر وان جمع الحنين بينهم من حيث المعنى ، فانهم من حيث المبنى انتسبوا الى مدرستين مختلفتين «الرابطة القلمية» و«العصبة الاندلسية» .

في العشرين من نيسان سنة ١٩٢٠ اجتمع بعض الادباء في نيويورك وتداولوا الرأي في الطرق العملية لبث روح جديدة في الادب العربي تنشله « من وهدة الخمول والتقليد الى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الامة » . وقرّ رأيهم على تأسيس الرابطة . وفي اجتماع آخر نشأت الرابطة القلمية وغايتها نشر مؤلفات عماله وسواهم من كتّاب العربية المستحقين وترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الاجنبية ومنح جوائز في الشعر والنثر والترجمة . اما الأعضاء المؤسسون فكانوا : جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمه ، رشيد ايوب ، وليم كستفليس ، ايليا ابو ماضي ونسيب عريضه وندره حداد (والاخيران من حمص) . وكانت « الرابطة القلمية » مركز انطلاق الادب المهجري كردة فعل على ادب الجناس والطباق والتقريظ والتاريخ الذي كان شائعاً في العربية . فأحدث ثورة فعلية . وقد قال جبران عميد الرابطة : « ان الادب العربي لن يواكب الحياة الا اذا تحرر من التقديم . فشاعرنا ينظم ولكن بافكار من تقدموه ، وكاتبنا يستعيد تشابيه ابن البادية . واذا نظم الشاعر فشعر مناسبات ، واذا كتب الكاتب فمن اشياء لا تمسها روحه ولا يزاودها خياله » . وكأنه بذلك يحدد منهج المدرسة الجديدة . الا ان قول جبران هذا لا ينطبق على الادب في لبنان ، حيث قامت النهضة واستمرت واحتل الشعر خصوصاً بعد انتشار الروائع الغربية بفضل الجامعتين الاميركية واليسوعية ، ولا على الكتّاب المجددين في مصر .

اما « العصبة الاندلسية » فقد جمعت ادباء اميركة الجنوبية سنة ١٩٣٣ بعد ان كانت قد توارت « الرابطة القلمية » . وكان من ابرز اعضائها : ميشال المعلوف ، اول رئيس لها ؛ وشفيق المعلوف ، رئيسا بعده ؛ وحبيب مسعود واسكندر كرباج ويوسف البعيني وعقل الجر وشكرالله الجر ورشيد سليم الخوري والياس فرحات وقيصر الخوري وتوفيق قربان ونعمة قازان وتوفيق ضعون وسعيد اليازجي وجورج حسون ويوسف غانم (وسلمى صائغ ورياض المعلوف لفترة قصيرة). وكانت اهدافها : تعزيز الادب العربي — تآخي الادباء — رفع مستوى العقلية العربية — مكافحة التعصب — نقض التقاليد التي تنافي روح العصر . اما اسمها فيو على حد قول حبيب مسعود : قد اختير « تيمناً بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الاندلس واشارة الى الابتعاد عن التطرف الذي اتسمت به الرابطة القلمية في الشمال » . وقد عنيت هذه العصبة بمعالجة مشكلة اللغة لما احست انها بحاجة الى تشذيب في نطاق عبقريتها خوفاً من طغيان اللهجات العامية عليها . وقد صدرت سنة ١٩٣٥ مجلة شهرية بادارة حبيب مسعود تنطق باسمها .

ه

اذا كانت الخصائص العامة التي ذكرنا تنطبق على الشعر المهجري بوجه عام فان لبعض الكتّاب والشعراء خصائص انفردوا بها . لذلك سنتناول ابرزهم بكلمات مستقلة . ونبدأ باكبرهم سناً امين الريحاني الذي لم ينتسب لرابطة .

امين الريحاني (١٨٧٦–١٩٤٠)

سافر فتياً الى نيويورك يساعد عمه في عمله التجاري . كان اذا اتعبته الحسابات والمراسلات اتجه الى النهر يصيد السراطين ويبتاع بثمنها بعض الكتب الانكليزية المبسطة . وكان يقيم في قبو مظلم تحت مستوى شارع واشنطن تغمره المياه في الشتاء فينتشلها بالدلو الى ان تنهك قواه فينام لاعناً « اولئك المتكئين على وسائد الريش المتسربلين بالخز والحرير » . مارس التمثيل فلم ينجح . واعتلت صحته فعاد الى لبنان يكمل دراسة العربية فترجم « لزوميات » المعري شعراً الى الانكليزية وعاد الى نيويورك فنشرها ونشر نبذة كتبها بالعربية عن تاريخ الثورة الفرنسية . ولما لم تلق باكورته النجاح التي توقع عزم على ان يكسر مزراب العين فيشتهر بسرعة . فكتب « المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية بين الحصان والبغل والحمار » تهجم فيها على

النظريات اللاهوتية وحرف اقوال المسيح . فأثار عليه النقمة العامة فاقلع عن الطريق السهل وانصرف الى البحث الجدي فكتب خواطر في المجتمع والانسان والكون نشرها فيما بعد في اجزاء متتالية من « الريحانيات » (بعضها صدر بعد موته) ظهر عليها تأثير فولتير وروسو والرومنطقيين : « ان في ورقة من اوراق التوت سرًّا لا يكشفه اللاهوت : الى الوادي اذن هناك بين اشجار البطم والزمزريق وتحت ادواح الصنوبر . والسنديان اشيد هيكل الايمان . اراني هناك في بيتي : في بيت الطبيعة : بل في بيت الله » . وضمن ريحانياته بعض شعره المنثور وكان اول من نشر هذا اللون في العربية متأثرًا خطى الاميركي « والت ويتمن » .

بعد رحلة طويلة الى اوروبة نشر الريحاني بالانكليزية عام ١٩١١ « كتاب خالد » وقد وضع رسومه جبران . فكان له صدى بعيد في الصحافة الاميركية . كتبت عنه بوسطن هرالت : « بفضل كتاب خالد تبوأ العنصر الشرقي مركزه اللائق في الادب الانكليزي » . ونيويورك بوست : « لامين الريحاني هبة سامية من جمال اللغة » .

وكتاب خالد درس اجتماعي قصصي فيه تصوير لنفسية المهاجر اللبناني وتحليل لاخلاقه وعاداته في الغرب . يقع في ثلاثة اقسام : السوق – الهيكل – كل مكان . بدأ كلًّا منها بانشودة ترمز الى المغزى العام . وبطل القصة « خالد » شاب بعلبكي هاجر الى نيويورك مع صديقه « شكيب » وراحا يبيعان « بالكشة » . اتيح له ان يدرس المدنية الغربية ولا سيما الاميركية فلما عاد الى لبنان متحررًا بدأ ينشر آراءه في الدين والمجتمع والسياسة . انه يمثل المهاجر العصامي الذي ينظر الى المدنية الشرقية بعين الغربي فيتمنى لو تنتشر العلوم والصناعة الحديثة في بلاده والى المدنية الغربية بعين الشرقي فيكرز بالروحانيات . وهو مسيحي المولد شرقي الصبغة اسلامي اللهجة يسرد آراء المؤلف ومبادئه في التساهل الديني والتحرر الفكري وفي التوفيق بين الذهنيتين الغربية والشرقية . انها نظريات الريحاني التي عبّر عن اكثرها في ريحانياته تنسجم هنا في وحدة متجانسة فتظهر رأيه في المدنية المثلى وهي مدنية متزنة حرة توازي فيها العقل والروح وفي الفرد المثالي الذي تحرر من العصبية والجهل والتقليد وصهر في ذاتيته صفات العالم الغربي والمتصوف الشرقي .

بعد اربعة سنوات ظهرت « زنبقة الغور » بالعربية وهي قصة اجتماعية

الاخلاقية جرت وقائعها في فلسطين . ولما اندلعت الحرب الكونية الاولى تعاقد الريحاني مع مجلتي « بركمان » و « فورم » ليراسلهما في ميادين القتال . ولكن عندما اعلنت اميركة الحرب خشي انقطاع طريق الرجوع فعاد الى نيويورك وقام بجولة في الولايات المتحدة الاميركية يحث مغتربينا على التطوع في صفوف الحلفاء وعلى مساعدة الجياع في الوطن . وقد شاركه جبران في هذه الحملة . الا ان هذا النشاط العملي الكثيف لم يكن ليمنع الريحاني عن التأليف . فنشر قصة « جيهان » (بالعربية والإنكليزية) ومسرحها تركيا الغائصة في لجة التعصب والجهالة والطغيان . ثم اصدر بالانكليزية بحثاً عن تحدر البولشفية على اثر سيطرة لينين على الحكم وقد ردّ فكرتها الى الشرق : الى القرامطة والحشاشين . ثم نشر مجموعة خواطر « جادة الرؤيا » بالانكليزية حول اضطراب الحياة الاجتماعية والروحية في عالم اليوم بسبب التكالب في سبيل المادة : وديواناً شعرياً « انشودة صوفية » جسّد فيها شوق الغريب الى وطنه وتوقه الى اللانهاية قال فيها نعيمة في « الغربال » : « الريحاني شاعر ينطق بتموجات فكره ونبضات قلبه فحيثما تسمع لقلبه نبضة تجد في شعره جمالا وتسمع له رنة ... لقد اصبح اليوم وكأنه ليس منا فهو يكتب لسوانا بلغة غريبة عنا : وما يكتبه بالانكليزية اجمل وافصح وابلغ من كل ما كتبه بالعربية » . لكن الامين ما لبث ان عاد الى لغة الضاد واشتق له فيها نهجا خاصاً بدأ يظهر في كتابه « ملوك العرب » الذي سجل فيه رحلته الى الجزيرة العربية واتصاله برؤسائها وشعبها في سبيل جمع الشمل وتوحيد الكلمة « ومبشراً بالعلم والتمدن — كما كتب في المقدمة — لا بالوحدة العربية وحدود ابن عباس كما يفهمونها بالحجاز . لا والله ما جئت لانصر جهلاً مسلحاً واعزز تعصباً يفتخر بوحشيته . نبغي الحرية والاستقلال نعم ولكننا نبغي المدارس ايضاً والطباعة والمستشفيات ونبغي النظافة في المعيشة وفي اللبس وفي البيوت وفي المدن » . وقد حاول الامين ان يشرك القارئ برحلته فجعل اخباره صوراً حية كما في وصفه للامام يحيي : « دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة : صغير الرجل واليد : اسمر اللون عالي الجبين مستدير الوجه قاتمه . له فم كفم الطفل صغير بارز الا ان في مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وتارة تبعده . وفي عينيه السوداوين الترابيتين من انف قصير عريض نور يشيء وشرارة في بعض الاحايين رواعة وله لحية سوداء قصيرة مستديرة تخللها خيوط من الشيب ويلبس قباء من القطن مخططاً فوق جبة ذات اردان من نسج اليمن ولعمامته البيضاء الكبيرة ذؤابة تكاد تصل الى اذنه . دخلنا

فاذا هو جالس على فراش اسود وثير، تحته فراش آخر وسجادة عجمية وفي جنبيه الوسائد يتكئ عليها وامامه زجاجة من الماء وروزمة من القات وخادم ينتخب الطري من غصونها فيقدمها له».

ولم يقتصر على وصف ملوك العرب وحدهم كما يتبادر لاول وهلة، بل تناول الشعب كافة على اختلاف طبقاته من قبائل رحل ومقيمة وامراء ورعاة وخدم وطهاة واعطى نماذج عدة عنهم مبيناً مقدار وعيهم لامور الحياة وحقائق الكون دارساً احوال معيشتهم نافذاً الى اعماق رغائبهم: «كنت في كل قطر من الاقطار العربية افتح الأذن دائماً لجميع الناس فاسمع الشريف والبدوي والجمال والجندي والتاجر والسياسي وادون احاديثهم».

لم يستنفد «ملوك العرب» كل مادة رحلة الامين بل رحلاته، فكتب بالعربية «تاريخ نجد الحديث» و «قلب العراق» و «فيصل الاول» و «المغرب الاقصى»، وبالانكليزية «ابن سعود وشعبه وبلاده» و «بلاد اليمن» و «حول شواطئ الجزيرة العربية» و «مصير فلسطين» (نشر بعد موته) وقد تنبأ فيه بتطور القضية الفلسطينية والمطامع الصهيونية[1]. وقد القى عدة محاضرات في اميركة حول هذا الموضوع واخطاره.

لم يكن للريحاني، رغم تلقيبه بفيلسوف الفريكة مذهب فلسفي متماسك التركيب يتطرق لحل مشكلة كونية او انسانية معينة على طريقة جديدة؛ انما كانت له نظرات فلسفية على غرار حكماء الشرق القدامى وبعض رفاقه كجبران ونعيمه، مبعثرة في آثاره ولا سيما «الريحانيات» يكون مجموعها نواة مجمع انتقائي توفيقي فيه من الرواقية شيء ومن علمية رينان شيء ومن الحلولية الطبيعية اشياء في اطار اختباراته الخاصة من خلال الاجواء الاميركية والاوروبية والشرقية التي عاش فيها. والحلولية الطبيعية التي دان بها لا تختلف كثيراً عن تلك التي بشر بها نعيمه وهي تقول بان الكون هو الخليقة وان الله ليس الا قوة تلازم الطبيعة وتحركها بل هو روح الكون ينمو دواماً وبنموه تنشأ الكائنات: «اني ارى في كل ما حولي من الطبيعة شيئاً من الجوهر الالهي»، اما الانسان في نظره فليس آدمياً ساقطاً بل كائناً بدائياً يحسنه المجتمع المتطور بفضل التقدم فيتجاوز ذاته باستمرار حتى يبلغ المستوى الاعلى. والريحاني الى هذا منكر سياسي ملتزم دعا

(١) لم نذكر الا الكتب التي لها علاقة باغترابه؛ لذلك اهملنا رائعته «قلب لبنان» وسائر الكتب في النقد والاجتماع التي ظهرت في لبنان من وحي الاقامة فيه.

الى القومية المتحررة من التعصب والقائمة على المصلحة المشتركة والمنطق والحرية والعدالة . انشاؤه نزق فكه سلس ، بعيد عن التعقيد والغرابة . وهو يلائم كل الملاءمة تنقل الكاتب على غير تمهيد من الوصف الى الحوار الى النقد ، فاذا لكل لون من الحديث لون من اللفظ . الجزل للجزل والغريب للغريب والخفيف للخفيف . مما اكثر التوريات والكتابات التي تأتيه عفو الخاطر والريحاني غني بمفردات اللغة ينزل الكلمة منزلتها على غير تقلقل . لقد تتلمذ في اسلوبه على الجاحظ والشدياق وفولتير من حيث الظرف والسخرية والدعابة حتى في اخطر المواضيع . فهو يعبر عادة عن افكاره بأمثلة حسية ملموسة كقوله : « رب اوهام تعيش كبعض الاطيار تبيض بيوضها في عش الحقائق » . ويعنى بالدقائق والتفاصيل ويسعى الى الكلمة المؤثرة الموحية والى اللون والحركة ويتجنب الكلام غير المألوف اللهم الا للهزء والتجريح كما في « المقامة البكبجية » وهو لا يتورع كسائر المهجريين عن استعمال اللفظة التي تألفها اذنه حتى ولو لم تكن قاموسية .

جبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١)

ما كان جبران قد اتم الثانية عشرة عندما حملته امه مع اخيه واختيه الى بوسطن ، الى حي الصينيين ، اقدم احياء المدينة واضيقها ، حيث تتعانق تراجيل التنبك والافيون على الارصفة القذرة . وارسلته الى مدرسة مجاورة تعلم فيها مبادئ الانكليزية مظهراً ميلاً الى التصوير . بعد سنوات ثلاث وقد توافر لاهله بعض المال جاء جبران الى معهد الحكمة في بيروت وتعلم العربية فيها طوال ثلاثة اعوام . وفي تلك الاثناء احب جارة له في بشري (حلا الضاهر) ابنة الشيخ . فاضطره التفارق الاجتماعي ان يخنق هذا الحب برغماً ويعود الى اميركة حيث انصرف الى الكتابة والرسم ومناجاة الحبيب البعيد . وفي ربيع ١٩٠٤ حملت « المهاجر » اول مقال له وعنوانه : « الرؤية » لفتت اليه الانظار فواصل الكتابة والنشر حتى قويت ثقته بنفسه فوضع بحثاً ذاتياً في الموسيقى تميز بالبساطة الانيقة على انطلاق خيال وجدة تشبيه . وبعد حين نشر حكايات ثلاثاً عنوانها « عرائس المروج » تناولت أولاها : « رماد الاجيال والنار الخالدة » ، كاهناً عاش في بعلبك قبل العهد الميلادي وقد اغتصب الموت عشيقته فلم يمت حبه بل كمن ناراً تحت رماد حتى اتقد من جديد سنة ١٨٩٠ حين عاد العاشقان الى بعلبك عينها وقد تقمصا غناماً وقروية بفضل عشتروت ليتذوقا من جديد « ملذات الحب ومجد الشبيبة »

والثانية « مرتا البانية » قصة يتيمة ساذجة غرر بها احد الفرسان ثم نبذها بعد ان حملت منه فتردت في البغاء لتعيل طفلها . والثالثة « يوحنا المجنون » ومسرحها بشري نفسها وقد ندد فيها بقسوة ببعض رجال الدين الذين استبدوا ببطل القصة .

وكان لهذه الاقاصيص الثورية بعض الرواج فتشجع جبران واصدر مجموعته الثانية « الارواح المتمردة » وفيها اربع قصص : « وردة الهاني » وهي تدور حول حسناء ابية استيقظت من غفلة الشباب فوجدت نفسها في منزل زوج هرم غمرها بماله لكنه ما استطاع ان يغمرها بحبه فعاشت بائسة مستوحدة حتى التفت شتيتاً لروحها فلحقت به غير عابئة بعقد الزواج ولا بالتقاليد . و « صراخ القبور » وهي ترتكز الى حكم بالاعدام اصدره تعسفاً امير طاغية على مجرمين ومجرمة فعوقب الاول بالموت لانه قتل قائداً حاول اغتصاب رفيقة عمره والثاني شنق بشجرة لانه سرق زنبيل دقيق ليطعم اولاده الجياع والمجرمة جرت عارية الى الحقل لانها خانت زوجاً ارغمت على الاقتران به . و « مضجع العروس » حكاية فتاة احبت فتى ما لبث ان شكت باخلاصه بسبب النميمة ، فسلته وتزوجت من شاب آخر . وفي ليلة العرس استيقظ حبها القديم فانتحرت . و « خليل الكافر » وهي توسع في موضوع « يوحنا المجنون » الا ان مسرحها دير قزحيا لا دير مار اليشاع النبي .

كانت المجموعتان وسيلتين لنشر افكار جبران الثورية على الزواج القسري والاستبداد الاقطاعي ، حرك اشخاصهما على هوى نظرياته . وقد لقيا في بعض الاوساط العربية والمهجرية رواجاً فتهافتت الناشئة على قراءتهما وقد وجدت فيهما تمرداً ظمئت اليه لا سيما وقد سبكه في اسلوب ملون ندي يختلف عن الأدب المومياني الموشى الذي كان ما يزال منتشراً على رغم النهضة الجديدة في اللغة والأدب . لكن بعض الاوساط الراقية في لبنان ان استعذبت اسلوب هذه القصص والخواطر التي جمعها فيما بعد في « دمعة وابتسامة » وان احبت التعبير الجنح في الحديث عن الموسيقى وان اشفقت على ضعف « مرتا البانية » وعلى بؤس « يوحنا المجنون » فانها ما كانت لترضى بالافكار الثورية الداعية الى الخروج على الشرائع والتقاليد ولا سيما شريعة الزواج فقامت حملة عنيفة على الأدب الجبراني المتمرد المسمى : « السم في الدسم » . الا ان جبران اعتز بهذه الحملة لانها شهرته في اكثر الاوساط ولان « الاضطهاد — كما يقول — غذاء المبادئ الجديدة » .

يشاء القدر ان تتعرف اميركية فتاة اسمها ماري هسكل بجبران في معرض له فتعجب بتصويره وتساعده على السفر الى باريس . فتقضي هناك ثلاث سنوات يتعلم الرسم رجع بعدها الى بوسطن ثم انتقل الى نيويورك واقام في غرينتش – فيلاج ، حي الفنانين . ثم نشر قصته « الاجنحة المتكسرة » التي كتبها قبل سفره وروى فيها حبه الاول جاعلاً « سلمى » على صورة حلا الضاهر . وهذه القصة سلسلة اعترافات وجيعة في اطار زاهر بالتشابيه والاستعارات الطريفة . وعن طريقها عرف جبران نسيب عريضة ومخائيل نعيمة وبدأ التعاون بينهم وبين سائر الأدباء المجددين الذين جمعتهم ، ما عدا الريحاني ، الرابطة القلمية .

لكن جبران رغم مجده الادبي الطالع استمر فريسة « الملل الذي يميت » فاذا حياته في نيويورك كدولاب تحركه ايد خفية . دولاب اعوج لا يعرف الانسجام في دورانه كما يقول لي في رسالة اليها . وما لبث هذا الملل ان انفجر في اعماقه حقداً على الجو الذي خلقه وعلى الناس فاذا هو في « الملك السجين » الذي ظهر في كتابه « العواصف » يخاطب نفسه ويريها ما يحيط بسجنها من كائنات عادت لا تليق بمن عرف نيتشه مثله : « هذا كالخنزير قذارة اما لحمه فلا يؤكل . وهذا كالجاموس خشونة . اما جلده فلا ينفع . وذاك كالحمار غباوة ولكنه يمشي على الاثنتين . وذلك كالغراب شؤماً ولكنه يبيع نعيبه في الهياكل وتلك كالطاووس تيهاً واعجاباً : اما ريشها فمستعار » .

ويبقى من ثورة نفسه نزر لا يضن به على مظاهر العمران والحضارة ، فاذا القصور والمعاهد اوكار ضيقة تحجب النور فتذبل في ظلالها ازاهر الشباب وترمد في زواياها جمرة الحب ، واذا الشوارع والازقة اودية خطرة يتربص في منعرجاتها اللصوص والخاليق العجيبة . غير ان هذه الثورة المجسدة في « العواصف » ما لبثت ان هدأت فاذا جبران يتمرس على الكتابة بالانكليزية وقد ساعدته عليها ماري هسكل وكان اول ما نشره في هذه اللغة « المجنون » وهو الكائن الجبراني الذي تجرد من براقعه الكثيفة فصار يحس بالشمس ساطعة امام عينيه ، وصار يرى في الانسان والله والعالم وحدة لا تتجزأ وصار يمجد القوة ويحتقر الجبن والاستسلام . انه مزيج من الناصري وزردشت بل هو « الجبران » الذي كان يود يومئذ لو يكونه قبل ان تتبلور في ذهنه فكرة « النبي » . فهو ان تكلم فكالرسل او الانبياء . « الحق الحق اقول

لكم » . وان تمنى فاقصى مناه ان يصلب كما صلب الشهداء . انه غريب على هذه الارض يحاول عبثاً ان يتناهى والغير . انهم من غير جبلة . « لم انا ها هنا يا الهٰ النفوس الضائعة ؟ ! انه كالليل صامت وعميق . في قلب وحدته تتكئ الآهة تتمخض بمولود علوي تأتلف بكيانه الجنة والجحيم . وفي اذنيه نحيب الامم المستعبدة والتحسر على الممالك المهجورة . وفي نفسه يخسل وقر الشرق العربي المستضعف المتقاعس عن رسالته .

في « المجنون » حكايات لاذعة التهكم ، بعيدة المغزى . تجسد مرارة الخيبة والنقمة على الخبث والجهل والتحجر . ولربما جعل المؤلف بطله مجنوناً ليصح فيه قول المثل السائر : « مجنون يحكي وعاقل يفهم » او لان الجنون ، على زعمه ، هو اول خطوة نحو التجرد الرباني وهو يساعد ، في عرفه كما في عرف المدرسة السريالية ، على ادراك ما وراء نقاب العقل من اسرار .

بعد ان صدر « المجنون » راح جبران يعدّ قصيدته « المواكب » لتطبع فاصدرها في سنة ١٩١٨ انيقة الاخراج ، مزينة بالرسوم المجازية .

والقصيدة طويلة وموزونة ومقفاة على غير عادة جبران . فيها صوتان متقابلان ، بل متكاملان ، وكأنهما في حوار . اولها يعبر عن نقمة الشاعر على حياة الانسان وما فيها من شر وقبح ولؤم وصراع وضعف وظلم ؛ فيجد ان الخير لا يصنع فيها الا جبراً ، وان اكثر الناس آلات متحركة . وافضلهم قطعان عبيد للذي يأبى الخضوع .

اما الصوت الثاني ، وفيه شيء من نبرة روسو ، فيتغنى بحياة الغاب ، حياة الفطرة والطبيعة ، حيث لا حزن ولا همّ ولا سمّ ولا عتاب ولا ظلم ولا نزاع ، حيث القوة الخلاقة اللامنظورة تدبر الامور على خير وجه ؛ وحيث انين الناي ، رمز التناغم في وجود الكائنات ، يبقى بعد ان يفنى الزمن وتفنى الحياة والذنوب والشموس والنجوم ...

والصوتان ، على ما يبدو ، ليسا صوت شيخ وصوت شاب يتعارضان ، بل صوتي جبران نفسه . واحد يعبر عما ترى عينه من ألم وقبح وتشويش وقلق وشر والآخر يستوحي خياله فيصدر عن عالم الهدوء والامن والموسيقى والصفاء . انه حوار ذاتي يدور في اعماق الشاعر حول ما هو كائن وما يجب ان يكون . فلا ينتهي الصوت الاول من تبرمه بمفاهيم العدل والدين والعلم والحرية والحب وما اليها في دنيا البشر حتى يرد عليه الصوت الثاني ، صوت فتى الغاب ، في نهاية كل مقطع فيجد الطبيعة وسلامها ونغمة الناي عنوان

الخلود والحياة الشاملة . انهما وجها الثنائية التي تعرض لها في « مجنونه » الخير والشر ، والروح والجسد . حاول ان يذوبهما هنا في وحدة الوجود :

« لم اجد في الغاب فرقاً بين روح وجسد
فالهواء ماء تهادى والندى ماء ركد
والشذا زهر تمادى والثرى زهر جمد »

شغل تأسيس الرابطة القلمية جبران فترة من الزمن انصرف بعدها الى الكتابة بالانكليزية فنشر « السابق » وموضوعه رمزي شعري : « اربع ضفادع اجتمعن على خشبة عائمة في النهر ، فأخذن يتجادلن عن المحرك الذي يحركهن . قالت الاولى : انه الخشبة . وقالت الثانية انه الماء . بل هو التفكر ردت الثالثة معترضة ، فلولا التفكر لما كانت الحركة . واذ لم يتفقن على رأي سألن الرابعة ، فأجابت . ان كلاً من اخواتها اصابت فيما ارتأت . فالحركة انما هي في الخشبة وفي الماء وفي افكارهن ايضاً . فما كان منهن الا ان اخذن بخناق الاخيرة وقذفن بها الى النهر . وذلك لان كلاً منهن أبت ان يقال عن رأيها انه ليس مصيباً وان آراء رفيقاتها هي الخطأ بعينه » .

وعدا الحكايات والامثال ، العميقة الحكمة على بساطة السرد ، يتضمن « السابق » قصائد منثورة يتناول اكثرها شقاء الروح في عالم المادة وتوقها الدائم الى العالم الاسمى حيث تعانق الروح الكونية الشاملة ، ثم تتعدد من جديد فتستأنف دورانها في العالم الفاني حتى الازل . « كلنا سابق لنفسه . وما نحن عليه اليوم سيكون اساساً لما نصبح فيه غداً . فحياتنا الحاضرة هي لاحقة لحياة مضت قبلها وسابقة لحياة ستأتي بعدها . والحياة الآتية بعدها ستصبح بدورها سابقة لحياة اخرى . وهكذا بلا نهاية . نزرع في هذه الحياة ما جنيناه في حياة سابقة . ثم نحصد ما زرعناه في الحياة لنعود ونزرعه في حياة بعدها . فنحن الحقل ونحن الزارعون ونحن الحصاد ونحن الحاصدون » .

انها الافكار الجبرانية عينها التي شكلت اللحمة الرئيسية في آثاره العربية يرددها في قالب انكليزي لا يختلف عن القالب العربي الا بقدر ما تقتضيه عبقرية اللغة الانكليزية من اقتصاد في التزويق ، وبقدر ما تفسح له امكاناته فيها الانطلاق في مهب الخيال .

شدّ جبران الى بوسطن وشج وثيق فكان يؤمها بين حين وحين . كان فيها مس هاسكل واخته مريانا وخلان اعزاء . وكانت فيها ذكريات شبابه

الحلوة – المريرة تضفي على الجو سراباً عاطفياً مغرياً . الا ان هذا السراب تتلص ذات يوم فبدا الواقع المجرد بألوانه الباهتة وظلاله المكفهرة وضجيجه وعجيجه . فاذا هو في تلك المدينة بين صخبه المشوشة ومشيئة الناس به أشبه شيء بآلة موسيقية محلولة الاوتار في يد جبار يضرب عليها انغاماً غريبة خالية من الالفة والتناسب ، بل اذا هو بين الف عمل وعمل مثل نخلة مريضة في حديقة ازهار .

ويلجّ به الحنين الى لبنان واوديته ووهاده حيث الطبيعة الهادئة ارفق به من الناس وأوفى . لكن انى له ان يرجع اليه ومشاغله الكثيرة تفرض عليه البقاء في اميركا ، وجسده المتهازل يبعث في نشاطه فتوراً يزيد .

بعد «السابق» ظهر «النبي» سنة ١٩٢٣ في غلاف اسود عليه صورة النبي «المصطفى» وقد حوى احد عشر رسماً تنطبق على مغزى الفصول وتساعد في تظهير غوامضها .

وضع جبران «نبيه» ، بشكله النهائي ، وهو يعارك الداء المستبد ولا يدري ما تكون نتيجة العراك . كان يكتب منه صفحة ، وهو يذرع الصومعة مهدداً ألمه ، وصفحة وهو يتنزه في «السنترال بارك» شتاء ، او في غاب كوهاست ، على الشاطئ صيفاً . وقد خطه على دفترين اسمرين كتب بالعربية في نهاية اولها : «يا اخي ان كل مشكلة تقلقك قد اقلقتني ايضاً» وفي آخر الثاني : «ساعد يا ربي لنكتب حقيقتك مغلفة بجمالك في هذا الكتاب» .

انطوى «النبي» ، الذي يعتبر بحق رائعة جبران ، على خلاصة آراء المؤلف في الحب ، والزواج ، والاولاد ، والبيوت ، والثياب ، والبيع ، والشراء ، والألم ، والجرائم ، والعقوبات ، والحرية ، والشرائع ، والعطاء ، والعقل ، والهوى ، والاثم ، والصداقة ، والدين ، والموت ، واللذة ، والجمال . وقد وردت على لسان نبي سمي «المصطفى» .

حلّ المصطفى في مدينة اورفليس ومكث فيها اثنتي عشرة سنة مترقباً عودة سفينته ليستقلها ويرجع الى حيث ولد . كانت ايامه ، في تلك المدينة ، كآبة موصولة ووحدة أليمة . لكن عزّ عليه ان يغادرها ، لانه احبّها . ولما دنت ساعة الرحيل ودّ لو يصحب الجوّ الذي اودعه بعض روحه . لكن هيهات ان يحمل النسر عشه عند الانطلاق ... فتنازع نفسه شعوران متناقضان : لذة الانعتاق من الغربة ، وحرقة الوداع .

اجتمع اهل اورفليس ساعة الرحيل حول المصطفى واسترحموه ان يبقى بينهم لانه روح محبة ونور مشرق. ولانهم احبوه واحبوه ولم يدركوا عمق هذه المحبة الا عند الفراق. وكان بين هؤلاء امرأة، ولا كالنساء: اسمها «المطرة» (لعلها ماري هاسكال!) كان يتطلعها «النبي» بحنان وحب لانها اول من آمن به. سألته ان يخطب فيهم. ويفيض عليهم من حكمته. ويكشف لهم اسرار الحياة من المهد الى اللحد. فلبى بسخاء...

ومضت المطرة تسأل: والمصطفى يجيب: فاذا المحبة نار تطهر الانسان، بعد ان تحرره من قشوره وتطحنه وتعجنه: لتجعل منه خبزاً مقدساً لمائدة الاله. واذا العطاء في الطبيعة حاجة كيانية: فالقطعان والاشجار إنّم تعطي تعرضت للهلاك. فالحياة هي التي تعطي الحياة: والانسان ان هو الا شاهد على عطائه ليس الا. واذا العمل بركة وتحقيق لحلم الارض البعيد: يخصب المعرفة بقدر ما تخصبه المحبة. واذا الفرح والترح توأمان لا ينفصلان يأتيان معاً ويمضيان معاً. واذا القتيل مشارك في الجريمة. لان المجموع متضامن مع الفرد في السير نحو الذات الالهية. واذا جذور الشر وجذور الخير مشتبكة معاً في قلب الارض الصامت. واذا توبيخ الضمير هو العدالة التي تتوخاها الشريعة. واذا الألم انكسار القشرة التي تغلف الادراك. واذا الخير في الانسان حنين الى ذاته الجبارة. واذا الجسد فينا قيثارة النفس. واذا الجمال قلب منتهب: ونفس مفتونة. وابدية تنظر الى ذاتها في مرآة. واذا الدين كل ما في الحياة من عمل وتأمل. واذا الرب يمشي في السحاب ويبتسم بثغور الازهار. واذا الموت ذوبان في حرارة الشمس.

وآن المساء فنزل المصطفى من على درجات الهيكل ومشى: فتبعه الشعب بأسره حتى المرفأ ليودعه ووعده بالرجوع اليه مع المد. واستقل السفينة ملبياً امر الرياح بالذهاب وقد بارك اهل اورفليس الذين احبهم من اعماق قلبه مع انه لم يخالطهم: ولم يدخل مساكنهم. وعاد الى جزيرته: مسقط رأسه: كما عاد زرادشت في آخر المطاف الى جزائره البعيدة.

ووصل الجدول الى البحر: واتيح للام العظيمة ان تضم ابنها الى صدرها من جديد. لكنه سيعود لان امرأة اخرى ستلده.

وبلغ الاسلوب الجبراني حدّه الاسمى في هذا الكتاب: فاستقامت الانكليزية للمؤلف استقامة لم تتوفر في العربية على وحدانية الجوهر. الا انه سواء كتب بلغة الضاد: ام بلغة شكسبير: كان يصور افكاره تصويراً

ويستنبط الالفاظ اقصى طاقتها الايحائية في اتساق تركيبه وضبطه بالنسبة الى المعاني التي تؤدي .

وما اكتفى جبران بتيه الذي جعله عالمي الشهرة بعد حين بل واصل مطافه الطويل فنشر « رمل وزبد » . مجموعة خواطر بل حفنة من الرمل وقبضة من الزبد : على حد تعبيره ، جاء فيها ان الانسان عابر طريق في هذه الحياة ، يتمشى على شواطئها فيمحو المد آثار قدميه وتذهب الريح بالزبد . الا ان البحر والشاطئ (رمز الحياة) يظلان الى الابد ، وعناصر الطبيعة تتحول على غير انقطاع . الضباب يصير دودة والدودة عصفوراً والعصفور رجلاً والرجل ضباباً من جديد .

انها نظرات جبران المألوفة في التناسخ . وفي وجود النرفانا ، وفي اتحاد الانسان بالطبيعة على الطريقة الحلولية وفي الوهية الانسان بالقوة يعبر عنها هينا في عبر طريقة الاسلوب . تظهر خلال المتناقضات البيانية والكنايات .

ما ان نفض جبران يده من « رمل وزبد » حتى انتصب على « يسوع ابن الانسان » . ذلك الكتاب الذي شاءه تتويجاً لرسالته الادبية . فما انقضى ثمانية عشر شهراً حتى صدر انيقاً في اخراجه ، عفوياً في اسلوبه ، غنياً في رسومه .

ما اراد ان يكتب سيرة يسوع كتابة المؤرخ المدقق بل رام ان يرسم صورة شعرية لمفهوم خاص . كان يرى ان المسيح ، عاش حياته البشرية حتى انطفائه فما ترك كأساً من كؤوس النشوة الانسانية الا تجرعها ولا قلقاً انسانياً الا عاناه من خلال الوهته ولم يغلف حياته ضباب ولا دنس .

اما طريقة التعبير عن هذا المفهوم فخاصة به . لقد جعل سبعة وسبعين رجلاً وامرأة من معاصري يسوع ، منهم من ذكره الانجيل ومنهم من ولده خياله . يتحدثون عن الناصري . كلاً على هواه . ويبينون خطوط صورته العجيبة كما وعاها المؤلف . ويختم الاحاديث رجل من لبنان (لا يختلف كثيراً عن جبران) بعد تسعة عشر قرناً فيرى ان اولئك الذين رفعوا الصليب على كل قمة انما رفعوه دليلاً لاقدامهم الخائفة . فهم لا يقصدون تكريم الرجل الحي الذي فتح عينيه ونظر الى الشمس باجفان غير مرتعشة لانهم لا يعرفون هذا الرجل ولا يريدون اتباع خطاه . والذبائح التي يقدمونها امام عرشه : انما يقدمونها لذواتهم السجينة : بينما هو وحده ذاتهم البعيدة وشوقهم اللاخد :

بعد « يسوع » نشر جبران كتابه « آلهة الارض » وفيه نظراته في الحياة والانسان وقد خمرها الاختبار المكثف . واهمها سعي الانسان الى مجاراة الآلهة . لان مجده لا يبدأ الا عندما تمتص شفاه الآلهة المقدسة نسمته اذائبة على غير هدى : وكما ان حبة الحنطة الصماء تتحول الى انشودة محبة عندما يبتلعها البلبل . هكذا الانسان لا يتذوق الالوهية الا اذا كان خبز الآلهة . عند ذاك يجرد نفسه من حدود الزمان والمكان ليعبر الى عالم الشفق البعيد . ولربما استيقظ في فجر عالم آخر : لكن المحبة باقية ولن تمحى آثارها . انها السلم الذي يصل الارض بالسماء .

لكن لطاقة الجسم حداً مهما يكن شأن الارادة فقد اعتلت صحة جبران نتيجة النشاط المتواصل كتابة وتصويراً فتوقف مرغماً وتاق الى تلك الراحة التي تبعث الحيوية في عروقه تحت ظلال الارز .

« الألم يد خفية تكسر قشرة النواة لتستنبت لبابها . لم ازل رهن الاطباء الاخصائيين وسأبقى رهن مقاييسهم وموازينهم حتى يتمرد جسدي عليهم او تتمرد روحي على جسدي . ولكن تمردت او لم اتمرد فلا بد من الرجوع الى لبنان : لا بد من التملص من هذه المدنية السائرة على دواليب ومعانقة تلك المدنية المتلألئة بنور الشمس . انني اريد ان اذهب الى لبنان وابقى ذاهباً »[1] .

لكنه ما استطاع ان يحقق حلمه هذا : فانطفأ وهو في عنفوان العطاء ، تاركاً كتابين ظهرا بعد موته « التائه » و « حديقة النبي » .

وغاب ذلك الوجه المشرق الذي طبع مرحلة انطلاق الادب المعاصر بطابعه المميز . فاذا المدرسة الجبرانية تنتشر في كل بلد عربي . واذا ما كتبه المغتربون عن صاحب « النبي » وترجموه في الاميركتين لا يعادله الا ما انتوه من وحي لبنان . واذا « النبي » : وقد ترجم الى ٣٩ لغة[2] يتصدر واجهات المكتبات في الولايات المتحدة منذ حوالى نصف قرن ويستمر فيتلو الكثيرون آياته وكأنها من الاسفار المقدسة . واذا ضريحه محجة كل سائح عرف بلادنا خلال هذا الساحر . على حد تعبير آلاف المعجبات والمعجبين به . الذي دخل الاسطورة والتاريخ من الباب العريض .

---

(١) رسالة الى نيلكس قارس سنة ١٩٣٠ .

(٢) له في العربية وحدها اربع ترجمات : للارشمندريت بشير : لمخايل نعيمه : ليوسف الخال ، وثروت عكاشه .

ونه بالفرنسية اربع : للآنسة بولانجه ، لكميل ابو صوان ، لشارل تقرم : لانطوان كرم .

ايليا ابو ماضي (١٨٩١ — ١٩٥٨)

ترك لبنان (المحيدثة) وهو في اول العمر الى مصر حيث مارس الصحافة في « الهلال » الا انه لم يقنع طويلاً بعمله هذا فاجتذبته الولايات المتحدة وآفاقها الرحبة اليها فسافر الى نيويورك وأنشأ فيها صحيفته « السمير » واتصل برفاقه الشعراء المهاجرين الذين جمعتهم فيما بعد الرابطة القلمية فحدث انقلاب في نظريته الشعرية . فبعد ان كان ينظم الشعر على طريقة العباسيين وهو في وادي النيل تحوّل الى التجديد في المباني والمعاني ؛ فاشتهر شاعراً اكثر منه صحفياً على رغم استمراره بالتحرير . وقد جمع قصائده في ديوانين « الجداول » و « الخمائل » . كان ابرز بما دعا اليه في الصحافة التساهل الديني على طريقة امين الريحاني فتميز بنقده الساخر اللاذع . اما في شعره فقد تجاوز الخصائص العامة التي ميزت الشعر المهجري فلقح قصائده بنزعة فلسفية صريحة .

ايليا ابو ماضي شاعر واقعي عضه البؤس فولّد فيه مرارة ونقمة على الوجود والقدر . وقد بلغت به النقمة حدّ الشك بكل شيء لربما بانتظار اليقين عن طريق الشك ، لكنه ضاع قبل الوصول . اسئلة كثيرة طرحها على ذاته حول معنى الحياة والحرية والموت وما بعده فعجز عن جواب يطمئن اليه فاذا هذا القلق محور الكثير من شعره ولا سيما قصيدتيه : «الطلاسم» و « لست ادري » غير ان « اللست ادري » التي تتردد كاللازمة لا تتخذ في شعره شكلاً مذهبياً بل تظل احساساً شعرياً غامضاً . ولعل مصدر هذا التشاؤم هو طموح الشاعر الكبير وعجزه عن تحقيق الا القليل مما صبت اليه نفسه ؛ حتى هذا القليل لم يبق منه الا ظل بعد المنال ؛ لذا انكمش على ذاته في انانية حاقدة وانشد :

كل نجم لا اهتداء به　　لا أبالي لاح او غربا
كل نهر لا ارتواء به　　لا ابالي سال او نضبا

لقد يئس حتى من النعيم فدعا الى التمتع بملذات الحياة قبل الرحيل . غير انه مع هذا آمن بخلود الشاعر لانه بشعره يتحدى الفناء :

لا تجزعي فالموت ليس يضيرنا　　فلنا اياب بعده ونشور

ان بعض قصائد ايليا ابو ماضي في الدعوة الى اللذة تذكرنا بعمر الخيام ولا سيما « تعالي » :

تعالي نتعاطاها كنون التبر او اسطع ونسقي النرجس بقايا الراح في الكأس
فلا يعرف من نحن ولا يبصرنا نصنع ولا ينقل عند الصبح نجوانا الى الناس
تعالي نسرق اللذات ما ساعفنا الدهر وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال
فان مر بنا الفجر وما ايقظنا الفجر فما يوقظنا علم ولا يوقظنا مـال
تعالي نطلق الروحين من سجن التقاليد فهذي زهرة الوادي تذيع العطر في الوادي
وهذا الطير تياه فخور بالاغاريد فمن ذا عنف الزهرة او من وبخ الشادي؟

رشيد ايوب (١٨٧١—١٩٤١)

لقد آمن رشيد ايوب كذلك « بدواء » الخمرة لكنه ما تورط في الشك بل استعان بالنشوة كما استعان بها ابو نواس وسيلة للذهول عن واقع مؤلم.

وقائلـة لمـا رأتـني مكثرا من الخمر ان الخمر تذهب باللب
فقلت دعيني في رشادي فانني اعوض عما يشرب الحزن من قلبي

لم يحاول قط ان يفلسف شعره بل ظل فطرياً ينظم قصيدته كما يغني موالا او ينقر على العود ترجيعاً للحنين. وهو في دواوينه الثلاثة «الايوبيات» و «اغاني الدرويش» و «هي الدنيا» لم يتجاوز الخصائص التي ميزت الشعر المهجري بوجه عام.

ميخائيل نعيمه (ولد في بسكنتا سنة ١٨٨٩)

لا شك ان ميخائيل نعيمه ادى دوراً مهماً في انطلاق الادب المهجري ان قل شأنه عن دور جبران فانه ما قل عن دور اي اديب مغترب آخر. فهو بعد ان تعلم في الناصرة في المدرسة الروسية واكمل دراسته في روسيا نفسها سافر الى اميركا للتحصيل الجامعي ومزاولة التجارة بالوقت ذاته. وهناك في نيويورك كان المتآزر بجبران الحلقة الحاسمة في جمع شمل الادباء اللبنانيين والسوريين في الولايات المتحدة وتعاونهم في سبيل خلق حركة جديدة تجلت في الرابطة القلمية.

بيد ان نعيمه، بعد موت جبران، عاد الى لبنان ليعيش ناسكاً في شخروبه بجوار بسكنتا فقضى اكثر عمره في الوطن الاول وكتب فيه معظم نتاجه النثري. لكن هذا النتاج كان في اكثره اما توسعاً في افكار عبر عنها في المهجر بشكل بدائي ثم انضجها في صفاء التأمل واما تعبيراً عن خواطر عنت له هناك وتمخض بها. كتابه عن جبران مثلاً ولو ظهر في

لبنان فانما هو نتاج اختباره المهجري وكذلك «سبعون» في جزءيه الاولين وبعض نظرياته في «مرداد» و «المراحل» و «زاد المعاد». لذلك ان لم نتبسط في درس هذه المؤلفات باعتبارها من نتاج متمم فلا يسعنا الا ان نلقي نظرة عامة على طريقته الكتابية التي ظلت هي هي: وعلى خط تفكيره التلسني الذي ما زال في سياق نقطة انطلاقه. اما المؤلفات التي كتبها نعيمه في اميركا فهي، عدا ديوانه «همس الجفون» «كان ما كان» و «الغربال» و «مذكرات الارقش» و «الآباء والبنون».

«كان ما كان» مجموعة قصصية من وحي لبنان وعاداته وتقاليده ومن وحي الهجرة كتبها باسلوب فكه ساخر سار عليه في مجموعتيه اللاحقتين «اكابر» و «ابو بطة» الا انه تميز في مجموعته الاولى بطرافة قلما وجدناها في القصص اللاحقة. قصته «ساعة الكوكو» مثلاً وما ترمز اليه من العقلية المنفتحة على عالم مذهل تبقى مرحلة في تاريخ تطور القصة القصيرة. اما «الغربال» فهو مجموعة دراسات نقدية تصدى فيها للادب المعاصر بجرأة ومنطق ولا سيما الادب المهجري فدافع عن الذين أخذت عليهم هنات لغوية دون التفات الى الجوهر المبتكر. مقاله «نقيق الضفادع» نموذج حي عن طريقته النقدية البارعة:

«ان اللغة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة. فهي تنتقي المناسب وتحتفظ من المناسب بالانسب في كل حالة من حالاتها. وكالشجرة تبدل اغصانها اليابسة باغصان خضراء واوراقها الميتة بأوراق حية. وحين لا يبقى لها في تربتها من غذاء تموت بفروعها وجذورها.

«... سأتكم يا سادتي باسم العدل والفهم والقاموس. لماذا جاز لبدوي لا اعرفه ولا تعرفونه ان يدخل على لغتكم كلمة «استحم»[1] ولا يجوز لشاعر اعرفه وتعرفونه ان يجعلها «تحمم»؟ وانتم تفهمون قصده بل تفهمون «تحمم» قبل ان تفهموا «استحم». ان شأننا مع ضفادع الادب لشأن والله غريب عجيب. يطالعون ما نكتب فيقولون: نعم الافكار ونعم العواطف ونعم الاسلوب لكن ... «اللغة»: كأننا فيما نكتب او ننظم نلقي عليهم دروساً في اللغة وكأن لا هم لنا من النظم الا ان نتحاشى الخطف والاشباع واستعمال «تحمم» بدلاً من «استحم».»

---

(١) اشارة الى جبران حيث يقول: «هل تحممت بعطر» في «المواكب».

قدّم عباس محمود العقاد « للغربال » بقوله : « صفاء في الذهن واستقامة في النقد وغيرة على الاصلاح وفهم لوظيفة الادب وقبس من الفلسفة ولذعة من التهكم ... رأيت قلماً جاهداً في طلب الشعر الصحيح ، شعر الحياة لا شعر الزحافات والعلل ، ورأيته ينعى على الشعر الرث الذي تركنا بلا شعر ولم يبق « في حياتنا ما ليس منظوماً سوى عواطفنا وافكارنا » ورأيته يريد من الشاعر ان يكون نبياً وينكر ان يكون بهلواناً ، ويريد من الشعر ان يكون وحياً والهاماً وينكر ان يكون « ضرباً من الخلج والجمز والمشي على الاسلاك والانتصاب على الرأس ورفع الاثقال بالاسنان ولف الرجلين حول العنق الى ما هنالك من الحركات التي تجيدها القردة ايما اجادة » .

« فمذكرات الارقش » خواطر في الحياة والوجود فيها بذور افكاره الصوفية التي تجلت فيما بعد نشكلت نواة مذهب حلولي . اما « الآباء والبنون » فمحاولة مسرحية حول الخلاف الابدي بين الآباء والبنين والتباين الدائم بين القديم والحديث في اطار شرقي كتبها بلغة فصيحة وعامية في آن واحد وقد وضع لها توطئة تناول فيها الرواية التمثيلية العربية وتطورها قال فيها : « الرواية التمثيلية ، من بين كل الاساليب . لا تستطيع ان تستغني عن اللغة العامية . اما « العقدة » هي اننا لو اتبعنا هذه القاعدة لوجب ان نكتب كل رواياتنا باللغة العامية وذلك يعني انقراض لغتنا الفصحى فأين المخرج » . وقد وجد نعيمه المخرج في جعل متعلمينا من اشخاص مسرحيته يتكلمون لغة معربة والاميين لغة عامية[1] .

اما « جبران خليل جبران » الذي نشره في بيروت بعد رجوعه فهو سيرة روائية لصاحب « النبي » وضعت باسلوب رائع الحيوية اجمع النقاد على الاشادة بها . رغم ان معظمهم اخذ على المضمون مآخذ شتى . منهم من رأى ان نعيمه لم يرو حياة جبران بل حياته هو من خلال جبران على حد قول صلاح لبكي . ومنهم من رأى ان المؤلف لم يكتب عن جبران كما هو بل كما رآه وتصوره وتخيله . ومنهم من رأى ان نعيمه حاول لغاية في النفس ان يحط من قدر جبران فيجعله يؤدي دوراً ثانوياً بالنسبة اليه . ومن هؤلاء امين الريحاني .

بعد ان رجع نعيمه الى لبنان كتب في جميع انواع الادب من القصة

---

(١) اصدر نعيمه مسرحيته الثانية سنة ١٩٦٩ وعنوانها « ايوب » بلغة فصحى باعتبار ان موضوعها تاريخي .

الى الرواية الى البحث الى الخاوية الفلسفية الى الخواطر الى اليوميات الى المسرحية غير ان اسلوبه الكتابي قلما تغيّر من حيث البساطة والدقة في التعبير . لكن اللذعة الساخرة تقلصت منه مع الايام خصوصاً وان ناسك الشخروب تطور في صوفيته حتى تغلب الطابع التبشيري على تفكيره . اما افكاره التي انضجتها التجارب فلها بذور كثيرة في كتاباته الاولى . قال مثلاً في مقدمة « الغربال » : « الطبيعة اكبر مغربل . اولا تراها في كل حالاتها تنبذ وتحتضن ؟ الا تراها في الشتاء تكفن الارض بالثلوج او تغمرها بالغيث تحتفظ من الفساد ما في رحمها من جراثيم الحياة واذ يأتي الربيع تحول الثلج ماء وترسل ما زاد منه عن حاجتها الى البحور . وما بقي تبعثه مع حرارة الشمس الى لباب الحبة قوة تنشط بها من الموت الى الحياة .. وعندما تنبثق الحياة اوراقاً وازهاراً تحتفظ بالازهار الى ان تتكون الاثمار وتتبعثر الازهار » .

انه مبدأ الوحدة بين الانسان والطبيعة والخالق والعودة الخالدة وسمو الروح كما تفهمها الهندوية قد بدأ يطل برأسه ليتجلى فيما بعد في « مرداد » . ومرداد هو النبي المرشد الى طريق الروح التي تهيئ له « المراحل » مرحلة النرفانا . او في « اليوم الاخير » حيث يقول : « فما دام في الكون ما يزعجني دمت بعيداً عن الانسجام مع الكون : وما لم انسجم مع الكون انسجام قطرة الماء مع البحر سأبقى في صراع مع الكون » .

ان الوان الادب على اختلافها بالنسبة الى مخايل نعيمه ما هي ذرائع فنية للتعبير عن افكاره الحلولية الروحانية في الكون والانسان والطبيعة . حتى في شعره الذي انطوى على اكثره ديوانه « همس الجفون » تبرز هذه النزعة من خلال الحنين الى المطلق .

كتب نعيمه بالانكليزية والروسية شعراً قليلاً . فقصيدته « النهر المتجمد » كتبها اولاً بالروسية ثم ترجمها الى العربية . ويين قصائده بالانكليزية «السباق الذي لا ينتهي » التي نشرتها التايمس سنة ١٩٢٨ وترجم هو نفسه بعض قصائده الى العربية ويقول في خاتمة احداها :

« ناري تميد وتلهث وتلملم السنتها
والرماد يختم شفتيها على مهل
والذي اخفاه عني تحت خاتمه
سأتي على كشفه الليل الغيور »

الا ان نعيمه عاد في لبنان فكتب من جديد بالانكليزية « جبران خليل جبران » و « مرداد » .

وثمة ادباء في الولايات المتحدة ونكسيك امثال نعمه الحاج ومسعود سماحة وتوفيق الشرتوني لم يتجاوزوا في شعرهم وفي نثرهم الخصائص العامة للشعر المهجري . وكذلك في اميركا الجنوبية . لذا لن نتوقف الا عند البارزين من اعضاء « العصبة الاندلسية » .

الشاعر القروي (ولد في البربارة سنة ١٨٨٧)

سافر في اول عمره الى اميركا الجنوبية وحمل « الكشة » كما رأينا في مذكراته . لكنه ان لم ينجح في التجارة فقد نجح في شعره ولا سيما الوطني منه وفي بعضه نفس ملحمي .

في شعره حنين الى لبنان كما في نثره : « احن الى لبنان حنيناً يغلبني على امري . اشتهي ان امشي على ترابه حافياً وان اتوسد خشبه وحجارته » .

« بربارتي هل بعد فيك من الاحبة من بقية

« يا برازيل لو افضت عليّ المال فيضاً ما طاب فيك المقام » .

الا انه اشتهر بدعوته العروبية حتى ان صديقه جورج صيدح لقّبه بقديس الوطنية العربية . كان يدعو في شعره الى التحرر من التعصب الطائفي ومن الجهل والتفرقة في سبيل تضامن عربي متين يقف بوجه كل طامع . وفي شعره قصائد كثيرة دفاعاً عن القضية الفلسطينية واستثارة لحمية العرب ومن ابرز قصائده تلك التي عنوانها « وعد بلفور » يقول في مطلعها :

« الحق منك ومن وعودك اكبر فاحسب حساب الحق يا متجبّر »

وزاول رشيد سليم الخوري وهذا هو اسمه الحقيقي الصحافة في جريدة « الزنبقة » فتولاها بعد موت مؤسسها خليل سعاده . لكنه لم يعرف الا شاعراً . وقد جمعت قصائده في عدة دواوين : « الاعاصير » . « الرشيديات » . « القرويات » . « الابو كير » . « الزمازم » .

اما الياس فرحات فقد جارى القروي في نزعته العروبية لكنه كان مقلاً . ومن ابرز شعره رباعياته التي صوّر فيها حياته وثورته على القدر ووصف آفات المجتمع العربي وطرق اصلاحه باسلوب ساخر احياناً :

« دع آل عيسى يسجدون لربهم عيسى وآل محمد لمحمد

انا لا اصدق ان نعت مؤمناً اوفى لربك من شريف ملحد

شعره غنائي عذب في اكثره . لكنه قليل التجديد مبنى ومعنى .

عقل الجر (١٨٨٦ – ١٩٤٦)

ترك بخشيش الى القاهرة حيث عمل مع مواطنه داود بركات في «الاهرام» ثم سافر الى البرازيل وأسس في ساوبالو النادي الفينيقي الادبي مع فوزي المعلوف . كان في شعره محافظاً وابرز ما كتبه في الغزل وفي حب لبنان ، وفي دعوة الابناء لبلوغ مجد الجدود :

لا بـارك الله في يوم نـام بـه   ضيماً فيبرأ منا مجد ماضينا
الم نكن وعيون الشرق شاخصة   شعباً عـلى صغره فاق الملايينا
الم نكن وبحار الكون مسرحنا   نلقي على أيها شئنا مراسينا
الم نكـن لبني الدنيا اساتـذة   حتى حروف الهجاء من صنع ايدينا
انـا ثبتنا ثبات الارز في جبـل   قد جاور الله في اعلى عليينا

اما اخوه شكرالله الجر فقد سافر الى البرازيل سنة ١٩١٩ وأنشأ «الأندلس الجديدة» ناطقة باسم ادباء اميركا الجنوبية ثم مجلة «الزنابق» . كتب في النثر دراسة عن جبران «نبي اورفليس» ومجموعة نقدية «المنقار الاحمر» وله ديوانان «الروافد» و «زنابق الفجر» .

فوزي المعلوف (١٨٩٩ – ١٩٣٠)

نشأ في بيت ادب وعلم في زحلة وتولى وظيفة في دمشق ثم سافر الى البرازيل سنة ١٩٢١ يمارس التجارة لكنه رغم يسر حاله عاش كئيباً مستوحداً تتراءى له دائماً اطياف الموت الرهيب فيقول في مذكراته : «الموت ، الموت . كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان : على اديم الغمام ، على صفحة الارض ، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان ، ... اتمنى ان يطرحني الدهر عند موتي في حضن الخريف بين اصفرار الاوراق وذبول الزهور وبكاء السماء . حينذاك قد ابسم عند عتبة الموت غير آسف لفراق حياة قطعتها في خريف صامت زاو وتركتها في خريف صامت زاو» . وشاء القدر ان تتحقق امنية الشاعر السوداء فيموت بعيد الخريف وهو في زهرة ربيعه .

اهم آثاره الشعرية «على بساط الريح» وملحمة لم تنجز «شعلة العذاب» ومتفرقات مثل «اغاني الاندلس» و «تأوهات الروح» و «من قلب السماء» . وله في النثر مسرحية ناقصة .

« وعلى بساط الريح » بناء شعري متكامل في اربعة عشر نشيداً متنوعة القوافي والاوزان ومركزة على فكرة رئيسية فكرة الشاعر الغريب في دنياه يحن الى موطن غير عالم التراب .

بين روحي وبين جسمي الاسير　　كان بعد — ذقت مره
انا في الارض... وهي فوق الاثير　　انا عبد — وهي حره

ينطلق الشاعر بالطائرة وراء احلامه لعله يحققها في العلى . لكنه ما ان حلق حتى ادرك ان قيود الجسد هي التي تقف عثرة في سبيل تحرر الروح لانه عبد الشرائع والمال والغرور :

انا عبد الحياة والموت امشي　　مكرهاً من مهودها لقبوره
عبد ما ضمن الشرائع من جور　　يخط القوي كل سطوره
عبد مالي . احظى به بعد جهد　　فاذا بي انوء من ثقل نيره
عبد اسمي ذوبت روحي وجسمي　　طمعاً في خلوده ونشوره
عبد حبي : انزلته في فؤادي　　فكوى اضلعي بنار سعيره

قال الشاعر الاسباني فيلاسباسا : وقد ترجم هذه القصيدة الى الاسبانية . في مقدمته التحليلية : « علق فوزي الشاعر ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ناطقة بما في لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الالوهة ... انه الصراع النفسي بين الشرقي وحضارة الغرب فاتزان الشاعر ما اختل بسبب هذا الصدام بين عالمين متعاكسين . فعبر عن اروع ما في روح الشرق من جمال وقوة وخيال (يمثلها الشاعر) في وجه مدنية الغرب التي ترمز اليها الطائرة » .

شفيق المعلوف (ولد في زحلة سنة ١٩٠٦)

انه ابرز شعراء المهجر الجنوبي . ما زال يواصل رسالته الشعرية في البرازيل رغم اتساع نطاق اعماله . نظم مجموعة « الاحلام » في شبابه على الرومنطيقيين ثم برز كشاعر ملحمي كبير في « عبقر » وهي تقع في ٢٧٣ بيتاً يعصف فيها رحلة الى ما وراء الطبيعة على غرار دانتيه او غوته في فاوست . الا ان شيطان «عبقر» لا يغوي بالضلال بل يوحي الشعر كما في الاسطورة العربية . ينام الشاعر ويستيقظ على الشيطان القادم من عبقر يدعوه اليه فيطير معه الى بلد الجن حيث يلتقي عراقة عبقر المزنرة بثعبان ثم سطيح الذي يعلمه الحكمة ثم ينتهي الى مقبرة فيها عظام الشعراء وقد

نقلها الشياطين الى عبقر فيستنطقها عما كانت عليه وآلت اليه : وتنتهي الرؤيا الى نوع من الخيبة ولا يبقى الا الحلم .

في « عبقر » يستخرج شفيق المعلوف من الاساطير العربية البارزة مضامينها البعيدة ويربط بينها وينفذ من خلالها الى روحية الشاعر العربي وعبره الى كل شاعر . فقد عالج في هذه القصيدة الطويلة الموضوعات الكبرى التي تصدى لها جبران في « نبيّه » من الحياة الى الموت مرورًا بالحب والبغض ، واللذة والالم ، والصفاء والاقتراب . ولعله اول شاعر اتخذ من الميثولوجيا العربية مادته الشعرية . وابرز ما يميز « عبقر » قوة الرؤيا التي يعبر عنها الشاعر بالاستعارات خلال صور خاطفة وايقاع متجانس . وقد ترجمت الى البرتغالية . فقال فيها الناقد اغرينو غريكو « ما اروع ذلك المزج بين الروح الشرقية والروح الغربية الذي ينتهي بنا الى رؤية مدينة الجن ... هو اولئك الذين على رغم كل شيء لا يزالون يثقون بانتصار الحب انتصارًا تامًا . واذا كان في قلبه شيء من الكره فهو كره البغض القاييني . الذي يتجلى في كبريات المعارك . وهو كالقديسة تيريزيا يعتقد بشقاء ابليس لانه لا يستطيع ان يحب » . وقال الدكتور فؤاد البستاني في « عبقر » : « انها وحدة بنائية شاملة على تنوع الاجزاء وتضارب الاحاسيس واختلاف الاوزان والانغام . فهي خروج واستقلال وابتكار وهي بناء واستقرار وثبات » .

ولشفيق معلوف ايضاً مجموعتان غنائيتان « نداء المجاذيف » و « لكل زهرة عبير » اختار بعض ما فيهما وجمع اليه قصائد اخرى ونشرها كلها في « سنابل راعوث » وقد تميزت بالموسيقى الباطنية مع الحرص على اصولية الوزن والقافية والسعي الى الصورة المبتكرة . يقول المعلوف في « نداء بعيد » :

نـــداء تردد عبر الحقب ... فكان لـــه في الاضالع رجع
ومـــن ثلج صنين شب لهب ... وفي الارز حن الى الصوت جذع
نـــداء لحيرام ايـــام كان ... يـسوق الاعـــاصير بالصولجان
نـــداء بعيد يهز السفوح ... فينجاب عن طلعة الفجر ليل
فتشهر صيدون سيف الفتوح ... وتنقل في البحر رجلا جبيل
ويزرع منكار من قلب صور ... فجاج البحار وكور النسور

اما ميشال المعلوف وجميل المعلوف فكانا مقلّين وحبيب مسعود عرف بنثره ولا سيما فيما كتبه على صفحات مجلته « العصبة الاندلسية » وكتابه

« جبران حياً وميتاً » ، لكن النثر على حدّ قوله لم يكن له شأنه في أدب الجنوب الاميركي . « فهو كالشاي البرازيلي الذي لا يسكر بينما الشعر خمرة معتقة » . اما سائر شعراء الجنوب كيوسف الغريب ويوسف الفاخوري وعبد اللطيف الخشن وسعيد اليازجي ووديع الشرتوني فقد جاروا التيار الرومنطيقي . ومن اهم ما كتب في النثر ادب المذكرات مثل يوميات توفيق ضعون في ذكرى الهجرة ومذكرات مخايل سليم بو عبنين التي يتناول فيها حكاية نصف قرن من الاضطهاد . وقد ظهر في الاميركتين عدد من الكتّاب بلغات اجنبية فضلاً عن الصحفيين .

كتّاب بالانكليزية

عدا الادباء الذين اشتهروا باللغتين العربية والانكليزية كجبران والريحاني ثمة كتاب وصحفيون عرفوا بما كتبوه بلغات اجنبية ولا سيا الانكليزية والاسبانية والبورتغالية : نذكر نخبة منهم :

ابراهيم متري الرحباني (١٨٧٥ – ١٩٤٤)

اسقف بروتستنتي مؤرخ ومفكر روحاني عاش في بوسطن وكتب حول تقريب الابعاد بين الشرق والغرب . من مؤلفاته : « سفر بعيد » يصف فيه مصاعب الطريق الى الحقيقة الازلية و « المسيح السوري » ويلقي فيه اضواء على حياة السيد المسيح في فلسطين (بيت لحم والناصرة والجليل) والجو الشرقي الخاص الذي عاش فيه و « حكماء الشرق والغرب » الذي تناول فيه النقاط المشتركة بين رسل الروح على مستوى المعرفة الهادفة الى المطلق . وله مجموعة قصص « كنوز راسمولا المخبأة » .

في « السفر البعيد » يروي سيرته منذ طفولته في الشوير وانتقاله مع اهله الى بتاتر والاجواء المنعمة بروح الله التي عاش فيها حتى انتقاله الى اميركا واتصاله بانديتها . وله خواطر عنوانها « سبعة ايام مع الله » ينتقد فيها المدنية المادية التي غزت العالم وصرفت الناس الى الشؤون العملية على حساب التصوف الذي يرى فيه اس المسيحية باعتباره يسوع رائد الصوفية . وهو لا يعتقد بان العلم الحديث يتعارض مع الدين بل على العكس يرى انه يرتكز على اسس أثبت .

فيليب حتي (ولد في شملان سنة ١٨٨٦)

بعد ان تخرج من الجامعة الاميركية في بيروت سافر الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ فأكمل فيها دراسته الجامعية ونال الدكتوراه في التاريخ والآداب. كانت اطروحته ترجمة ونقد كتاب «البلدان» للبلاذري. ثم عيّن استاذاً للآداب السامية في جامعة برنستون واستمر هناك يبحث في تاريخ الشرق العربي ويكتب عنه. لما اصدر كتابه «تاريخ العرب» (المترجم الى عدة لغات) لمع اسمه كمؤرخ يتقصى الحقائق من مصادرها الاولى ويتناول الوجوه الحضارية في التاريخ اكثر مما يتوقف عند تسلسل الاحداث والحروب وسير الملوك. اسهم في دائرتي المعارف البريطانية والاميركية ببحوث عدة عن الشرق ولاسيما عن الموارنة والدروز. وحرر في مجلات علمية كثيرة تعنى بالتاريخ مثل «سبيكولوم» واقترن اسمه بالمجموعة الكبرى للمخطوطات العربية والفارسية والتركية المدونة في مجموعة «غاريت» الاميركية الشهيرة. وكتب فيما بعد تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين ورسالة في المذهب الدرزي. وتاريخ سوريا. وبحثاً حول اللبنانيين والسوريين في اميركا وهو ما يزال رغم سنه يزور الوطن الام في مواسم الصيف ليعود الى اميركا فيلقي محاضرات عن لبنان وقضاياه وقضايا العرب عامة ولاسيما قضية فلسطين.

من اطرف ما كتبه الدكتور حتي بعض مذكراته ايام الدراسة تحت السنديانة في مدرسة الضيعة. واثر الصدف في حياته. وهو يقول انه كان من حظه انه كسر ذراعه ذات يوم فكان ذلك سبباً لاتصاله الاول بالمؤسسات الاميركية فدخل المستشفى التابع لها. ولما رأى ابوه ان جسمه الناحل لم يمكنه من مساعدة اخيه النجار اشار عليه بان يستأنف الاتصال بالجامعة الاميركية ففعل واستطاع بذكائه ان يحصل على منحة تعليمية وانصرف الى التعليم مع اكماله الدراسة الى ان سافر الى اميركا للتخصص الجامعي فاضطرته الحرب ان يبقى فيها.

سلوم رزق

عرف بكتابه «اميركي سوري الاصل» وقد روى فيه سيرته فوصف حياته البائسة ايام الطفولة في بلدة متواضعة في البقاع وصوّر بيئتها باسلوب مؤثر. ثم ذكر كيف اكتشف وهو يتيم الاب ان امه تحمل هوية اميركية ويحق له بالتالي ان يحمل ذات الهوية ويسافر الى الولايات المتحدة. وهكذا

كان فعزم على ان يكون جديراً بجنسية البلد الكبير الذي انتسب اليه. فأكب على الدرس والكتابة حتى اصبح احد اللمع الحاضرين في الولايات المتحدة. انه يصف بالتفصيل الاجواء الديمقراطية الرحبة التي عاش فيها ويشير الى دور المغتربين الكبير في الحياة الاميركية.

حبيب كاتبه

كتب قصصاً عربية باسلوب فكه. ومن ابرزها «ليالي عربية اخرى». «قصص عربية وحكايات». و «الروح الجديدة في الاراضي العربية». اسهم بتحرير مجلات «ذو بروكلن ديلي ايغل» و «ذه بوسطن غلوب» و «ديترويت نيوز» بين ١٩٢٩–١٩٣٠ وكتب بالعربية مذكراته عن رحلته الى الولايات المتحدة.

اقاصيص حبيب كاتبه مستوحاة اما من التاريخ واما من الاساطير. يروي في احداها حكاية «حكم قراقوش» ومجالس «هارون الرشيد وابو النواس» ناهجاً نهج الف ليلة وليلة.

باحثون

ثمة كتّاب آخرون انصرفوا الى البحث التاريخي او العلمي كشارل عيساوي الذي الف في الاقتصاد السياسي وكتب تاريخ مصر والدكتورة نجلا عز الدين التي نشرت بحوثاً عن العرب وجميل مراد بارودي عضو الجمعية الاميركية للاقتصاد السيوي في نيويورك وقد حرر بصورة منتظمة في «آسيا مغازين» ونشر مجموعة قصائد وجدانية يتجلى فيها الحنين الى الوطن الام منها «بعلبك» و «الارز شجرة لبنان». واسكندر ايكاريوس مؤلف «لبنان في الجو السياسي المضطرب» وجورج خيرالله مؤلف «الاسلام ومحمد» و «الصحافة» و «العالم العربي» و «سيرة جبران» ومترجم «المواكب» الى الانكليزية. وانطوني فارس الذي نقل آثار جبران من العربية الى الانكليزية ووضع بحوثاً تحليلية عنه. وابو رجيله وسمية عطية وقد كتبا في تاريخ الشرق. وجون الياس حبيقه وقد كتب عن الحروب الاميركية.

وثمة شعراء نشروا دواوين او قصائد في مجلات مختصة تميزت بالنفحة الصوفية نذكر منهم مايكل حداد ومسعود سماحه وانطوني سعاده وماري دافيد (ديوانها عنوانه «العاري» وهو مجموعة اناشيد في الزهد والتوسل الى الله).

اما في الحقل العلمي الصرف فقد برز الدكتور غالب صليبي في بحوثه

في علم التناسل وتطوره في النسب والثقافة العنصرية وفي اساليب التوالد العنصري وحول الام والامومة. والدكتور فؤاد العقل واضع النظريات الجديدة في تطوير اساليب الجراحة ومؤلف «عندما يأتي الصيف» الذي يروي فيه سيرته وينتقد اساليب الطب التي تناقض تطور العلم الحديث. والدكتور مايكل دبغي جراح القلب الشهير ومؤلف عدة بحوث حول مصرف الدم. والدكتور مخايل جورج مالطي والمخترع كامل الصباح ولهما بحوث في الكهرباء وفي نظريات انشتين. ورالف نادر وهو ما زال حديث الصحافة الاميركية على اثر ظهور كتابه «غير مأمون في اية سرعة» الذي درس فيه قضية الامن بالسيارات والاخطار التي تتعرض لها بسبب قلة الدراية الآلية في الانتاج.

بالاسبانية والبرتغالية

عدا الصحفيين الذين أنشأوا صحفاً بالاسبانية او بالبرتغالية او حرروا في الصحف المحلية في اميركا الجنوبية: ثمة كتّاب عرفوا بهاتين اللغتين تأليفاً وترجمة: منهم بالاسبانية:

خوسيه منصور (١٩٠٩–١٩٦٥) وهو من مواليد الاورغواي وقد عين سفيراً لها في لبنان وتميز شعره بنفحة شرقية صوفية تجعل من الحب محور الوجود والكمال الانساني. يقول في احدى قصائده من مجموعة «رسائل الى ايلونا»:

رنت مزامير الذهب في الكروم. نضجت العناقيد
ما صعدت لتقطفها حين كانت تعيش الاعجوبة والغناء
سكتت مئات من اسراب السرور
والكرامون تركوا دورهم لانتظارك اسابيع
في طواحينهم وفي النواعير.

ايلونا تمثل حواء الخالدة رمز الحب الخالد. اما فكرة الوحشة فمبعثها ان العالم ما هو الا ممر.

يبدو شعره غامضاً احياناً لانه يجرده من الحواشي والتفاصيل ليحصره في طاقة المضمون.

الدكتور جورج قدوم: مغامر درس الطب ثم عمل في السياسة العربية قبل سفره الى الاكوادور مع الملك فيصل فصار مستشاره ولما تبدلت الاحوال فرّ الى جبل الدروز ثم الى مصر فاميركا حيث أنشأ مجلة وكتب بحوثاً بالاسبانية والعربية حول الشرق وبشر بمذهب روحاني اعتنقه هو مذهب الهيكليين

وطاف ينشد في اميركا الجنوبية تحت شعار : « رايتي الشمس . وطني الكون . ديني الحب . اسرتي البشر » . ومما يروى عنه انه كان في الارجنتين يوم قضى الزلزال على بيته في الاكوادور فانشد لا مبالياً :

دغدغ الزلزال بيتي فانحنى ... هكذا نبني بيوتاً تنثنى
انني بالحب ابني منزلي ... جاعلاً من كل قلب مسكنا
فانا من اول في ابد ... كل شيء زائل الا انا

لويس غارسيا موراليس : ولد في كاراكاس سنة ١٩٢٩ . اصله من عائلة سركيس من حارة صخر (كسروان) وهو شاعر طليعي له ديوانان « حياة حزينة » و « العودة الخالدة » ينهج فيهما نهجاً توفيقياً بين الرمزية والرومانتيكية وهو يعتبر ، حسب تصريح له يوم زار بيروت سنة ١٩٦٣ ، ان الشعر لا يكون اصيلاً الا اذا عبر عن الانسان في وضعه الخاص ومشكلاته الدائمة . الشاعر صدى بيئته وضمير جيله بدون تزمت اقليمي . وهو يرى ان من العبث محاولة فصل المبنى عن المعنى في الشعر . فكل موضوع يفرض شكله . وقد ترجم هذا الشاعر بعض الشعر اللبناني الحديث بالفرنسية الى الاسبانية ونشر في الملحق الادبي الذي يديره في جريدة الناسيونال الكبرى في كراكاس بحوثاً عن الحركة الادبية عندنا .

جورج كعدي : وقد نظم بالاسبانية ديوان « الاحلام » الوجداني وبالعربية « الكعديات » ، مجموعة قصائد قومية .

ومن الشاعرات البارزات « ميرا دلال » (واسمها الحقيقي اولغا شمس) وقد كتبت شعراً رومانتيكياً رقيقاً ولها عدة دواوين « الخالد » ، « الابيات الجميلة » وخليط من الشعر الطلق . ولينا شراره وليلى تفاع وقد نشرتا قصائد متفرقة في المجلات .

في المسرح : برز اليبرتو ضو وقد اسهم في نهضة المسرح الكولومبي المعاصر . من اهم انتاجه المسرحي « السيد بيروس المحبوب » . مسرحية مستمدة من التاريخ فيها نقد ساخر لمخلفات المجتمع . وله مجموعة حكايات ورواية عنوانها « روح الشر » تتسم بطابع التوجيه الخلقي .

اما الذين مارسوا البحث في مختلف وجوهه فعددهم كبير جداً بينهم انطونيو شدياق . صاحب « لبنان منارة الحضارة العربية » والفريد ابو زيد وقد الف في الشرع والاقتصاد ومانويل يونس . صاحب اطروحة « فلسفة في الثقافة » (التي كتبها هو نفسه بالعربية بعد رجوعه الى لبنان) وخوسيه لبكي وقد نشر عدة بحوث عن الشرق والثقافة العربية والتاريخ واصدر مجلة

ثقافية في كراكاس . والدكتور وليم نعمه الذي يعيش في المكسيك وقد الف تاريخ لبنان وبحوثاً عن الادب ، والخطيب الفذ حبيب اسطفان (١٨٨٠ — ١٩٤٩) الذي أتقن عدة لغات وقد كتب بالاسبانية في الارجنتين فنشر « وجدان لا سياسة » و « الشعوب الاميركية » وانشأ صحيفة « التمدن بالعربية » . أما في الثقافة العامة والتاريخ فبرز سالومون عبود واسكندر قرداحي وانطون الياس وجورج معنف وانطونيو حلو وسمعان عويس وفريد الخوري وحنا الداهوك وسليمان شاكر : صاحب مجلة « لا ليبانيسا » في سان دومانغو ؛ والامير امين ارسلان وقد حرر في « لا برانسا » في الارجنتين . وميشال جورج خوري .

وفي الترجمة من العربية الى الاسبانية ، عمل الكثيرون في نقل الأدب العربي الاصلي والأدب اللبناني المعاصر ولا سيا آثار جبران . من ابرزهم انطونيو شليطا صفير وقد ترجم « كليلة ودمنة » وقدم لها شارحاً مضامينها و « النبي » لجبران مع مقدمة عن المؤلف ، ويوسف الغريب وجميل شوحي وقد ترجما مختارات لجبران والريحاني وبعض ادباء المهجر . وقد جمع شوحي مختارات من ٣٣ شاعراً . وانتخب رئيس جمعية كتّاب تشيلي . وطانيوس جورج بستاني ، مؤلف « لبنان واللبنانيين في البرازيل » (بالاسبانية والبرتغالية) .

اما الذين كتبوا بالبرتغالية في البرازيل ولا سيا في الشعر . فكثيرون منهم :

الدكتور جميل حداد : وهو عضو في المجمع العلمي في ساوبولو وله عدة دواوين منها « صلوات سوداء » و « حبيبي التمر » . الاول من اللون الحزين استوحاه من مأساة امه وقد اغتيل ابوه قبل بلوغه الاربعين فاصطبغت حياة الشاعر وحياة امه بلون الدم . يقول في هذا الديوان :

كل شيء يصلي في هذا الكون حتى البومة
في نحيبها ما يشبه الصلاة
زهور الربيع آلامها ودموعها
في اضلاعها وخز الشوك وفي اهدابها قطر الندى .

اما ديوانه الثاني فرومانتيكي فيه بهجة وشروق . يقول في « وليمة الحب » :

في الوليمة الشهية التي تشتعلين فيها واشتعل
لأن كأس العذاب جذابة طاغية في جسمك المعطر
بالمسك والعنبر ؛ وفي دمك الصارخ ودمي اللاهب
في هذه اللحظة الضاجة بالشهوة ارانا شعلة تتبا شعلة

فرنسيسكو كرم : وله ديوان « ساعة المتعة » وقد تأثر فيه بلوركا

وبالأدب المهجري. وله كذلك بحوث في وصف مجاهل البرازيل. وهذا نموذج من شعره:

رأيتك شامخة شموخ الارز
تهوين علي وقد سحرتني
كما تهوي الشمس الغاربة في نفسي.

لقد سارت دنيا جبور على هذا النهج في شعرها وكذلك سلسون جورج في دواوينه «شرقيات» و«جمال الموت» و«غيم صحرائي».

وثمة شاعر ناشئ هو اسكندر ابن شفيق المعلوف وقد ترجم الوالد لولده قصيدة «انا البحر» شعراً عربياً جاء في مطلعها:

انا البحر ان اصخب مضيت مجرراً ... بذيلي اشلاء الضحايا ورائيا
ولو غمرتني بنجمة الصبح وارتمت ... ممرغة جسماً على الشط عاريا
لغرت عليها من صخور حضنها ... ورحت اعض الصخر بالشدق راغيا
فترتد عنه وهي تنفض خوفها ... رجوماً تهاوت واحداً ثم تاليا
هي القبل الاخرى تواصلني بها ... فتبدي على بعد ولكنها ليا

وفي القصة برز ماريو نعمه ونعيم ابو سمرا وباسيل غنام. وفي البحث توفيق قربان الذي هاجر الى البرازيل قبل الحرب الاولى وعلم في جامعة ساوباولو وقد اتقن عدة لغات: «الانكليزية والبرتغالية: على حد قوله، للخطابة والكتابة والفرنسية والاسبانية والايطالية للدرس والالمانية لتفهم ذاته والالمانية لمصلحة التجارية والتركية واليونانية والعبرية للاستعانة على درس اصول العربية». وقد كتب فصلاً بالانكليزية حول الاصول السامية في اللغة العربية واتصالها باليونانية. من آثاره البرتوغالية: «السوريون واللبنانيون في البرازيل» وهي نبذة عن تاريخ سوريا ولبنان منذ الفينيقيين حتى الحرب الاخيرة ومدى اسهام اللبنانيين والسوريين بالحضارة العالمية واسباب الهجرة وتطورها وواقع المغتربين بين الامس واليوم.

وفي نطاق البحث اللغوي وضع فؤاد نمر «شوارد البرتغالية وصلاتها باللغات الشرقية» ولا سيما العربية ووضع رشيد عطية قاموساً عربياً برتغالياً في ثمانية اجزاء. فضلاً عن دراسة حول العربية ولهجاتها وما اخذت عنها البرتغالية والاسبانية وسائر اللغات الاوروبية. وفي البحث العلمي، كتب جورج اليان نبذة عن تاريخ الطب العربي، واميل كارلوس بحوثاً اجتماعية وادوار دو يافت مذكرات حول سفرة قام بها الى امريكا الشمالية بعيد الحرب الاخيرة.

ولمنصور شليطا دراسات متنوعة كتبها في البرازيل منها «جبران في

حياته وآثاره » ، و «الادب العربي ينبوع جمال وغنى » ومدخل الى الادب العربي الحديث في مجموعة من هذا الأدب ترجمها باسلوب انيق دقيق هو نوع من اعادة الخلق على حد تأكيد النقاد ؛ كما ترجم عن جبران « النبي » و « يسوع بن الانسان » (وهذا الكتاب نفسه ترجمه الى الافرنسية في بيروت) وقد اسهم في الصحافة العربية ولا سيما «الاخبار» وفي الصحافة البرتغالية. وهو يعتبر ان ابراز الظاهرات العربية عامة في الحضارة واللبنانية خاصة افضل خدمة لقضايانا بالنسبة للعالم ولا سيما في وجه اسرائيل وخير سبيل لتعزيز تمسك المغتربين بالوطن الام.

اما المهاجرون الى البلاد النائية ، غير العالم الجديد ، فقد ظهر بينهم عدد من الصحفيين اسهموا في الجرائد والمجلات المحلية ولا سيما في اوستراليا وزيلندا الجديدة والهند. اما الادباء فقلة بينهم نذكر منهم في افريقيا الالمانية عزيز ضومط وفي افريقيا الغربية بعض شعراء داروا في فلك المدرسة المهجرية مثل خليل نخله وخليل فرحات وخليل فاخوري. وفي الصين الاب المرسل نقولا بارودي (١٨٦٣–١٩٣٠) قاموساً صينياً لاتينياً وكتب دراسات فلسفية برسم الطلاب الصينيين. وفي الفيليبين ظهر نجيب صليبي وسعيد تقي الدين.

اما عزيز ضومط الذي عاش في افريقيا الالمانية ثم في برلين بعد الحرب الاولى ، فقد انصرف الى المسرح فألف فيه بعض مسرحيات شعرية ونثرية في الالمانية نشرت في برلين وفيينا وقد استقى مواضيعها من التاريخ الشرقي ؛ نذكر منها : « ابن سينا » ، « راقصة إتيوم » ، « آخر الامويين » و « بلتزار ».

اما نجيب صليبي فقد اقترن اسمه بالادارة الاميركية في الفيليبين نظراً لابحاثه الاثرية وخدماته الطبية ولدرسه تنسية الشعوب في تلك الجزر. وقد كتب دراستين تاريخيتين عن « مورو » و « سولو » نشر الاولى في مانيلا سنة ١٩٠٥ وقال في مقدمتها : « تاريخ ميندانااو قبل الاسلام حافل بالتقاليد والاساطير لكن شيئاً منها لم يسجل بعد » فقام هو بهذه المهمة استناداً الى الحفريات والآثار ودون معلوماته وانطباعاته باسلوب علمي لكنه طلي.

اما سعيد تقي الدين (١٨٩٤–١٩٦٠) فهو وان يكن قد نشر كل مؤلفاته في لبنان ، فانما تمخض بمعظمها في الفيليبين حيث قضى زهرة حياته. سافر اليها بعد تخرجه من الجامعة الاميركية ١٩٢٥ ثم عاد الى لبنان في اوائل سنة ١٩٤٧ ليسافر الى المكسيك سنة ١٩٥٨ ثم الى كولومبيا حيث مات في جزيرة سانت اندرز.

سعيد تقي الدين يكتب كما يتحدث. لا تعمل ولا حذلقة. الحوار

الرشيق العفوي يسود اقاصيصه ومسرحياته ويطفح بالدعابة البريئة حيناً واللاذعة احياناً. وهو يشتق اللفظة المعبرة على هواه عندما يعجز القاموس عن تلبية التعبير في احتدام التوتر او الانفعال.

بطل اقاصيصه هو نفسه اولاً ثم اخوان له عايشهم عن قرب. هنا فلاح من بعقلين او رفيق من رحلة او اخ مجهول عصامي تحدى القدر او بائس تخلى عنه الدهر والبشر. انه يعرف كيف يصور الدقائق بحيث يوهم القارئ بالواقعية الحية.

أدبه ينبض بالأحاسيس الطريفة التي يعبر عنها باسلوب شفاف. كتب في السياسة والقصة والمسرحية والاجتماع ومن ابرز آثاره: «لولا المحامي». «خب العدو». «حفنة ريح». «غابة الكافور». «رياح في شراعي»[1].

وهذا نموذج من ادبه:

«حين فتحت عيني وتحققت اني اصبحت من اهل هذه الفانية علا صراخي فغمرته امواج من زغاريد النساء وحداء الرجال ابتهاجاً بقدومي. وسألت من هؤلاء الفرحين بلقاء من لا يعرفون فقيل انهم دروز. فاحببتهم ولم ازل. واني اعترف. وقد طهرت نفسي من اي تعصب طائفي: ان ليس في الدنيا ما يهز من اعماق نفسي اوتارها مثل سماع طقطقة القباقيب الدرزية الصلبة القاسية. وان مدن العالم وقراه ودساكره تكبر اهميتها او تضؤل بنسبة قربها الى «بعقلين» او بعدها عنها.

... في الفيليبين عشت – ومت – ٢٢ سنة ونصف. وهناك استوردت كل ما تعرف من اصناف البضاعة. فتحت محطة بنزين. فتحت سينما. كنت دواراً اي بائعاً متجولاً. ابحرت. طرت. سافرت على الخيل. ركبت على الجاموس. اغتنيت. افتقرت. لعبت بالبورصة. فتشت عن الذهب. سوكرت حياتي لانتحر. افلست ودفعت ديوني. جعت. اتخمت. حبسني اليابانيون ٥٣ يوماً خلال الحرب. واجهت الموت في اكثر الاحيان مختبئاً».

ه

ويستمر احفاد واضعي الابجدية في اداء رسالة الحرف والانفتاح على الحضارات العالمية والعطاء الفكري والجمالي تحت كل سماء نشراً لاشعاع بلد شاءوه كما شاءته الطبيعة محور لقاء القارات والاديان والثقافات وينطلقون منه، دون ان ينسوه. كما تنطلق طيور السلام.

---

(١) لم نذكر الآثار وضع تصنيفه او كتبه او نقحه في ديار الاغتراب.

رسائل لويس مسينيون الى الاب لويس شيخو

نشرها وعلّق عليها الاب كميل حشيمه اليسوعي

عثرنا بين اوراق الأب لويس شيخو على اربع عشرة رسالة كتبها اليه المستشرق الكبير المرحوم لويس مسينيون (١٨٨٣–١٩٦٢): وجدناها تزخر بالفوائد كما لا يتيسر الا في التحف النادرة: فاحببنا ان ننشرها ونعلق عليها ليتسنى للملأ الاطلاع عليها والغرف من فيض معينها.

كُتبت هذه الرسائل جميعها بالفرنسية بين سنة ١٩٠٨ واوائل سنة ١٩١٤: اي خلال الفترة التي عقبت اهتداء مسينيون الى الدين ورافقت انشاء اطروحته عن الحلاج الصوفي الشهير (٩٢٢ †): فتدور اغلبية مواضيعها حول هذا المتصوف وآراء مسينيون فيه وانفعالاته لِما يطرأ عليه ابان انشاء اطروحته او لما يمت بصلة قريبة أو بعيدة الى هذه الأمور: ويبدو لي ان مثل هذه الصفحات توفر للمطالع معلومات غزيرة ليس عن الحلاج ونظرة مسينيون اليه فقط، بل وبخاصة عن شخصية المستشرق الكبير ايضاً[١].

اول ما يسترعي الانتباه في هذه النصوص موقف مسينيون من مسألة الحلاج. فان الرسائل توضح بفضل عفويتها ما طالما دار في خلد كاتبها

---

(١) ومما تفيدنا به هذه الرسائل انها تسند فوائد على نواحٍ هامشية ذات شأن، كأن تبين بوضوح الصداقة الوثيقة التي كانت تربط المستشرق الناشئ والمهتدي الجديد بالعلامة الشرقي والراهب الكهل شيخ الذائدين عن المسيحية في الشرق: فانك تكاد لا تجد رسالتين او ثلاث من المجموعة لا يستهلها الكاتب بإحدى العبارات التالية: حضرة الأب الجزيل الاحترام والصديق الحميم، حضرة الأب العزيز والصديق الغالي، حضرة الأب والصديق العزيز، أبت وصديقي الجليل (Très Révérend Père et ami, Très cher Père et ami, Cher Père et ami, Très vénéré Père et ami). وهذه الصداقة التي يكنها مسينيون لشيخو مقرونة بتقديره العميق لسائر نشاطاته، الأدبية منها والرسولية.

عن بطل اطروحته ولم يجهر به ، فانه لا يدرسه كموضوع علمي فقط ، اي من باب مقارنة الأديان لانه يرى فيه صوفياً ضارعت بعض معتقداته معتقدات المسيحيين ، بل لأنه يرى يديه حجة حية . بها « يود ان يبين للمسلمين المخلصين الذين يعرفهم ويحبهم انه قام بينهم اناس دفعهم الاجتهاد والسجن الى الايمان بيسوع المصلوب »[١] .

الحلاج في نظر مسينيون كان على النصرانية (رسالة ١) لأنه كان يرنو الى التشبه بالمسيح لينال بواسطته حلول روح الله فيه (رسالة ١٢) . كان على النصرانية ، النصرانية بالشوق ان لم تكن النصرانية بالفعل . لأنه تكلم عن الناسوت واللاهوت كما يتكلم عنهما النصارى (رسالة ١ و ١٤) ولأنه نوه بضرورة التعلق بروح الدين لا بالحرف (رسالة ١) ولأنه قال بضرورة التوبة للجميع ؛ كما وانه تكلم عن بذل الذات الكلي بأسلوب لا يُعهد الا في من كانت فيهم روح النصرانية (رسالة ١٤) . كانت حياة الحلاج نصرانية ، اقتّه بالروح ؛ وكذلك موته على الصليب كان موتاً نصرانياً . به اقتدى بالمسيح (رسالة ١٤) ؛ به يرى مسينيون برهاناً ليثبت للمسلمين حقيقة صلب عيسى بن مريم (رسالة ١٤) .

ويتبادر الى الذهن بعد هذا العرض وجهٌ للشبه بين شيخو ومسينيون . جعل الاول من اعز اهدافه في الحياة ابراز دور النصرانية بين العرب لإعلاء شأنها في أعين المسلمين ، فجمع ما نظمه « شعراء النصرانية » قبل الاسلام وبعده ، وصنف في مجلة « المشرق » المقالة تلو المقالة ليبني صرح « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » . اما الثاني فقد انبرى بدوره يواجه الاسلام ولكن من ناحية اخرى ، ليس عن طريق الأدب والشعر بل عن طريق التصوف ، ليس بتسنّم الجدل والانتصار المتحجر للعقيدة ، بل بالنزول الى اعماق نفس عابد هائم بربه كابد من اجله الذل على اشنع وجه .

اراد شيخو ان ينتصر لدينه وكذلك اراد مسينيون ولكن الأخير كان ابعد شيء عن كل ما يُستَشف منه روح التعصب . لا جدال عنده ولا مماحكة . إن هو ابتغى للمسلمين ان يتعرفوا الى دينه ، فلأنه واثق من انهم مثله ابناء ابراهيم ولأنه يريد ان يشاركوه النعمة التي يرتع فيها . فكما ان المسلم الحق يود من صديقه المسيحي ان يُسلِم لله مثله ، كذلك المسيحي المخلص يبغي لصديقه المسلم ما هو فيه من معرفة الله في سر تواضعه متجسداً

(١) الرسالة ١٢ . التشديد منا .

وفادياً . إنّ هذا الضرب من البغية الا صورة من صور المحبة ، وشأنها شأن هذه المحبة ، تكون بعيدة ايما بعد عن الدعاوة الملحاح لأنها تحترم حرية النفس ، وهي بعيدة كل البعد عن التعصب لأنها لا تبتغي السيطرة بل الخدمة في التواضع . قال مسينيون في احدى رسائله (رقم ٨) : « احمد الله كل يوم لأنه تنازل واظهر لي (...) انه ما من معلم الا يسوع المسيح . وما هذا بتعصب[١] لأنني بانضمامي الى « انسان الآلام »[٢] لمناهضة الخطيئة . ضممت الي . مع صليبه ، كل آلام البشر » .

لم يكن مسينيون متعصباً وهذا ما لم ينكره عليه احد ، ولكن مزيته هذه ليست الا واحدة من عدة . فمن طالع رسائله يجد نفسه في اجواء كأنها ليست من اجواء هذه الدنيا ، فالروحيات من كل صوب ، عميقة الغور ، مترامية الأبعاد . هذه الصفحات مليئة بالايمان الفياض المندفع لا يلين من شدته الا تواضع المتوكل الواثق ؛ انها تطفح بالمحبة الولهى لشخص المسيح وكنيسته ، وتمتزج بالصلاة الدائمة والتعبد للقديسين رواد الانسانية التائبة ، وتنشرح بالتسليم التام لمشيئته تعالى .

من الناس مَن يحتاجون الى مئات الصفحات ليفصحوا عن مضمون افكارهم ويظهروا حقيقة نفسيتهم ؛ ومنهم مَن اذا خطوا سطراً واحداً اثقلوه معاني وانطقوه بمكنوناتهم . الرسائل الآتي نصها هي من النخبة الثانية : غنية مشبعة على ايجازها ، بعيدة المدى ، يطل من وراء كل منها وجه مسينيون النير وشخصيته الفذة وروحه السمحاء[٣] .

---

(١) هذه الكلمة هي في الأصل بالعربية .

(٢) اي المسيح المتألم من اجل البشر .

(٣) فيما يلي الاصطلاحات التي اعتمدناها للدلالة على بعض مصادر البحث :

« سيرة » = Massignon, *La passion d'Al-Ḥallāj*, 2 tomes, Paris, 1922.

« ديوان ١ » = Massignon, *Le Dīwān d'Al-Ḥallāj*, *Journal Asiatique*, janvier-mars, 1931.

« ديوان ٢ » = H.M. Ḥallāj, *Dīwān*, traduit et présenté par Massignon, Paris, 1955.

EI = *Encyclopédie de l'Islam*, (1re éd.) ; *EI²* = *Encyclopédie de l'Islam*, (2e éd.).

(١)

91 R. de l'Université
Paris

Très Révérend Père et ami [1]

J'espère que cette lettre vous trouvera en parfaite santé.

Je rédige en ce moment mes notes sur la crise d'âme du Ḥallāj [2] الحسين بن منصور بن محمي [3] الحلاج.

Elle m'a tellement aidé — si providentiellement. — que je le lui dois bien [4].

---

(١) يخبر ماسينيون صديقه الأب شيخو في هذه الرسالة بأنه تبين له الآن أثناء أطروحته عن حلاج أن هذا الصوفي قد توفي على « المسيحية » ، ويعطي في ذلك عدة براهين .

(٢) يقول ماسينيون انه منصرف الآن الى درس « ازمة الحلاج النفسية » . ما هي هذه الأزمة ؟ الجواب نجده في « سيرة » : ص ٦٠–٧٥ حيث نطلع على بعض ما كابده الحلاج في سني تنشئته الدينية من صعوبات . فانه كان يجد نفسه في « حالات » روحية يصعب خلالها ان أصوات ربه تجيبه ويثير ذهنه حول مشكلات يختلف في تأويلها معاصروه السنيون . اما هم فلم يكونوا يعيرون مثل هذه الحالات اي اهتمام . وفيما يلي بعض ما قاله ماسينيون بنصه الفرنسي عن هذه الأزمة :

« (... Ces textes dont nous venons de parler) nous permettent de saisir parfaitement l'état de conscience initial d'al Ḥallāj (...); c'est, activée par une vie d'ascète stricte. — nourrie à la Mekke même. dans un milieu sunnite. — la formation d'une *crise de conscience**, — d'une vocation mystique. Les événements intérieurs de son âme le mettent en présence de *ḥâlât*, faveurs divines. de "touches" directes de Dieu. (...) il entend des paroles "divines" qu'il note. il y voit un criterium de vérité pour trancher les controverses pendantes. parmi les traditionnistes, sur divers points du culte, — et il ne trouve. auprès de ses maîtres sunnites. aucun appui. Comme pour al Jonayd. les grâces divines intérieures n'ont. pour al Makkī, ni signification, ni valeur, ni utilité. »

* C'est nous qui soulignons.

(٣) هكذا في النص ، والصواب « يحيى » بالياء المهملة . راجع « سيرة » : ص ١٠ ، سطر ١٦ و *EI* ، مقالة « *al-Hallādj* » .

(٤) يقر ماسينيون بانه مدين لأزمة الحلاج النفسية لأنها ساعدته . ولعل خير ما يفسر هذا الاعتراف هو النص التالي كتبه الاستاذ روجيه أرنلدز (R. Arnaldez) المستشرق الفرنسي في :
La Spiritualité de Louis Massignon, dans *Mémorial Louis Massignon*, Dar El-Salam. Le Caire, 1963. pp. 12-13:

« Très tôt Louis Massignon a senti dans la spiritualité hallagienne, le lien qui, en ouvrant l'Islam sur le Christianisme, permettrait de donner un sens et une vérité à l'unité du monothéisme abrahamique. pour le plus grand bien de l'Islam et du Christianisme: car le danger qui guette l'Islam. c'est un pur légalisme; celui qui guette le Christianisme, c'est un pur théologisme à base de philosophie grecque; mais si à travers Ḥallāǧ, Louis Massignon découvre un essentiel désir de l'Islam vers l'amour, au-delà de la pure loi, durcie et arrêtée, il arrive à comprendre toute la richesse d'amour que renferme le Christianisme. au-delà des formules gréco-latines de sa théologie elles aussi durcies et arrêtées. »

ومفاد كلام ارلندز ان اكتشاف الروحانية الحلاجية قد فتح لماسينيون ابواب معرفة المسيحية والاسلام حق المعرفة ، فان ما لاقاه الحلاج المتيم بحب ربه من مقاومة على يد بعض المتزمتين

Preuves de son christianisme final [1] :

Al Balkhī dit qu'il enseignait *l'imitation du Christ* — Et il fut crucifié [2] . Vers de lui [3] :

سبحان من اظهر ناسوتُه سِرَّ سناء لاهوته الثاقب

ثم بدا في خَلْقِه ظاهراً في صورة الآكل والشارب [4] (L'Eucharistie)

*حتي [5] لقد عاينا [6] خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

* Mal traduits par Kremer, faussés là et ailleurs [7].

لمتحيرين من أهل السنة قد جعل المستشرق على بينة من ابعاد غبة الحقيقة في الدين الاسلامي وبالتالي من ابعادها في المسيحية ايضاً ، فكأني به رهين القفص الحلاج يزداد تمسكاً بدينه من فرط ما وجده في دين هذا المسلم من سمو وغنى .

(١) يصرح مسينيون هنا بأن الحلاج صار في النهاية على النصرانية ، الا انه لا يعني بذلك انه اعتنق المسيحية اعتناقاً ظاهراً ، متزيناً بسائر معتقداتها ومارساً مختلف شعائرها ، فمراده ان الحلاج كان مسيحياً « بالشوق » على حد قول علماء اللاهوت ، وهذا ما يتضح من خلال الرسالة ١٤ حيث اتى مسينيون بعدة براهين تثبت – في نظره – ان الحلاج كان مسيحياً بالشوق (chrétien de désir) وانه من المحتمل انه لم يحرم عماد الشوق (baptême de désir) . كذلك فانه تكلم عن مسيحيته الضمنية (christianisme implicite) في الرسالة ١٢ .

(٢) قال ابو زيد احمد بن سهل البلخي (٩٣٤ +) في كتاب « الصور والاقاليم » ما نصه : « فمن عرف من هؤلاء (اي اصحاب البدع) واشتهر ذكره الحسين بن منصور المعروف بالحلاج من اهل البيضاء ، وكان رجلاً حلاجاً ينتحل النسك فما زال يرتقي به طبقاً عن طبق حتى انتهى به الحال الى ان زعم ان من هذب في الطاعة جسمه واشغل بالاعمال الصالحة قلبه وصبر على مفارقة اللذات وملك نفسه في منع الشهوات ارتقى به الى مقام المقربين ثم لا يزال يتنزل في درج المصافاة حتى يصفو عن البشرية طبعه فاذا لم يبق من البشرية نصيب حل فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم » . (راجع كتاب « المسالك والممالك » للاصطخري ، طبعة ليدن ، ١٨٧٠ ، ص ١٣٨–١٣٩) . – اما صلب الحلاج فتم في ٢٦ آذار سنة ٩٢٢ .

(٣) راجع « ديوان ١ » ، ص ٤١ .

(٤) هكذا في الرسالة . وهذا الخطأ حمل على مسينيون الوصل بين فكرة « الآكل والشارب » وفكرة سر الافخارستيا (Eucharistie) الذي أعطى به المسيح جسده ودمه مأكلاً ومشرباً لتلاميذه . اما الصواب كما في « ديوان ١ » اي « في صورة الآكل والشارب » : وقد انتبه مسينيون في « ديوان ٢ » ص ٥٠ : الى ان هذه الفكرة مقتبسة من القرآن ٥ : ٧٥ حيث جاء عن عيسى ومريم انهما « كانا يأكلان الطعام » .

(٥) والصواب « حتى » بالياء المهملة .

(٦) والصواب عاينه .

(٧) نقل كريمر المذكور هذه الأبيات الى الالمانية مشوهة المعنى فقال ما تعريبه : سبحان (العلي) الذي اظهر لنا ناسوته وستر لنا سناء لاهوته الثاقب ثم بدا في الخليقة ظاهراً في صورة الانسان .

« Preis dem (Allerhöchsten) der seine Menschkeit (nāsut) uns schauen liess und den durchdringenden Glanz seiner Gottheit (lāhut) uns verhüllte. Dann aber offenbarte er sich auf Erden in menschlicher Gestalt. » — A.V. KREMER, *Geschichte der herrschenden Ideen des Islams*, Leipzig, 1868, s. 71.

etc., etc.

Il rejette le ḥajj (paganisme) et le djihād [1] (Suppl. à Ibn Khallikan autog. par Wüstenfeld) [2]. Son procès a été truqué doublement 1° par les sunnites officiels qui l'ont condamné illégalement — soutenus par les calomnies des chi'ites qui en (*sic*) avaient besoin de lui, Ḥallāj — comme دجّال الأكبر — pour l'apparition de leur mahdi — Messie (ceci démontré par div. sources). [3]

2° par les ṣoufis panthéistes postérieurs, amateurs du néant boudhique, — et qui, désireux de trouver un martyr pour patron de leur triste secte (le martyr de Shams ed Dīn Tabrīzī étant trop suspect [4], et celui de Sohrawardi peu intéressant) [5], — ont truqué l'interprétation de ses sentences et ont faussé (sans réussir heureusement) sa biographie [6].

J'en fais ma thèse de doctorat (annoncée ap. Bull. Ecole des Htes Etudes de la Faculté des Lettres de Paris 1907 [7] par mon maître Hartwig Derenbourg) [8] —, et en parlerai au Congrès de Copenhague [9], ان شاء الله

---

(١) يقول ماسينيون ان الحلاج لا يقبل بالجهاد وكذلك فانه ينوه ببطلان الحج لأنه موسوم بطابع وثني. الا ان الحال غير ذلك. فقد انتبه ماسينيون فيما بعد الى السبب الحقيقي الذي دفع الحلاج الى مناهضة الحج وغيره من الفرائض الاسلامية: فانه، شأنه في ذلك شأن سائر الصوفيين، كان ينادي بتسامي النية على اعمال اثناء القيام بالفرائض الدينية وان هذه انما هي وسائط بين الانسان وبين الله لا غايات ويمكن استقاطها اذا ما تبين انها عائق للاتحاد بالله. فيكون انها من النوافل لا من الموجبات (راجع «سيرة»، ص ٢٧٥ وما بعدها، ص ٥٨٧؛ ٧٣٦ الخ ...).

(٢) الكتاب المعني هنا هو «وفيات الأعيان» للقاضي ابن خلكان.

(٣) راجع تفصيل ذلك في «سيرة»، ص ١١٢–٢٩٠ و ٣٤٤–٣٥٢.

(٤) هو مرشد جلال الدين الرومي. عاش في القرن السابع الهجري. قيل انه قتل على يد زمرة من بينها احد ابناء جلال الدين، الا ان هذا الخبر وغيره من الاخبار التي رويت عن مقتله لم يثبتها الثقات.

(٥) هو شهاب الدين يحيى السهروردي الملقب بالمقتول للدلالة على انه لا يجوز اعتباره شهيداً. قتل بأمر من الملك الظاهر سنة ٥٧٨ هـ.

(٦) في القرن السابع الهجري نادى مذهب الوحدانية او الوجودية بوحدة الوجود («وجود المخلوقات عين وجود الخالق») وذلك انطلاقاً مما نسب الى بعض الصوفيين المتقدمين كالحلاج والبسطامي. الا ان الحلاج كان من مثل هذه الحلولية براء (راجع *EI*, art. *Taṣawwuf*: 718).

(٧) اخطأ ماسينيون بشأن التاريخ: فالسنة هي ١٩٠٨ وقد ذكرت الاطروحة في ص ٧٣ من مجلة مدرسة الدراسات العليا (Annuaire).

(٨) مستشرق فرنسي (١٨٤٤–١٩٠٨)، كان استاذاً في مدرستي اللغات الشرقية والدراسات العليا.

(٩) المؤتمر المعني هو المؤتمر الدولي الخامس عشر للمستشرقين المنعقد في آب ١٩٠٨. لم يتكلم فيه ماسينيون عن الحلاج بل عن موضوع آخر.

Avec tous mes souhaits affectueux

Votre cordialement dévoué

Louis Massignon

M. [1] 21.VII.08
Ste Praxède
La Ville Evêque en Pordic
Côtes du Nord.

---

(٢)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père,

J'espère que cette lettre vous trouvera en bonne santé. Je suis en train de fort avancer ma thèse de doctorat (Université de Paris) sur al Hallādj. A ce sujet je vous serais bien reconnaissant de me faire connaitre:

1° si l'on peut avoir un tirage à part ou une copie manuscrite de la notice de Bostanī [2] sur al Hallādj ap. *t. VII, pp. 150-154* دائرة المعارف dont je n'ai recopié qu'une partie à la Mirdjāniyeh de Bagdād, pensant pouvoir la compléter à Paris, — où la bibliothèque de l'École des Langues Orientales ne possède que les 3 premiers tomes, — se réservant d'acheter le reste quand *tout* sera paru!

2° dans cette notice sur al Hallādj, Bostanī utilise un *ms.* inconnu du Qazwīnī, dont je n'ai trouvé trace ailleurs que dans le Mirāt az zamān du Sibt Ibn al Djawzī [3] à Londres (British Museum, ms. Or. 4619); ce Qazwīnī, je l'ai identifié: c'est un ḥanifite mo'tazilite, le qādhī Abou Yoūsuf 'Abd as Salām al Qazwīnī (né 411/1020, † 488/1095) —, auteur d'une monographie sur al Ḥallādj [4].

Mais où est passé le ms. dont Bostanī s'est servi? Y aurait-il moyen de savoir si Souleïman Bostanī [5] en a hérité? Ce manuscrit a une importance capitale pour ma thèse et je vous serais profondément reconnaissant des moindres informations que vous auriez glanées sur son sort.

---

(١) الثلاثاء ٢١ تموز ١٩٠٨ .

(٢) نشر المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ – ١٨٨٣) الأجزاء الستة الأولى من «دائرة المعارف» الشهيرة . اما الجزء السابع فقد نشره ابنه سليم .

(٣) هو شمس الدين يوسف المعروف بـ «قزاوغلو» او السبط ابن الجوزي (توفي سنة ١٢٥٧) .

(٤) صحح ماسينيون فيما بعد تاريخ ولادة القزويني الذي اورده هنا فجعل مولده سنة ٣٩٣ / ١٠٠٢ . راجع «سيرة» ، فصل ١٥ ، ص ١٦ .

(٥) هو صاحب تعريب «الالياذة» (توفي سنة ١٩٢٥) وقد ساهم في نشر الأجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر من «دائرة المعارف» (١٨٨٧–١٩٠٠) .

Il y a dans l'édition du Qorān d'Hinckelmann (1694) [1] une préface latine, — avec un passage bien intéressant sur une question que l'on n'a jamais, je crois, traitée à fond, — et qui est si curieuse... Jugez-en:

« Et quid tandem dicemus, de admiranda veritatis vi, quae jam in aulam Imperatoris Turcici se penetravit, — ut qui humanissimi et acceptissimi in eadem habentur, jam Christum verum deum et redemptorem mundi publice profiteri incipiant... adeo ut nata indesit jam peculiaris secta quae شعوب المسيح audit... ». Source: Paul Ricaút, anc. consul de Smyrne pour Guillaume IV (lisez III) roi d'Angleterre — (ap. the History of the present state of the Ottoman Empire, II, c. XVI, p. 244) [2].

Daignez agréer, très Révérend Père, l'hommage des prières indignes que j'offre à Dieu en union avec les vôtres.

Paris, ce V. 5 II/IX. Louis Massignon †.

(٣)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père [3]

Je vous remercie beaucoup de votre lettre. Je pense que votre المختار في كشف الأسرار est l'ouvrage du Djawbarī [4] († ap. 618/1221), dont j'ai examiné un exemplaire à la Bibliothèque Nationale de

(١) Abraham Hinckelmann. *Al-Coranus. s. Lex Islamitica Muhammedis, filii Abdallae...*, Hamburg, 1694.

(٢) طُبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٦٦٨. وفيما يلي تعريب لبعض ما جاء فيه عن البدعة التي يدعوها سينيون «شعوب المسيح»: «قامت منذ بضع سنين بين الأتراك بدعة جديدة يعتنقها ويؤيدها في الخفية نخبة من رجال الفكر في البلاط وقد انتشرت في القسطنطينية انتشاراً سريعاً والذين ينتمون اليها يدعون Chupmessihis أو تلامذة المسيح. وهم يقولون بأن يسوع المسيح هو الله وانه فادي العالم الحقيقي...» وهنا لا بد من الاشارة الى غلط وقع فيه سينيون فصدق أن Chup تعني «شعوب»، بينما هي كلمة «حب» المعربة المستعملة في التركية. وقد جعل Ricaut الحرفين C H تأدية صوت الخاء المعدوم في اللغات الاوروبية.

(٣) جلّ الرسالة يدور حول الجوبري وما قاله عن الحلاج في كتابه «المختار في كشف الاسرار». وسبب انشاء هذه الرسالة هو، كما يستخلص من مضمونها، ان شيخو بعث الى سينيون بكتاب فاتحه فيه عن الجوبري ومؤلفه «المختار في كشف الاسرار»، وكان شيخو يعد العدة لنشر هذا المؤلف وقد باشر بالواقع نشر قسم منه على صفحات مجلته ابتداءً من آذار ١٩٠٩ (راجع «المشرق»، ١٢: ١٨٦، ٢٩١، ٣٦٩ الخ...).

(٤) هو عبد الرحمن (وقيل عبد الرحيم) عمر (وقيل بن عمر) الجوبري، من نواحي دمشق؛ لا يعرف عنه سوى انه كان مدة في خدمة السلطان مسعود احد ملوك بني أرتق وصاحب آمد.

اما كتابه فمعروف تحت عدة عناوين اشهرها «المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار»، به يبين اسرار النصابين ومكايد الدجالين.

Paris (cod. 4640) — La notice sur al Ḥallādj (p. 12a) est très courte, et empruntée à des sources très altérées (date erronée, nom d'un vizir estropié), comme le prouvent les trois pièces de vers annexés. Elles sont toutes très connues (sauf la dernière, قصيدة في الاخفا, dont il ne donne que les deux premiers vers [1]:

يا طالما غبنا عن اشباح النظر بنقطة تحكي ضياها القمر
من سمسم بسيرج واحرف ياسمين فوق جبين قد سطر

Peut-être votre ms. en donne-t-il davantage [2] ? Plus loin pp. 22b - 23b je trouve des notices très partiales (hostiles) et très sommaires sur les رفاعية ، حيدرية ، جوالقية ، حريرية [3].

La citation des Ḥaidariyah, fondés au XIV[e] siècle [4], celle

---

(١) تكاد اخبار الحلاج في كتاب الجوبري لا تتعدى العشرين سطراً بما فيها القطع الشعرية الثلاث المذكورة . أما القطعتان الأوليان فيها ، كما قال ماسينيون ، فتختلفان عما عهدنه في مصادر اخرى ، وفيما يلي نصها حسب مخطوطة شيخو (المكتبة الشرقية ، ٢٤٨ ، ص ١٣ ألف) :

١) وحرمة الود الذي لم يكن يطمع في افساده الدهر
ما نالني عند نزول البلا - جهد وما مسني الضر
ما قد لي عضواً ولا مفصل الا وفيه لكما ذكر

(قابلها « بديوان » ، ص ١٢٨)

٢) من اطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا
وعاقبوه على ما كان من زلل وابدلوه مكان الأنس ايحاشا

(قابلها « بديوان » ، ص ٣٢)

اما القطعة الثالثة المدرج بعضها في الرسالة ، فقد اوردها ماسينيون فيما بعد على الوجه التالي (« ديوان » ، ص ٣٦) :

يا طالما غبنا عن اشباح النظر بنقطة تحكي ضياؤها القمر
من سمسم وشيرج واحرف وياسمين في جبين قد سطر
تمشوا ونمشي ونرى اشخاصكم وانتم لا ترونا يا دبر

(٢) يحتوي مخطوط شيخو على البيت الثالث « تمشوا ونمشي » محرفاً بعض الشيء .

(٣) لا فرق عند الجوبري بين المشعوذين الدجالين واصحاب الفرق التي يعددها ماسينيون ، فالرفاعية في نظره ، هم الذين كراماتهم اكل الحيات والنار (...) وان احدهم لا يبقى يوماً واحداً بلا اكل حشيش فاذا اكلها اختلط عقله وسولت له نفسه كل قبيح ، والحيدرية هم مزورون يتعاطون الفواحش تحت ستر التصوف والجوالقية هم « الذين يلبسون الجوالق ويحلقون لحاهم وهذه بدعة ابتدعوها » ؛ اما الحريرية فقد سميت هكذا نسبة الى الشيخ علي الحريري الذي « اتلف اولاد اهل دمشق وقد كان اصل مذهبه انه يقول لمن يتمذهب له لا تمنع النفس شيء من شهواتها » .

(٤) عرفت الحيدرية منذ القرن الثالث عشر (راجع « دائرة المعارف » لبطرس البستاني ، ٧ : ٢٧٢) .

d'un certain al Wāsiṭī mort, selon le ms. lui-même en 627 (1230) (p. 18a)[١] prouvent nettement que ce كتاب المختار في كشف الاسرار وهتك الاستار[٢] n'est pas d'al Djawbarī, ou tout au moins n'a pas été écrit par lui sous la forme donnée par le Cod. B.N. 4690, et que la notice de Brockelmann (*Gesch.* I, 497) le datant de l'an 613/1221 est *inexacte*[٣].

Au sujet de سليمان بستاني, je serais très heureux d'être mis en relations avec lui pour tâcher d'obtenir quelques renseignements sur le ms. du قاضي القزويني[٤].

Quant à la notice de la دائرة المعارف, je tiens à votre disposition le prix d'une copie de l'article « Hallage », car je n'en ai copié moi-même qu'une partie à Bagdad, et ce vol. de l'Encyclopédie est introuvable à Paris[٥]. Merci d'avance.

Agréez, je vous prie, avec tous mes vœux, les prières indignes que je formule pour vous devant Dieu.

Paris, M. 17/III/IX. Louis Massignon †

(٤)

Très Révérend Père,

Je vous suis vivement reconnaissant de votre envoi et vous en expédierai le montant dès mon retour à Paris[٦]. J'ai vu Soleyman al Bustānī au sujet du ms. dont je vous avais parlé[٧]. J'ai été très heureux de me retrouver ici avec le P. Lammens[٨], grâce à une indication de Goldziher[٩].

J'ai trouvé aussi le 3e vers de la قصيدة في الاخفا dans le ms. de Djawbarī à S. Bayazid. Mais c'est inintelligible[١٠] !

(١) جاء في مخطوط شيخو ان وفاة الواسطي كانت سنة ٦٢٩ (ص ١٨).

(٢) هكذا في الرسالة. والصواب « هتك » بالتاء.

(٣) لم يقل بروكلمن ان الجوبري انشأ كتابه سنة ٦١٨ ولكنه اثبت ان هذا المؤلف كتب للسلطان مسعود الذي تولى الحكم سنة ٦١٨. وقد خلط ماسينيون من شدة حكمه على بروكلمن في « سيرة » : ف ٥ : ١ ، ص ٢٢ : حيث قال ان الجوبري كتب حوالى سنة ٦١٨.

(٤) راجع الرسالة السابقة.

(٥) راجع الرسالة السابقة.

(٦) طلب ماسينيون الى شيخو ان يستنسخ له مقالة « دائرة المعارف » عن الحلاج (راجع الرسالة السابقة) : فلبى شيخو طلبه وارسل له المقال.

(٧) هو المخطوط الذي استعمله بطرس البستاني في انشائه مقالته عن الحلاج (راجع الرسالة ٢).

(٨) الأب هنري لامنس : المستشرق اليسوعي المعروف (١٨٦٢–١٩٣٧).

(٩) هو المستشرق المجري الشهير (١٨٥٠–١٩٢١).

(١٠) في شأن هذا البيت الثالث من القصيدة في الاخفا، راجع الحاشية ١ من الصفحة السابقة.

J'ai l'expérance de rencontrer le P. Anastase [1] à Rome. J'ai personnellement des doutes sur son ms. dont al Machriq a publié un extrait, — et voudrais qu'il en déterminât l'époque; ce que je sais du langage ṣoûfī ne permet pas de le dater avant notre XVI[e] (ou XVIII[e]) siècle...

Veuillez agréer, Très Révérend Père, l'hommage de mon respectueux souvenir, et ne pas me refuser l'appui de vos prières.

Péra Palace, M. 11/V/IX. Louis Massignon

(٥)

91, Rue de l'Université †

Très Révérend Père et ami [2]

Je pars pour ma troisième année d'archéologie au Caire (Institut fr. d'Archéol. Or.), — et me recommande à vos prières.

Vous trouverez ci-joint un mandat de 20 fr. pour la copie que vous m'avez si aimablement fait établir d'un passage de la دائرة المعارف [3]. Le surplus de la somme, je vous serais reconnaissant d'en faire l'aumône, à ma place, à Beyrouth.

Votre « Machriq » m'intéresse beaucoup et j'ai signalé dans une analyse de presse votre étude critique sur le faux عهد de Mohammed et des chrétiens [4].

Au sujet de la F.·.M.·., — je vous demande la permission de vous communiquer quelques observations, — car c'est un sujet sur lequel j'ai pas mal de notes bibliographiques, — et d'observations personnelles, — sans compter des ouvrages rares.

1° *La bibliographie* de la F.·.M.·., ébauchée par Thory (Acta Latomorum, 2 vol., vers 1813), — a été bien traitée par Kloss

(١) هو الأب انستاس ماري الكرملي العلامة اللغوي والمحقق الأديب الشهير (١٨٦٦–١٩٤٧). نشرت له مجلة « المشرق » (١١ : ٨٨٣–٨٩٢) بعضاً من مخطوط عربي قديم قال انه اكتشفه في الآستانة ومما يجدر التنويه به ان هذا المخطوط يأتي على ذكر من تنسك في جبل الكرمل ايام الخضر وبعده حتى العصر الأموي. اما تاريخ كتابة المؤلف فيظهر من حاشية لناسخه انه كان في اواخر القرن الثاني للهجرة. الا ان ماسينيون شك في صحة هذا المخطوط لان مصطلحاته الصوفية لا يمكن ان تعزى الى ما يسبق القرن السادس عشر او الثامن عشر ؛ ونحن على هذا الرأي لا بل نزيد فنقول ان اسلوب الكتاب جملة يدل على انه خط بقلم مزور معاصر ؛ ومما يدعم رأينا ان المخطوط لم يتابع نشره بعد ان شك رؤساء انستاس النسيم بصحته.

(٢) جاء مضمون هذه الرسالة ابداء ماسينيون آراءه في الماسونية وبعض المؤلفات التي تبحث فيها. ومما دفعه الى ذلك هو ان شيخو كان قد باشر في تشرين الأول سنة ١٩٠٩ بنشر سلسلة مقالات في « شيعة الفرمسون ».

(٣) راجع المقطع قبل الأخير من الرسالة ٣.

(٤) كتب شيخو مقالة في « عهود نبي الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى » (« المشرق »، ١٢ : ٦٠٩–٦١٨ و ٦٧٤–٦٨٢).

(Bibliographie der Freimaurerei, Frankfurt 1844 — contient 5000 n°s); — on annonce prochainement une bibliographie en français de Fesch. Mais je crains qu'elle ne soit qu'un travail de polémique.

2° Deschamps ne vaut pas Findel (Geschichte der Freimaurerei, Leipzig, 1883, 5e éd.), — qui est le manuel historique fondamental, — le seul critique. Ainsi, il vous aurait peut-être fait rejeter le texte accepté par Deschamps (cité par vous pp. 730-731 (٦٠)), qui est un *faux* (1), — incontestablement: car « Coligny », un des signataires de cette pièce, datée de 1535, — ne peut être que le fameux Gaspard II de Coligny († 1572); or, il naquit en 1517, — et n'aurait donc eu que *18* ans lorsqu'il signa! De plus, il était alors *catholique ;* et ne devint *calviniste* qu'après 1557, à quarante ans — on n'a jamais connu de « francmaçons » *politiques* au XVIe siècle: tous les textes invoqués, antérieurs au XVIIe siècle (pièce d'Henry VII d'Angleterre —, publié par Locke, cfr. Thory, Acta, t. I p. 3, etc.), sont de misérables *faux*.

3° Je suis très sceptique également sur la prétendue société fondée par Lelio Sozzini en 1545 à Viance (Lelio avait 20 ans à peine, et n'était qu'un étudiant). Et je suis étonné de voir que Gustave Bord, dans le 1er volume (p. 21) de son remarquable travail sur « La Francmaçonnerie en France des origines à 1815 » (Paris, Librairie nationale, 1909), lui attribue tant d'importance. Le Socinianisme [1] a peut-être préparé la Maç.·., mais il faudrait pour étudier et prouver cela dépouiller la correspondance de Fausto Sozzini (voir publications de l'Eglise Socinienne, aux Etats-Unis).

4° Je suis pleinement d'accord avec vous sur la comparaison à établir entre un certain manichéisme (celui d'Aristote) et la F.·.M.·.. Barruel a dit là-dessus des choses très justes, mais trop passionnées, dans un langage trop violent, avec une documentation insuffisante.

5° Je suis très intéressé de vous voir publier en arabe des articles sur la F.·.M.·., après les événements de Salonique et la propagande d'« Al-Hilāl » [٢], — il était opportun de remettre

(1) Cela a été démontré par Delprat, Kloss, Bobrik, Schwetschke, Beilermann (voir Findel, *loc. cit.*, pp. 830-831), avec un déploiement de preuves irrésistible (Mélanchton n'aurait pas signé en 1535 une pièce parlant du « Papam, pontificem maximum »... L'indication des *trois grades*, tout prouve que c'est une falsification des « Templiers » du XVIIIe siècle).

(١) السوسيانية بدعة بروتستانتية تنكر التثليث في الله ؛ نشأت في القرن السادس عشر في اوروبا على يد ليليو سوزيني وابن اخيه فوستو .

(٢) الاشارة هنا الى الحركة التي انطلق بها جيش سلانيك بقيادة محمود شوكت وخلع اثرها عبد الحميد عن العرش في نيسان ١٩٠٩ . وكانت مجلة « الهلال » المصرية تصرف الكثير من الاهتمام والجهد في عرض حوادث هذا الانقلاب وما سبقه من نشاط تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي (راجع « الهلال » ، السنة السابعة عشرة) .

les choses au point. La maç.·. pénètre l'Islam très profondément: en Algérie, en Egypte, dans l'Inde, etc. — qu'adviendra-t-il de cet accouplement?

J'unis mes prières indignes aux vôtres dans la communion de l'Eglise.

L. 8.XI IX. L M †

(٦)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père et ami

Je vous remercie bien vivement de votre carte du 31 janvier. Je serai très heureux de faire l'échange avec vos si intéressants « Mélanges » [١] et vais vous faire expédier un exemplaire de mon volume [٢].

Au sujet d'« Anthropos » [٣] je vais immédiatement rechercher l'article. Un certain nombre de faits récents m'ont amené à partager complètement l'opinion de Goguyer,[٤] qui m'avait dit « que les méthodes de travail scientifique » du R.P. A. « ne lui paraissaient offrir aucune espèce de sécurité ».

Je suis fort surpris de le R.P. A. ait invoqué mon témoignage sur une question que je n'ai fait qu'effleurer, au point de vue de ses rapports possibles avec le soufisme, — et que je n'ai examinée que sur des documents de seconde main: sans avoir rien publié là-dessus [٥].

Je vous serais bien reconnaissant de m'indiquer *le nº exact du « Machriq »* (année, et page), où a été insérée la devinette en 5 vers, attribuée à al Ḥallāj, et que j'avais communiquée au R.P. A.

---

(١) هي مجلة المعهد الشرقي بجامعة القديس يوسف في بيروت ، والعنوان الكامل : *Mélanges de la Faculté Orientale*

(٢) لا ندري اي مجلد من مؤلفاته يعني .

(٣) هي المجلة العالمية المعروفة ، تبحث في الشعوب والالسنية . نشرت في الصفحات الأولى (١-٣٩) من سنتها السادسة (١٩١١) مقالاً للأب انستاس عرف فيه عن اكتشافه كتابين من كتب اليزيدية المقدسة وعن حله رموز ابجديتها وترجمة نصوصها ، الا ان سينيون وشيخو وغيرهما من العلماء شكوا بصحة هذين النصين (راجع مثلاً Hugo Grothe, *Meine Vorderasienexpedition* 1906 *u.* 1907, Leipzig, 1911. s. X. وراجع ايضاً : Maximilien Bittner, *Die beiden heiligen Bücher der Jeziden im Lichte der Textkritik; Anthropos*, 1911, s. 629.

(٤) مستشرق فرنسي . توفي سنة ١٩٠٩ . الف في الفقه الاسلامي واصول اللغة العربية .

(٥) يشير انستاس (R.P.A.) في مقاله المذكور (ص ٩) الى ان سينيون اوحى اليه بفكرة ساعدته على حل رموز النص اليزيدي الذي اكتشفه وهي في ان يقابل بين النص اليزيدي وما تحتوي ترجمته العربية من اعلام . وعليه فيكون تخوف سينيون من اتيان انستاس على ذكره في مقاله لا مبرر له ولا علاقة له بما تقدم .

يا غافلاً من بجهالة عن شاني هلا عرفت حقيقتي وبياني

عبارة لـه ستة احرف من بينها حرفان معجومانِ...

Je sais qu'un de vos lecteurs avait cru trouver la solution de l'énigme qui y est proposée et que vous aviez publié son explication. Mais dans quel nº? Je la recherche vainement parmi ceux que je possède [1]. Soyez assez bon aussi pour me dire quand je devrai vous faire tenir le montant de mon réabonnement, n'est-ce pas?

Veuillez accepter, Très Révérend Père et ami, l'hommage de mon religieux respect, en N.S.

M. 3 2/XI L M †

---

(٧)

91, Rue de l'Université

Très Révérend Père et ami

Je vous remercie beaucoup de votre bel envoi [2] et de votre aimable mot. Merci aussi pour la référence au « Machriq » [3]. J'ai lu l'article d'« Anthropos » et suis aussi inquiet que vous [4]. Dans la « Revue de l'Histoire des Religions » vous verrez exprimées toutes les réserves que m'inspire cet alphabet *sûrement* artificiel [5]. Attendons la publication intégrale.

Je vous suis bien reconnaissant de votre bonne pensée pour الحلاج. Le travail est en achèvement; je recopie la fin. Il me reste encore à collationner trois mss. que je vais tenter d'aller voir à Stamboul. Je vous serais *bien profondément* obligé de me signaler si parmi vos mss. de mystique musulmane (ou d'histoire des sectes) vous avez quelque chose d'*inétudié*? Car je vais publier ma « Bibliographie critique d'al Hallāj » que je voudrais la plus complète possible [6].

---

(١) عدد « المشرق » حيث نشر اللغز هو عدد ١١ (١٩٠٨) والصفحة هي ٦٣٦ ويختلف نص « المشرق » عن نص الرسالة المشيو اختلافاً كبيراً . فقد جاء فيه :

يا غافلاً بجهالة عن شاني هلا عرفت حقيقتي وبياني

وعبارة لـه ستة احرف من بينها حرفان معجومان

اما قارئ « المشرق » الذي تقدم بحل اللغز فهو ابراهيم يوسف سابكي (« المشرق » ١٩٠٨ ، ص ٨٨٠) .

(٢) لعله يشير هنا الى مجلة *Mélanges* المذكورة في مطلع الرسالة السابقة .

(٣) راجع الرسالة السابقة .

(٤) الاشارة الى مقالة النصاص عن الكتب اليزيدية (راجع الرسالة ٦)

(٥) *Revue de l'Histoire des Religions*, 1911, p. 11.

(٦) تقع مجموعة المصادر التي راجعها ماسينيون لانشاء دراسته عن الحلاج في ٧٤ صفحة من القطع الكبير !

A ce sujet je vais vous envoyer mon article paru sur la crucifixion « phantasmatique » d'al Ḥallāj, — dans la « Revue de l'Histoire des Religions » [1]. Je n'ose rien vous offrir au « Machriq », — car la question du mysticisme orthodoxe est trop « brûlante » !

Acceptez, très Révérend Père et ami, l'hommage de mon religieux respect

en N S J C

M. 29/III/XI L M †

(٨)

91, Rue de l'Université

Cher Père et ami [2]

Je ne reçois plus « al Machriq » et je le regrette bien, — car il m'intéressait beaucoup. Je vous envoie ci-joint le montant de mon abonnement, — plus le prix approximatif de deux exemplaires de votre سر المصون sur الفرمسون, — car ma collection d' المشرق étant incomplète, — je n'ai pu le lire tout entier [3].

A la réflexion je suis frappé chaque jour davantage du progrès vraiment surnaturel des idées d'« *anonymat* », — de sociétés anonymes basées sur l'*irresponsabilité* et la *peur*, — sur les ordres énigmatiques de chefs inconnus par définition, — aussi bien dans le monde politique que dans le monde économique. Il y a vraiment là les signes avant-coureurs de la « Cité » satanique prévue par Saint Augustin, la Cité de « l'amour de soi poussé jusqu'à la haine de Dieu » [4]. Jésus est vraiment la pierre angulaire et voici qu'ils la rejettent [5], — admettant tout le reste, — sauf Lui, sauf l'idée d'éternité (mariage indissoluble, vœux perpétuels), sauf l'héroïsme et sauf la sainteté. Ils rejettent le sel et ne voient pas que la terre pourrit sans lui [6].

(١) *Al Ḥallāj. Le Phantasme crucifié des Docètes et Satan selon les Yézidis ; Rev. de l'Hist. des Relig.*, 1911, p. 1-13.

(٢) هذه الرسالة من اجمل ما بين يدينا مما كتبه مسينيون : يطلق فيها صاحبها العنان لخواطره حول ما يجتاح عالم اليوم من تيارات مناهضة لله ومسيحه فيحلل بعض مظاهرها ويسر بموقفه منها ومن المسيح سيده .

(٣) باشر شيخو نشر مقالات عن الماسونية في «المشرق» سنة ١٩٠٩ وتابع ذلك الى ان جمع مقالاته في مجلد واحد عنوانه « السر المصون في شيعة الفرمسون » (بيروت ، ١٩١٠–١٩١١) .

(٤) الاشارة هنا الى ما كتبه القديس اوغسطينوس في معرض كلامه عن المدينتين ، مدينة الله ومدينة الشيطان .

(٥) انجيل متى ٢١ : ٤٢

(٦) متى ٥ : ١٣

Je rends grâces à Dieu chaque jour de m'avoir daigné montrer que, selon le mot de St Régis [1] « il n'y a qu'un seul maître, Jésus Christ! ». Et cela n'est pas de la تعصّب, puisqu'en prenant parti pour l'Homme de Douleurs contre le Péché, — c'est toutes les souffrances humaines que j'étreins avec Sa Croix, qui les a transfigurées [2].

Je me recommande bien respectueusement à vos prières et à celles de tout votre ordre en cette fête de St Kostka [3] dont j'ai visité la petite chambre, il y a deux ans, à Vienne, pour y prier. Je recommande également à vos prières tous les miens et celui qui m'a réconcilié avec Dieu, mon pauvre et cher Père Anastase dont les inexplicables publications m'ont tant fait souffrir, quoique leurs origines paraissent, maintenant, plus près d'être élucidées [4]. Et j'unis respectueusement et fidèlement mes prières de pénitent à celles de tous les vôtres et à toutes vos intentions dans la communion de l'Église. Dites encore au R.P. Ronzevalle [5] tous mes remerciements et au R.P. Mallouf [6] mon fidèle souvenir.

L. 13/XI/XI † St Stanislas Kostka V

L M †

---

(٩)

91, Rue de l'Université

Très cher Père et ami [7]

Je vous remercie bien de votre lettre et de l'annonce d'envoi qu'elle contient. Votre œuvre d'Orient [8] est plus essentielle que jamais en ce moment où les sociétés protestantes anglo-germaniques ont formé cet extraordinaire « consortium » financier pour « la conquête de l'Islam » dont vous verrez le détail dans un nº de la « Revue du Monde Musulman » (novembre) auquel je n'ai pas collaboré.

---

(١) هو القديس جان فرانسوا ريجيس اليسوعي Jean-François Régis (١٥٩٧–١٦٤٠).

( ) راجع سفر أشعيا ٥٣ : ٣–٥

(٣) القديس ستانسلاس كوستكا اليسوعي. توفي في شرخ الشباب سنة ١٥٦٨.

(٤) يظهر من هذا أنه كان للأب أنستاس يد في عودة ماسينيون الى ممارسته الدينية. أما منشورات هذا الكاهن الغريبة التي ذكرت فهي ما مر الحديث عنه في الرسائل ٤ و٦ و٧.

(٥) هو الأب سبستيان رونزفال (١٨٦٥ – ١٩٣٧) المستشرق اليسوعي والعالم الأثري. من بين ما درسه الديانات السامية القديمة.

(٦) هو الأب لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧–١٩٤٦) مصنف القاموس «المنجد» في اللغة.

(٧) يتعرف ماسينيون في رسالته هذه الى تأملات في كيفية مواجهة الكنيسة الكاثوليكية لبعض التيارات الدينية الى غضب او خارجها.

(٨) المعني هنا رسالة اليسوعيين في الشرق الأدنى.

Je crois bien qu'il faudra d'ici dix ans, dans l'apologétique catholique en terre musulmane, utiliser plutôt le terrain de défense qu'occupe l'Eglise en pays protestant anglais ou allemand que le terrain traditionnel grec-oriental, — tant le flot des publications anglo-germaniques aura « protestantisé » l'idée que les musulmans se font de Jésus.

Au sujet de l'apologétique catholique récente, — je ne sais si vous avez lu les livres suivants*, qui précisent admirablement les objections *actuelles* des protestants et des orthodoxes contre l'Eglise:

Miss E.A. Baker, « A Modern Pilgrim's Progress », traduit sous le titre « Vers la maison de Lumière », Lecoffre, 1911.

Alb. Von Ruville, « Retour à la Sainte Eglise », trad. de l'all[d] par Lapeyre, Beauchesne, 1911.

d'Herbigny, « Un Newman Russe: Vl. Soloviev († 1900) », Beauchesne, 1911.

Le premier livre est d'une pensée virile et très dogmatiquement catholique. Les deux autres, plus courts, sont aussi très significatifs.

Pourquoi faut-il que, tandis qu'hors de France, l'Eglise est si « intégralement » défendue, — en France l'esprit moderniste renaisse, sournoisement, dans les œuvres d'enseignement supérieur religieux, — pour les laïques et même pour les prêtres? On est étonné de voir, malgré l'avis formel de NS Père le Pape, Mgr Duchesne « Histoire de l'Eglise » maintenu en lecture et recommandé [١] ! Je sais pourtant et bien pertinemment le mal que l'esprit de « minimisme » antisurnaturel personnifié par l'œuvre de Mgr Duchesne a fait à un de mes amis, hélas [٢] . Mais bien des gens n'obéissent au Pape qu'en paroles abondantes, non suivies d'effet! Et, pour un laïque, pénitent de fraiche date, il n'y a qu'à prier dans son coin « Adveniat Regnum tuum! » [٣] .

Bien respectueusement vôtre dans la communion de l'Eglise.

M. 13/XII/XI. S. Lucia VM.

L M †

P. S. Le R.P. Kersanté [٤] qui a bien voulu, sur la demande

---

* ont l'imprimatur

(١) كان المسينيور لويس دوشين (١٨٤٣ – ١٩٢٢) من اكبر العلماء في تاريخ الكنيسة. لاقت مؤلفاته معارضة شديدة لا سيما «تاريخ الكنيسة القديمة» المذكور في رسالة ماسينيون ، وقد حرمت السلطات الكاثوليكية قراءته سنة ١٩١٢.

(٢) لا ندري من هو هذا الصديق.

(٣) ارتد ماسينيون الى الدين بعد ان لمس قوة الايمان في آل الالوسي البغداديين اثناء نزوله ضيفاً عليهم لما طوف بالعراق سنة ١٩٠٧ – ١٩٠٨.

(٤) الاب جول كرسنتيه (١٨٥٦ – ١٩٣٢) : رئيس دير اليسوعيين في دمشق آنذاك.

du R.P. Lammens,[1] me trouver un copiste pour un ms. de la ظاهرية de Damas sur al Ḥallāj, — m'a dit que le copiste, en sus du prix convenu, voudrait « un livre de valeur en cadeau ». D'après votre expérience de Beyrouth, quel livre, selon vous, pourrait lui plaire?

---

(١٠)

Très Révérend Père et ami[٢]

Je vous suis très reconnaissant de votre indication pour Ibn Qalānisī. C'est *en plus* du prix usuel que je dois offrir un livre à mon copiste: nous en reparlerons[٣]. Mille mercis pour le سر المصون[٤]. Je vais envoyer les 15-1.50 = 13.50 de mon abonnement pour 1912 au Machriq[٥].

J'ai connu l'ouvrage du Waṭwāṭ[٦] par un article du pauvre Schreiner[٧] (avant qu'on l'internât) ap. Z. D. M. G. — Et il y a deux ans j'ai acheté au Caire l'édition de 1299. Voici le résumé de ce qu'en dit ma « bibliographie d'al Ḥallāj » que je vais faire imprimer avant ma thèse en un volume contenant l'analyse critique et la « généalogie » chronologique des textes sur الحلاج : (nº 503-a-)[٨]

---

(١) راجع الرسالة ٤ ، الحاشية ٨ .

(٢) يدور الحديث في هذه الرسالة حول اطروحة ماسينيون عن الحلاج وحول بعض المصادر التي يستعملها او يود استعمالها في هذا الصدد .

(٣) كان ماسينيون في رسالة سابقة (راجع الرسالة رقم ٩) قد طلب الى الأب شيخو ان يهديه الى كتاب قيم يقدمه الى احد النساخ الدمشقيين وقد سخره لينقل له مخطوطاً عن الحلاج في المكتبة الظاهرية؛ فيبدو من ذكر ابن القلانسي هنا ان شيخو اشار على صديقه بالحصول على «تاريخ دمشق» لهذا المؤلف الدمشقي (١١٦٠ ÷) وقد نشره في ليدن سنة ١٩٠٨ المستشرق هـ. ف. اميدروز Amedroz .

(٤) راجع مطلع الرسالة ٨ .

(٥) كان الاشتراك السنوي «بالمشرق» لمن هم خارج البلاد التركية ١٥ فرنكاً ؛ ولعل ما دفع ماسينيون الى حسم فرنك ونصف الفرنك من الثمن المفروض هو ان شيخو قد عفاه من تأديته لارساله قبل ذلك مالاً ـ نفقات شراء بعض الكتب وزاد (راجع مطلع الرسالة ٨) .

(٦) هو جمال الدين محمد الوطواط (١٣١٨ ÷) . اما كتابه المعني هنا فهو «غرر الخصائص» (المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٤ هـ وفي القاهرة سنة ١٢٩٩) حيث ذكرٌ للحلاج وسيرته .

(٧) هو مارتن شراينر (١٨٦٣ – ١٩٢٧) : المستشرق الالماني . اما مقاله الذي ألمع اليه ماسينيون فهو : *Beiträge zur Geschichte der theologischen Bewegungen im Islām.* Z.D.M.G., 52: 463, 513; 53: 51.

(٨) راجع «سيرة» ، ف ١٥ ، ص ٢٧ . حيث اقتصر ماسينيون بالتعريف عن الوطواط والاشارة الى كتابه مع بيان الصفحات التي جرى فيها الكلام عن الحلاج .

1°-19° Bāb VII, faṣl III, pp. 129-130 [١] : biographie d'al Ḥallāj...
4e phrase « من هذّب » (corr. ici: عذّب (sic) prise à Al Bīroūnī ou à 'Abd al Qāhir al Baghdādī [٢] ...

14° « Ibn Foūrak Dāoūd al Zāhirī » — confusion: du ẓāhirite Ibn Dāoūd [٣] qui a réellement condamné الحلاج, avec le shafi'ite postérieur ابن فورك[٤]...

15° « cent » coups: erreur pour « 500 »...

19° « 27 »: erreur pour 24: qui était un mardi [٥] ...

20° Bāb V, faṣl II: pp. 286-287 : tercet « Anā man ahwā ... » D'Abī (sic) al Ḥosayn...

21° distique « Jobilat roūhoka... ».

22° » déformé (! التبوة ! !) « Mozijat roūhoka... » (cfr al Khatīb) [٦] .

— Mes nos 20°-22° correspondent, vous le voyez, à votre édition (de quelle année?) p. 373. De quelle année est votre édition [٧] ?

Il est assez remarquable que trois fragments que je possède d'un diwān attribué à (al-Ḥallāj) [٨] commettent pour son nom la même erreur « ابو الحسين » (sic) au lieu de « ابو (المغيث) الحسين... ». Si l'on pouvait retrouver un ms. de ce ديوان ce serait sous le titre « ديوان ابي الحسين الحلاج », sans doute.

Puisque vous voulez bien me montrer l'intérêt que vous portez à mon travail qui m'occupe depuis si longtemps, — peut-être pourriez-vous m'aider dans ma recherche d'un ouvrage où il est

(١) يجدر التنبيه هنا الى ان ماسينيون قد غلط في «سيرة» (ف ٥، ص ٢٧) حيث عزا الى طبعة القاهرة التي ذكرها أرقام طبعة بولاق التي يستشهد بها في هذه الرسالة، وكان عليه ان يدل ١٢٩ – ١٣٠ بـ ١٦٩ – ١٧١ و ٢٨٦ – ٢٨٧ بـ ٣٧٣ .

(٢) هو المتكلم الاشعري (١٠٣٧ ÷) : صاحب «الفرق بين الفرق». اما البيروني فهو ابو الريحان محمد بن احمد (١٠٤٨ ÷) صاحب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» (راجع «سيرة» : ف ٥ ، ص ١٤ ، حيث عدة مصادر في شأن ما ارتآه ماسينيون) .

(٣) هو القاضي الظاهري ابن داود الاصفهاني . الذي بقتل الحلاج .

(٤) هو ابو بكر بن فورك الاصفهاني ، من فقهاء الشافعية . توفي سنة ١٠٩٥ ، اي ١٧٣ سنة بعد الحلاج .

(٥) الاشارة هنا الى تاريخ مقتل الحلاج وكان يوم الثلاثاء في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٢٢ («سيرة» ، ص ٣٢٩) .

(٦) هو ابو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي (١٠٧١ ÷) . (راجع «سيرة» : ف ٥ ، ص ١٦) .

(٧) الطبعة التي كانت بين يدي شيخو هي طبعة مصر ، سنة ١٢٩٩ هـ .

(٨) ما بين هلالين ناقص في الأصل .

question, m'a-t-il été dit *formellement*, d'al Ḥallāj: c'est le « تفسير القرآن على طريق اهل الباطن » du ṣoūfī égyptien moderne احمد بن محمد الصاوي, mort en 1241/1825, — il y a moins de cent ans. Brockelmann connait l'auteur, mais omet l'ouvrage (II, 353) — L'auteur est un shaykh réputé de la secte des Khalwatiyah. Je vous serais bien reconnaissant de me dire si vous connaissez en Syrie des exemplaires imprimés de cet ouvrage, — ou, à leur défaut, un ms. où je puisse faire chercher et copier les §§ relatifs à الحلاج [1]. J'indiquerais dans ce cas, au copiste, les versets coraniques ou les tafsīr ṣoūfis que j'ai déjà collationnés, et dont al Ṣāwī s'est servi, — parlant d'al Ḥallāj — afin que le copiste ait un travail bien repéré.

Je vous remercie de vos souhaits, — et j'espère que votre œuvre syrienne triomphera de toutes les difficultés de l'heure présente, — et c'est avec une respectueuse reconnaissance que je vous prie d'accepter, pour vous et pour tous les vôtres, l'hommage fidèle de mes prières en NS.

M. 23 I XII Desponsat. BMV et SJ [2]

L M †

---

(١١)

La Ville Evêque
En Pordic
Côtes du-Nord
†
Fête de Saint Louis, Roi

Très cher Père et ami [3]

Permettez-moi de vous offrir aujourd'hui tous mes vœux respectueux et fidèles, — à l'occasion de cette fête anniversaire qui nous unit dans l'Eglise [4].

Je souhaite qu' المشرق continue à lutter et à faire le bien, et que vos œuvres de Beyrouth fassent rayonner l'Eglise tout alentour.

---

(١) كتب ماسينيون في « سيرة » (ف ١٠ : ص ٣٩) ان المصنف الذي ذكر فيه الصاوي الحلاج هو « حاشية تفسير الجلالين ».

(٢) عيد اقتران مريم العذراء بالقديس يوسف.

(٣) اهم ما يقوله ماسينيون لشيخو عقده النية على الذهاب الى مصر لتبوّء منصب ينتظره فيها؛ وهو إن قبل بالوظيفة فنزولاً عند نصيحة مرشده الروحي وعلى أمل المساهمة في احلال « ملكوت الله ».

(٤) كتبت هذه الرسالة في ٢٥ آب وهو عيد القديس لويس ملك فرنسا : شفيع ماسينيون؛ وحيث ان الأب شيخو يدعى لويس، فقد ظن صديقه ان العيد عيده أيضاً. الا ان شفيع الأب شيخو هو القديس لويس غونزاغا اليسوعي وعيده في ٢١ حزيران.

Il est question pour moi d'aller cet hiver en Egypte, — mon directeur est d'avis que j'accepte la position qu'on m'y offre [١] ; je me recommande à genoux à vos prières sacerdotales, — et aux prières de votre Ordre, — pour que ce séjour ne soit pas stérile, — et que je sois admis, moi aussi, — à travailler un peu là-bas pour hâter le Règne de Dieu. Adveniat Regnum tuum! Je me sens si misérable, — si perclus de mauvaises pensées que je ne vois pas très bien à quoi je pourrai jamais servir. Faut-il que les rues soient désertes pour que les envoyés de la Parabole Nuptiale ramènent au Maître du banquet un invalide comme moi [٢] ... Que sa volonté soit faite!

Bien respectueusement vôtre

Ce D. 25 août 1912 — Louis Massignon

Purissimi Cordis BMV †.

(١٢)

La Ville-Evêque
Par Pordic (Côtes-du-Nord)

Très cher Père et ami [٣]

Je vous remercie bien de votre lettre, si bienveillante. Puisque j'ai appris un peu d'arabe, — je voudrais me servir de cette langue, dont j'ai mésusé jadis, — pour rendre témoignage à Notre Seigneur Jésus. — s'il me le permet.

C'est ce que je prépare depuis quatre ans. Je voudrais prouver aux musulmans sincères, que je connais et que j'aime, — qu'il y a eu parmi eux des gens que l'étude et la prison ont amené à croire en Jésus Crucifié. Je crois en avoir trouvé deux exemples saisissants: dans al Ḥallāj († 922) et dans Qābidh († 1534) [٤] : tous deux théologiens connus; — L'un s'était proposé, — au témoignage personnel d'al Balkhī, un contemporain, — l'*imitation de Jésus*, — pour obtenir en lui l'infusion de l'*Esprit Saint* [٥] ; et il est mort en

(١) دعي ماسينيون الى القاهرة فألقى في الجامعة اربعين درساً بالعربية وكان بين تلاميذه طه حسين ومصطفى عبد الرازق .

(٢) انجيل متى ٢٢ : ١–١٤ .

(٣) يبدي ماسينيون في هذه الرسالة رغبته الشديدة في ان يبين لاصدقائه المسلمين انه قد قام بينهم أناس آمنوا بيسوع المصلوب ، فيأتي ببراهين على ذلك لا سيما فيما يخص الحلاج .

(٤) كان قابض متكلماً سنياً تركياً ، امر بقتله سليمان الاول فأعدم في اواخر سنة ١٥٢٦ (لا ١٥٣٤ كما قال ماسينيون) بعد ان اصر على الاقرار بان المسيح يفوق محمداً وان الانجيل اسمى من القرآن (راجع M. d'Ohsson, *Tableau général de l'Empire Ottoman*, Tome I, Paris, 1788, pp. 153-159).

(٥) راجع في هذا العدد الحاشية ٢ من الصفحة ٥ .

croix, avec une résignation admirable (ma thèse contiendra des documents du temps, tout à fait saisissants, à ce sujet).

L'autre, Qābidh, s'est fait supplicier pour avoir soutenu que la sunnah سنّة de Jésus était *supérieure* à celle de Moḥammad.

Comme il faut, pour convaincre, s'être fait d'abord « l'avocat du diable », j'ai publié d'abord ce qui est le plus fort comme objection contre le « christianisme implicite » d'al Ḥallāj; savoir:

a) son *satanisme* prétendu (cfr. *Revue de l'Histoire des Religions*) [1]

b) son mot « *Ana al Ḥaqq* » (cfr. *Der Islam*, III) [2]

c) un texte étrange, de lui, son *Kitāb al Ṭawāsin*, [3] — où il est question de la préexistence de Moḥammad, — et où il y a des propositions suspectes de gnosticisme, — comme chez tous les mystiques musulmans, — car l'idée de l'unité pure de Dieu, l'unité impersonnelle, anti-trinitaire, — mène droit au panthéisme.

L'important, pour moi, est la mort d'al Ḥallāj, est son influence sociale, son retentissement: sa crucifixion *réelle*, destinée à rappeler perpétuellement aux mystiques musulmans celle du Christ que le Qorān a niée.

قيل لحلاج وهو مصلوب : ما التصوّف ؟ »
— ما ترون [4]

Ce n'est qu'en insistant sur la crucifixion *réelle* du Christ que l'on pourra faire comprendre aux musulmans la Rédemption.

Mais ce sujet est difficile à traiter, — et je me recommande respectueusement à vos prières et à celles de tous les vôtres, très cher Père et ami, — afin de ne pas nuire quand je voudrais aider. J'unis mes prières aux vôtres dans la communion de l'Eglise.

Ce L. 23/IX/1912 L M †

Fête de Ste Thècle, protomartyre [5].

---

(١) *Al Ḥallāj. Le Phantasme crucifié des Docètes et Satan selon les Yézidis.* dans *Revue de l'Hist. des Religions*, 1911, pp. 1-13.

(٢) « *Ana al Ḥaqq* », *Etude hist. et critique sur une formule dogmatique de théol. mystique, d'après les sources islamiques*, dans *Der Islam*, 1912, pp. 248-257.

(٣) نشر ماسينيون «كتاب الطواسين» مقدماً له ومعلقاً عليه سنة ١٩١٣ في باريس .

(٤) راجع «اخبار الحلاج»، في بنشره ماسينيون وكراوس، باريس ١٩٥٧، ص ٣٦-٣٧ .

(٥) اغلب الظن ان الاشارة هنا الى استشهاد القديسة تقلا هي مقصودة بعد ما جاء في الرسالة عن استشهاد الحلاج .

(١٣)

La Ville-Evêque
Par Pordic (Côtes-du-Nord)

Très Révérend Père et ami [1]

Je suis très touché de votre envoi. Vous avez dû recevoir le mandat, je pense. Je crois qu'il y a beaucoup à espérer des Arabes en ce moment. Je le sens par les lettres et visites (jusqu'ici, en Bretagne) que je reçois de mes anciens élèves musulmans de l'Université du Caire.

Il faut prier beaucoup, — et je me recommande très respectueusement à vos prières et à celles de tous les vôtres, très Révérend Père et ami.

Ce S. 27/IX/1913 — Louis Massignon
SS. Côme et Damien †

Vous avez vu le très désagréable compte-rendu que la brave لغة العرب a éprouvé le besoin de faire des طواسين. Je sais que les طواسين contiennent pas mal d'erreurs, — mais des gens compétents m'ont dit que, somme toute, ils en tiraient bon parti. Il n'y a que le Père A. qui ne soit pas de cet avis [2]. Il me fait de la peine. C'était un homme si bon autrefois, — avant ses rêves de « gloire mondaine ». Et maintenant le voilà devenu un journaliste avide de polémique et de dispute, aigre et discuteur [3]. J'unis mes prières aux vôtres, très Révérend Père et ami, — pour que ce pauvre Père redevienne l'homme simple et bon que nous avons connu jadis.

— J'ai vu à Louvain le Père Lammens toujours actif et vail-

(١) فكرتان رئيستان في هذه الرسالة : الاولى تؤلفها الآمال الكبيرة التي يعلقها ماسينيون على العرب ؛ والثانية تتجسم في توجع الكاتب للتهجمات التي تواجهها احدى مؤلفاته من قبل الأب انستاس الكرملي .

(٢) عرّف الأب انستاس (= le Père A.) في مجلته « لغة العرب » (٣ [١٩١٣] ، ص ١٠٢ — ١٠٥) عن طبعة ماسينيون « لكتاب الطواسين » بطريقة التهكم في موقف المغربل الذي « يصفي من البعوضة » (متى ٢٣ : ٢٤) ، يسترسل في ابراز الهنات كأنه اشد غيرة على بيان علمه منه على جلاء صفحة الحق .

(٣) تهجم انستاس على غير ماسينيون ولم ينج شيخو من لذعات قلمه (راجع مثلاً « لغة العرب » ، ٣ [١٩١٣] ، ص ١٤١ حيث انتقاده لموقف شيخو من نصرانية غسان ؛ او ايضاً المرجع نفسه في السنة نفسها ، ص ٥٧٢ — ٥٧٦ حيث تحامل عنيف على ما قاله شيخو عن رحلته من بيروت الى الهند) .

lant, — et le Père Bouvier [1] qui a été tout à fait bon pour moi. Nous avons parlé de vous ensemble. Que Dieu vous maintienne longtemps pour le succès de votre mission et pour Sa gloire. †

(١٤)

Très vénéré Père et ami [2]

Je suis bien content que vous ayiez pardonné à Satsana, [3] — et que vous laissiez sa revue reparaitre. Dieu veuille désormais que ses انتقادات soient plus sages et plus chrétiennement faites [4] !

Je viens vous demander très instamment vos prières dans le Saint-Sacrifice. Après avoir bien réfléchi, prié, abandonné ma volonté, obéissant à mon directeur, — je me suis fiancé, — et je vais me marier le 27 janvier, à Bruxelles [5] . Priez pour moi ce jour-là! Dieu me donne de le servir dans le monde mieux que dans

---

(١) هو الأب فردريك بوفيي اليسوعي (١٨٧١ – ١٩١٦) . كان وقتئذ استاذ اللاهوت في انكلترا (Ore Place, Hastings) ومحرراً في مجلة *Les Etudes* . — اما الأب لامنس فهو المستشرق المعروف .

(٢) ينبئ مسينيون صديقه بأنه مقدم على الزواج بعد ان بين له مرشده الروحي ان الله لا يدعوه الى حياة العزلة والتصوف في الصحراء؛ ثم يطلب اليه ان يذكره في صلواته وأن يذكر بنوع خاص الحلاج الذي يرى انه مات مسيحياً بالشرق لأسباب عديدة يوردها في سياق الرسالة .

(٣) Satsana هو مقلوب اسم الأب انستاس كما نتبين ذلك من رسالة بعث بها المذكور الى الأب شيخو في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٠ قال فيها : « اني لما رأيت ان الآباء اليسوعيين لم يذكروا عن « المسرة » ذكراً كافياً بمجلة كاثوليكية (...) عزمت على كتابة بعض مقالات فيها بهذا الاسم وهو « *Satsana* لا Satesna مقلوب Anastas(e) » . وكان من دأب الأب انستاس ان يكتب الكثير من مقالاته بأسماء مستعارة (راجع لاحقاً في : كوركيس عواد : « الأب انستاس ماري الكرملي : حياته ومؤلفاته » ، ص ٢٠–٢١) .

(٤) كان انستاس قد انتقد شيخو في مجلته « لغة العرب » (راجع الحاشية ٣ من الرسالة السابقة) وكان قد رد عليه شيخو في « المشرق » (١٦ : ٥٥٦ ، ٦٣٨ ، ٧١٧ ، ٨٧٨) ؛ ولكن رؤساء الراهبين تدخلوا فيما بينهما ونشدادا الصلح والوئام . وكان من مآخذ شيخو على رصيفه ان مجلته لا تعنى البتة بالأمور الدينية ، وهذا في نظره لا يليق بنشرة يصدرها رهبان مرسلون ؛ فكتب فيما كتب الى اسقف اللاتين في بغداد يبثه تخوفه مما قد تؤول اليه احوال انستاس ولكن المطران طمأنه وطلب منه ان يسامح واشار بأنه لا بأس من ان يتابع الكرملي اصدار مجلته على علاتها (راجع مخطوطات جامعة القديس يوسف ، رسالة المطران جان درور Jean Drure الى شيخو بتاريخ ١٧ /٨/١٩١٣) .

(٥) تزوج مسينيون نسيبته من امه مرسيل دانسارت تستلان (Marcelle Dansaert-Testelin) وقد قام بمراسم الزواج الخوري دانيال فونتين (Daniel Fontaine) .

la retraite au Sahara que je désirais depuis cinq ans[١]. Mon directeur m'a expliqué que la vie parfaite, c'est de faire la volonté de Dieu, non la sienne — Fiat!

Priez spécialement pour que je puisse apporter mon obole à la conversion des Arabes, — et que je puisse faire œuvre sainte en l'Eglise notre Mère à tous, — et faire aimer Notre Seigneur davantage.

Tout particulièrement et CONFIDENTIELLEMENT je recommande à votre intercession auprès de Celui que vous offrez à l'autel, à votre Messe, الحسين بن منصور الحلاج sur qui j'achève ma thèse de doctorat, qui paraitra, si Dieu veut, dans quatre mois —. Il est le seul à avoir, en Islam, de son temps, compris que la sainteté de l'union à Dieu ne pouvait s'atteindre que par le ministère de «cet Esprit Saint dont naquit Jésus»;[٢] il est* le seul à avoir employé au sens chrétien les mots ناسوت et لاهوت pour l'union hypostatique des deux natures;[٣] il a cru que le كلام نفسي de Dieu était incréé et coessentiel,[٤] — et que le روح était incréé et coessentiel[٥] — Il a prêché la nécessité de la contrition *pour tous*,[٦] l'imminence terrible du Jugement *pour tous*;[٧] il a parlé du sacrifice plénier de soi comme seul un chrétien de désir peut le faire[٨] — Dieu lui a-t-il refusé avant sa mort le baptême de

* Vous trouverez les références aux textes dans ma thèse.

(١) راودت ماسينيون فكرة الخلوة في الصحراء سنة ١٩٠٩، وقد كان لصديقه شارل ده فوكو يد في ذلك، الا ان فكرة المنفى في انشاء الاطروحة عن الحلاج تغلبت على الأولى (راجع Louis Massignon, *Parole donnée*, Paris, 1962, p. 22).

(٢) راجع الحاشية ٢ من الصفحة ٥.

(٣) راجع «كتاب الطواسين»، ص ١٣٥ حيث جاء:

دخلتُ بناسوتي لديك على الخلق ولولاك لاهوتي خرجتُ من الصدق

راجع ايضاً «ديوان»، ١ : ص ٤١. — الا ان ماسينيون عاد عن هذه الفكرة فيما بعد وقال في «سيرة»، ص ٢١٥، حاشية ١ : ان الحلاج لم يأخذ كلمتي اللاهوت والناسوت عن النصارى.

(٤) راجع بنوع خاص «كتاب الطواسين»، ص ١٢٨.

(٥) انظر «سيرة»، ص ٦٦٢ – ٦٦٣.

(٦) و(٧) «سيرة»، ص ٦٧١ وما يليها.

(٨) سئل الحلاج وهو مصلوب مقطوع اليدين والرجلين: ما هو التصوف؟ فقال: اهون مرقاة منه ما ترى. ولما قدم في الغد لتضرب عنقه هتف بأعلى صوته: حسب الواجد إفراد الواحد له («اخبار الحلاج»، ص ٣٦). فكأني به يعيش في شخصه قول الانجيل: «ما من حب اعظم من حب من يبذل نفسه فداءً عن احبائه» (يوحنا ١٥ : ١٣).

désir? Humainement, humblement, je ne le crois pas. — et vous demande vos prières sacerdotales pour cette image arabe, qui fût bien défigurée, mais que je crois avoir été consentante à la Croix, compatiente à la Passion du Divin Maître.

Avec mes souhaits respectueux et fidèles pour votre œuvre et votre Ordre, dans la communion sainte de l'Eglise.

Ce S. 17/I/1914 L M

S. Antoine, ermite †

وثائق وأحداث

العرب في العصور الكلاسيكية القديمة

تعريف لكتاب فرانتس التهايم وروث شتيل[1]

(تابع)

بقلم الدكتور مارتينيانو رونكاليا
المعهد الاندلسي للابحاث الشرقية في بيروت

يمبولس (صفحة ٨٠–٩٢)

يمبولس هو مؤلف آخر رواية سياسية وصلت الينا وهي تحمل عنوان « مدينة الشمس » . ونحن لا نعرف المؤلف إلا من خلال خلاصة مقتضبة تركها لنا ديودوروس وقد يحرفها هذا الأخير ويضفي عليها مسحة من الدعابة دون أن يكون لنا يد في التحقق من ذلك ويكتفي لوقيانوس السميساطي[2] بذكرها في رواياته الحقيقية »[3] ويقدمها لنا كقصة خيالية لعجائب الأوقيانوس . وعلينا بهذا الصدد لدراسة هذه الرواية الاكتفاء بالفصول الستة التي يخصصها لها ديودوروس (٢ : ٥٥–٦٠) .

كان يمبولس منذ حداثته شغفاً بالعلم وقد أخذ . وهو ابن تاجر ، يتعاطى التجارة بعد وفاة والده . وبينما كان يجتاز الجزيرة العربية في احدى رحلاته قاصداً بلاد الأفاوي ، وقع مع أحد رفاقه في قبضة قطاع الطرق وأوكل اليه مع أحد ابناء بلده رعاية الأغنام . وبينما كانا يقومان بعملهما

---

(١) *Die Araber in der Alten Welt*, von Franz Altheim u. Ruth Stiehl ; Berlin, Walter de Gruyter and Co., 1964 *sq.*

(٢) Lucien de Samosate

(٣) *Histoires vraies*, I, 3.

احتطفتها في هذه المرة الأحباش واقتادوهما نحو شاطئ بلادهم بغية استخدامهما في عملية تطهير شعبهم في احتفال تقليدي مهيب يقام مرة واحدة في كل ٦٠٠ سنة. وكانت مراسيم الاحتفال تتم على الشكل التالي: يجهز مركب مع مؤونة تكفي لإطعام رجلين مدة ستة أشهر ويدفع المركب مع ملاحيه الى البحر ويؤمر الملاحان بالاتجاه نحو الجنوب. وقد يصل الرجلان بهذه الطريقة الى «جزيرة سعيدة» يقضيان فيها حياة سعيدة. ويتفاءل الاحباش إذا تم هذا الأمر على الوجه المتوقع له ويظنون أنهم سوف يتمتعون باليمن والأمن مدة ٦٠٠ سنة ولكن في حال ارتياع الرجلين من البحر ورجاتِه وعودتهما على أعقابهما ينزل بها الأحباش اشد العقوبات كفارة عن خطيئتهما اذ يعتقدون ان سلوك الرجلين سبب لكامل شعبهم سخط السماء. وقد قام الأحباش حسب مراسيمهم بتقديم الذبائح على شاطئ البحر الاحمر وكللوا بالزهور الملاحين المغلوبين على أمرهما ودفعوهما الى الاوقيانوس وقد نجي الملاحان. حسب ما توقعه لهم الأحباش: عدداً كبيراً من العواصف ألجئوا وأخيرا مدة اربعة أشهر قبل ان ينزلا على ساحل «جزيرة الميعاد» وهي جزيرة مستديرة الشكل يبلغ محيطها ٥٠٠٠ غلوة تقريباً. وقد أحسن سكان الجزيرة استقبالهما وضيافتهما. ونجد في الكتاب بعد التفاصيل التي تتعلق بالرحلة. وصفاً غريباً لما ينفرد به سكان الجزيرة وطبيعتها: يتشابه كل سكان الجزيرة ويبلغون جميعاً الطول نفسه اي ما يقارب الأربع أذرع وأجسامهم في غاية المرونة وهي جميلة ومتناسقة... يعمر السكان ويعيشون غالباً دون أن تنتابهم الأمراض ويخضعون لناموس لا مفر منه يقضي بأن ينتحر المصابون بالعاهات والمقعدون كما أنهم يخضعون لقانون آخر يحظر على الشيوخ العيش اكثر من ١٥٠ سنة وكل من يبلغ العمر المحتوم فعليه ان يضع حداً لحياته. وقد نجد هذه العادة متبعة في كايوس[١] (انظر سترابون: ١٠: ٤،٨٦)؛ فينام من يقصد التخلص من حياته تحت نبتة معينة حيث توافيه المنية برفق. وقد يخضع السكان أطفالهم لمحنة اصطفائية فهم يضعونهم على ظهر طائر كبير يرتفع بهم الى الجو وهم يحتفظون بالاطفال الذين يتمتعون بالقوة الكافية لتحمل تلك المحنة. أما الذين يرتاعون ويصابون بداء الطيران (التقيؤ) فهم يقضون عليهم بحجة أنه لم يكتب لهم العيش المديد وبحجة أنهم لا يتحلون بالخصال الحميدة (أشار اونيزيكريتوس الى عادة مماثلة شاعت في شعب هندي).

(١) Κηος

بما ان الجزيرة السعيدة تقع على خط الاستواء فيكون مناخها لطيفاً ويعيش سكانها في اضواء الطلق وتكون أرضها خصبة للغاية حتى أنها تعطي تلقائياً كميات من الثمار تفرق احتياجات السكان . وينبت فيها عدد كبير من الاشجار كالكروم والزيتون دون أن يتعهدها أحد ويعيش سكانها بتقشف رغم خصب الطبيعة ويهتمون خاصة بالتنجيم وتتألف الفباؤهم من سبعة أحرف فقط تكتب بأربعة اشكال مختلفة بحيث تعبر عن ٢٨ صوتاً وتكتب الاحرف عمودياً . ويعبد السكان بشكل خاص قبة السماء والشمس والاجرام السماوية ويعيشون موزعين على جماعات قوامها السياسة المشتركة ووشائج الدم ويتولى حكم كل جماعة الاكبر سناً يطيعه باقي الأفراد بصفته قيماً عليهم . وهم يتوزعون الاعمال الخدمية بالتناوب كما أنهم يمارسون الاعمال الادارية بالتناوب ايضاً . وهم لا يتزوجون ويعتبرون النساء مشاعاً وهم يوزعون بالتساوي عطفهم على اطفالهم الذين يحسبونهم ملكاً لهم جميعاً ، وهكذا يجهلون نساءً ورجالاً وباء الغيرة والحسد .

أقام يمبولوس ورفيقه سبعة اعوام بين سكان الجزيرة ثم طردهما هؤلاء لكونهما قد اكتسبا في حداثة سنهما العادات البذيئة فابحر الرجلان وابتعدا عن الجزيرة وبعد رحلة دامت اربعة اشهر ، جنح بهما مركبهما الى شاطئ هندي رملي تكثر فيه المستنقعات . قضى رفيق يمبولوس غرقاً أما يمبولوس فقد أسره السكان ومثل أمام الملك الذي كان يحب الاطلاع والثقافة اليونانية فرحب هذا بيمبولوس اجمل ترحيب ومنحه ، في نهاية الأمر ، رخصة مرور أتاحت له اجتياز بلاد فارس والعودة سالماً الى اليونان .

هذه هي خلاصة الرواية الأدبية المأثورة ، وقد أراد التهايم بشنيل تحويل أطر الرواية الأدبية القصصية الى أطر رواية تاريخية بشرط أن نقبل ان اسم يمبولوس هو اسم سامي قد يكون على وجه الدقة نبطياً ي ن ب ل أو ي ن ب ل و وقد استعمل الأنباط دوماً في نقوشهم الأحرف الآرامية لتسجيل اسماء كانت دوماً عربية . واعتماداً على ما تقدم . قد يكون يمبولوس ابن تاجر خرج من بلاد الأنباط القريبة من حجرا . ليسلك طريق العطور التي عرفها ابوه قبله اي ديدان فيثرب فمكة ومنها الى صنعاء في قلب اليمن . يقول سترابون انه تستطيع قافلة جمال ان تجتاز الطريق المتجهة خليج العقبة بمدة سبعة عشر يوماً وهكذا يكون البدو قد هاجموا يمبولوس وسطوا عليه قبل ان يصل الى قبلته ثم . بعد سبيه ، كلفه هؤلاء برعي ماشية

سيده ولكن طريق العطور لم تكن بعيدة من البحر الأحمر فداهمه الاحباش الذين جاءوا من شواطئ البحر الاحمر من اريتيريا على وجه الدقة وسبود .

وقد يكون يمبوليس احد الانباط الذين تحلوا بالثقافة اليونانية ولذا نراه يؤكد في روايته انه تغذى منذ نعومة أظفاره بالثقافة اليونانية ونستطيع ان نجزم ان رواية مدينة الشمس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظريات أفلاطون .

ان رواية يمبوليس تطرح من المشاكل اكثر مما تحل منها فالفرضيات التي استهوت التهايم وشنيل قد تلقى بعض الاعتراضات رغم معرفة العالمين الدقيقة والمحصة ولكن الروايات اليونانية واللاتينية التي كانت تصنف عادة مع الانتاج الخيالي الذي يفرط في استخدام الخوارق والعجائب اخذت مع العالمين الألمانيين. الذين تذرعا بمعرفتهما المحصة . تقطع صلاتها بالعادات الفكرية والأدبية الشائعة وتنتهج طريقة جديدة فهي اذ تميط اللثام عن الثوب القصصي الخداع والفاتن تتوخى كشف معطيات تتعلق بالتاريخ وبوصف البلدان وبأسماء الأعلام وبالثقافة العامة وقد تتجاوز اهمية هذه الأمور ما كنا نعيره عادة لهذا النوع من الأدب .

لحيان (٩٣ ـ ١٠٦)

ظل موقف الأنباط من الدولتين الكبيرتين : دولة البطالسة ودولة السلوقيين : غير معروف على حقيقته الى ان تسنى للعلماء المحدثين كشف النقاب عن مكنونات المملكة اللحيانية .

يرى بلينوس (« التاريخ الطبيعي » ، ٦ : ١٥٥) ان اللحيانيين من شعوب جنوب الجزيرة العربية[١] : وكذلك يعتقد فرنر كسكل انهم من جنوب الجزيرة لأنهم بدأوا يؤرخون حسب التقويم الحميري منذ سنة ١١٥ قبل المسيح : ويعتقد كسكل ان بلينوس مدين في موقفه هذا لمصدر آخر سابق[٢] . اما صاحب هذا المصدر فهو شخص يدعى اورانيوس (Uranios) كما بينت ذلك جاكلين پيرين[٣] . واغلب الظن انه عاش في زمن متأخر بعض الشيء بالنسبة الى الفترة التي قال كسكل انها شهدت بزوغ نجم

---

(١) وهو يسميهم Lexianes أو Lechiani

(٢) راجع Werner Caskel, *Das altarabische Koenigreich Lihyan*, 1951, 10; راجع ايضاً J. Ryckmans, *Bibliotheca Orientalis*, 18, 1961, 219 sq.

(٣) *Le royaume sud-arabe de Qatabān et sa datation*, 1961, 141 sq.

اللحيانيين اي حوالى سنة ١١٥ قبل المسيح[١]. والجدير بالذكر ان جاكلين بيرين قد اكتفت بتقديم الكتابة التي ذكر فيها وجود اللحيانيين في جنوب الجزيرة ؛ فيا بقيت هذه الكتابة غير معروفة من كسكل.

كان موطن اللحيانيين الثاني في المنطقة المتاخمة لجنوب بلاد الانباط وكانت المدينة الرئيسية فيه ديدان قرب مدينتي العُلى والحجر. «وكانت المسافة بين ديدان ومدين القديمة الى الشمال الغربي ، حيث مناجم الذهب، تقطع بخمسة ايام سيراً على الأقدام باتجاه بحر القلزم. وكان طريق آخر يؤدي الى بلاد ما بين النهرين ماراً بوادي الى الشمال الشرقي ؛ الا ان الممر الرئيسي كان عن طريق وادي ديدان نفسه وهو الطريق القديم الواصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط ماراً بغربي الجزيرة»[٢].

عثر علماء الآثار على بقايا عديدة ومبان وكتابات تسهل معرفة احوال مملكة لحيان. وقد توصل كسكل الى جمع ما توفر لدينا من معلومات حول اللحيانيين فصنف في تاريخهم ؛ منذ نشأتهم حتى زوالهم مصنفاً سيُعدّ من امهات المراجع لسنين طوال. ومما جاء فيه ان المينيين كانوا قد اسسوا مستعمرتين كبيرتين ، الأولى في ديدان والأخرى في الحجر على بعد ١٥ كيلومتراً منها الى الشمال ؛ وانه لم يكن ثمة علاقات تجارية بين المينيين من جهة ومصر واشور من جهة اخرى. ومما جاء ايضاً ان مستعمرات المينيين اضمحلت بعد ان استولى السبئيون على موطنهم الأم في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد[٣].

الا ان هذه الآراء في تاريخ لحيان قد لاقت بعض المعارضة وسوف تلاقي بعد ، لا سيما ان الحفريات الجارية الآن في كامد اللوز (البقاع) باشراف الاستاذ رولف هخمن (Prof. Rolf Hachmann) ستميط اللثام عن امور جديدة بخصوص التجارة مع مصر. وقد فات كسكل ما جاء في احدى الكتابات من ان رجلاً من المينيين كان وقوم له يترددون بين مصر وغزة و ا ا ش ر. فهذه الكتابة ذات شأن ، تناولها ج. ريكمانس بالدرس[٤] مقابلاً اياها بما ورد في سفر التكوين ٢٥:٣ حيث ذكر من جملة ابناء ديدان الأشوريم ؛ مما يبيّن ان مينيّي ديدان والوطن الأم كانوا على اتصال

(١) W. Caskel, *Lihyan und Lihyanisch*, 1954, 36.

(٢) *Le royaume sud-arabe...*, 149 راجع — . *RES*, 3902, n° 10.

(٣) W. Caskel, *Das altarabische Koenigreich...*, 5 sq.

(٤) J. Ryckmans, dans *Scrinium Lovaniense*, 1961, 56.

بأشور : كما تؤيد ذلك دون مراء الكتابة ٣٠٢٢ . فقد جاء فيها ايضاً ان المينيين يتاجرون مع مصر واشور و « عبر نهران » والاشارة الى « عبر نهران » تزيل كل شك بخصوص العلاقات مع اشور . الا ان الاستاذ كسكل لم يكن له علم بكل ذلك .

وقد فات كسكل ايضاً ان يأخذ بعين الاعتبار لائحة الاناس المكرسين في معين حيث نجد شهادة تثبت ان تجارة المينيين كانت تصل الى غزة[١] . مما يقضي بتأخير تاريخ انهيار المينيين حتى السنة ١٨٠ على وجه التقريب كما ارتأت ذلك جاكلين پيرين[٢] . اما تاريخ زوال المستعمرات المينية في الشمال فقد يكون قبل سقوط الوطن الأم او بعده وعلى كل فان الابحاث التي اجريت حتى الآن قد بينت ان المينيين اقاموا علاقات تجارية مع النبطيين اقله حتى عام ٢١٧ وهو تاريخ موقعة رافية (Rapheia) .

وثمة نقطة على جانب كبير من الأهمية وهي ما قاله ج. ريكمانس من ان وجود مستعمرات مينية في ديدان وجوارها لا يحتم البتة ان المينيين فرضوا سلطتهم على هذه المدينة[٣] . كذلك فان ورود اسم ديدان تسع مرات في لوائح معين للاناس المكرسين لا يمكن الاستنتاج منه ان المينيين كان لهم ثمة اية سلطة . فهذه المدينة : ديدان : لم تكن من الممتلكات الخاضعة لسلطة سياسية بل مستعمرة تجارية : شأنها في ذلك شأن سائر الاماكن التي صدر عنها تقادم الى معين : كصيدون وموآب وعمّان وغزة ومصر .

هذا واذا ما انتقلنا الى الزمن المتأخر لا نجد من الوثائق الا تاريخاً واحداً حُفظ على ضريح نبطي في العُلى . يعود الى السنة الأولى من مُلك الحارث الرابع عاهل الأنباط . اي الى السنة ٩ قبل الميلاد[٤] . ويستنتج كسكل من ذلك ان اللحيانيين خضعوا في التقديم لسلطة الأنباط : وهذا ما يوافق الحقيقة . الا ان سلطة الأنباط هذه لم تفرض الا مدة وجيزة . ويستند كسكل لبيان ذلك الى ما رواه سترابون عن الحملة الى جنوب الجزيرة العربية بقيادة ايليوس گالوس (Aelius Gallus) حيث رُوي ان الجيش الروماني نزح عن لوكي كومي (Leukē Kōmē) وانتهى بعد مسيرة عدة ايام الى بلاد نسيب للملك النبطي Obodas يدعى الحارث . احسن الحارث هذا وفادة

---

(١) ٢٧ من التقادم المنوه بها في اللائحة مصدرها غزة بينما ٨ فقط مصدرها مصر .

(٢) *Paléographie des inscriptions sud-arabes*, I. 1956, 211.

(٣) *Scrinium Lovaniense*, 1961, 52 et 55.

(٤) *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, 2, 1, 332.

اللغة العربية والبنيانية

بقلم الدكتور ريمون طحان

الدراسات اللغوية : لم يمدّ أهل هذه العصور الحديثة في العالم العربي بحثهم الى العلوم الألسنية ولم يتناولوها بما تناولوا غيرها من تجديد يبعث الحياة فيها ولم يعالجوها على ضوء مبادئ العلوم الحديثة ليبعدوا عنها ما اشتهرت به من قصور وكانت اكثر الدراسات التي صنفت على أنها دراسات حديثة هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والنظرات والآراء دون غربلة وتمحيص حتى ان من يطالعها لا يشعر بلعثمة أو هزة ناجمة عن حرارة في رأي واضعيها بل على عكس ذلك يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد فيقف الباحث حينئذ محاولا أن يتصيد من المعلومات التي وردت فيها الحجج الدامغة فيجدها مملوءة بالتعليلات المزهقة وبالإلغاز والتمويه المملين فيعرض عنها ويحاول التزود بالعلم الحديث لعله يبلغ غايته وهدفه.

إن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة لأن آراء الفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق تشوبها ولأنه قد مضى على وضعها زمن طويل "حل" فيها السقم والعقم فتقدم العلوم عامة والعلوم الألسنية خاصة اتاح للباحثين فرصة اتباع خطوط علمية لوضع كتب جديدة في اللغة.

استثمر العلم العصري البنيانية (structuralisme) مثلاً في مختلف الحقول حتى أنها أدخلت في العلوم الألسنية حيث أحرزت نتائج ملموسة وقد آن للدراسات اللغوية العربية أن تعتمد البنيانية كعنصر تجديد سيكتب له البقاء والنجاح المستمر.

اعتبرت البنيانية اللغة كتنظيم (système) يخضع لقوانين علمية صارمة هي :

ا — **الشمول** : يتألف اللسان من مجموعة من الظواهر الألسنية البحتة تدخل مجتمعة في نظام متكامل يؤدي وظيفة معينة.

ب — **الانسجام** : لا تتناقض مختلف الأجزاء التي تؤلف التنظيم بل تتعاون مجتمعة لتشكل وحدة متناسقة فالاجزاء في اللغة مثلاً هي الأصوات

والمفردات التي تنسجم في تنظيم تنقلي وذاتي وكل استغناء عن أصوات معينة او نشوء مفردات معينة يؤدي الى خلل موقت يعقبه توازن داخلي يؤثر على التنظيم ويحدث فيه توازناً جديداً ويتيح له ادخال عناصر جديدة أو لفظ عناصر معينة وتتم هذه التغيرات دون أن تقضي على بنيانية اللغة وهيكلها وجوهرها .

جـ — **الاقتصاد** : يسعى التنظيم الى عدم هدر الجهود البشرية فاللغة تُعبر مثلاً باقتضاب واختصار عما يجول في خاطر المتنعين منها وقد يسيطر على هؤلاء المتنعين مبدأ بذل أدنى جهد والحصول على أكبر منفعة وهذا ما يسمى الاقتصاد الألسني .

ه

اللغة العربية والبنيانية : سوف نستقرئ اللغة العربية وننظر في هيكل تنظيمها لنلاحظ نوعيتها محاولين اكتشاف بنيتها على ضوء النظريات البنيانية الحديثة :

١ — لا نريد دراسة اللغة كنظام قائم في أفكار المتنعين به وذاكرتهم بل كنظام قائم بحد ذاته او كبنيان صرف .

٢ — يضم كل تنظيم تحولات داخلية تتصرف بشؤونه وتتوزع مجاله الحيوي فالجملة وهي بهذا الخصوص صورة مصغرة عن التنظيم الكبير تتألف من عناصر يؤثر كل منها في الآخر وتتعاون تعاوناً وثيقاً لتؤدي مجتمعة المعنى المقصود .

٣ — يتألف كل تنظيم من مواد خام تسهم متضافرة في إقامة صرحه فالأصوات تؤلف التنيات (phonèmes) التي تجتمع لتؤلف المفردات ثم تنضم المفردات الى بعضها البعض في المقاطع الجملية او الجمل وتنتظم الجمل أخيراً في نسق معين لتعبر عن الكلام المفيد .

٤ — وبما ان الدراسات البنيانية تتوخى دراسة اللغة كتنظيم فهي تستطيع إما الانتقال من الجزئي الى الكلي إما تحليل الكليات الى جزئيات وقد آثرنا في دراستنا هذه الانتقال من الجزئي الى الكلي ولذا سوف نخصص مقالنا هذا لبحث الأصوات والمفردات وكيفية انسجامها في مفردات اللغة العربية على أن نهتم بالمواضيع الأخرى المنبثقة من النظريات البنيانية في ابحاث لاحقة .

ه

علما الصوت والفونولوجيا : يتبين للباحث من استعراضه لوحدات اللغة العربية الصوتية أنه لا يزيد عددها عن الثلاثين وهي تؤلف التنيات والمفردات التي تعالج على ضوء علمي الصوت (Phonétique) والفونولوجيا (Phonologie) . يهتم هذان العلمان بالدراسات الصوتية : يكشف علم الصوت

وقائع الاحداث الصوتية ويصنف الآلة المصوتة ومخارج الحروف وكيفية التلفظ بها وانتقالها الى السامع وتقوم الفونولوجيا بدراسة الدور الذي تلعبه الأصوات لدى قيامها بأعمال وظيفية (Fonctionnel) تؤدي الى اختلافات في المعاني او المسميات (على صعيد الفونولوجيا لا فرق بين كدّ وجدّ ولكن الفرق قائم بين نقد ونقض ...) وقد تقودنا الفونولوجيا الى تحديد عدد المتطابقات والمتخالفات في لغة معينة والى ضبط علائقها وشائجها كما أنها تعتبر بُنى الكلمات قائمة بذاتها وليست بحاجة في حال تحليلها الى عناصر غريبة عن طبيعتها الصوتية : الكلمة هي أصوات تجتمع في شكل معين لتؤدي معنى مقصوداً . ثم تلتزم الفونولوجيا سنن واقع اللغة (Synchronie) وتبتعد عن خط عبر التاريخ (Diachronie) وتتعلق بدراسة الأصوات كتنظيمات ذات دلالة موضوعية وقد يحل هذا النوع من الدراسات مشكلات اللغة في عصرنا الحاضر .

ه

النظريات التوزيعية واللغة العربية : تخضع أصوات اللغة العربية لنظام توزيعي معين قد يسلط عليه بعض الأضواء الكاشفة جبر بول (Algèbre de Boole) وقد يحده ليجعل منه تنظيماً مغلقاً مبدأ التنافر الصوتي (Les incompatibilités phonétiques) ومبدأ الشيوع والاستعمال (l'usage) ويتم توزيع الأصوات على شكل وحدات غير مصوتة تدخل عليها المصوتات القصيرة أو الممدودة لتبعث فيها الحياة وكانت الهياكل الصامتة تكتب بالحبر الأزرق والمصوتات بالحبر الأحمر وكان لون الحبر يرمز إما الى هيكل لا حياة فيه إما الى لون الدم والحياة ويتألف الهيكل عادة من ثلاثة حروف صامتة ترتبط به أو بتجمع حروفه فكرة عامة حسية قد تعمل بها عوامل التجريد والتصعيد والتعميم والتخصيص والانتقال بالمعنى (Mutation) ويتخذ الهيكل الأصلي أجساداً واشكالاً وصيغاً تعود رغم تنوع معناها إلى الفكرة الأساسية المشتركة وقد يتطور معنى بعض هذه الصيغ متخذاً له معنى جديداً متميزاً قد جعلها واهية الارتباط بالألفاظ المنحدرة من أصل واحد وقد يحافظ الهيكل على معناه العام مثلاً في : ساس ← سياسي ؛ حكم ← حاكم ؛ عقل ← عقال ؛ كتب ← مكتب ؛ جمع ← جامعة ؛ نطق ← مستنطق ؛ هتف ← هاتف الخ ... وقد تتحقق المفاهيم الجديـــدة في مفردات تصلح للاستعمال ويكون ذلك باتباع قواعد معينة جامعة شاملة تصدر عن امكانيات فاعلة أو كامنة في التنظيم الذي تخضع له اللغة العربية .

أهمية الأصول الثلاثية في اللغة العربية : إن هناك لغات معروفة تضع عدداً كبيراً من مفردات ذا تتألف من حرف صامت واحد تؤثر فيه النبرات الصوتية (Tons) وتجعله ينتقل إلى مفاهيم مختلفة وتنطبق هذه الحالة على اللغات الهندية الصينية مثلاً أما اللغة العربية فهي قلّما تتبع في بنيانيتها طريقة الصوغ من حرف واحد وقد تلجأ اليه في حالات معينة ونستطيع أن نعالج المفردات العربية التي تتألف من صوت واحد من ناحيتيها الحسابية والواقعية على الشكل التالي : تتألف أصوات اللغة العربية الصامتة من ٢٩ حرفاً تدخل عليها الحركات الخفيفة والممدودة فيكون الحاصل :

٢٩ × ٦ (اي فتح وضم وكسر في حالتي الحركتين الخفيفة والممدودة)= ١٧٤ . تنحصر في الواقع الكلمات التي تتألف من حرف واحد في بعض الاسماء (فم : فا ، فو ، في ؛ اسم الذات للذكور والإناث : ذا ، ذو ، ذي ، تا ، (تو) ، تي) وفي بعض حروف العطف والاستفهام والجر والقسم والنداء والندبة الخ ... وفي بعض الضمائر المتصلة المرفوعة والمنصوبة والمجرورة وفي أمر اللفيف المفروق (أمر وقى ، وفى ، وعى : قِ ، فِ ، عِ) وقد وعى المتنعون من التنظيم الصوتي العربي وهن الكلمات (mutilés phonétiques) التي تتألف من صوت واحد أو من مقطع واحد وجعلوا هذه المفردات تلحق بوحدات صوتية لكي تتألف من أكثر من صوت واحد أو اشبعوا الضعيف منها وهذا ما حدث مثلاً لأمر اللفيف المفروق (قِ ، فِ ، عِ – قِهْ ؛ فِهْ ؛ عِهْ) .

اعتمدت اللغة العربية وضع مفردات تتألف من حرفين صامتين تضاف اليهما الحركات الخفيفة والثقيلة ويتم ذلك نظرياً بالعملية الحسابية التالية ٢٩ أو ٢٨ (بإسقاط الهمزة التي تتلاشى احياناً في حركات المد) × ٢٧=٧٥٦ .

ولكن عملياً لا نجد في اللغة العربية إلا عشرات من الكلمات التي وردت في بعض كتب اللغة (أب ، أم ، أخ ، أخت ، حم ، دم ، يد ، بن ، بنت ، اسم ، شفة ، رئة الخ ...) وقد الحقت ببعض هذه الثنائيات احرف إضافية ثلثت لفظها وأدخلتها في التركيب المورفولوجي (Morphologie) العربي السائد والشائع .

ترتكز البنيانية العربية على أصول ثلاثية ولئن كانت هناك جذور ثنائية فهي لم تشكل سوى مرحلة تاريخية من مراحل تطور اللغة العربية فقد تم تحول بنيانية العربية إلى أصول ثلاثية بفعل تحولات داخلية بحتة (انظر آراء

الأب فليش (Père Fleisch: la flexion interne) نذكر منها المد والتضعيف وزيادة حرف واحد على الحرفين الأصليين مما أدى إلى أصول بلغت حد الاكتناز (انظر رأي الاستاذ بِلا Charles Pellat: l'étoffement) وتكون معظم الكلمات العربية منطلقة من مرتكز بنياني أساسي هو الأصل الثلاثي ويحدث ذلك نظرياً على الشكل التالي :

٢٨×٢٧×٢٦ (باهمال تنوع حركات عين الأصول الثلاثية) = ١٩٦٥٦

وقد يحد من فعالية هذا العدد الهائل من الأصول مبدأ التنافر الصوتي والاستعمال وقد تكتفي اللغة بعدد صغير من الجذور (٣٠٠٠ تقريباً) يتم بموجبها وضع معظم الكلمات العربية . تتولد الكلمات من الأصول الثلاثية في احداثيتين ثابتين (abscisse et coordonnée) هما احداثية مزيدات الأصول الثلاثية وإحداثية مشتقات الأصل ومزيداته اي خط الصفات والاسماء وكلما تقاطعت الخطوط المنبثقة عن الاحداثيتين تولدت مفردة قد تدخل الى حيز الاستعمال المباشر أو قد تبقى في حيز الكمون تنتظر الفرصة الملائمة لتشق لنفسها طريق الوجود . وخلاصة القول ان معظم الكلمات في اللغة العربية ينشأ عن أصول ثلاثية (ثلاثة حروف صامتة وغير مصوتة) هي حجر الزاوية لبناء تنظيم رياضي متكامل .

إن القول بوجود بعض الأصول الرباعية في اللغة العربية قضية هامة تحتاج الى دراسة مستوعبة . لم تستثمر اللغة العربية حتى الآن الإمكانيات الكامنة والناجمة عن الأصول الثلاثية ونستطيع أن نقوم بعملية حسابية بسيطة تبين لنا عدد الأصول النظرية التي قد تنشأ عن استثمار الأصول الرباعية في اللغة العربية :

٢٨×٢٧×٢٦×٢٥ = ٤٩١٤٠٠

تضاف إلى هذا العدد المريع من الجذور مشتقات الرباعي ونلاحظ في هذه المناسبة ان اللغة العربية أداة طيعة وحقل تجربة ناجح للنظريات البنيانية وانها لغة الأحرف التي تخضع لتنظيم رياضي قد يؤول الى لغة رمزية تفوق فيها وسائل التعبير المفاهيم التي قد يستوعبها الفكر البشري . ويتبين لنا من العودة الى واقع اللغة العربية ان الأصول الرباعية تتمتع بميزات تشبه تلك التي تتمتع بها الأصول الثلاثية اي حق التفريع والتوليد بموجب احداثيتين ثابتين هما احداثية المزيدات الفعلية واحداثية المشتقات الخاصة بالأسماء والصفات . وقد اكتفت اللغة العربية حتى الآن بعدد صغير من الأصول الرباعية قد جاءتها من الأسماء (برطل ، برجم ، خرطم) او من

كلمات اجنبية (تلفز ؛ تلفن) أو دخلتها عن طريق أصول ثلاثية أضيف إليها حرف واحد تصديراً أو إقحاماً أو تذييلاً (تشعر ؛ خنبص ؛ حرجم) او نتجت عن تكرار أصل ثنائي (زلزل) وهذه هي الحالة التي تنطبق على ما يسمى الأفعال الرباعية المضاعفة.

في اللغة العربية مفردات تتألف من أكثر من اربعة احرف غير ناتجة عن أصول ثلاثية أو رباعية وهي غير مألوفة في العربية لأن معظمها أخذ من كلمات سامية مندثرة او من اللغات الأعجمية القديمة والاجنبية الحديثة (قسطاس بلغة الروم الميزان ؛ الاسطبرق بلغة الفرس الديباج الغليظ ؛ الأرائك بلغة الأحباش السرر ؛ تلميذ بالعبرية تعود الى تلمود ؛ صالون وبالون وغالون من الفرنسية ...). تقوم البنيانية العربية بعملية اقتباس وتساير اللغات العالمية في حركتها التطورية وتسعى في هضم ما نسميه بالدخيل وتمثله. لا تعيش لغة بمعزل عن غيرها فكان من الطبيعي أن تتعرض لغة العرب للتأثر. فتتسرب إليها كلمات أجنبية. تتأقلم وتتغير أبنيتها وتُعرّب وتفقد عجمتها وتحاكي الكلمات العربية الأصل. وفي هذا الأمر نفع محتّم يؤدي الى توسيع شبكة مفردات اللغة وإلى تنمية مواد حقولها المفهومية وهو يتيح الفرصة للباحثين لكي يعثروا على مصطلحات جديدة تدعو إليها الحاجة الأدبية وبعض متطلبات الحضارة الحديثة (لنا رأي خاص في طرق وضع المصطلحات العلمية ولا نتكلم هنا إلا عن المصطلحات الحضارية) وقد اتبعت اللغة العربية في تعريب الدخيل وجعله في بنيانيتها المتميزة طرقاً معينة فعربت كلياً بعضه (رجال الشارع وهو تعبير انكليزي ؛ الجندي البسيط وهو فرنسي) أو اقتبسته وجعلته قريباً من أبنيتها أو محمولاً عليها، مجانساً لما تألفه العرب من أصوات وحروف وإمالات صوتية (پرنامه : برنامج ؛ پالوده : فالوذج ؛ بنفشه : بنفسج ؛ شلوار : سروال مع تغيير مكاني لحرف أو اكثر والمحافظة على وزن اللفظة ؛ نبهره : بهرج ؛ پراديس : فردوس مع تغيير حرف أو أكثر وحذف حرف او اكثر ؛ نشاستج : نشاء مع استبدال مجموعة حروف بحرف ...) ثم اخضعت الدخيل لأوزان عربية واشتقت منها وصرفتها (تأمرك ومتأمرك ؛ تلبنن ومتلبنن ؛ خندريس وخنادر ؛ صالون وصالونات ؛ سيجارة وسجائر ...)

٥

تقنية بنيانية وضع المفردات : تتم عملية وضع المفردات في اللغة العربية بموجب مبدأ عام قد يصلح كقانون : كل زيادة في الاحرف تؤدي إلى

زيادة في المعنى او تحصل الاختصاص في المعنى بفعل الزيادة في الاحرف وتحصل هذه الزيادات بواسطة تحولات داخلية صوتية بحتة قوامها :

١ ــ **الأصوات القصيرة والممدودة** : يتحقق معنى الأصول الثلاثية المشتركة في أحرفها والمختلفة في معناها بواسطة حركة عين مضارعها : (عرف : يعرِف ، يعرُف ، يعرَفُ) وتكون المصوتات العربية إما قصيرة (ضمة وفتحة وكسرة) إما ممدودة (و ا ي) وهذا يمنح الغربية صفة الاعتماد على كمية اطلاق الصوت لتوليد المعاني الجديدة (حكم وحاكم ؛ حكّيم وحوكم).

٢ ــ **تكرار الأصل جزئياً أو كلياً** : إن الشدة او التضعيف عنصر هام في عملية توليد الكلمات وبما أن الشدة تساوي اي حرف من حروف الابجدية العربية فنظرية تحديد أحرف الزيادة وحصرها في (سألت منه) تسقط أمام التحليل المحصن (مدّ ، مرّ ، فضّ بزيادة الدال والراء والضاد ، او بتكرار الأصل جزئياً ، زلزل بزيادة الزال واللام او بتكرار الأصل كلياً).

٣ ــ **قلب ترتيب أحرف الأصل** : ان ادخال أصل ثلاثي معين في دارة وتقليبه على وجوهه الستة يصبح مبدئياً في الدراسات البنيانية ولكن التعليلات المرهقة القديمة التي قيدت احرف الابجدية بمعان معينة هي من فئة النظريات المتعملة التي علقت عليها المناهج القديمة وافرغتها من كل محتوى علمي.

٤ ــ **ادخال احرف الزيادة** (affixation) : إن حروف الزيادة التي تدخل الأصول الثلاثية خاصة تصديراً واقحاماً أو حشواً وتذييلاً تطور معنى الأصل وتولد كلمات جديدة فيشتق من وزن فعل أوزان أفعل وتفعّل وتفاعل وافتعل وإنفعل وإفعل واستفعل التي بدورها تصلح لأن نشتق منها مختلف المصادر (المصدر العادي والمصادر الميمية ومصدر النوع والمرة) واسم الفاعل والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعل التفضيل واسم المفعول والمكان والزمان والنسبة والتصغير وجموع التكسير ...

٥ ــ **الإلصاق** (agglutination) : لجأت اللغة العربية إلى التركيب المزجي في بعض اسماء الاعلام الأعجمية : بيت لحم وبختنصر ، ولكن الإلصاق وهو من قبيل التركيب المزجي لا يبدو كميزة عربية قوية البروز وقد تأثرت اللغة العربية باللغات الأجنبية واستعملت طريقة الإلصاق كوسيلة اغناء جديدة (لامبالاة ؛ غير موضوعي ؛ عدم الاكتراث ...) وهذه الطريقة غير مرفوضة وانما تبدو وكأنها على هامش هذه الدراسة البنيانية.

٦ — النحت (télescopage) : إننا نذهب الى تخطئة اكثر ما صنف مع الأصول الرباعية المنحوتة فقد طرأت على هذه الأصول زيادات لم ترد في (سألت منه) اي بواسطة حروف لم يعتبرها القدامى كأحرف زيادة شرعية ونميل اليوم الى اعتبارها كأحرف زيادة لها ما لاحرف الزيادة التقليدية المعروفة . لا يتناول النحت الحقيقي إلا عدداً قليلاً من المفردات القديمة نذكر منها (حيعل والحيعلة ؛ حمدل والحمدلة ؛ عبشمي وعبقسي) وقد ظهر النحت في بنيانية بعض الألفاظ الحديثة (برمائي ؛ مدرحي اي مادي — روحي ؛ مكزماني اي مكاني — زماني ؛ جوقلة اي النقل الجوي لعمليات حربية معروفة الخ ...) كما أن هناك كلمات سادت فيها الطرق الغربية المتبعة في النحت اي الاحتفاظ بمطالع الكلمات لتسمية مؤسسات أو مصالح معينة (مؤسسة الاونيسكو ؛ مصلحة الأونروا ...) .

ه

الأوزان العربية : إن الوزن الحقيقي هو الذي تتطابق فيه اوضاع حروف الوزن مع حروف الفرع والذي تدخل فيه الزيادات عينها التي تدخل الفرع في الموضع المقابل لها في الوزن وتضاف الى هذه المطابقة الهيكلية مطابقة صوتية كاملة بين الوزن والفرع .

فعل : كتب ؛ مفعل : مكتب ؛ مستكتب : مستفعل .

إن عملية الوزن تخضع الى مبدإ شامل يتجلى في معظم الأوزان العربية التي تعكس عدد حروف الكلمة التي نريد أن نزنها ونوعيتها وأصوات حروف هيكلها اي نجد على حروف الفرع المصوتات نفسها التي تتسم بها حروف الوزن . وتضم هذه الأوزان معظم الصيغ أو أبنية الكلمات العربية وهي تنتظم المزيدات والمشتقات على حد سواء في وضع شمولي . اقتصادي يعني ان الاوزان تحول آلاف كلمات الى عدد محدود من الرموز الهيكلية والصوتية ويصبح هذا التنظيم الصارم خاصية ؛ تلقائية . أساسية ؛ تهيمن على اللغة العربية لدرجة أنها تدخل في هذا التنظيم الكلمات المستعارة من اللغات الأعجمية والأجنبية وتصبح الكلمات المعربة جزءاً لا يتجزأ من اللغة العربية فتدخل في تنظيم متماسك قوي يخضعها لخصائصه .

إن أوزان الأفعال المزيدة والأسماء والصفات المشتقة من الثلاثي السالم صالحة كأوزان تنطبق عليها مواصفات الوزن الموضوعي ثم إن الأصول الثلاثية هي المعتمدة في اللغة العربية وان التوليد يرتكز عليها بشكل أساسي وبالتالي إن بنيانية اللغة العربية التي تعتمد الأصول الثلاثية السالمة خاصة

تخضع الى نظام جامع شامل لا شذوذ فيه . ولكن عملية التقعيد (-gram matiсalisation) التي قام بها الصرفيون أدت إلى حصول بعض الخلل في الأوزان العربية ومن تفحص بعض بنى الأصول الثلاثية يتبين لنا ان هناك ثنائيات عوملت بوزن فَعَلّ وجعلت ثلاثية في لفظها لتدخل في نطاق التركيب المورفولوجي العربي وانها ثلثت بالطرق التالية :

١ – ان ابسط أنواع طرق التثليث التقنية هو اللجوء الى المد الصوتي الناتج عن خلاف نوعي في طبيعة المصوتات وليس عن خلاف في طبيعتها: مد ← ماد ؛ مع ← ماع ؛ خر ← خار ؛ فح ← فاح ؛ شد ← شاد .

٢ – هناك طريقة ثانية بسيطة للتثليث تقوم على تضعيف الحرف الثاني من الثنائيات والشدة في اللغة العربية مرتكز هام في بنيانيتها : مد – مدّ ؛ خر – خرّ ؛ شد – شدّ .

٣ – تعتمد الطريقة الثالثة الشائعة الغالبة في التثليث على زيادة حرف على الثنائيات بغير طريقتي المد او تضعيف الحرف الثاني ولا يهمنا في هذا المقام قبول نظريات معينة أو رفضها مفادها أن أصل اللغة هو من أصوات الطبيعة (onomatopée) وان اللفظ يناسب لمدلوله مناسبة طبيعية وان الحرف الثالث الزائد يمثل مادة تعبيرية ويختصرها (جذّ ← جذر ؛ جذع ؛ جذل ... قطّ ← قطع ؛ قطف ؛ قطل ؛ قطم ...) ولسنا بحاجة لان نبحث عن معنى أحرف الزيادة المختلفة فالذي يهمنا هو ما كان من الأصول الثنائية التي متى ثلثت دلت أولا على أحداث تصلح لأن تكون مرتكزاً لتوليد الكلمات والأبنية وأدّت ثانياً الى تنظيم موضوعي تهيمن عليه فكرة إقامة الوزن الصحيح وتحقيقها بواسطة وزن فعل ومشتقاته .

يتبين لنا من العودة الى الحالتين رقم ١ و ٢ اللتين وردتا في أعلاه ان معاملة ماد ومدّ واخواتهما مع وزن فعل هي من قبيل المعاملات المغلوطة وأن الوزن الصحيح لـ ماد هو فاع ولـ مدّ هو فعّ ولسنا بحاجة في هذا الباب لالتماس تعليلات مرهقة قد وردت في اللغة العربية في بابي الإعلال والادغام: إن البنيانية ذات حلول سليمة سهلة المأخذ وقد أسهمت في حل مشاكل عويصة قد صادفتها بعض اللغات الأجنبية (لقد حلّت مثلاً قضية تصريف الأفعال التي تصرف تصريفاً غير قياسي (irréguliers) في اللغة الفرنسية) وقد تبعد عن ذاكرة المتأدبين أوزاناً مغلوطة عمل اللغويون لاقامتها كل ما أوتوا من حذلقة وقد أدّى افتعالها الى دراسات عقيمة تتعلق خاصة بالمفردات التي انحدرت منها (انظر الدراسات التقليدية التي تتعلق بكلمتي ميزان ومبيع مثلاً) .

. وعندما نتفحص وزن فعلل نجد ان مغالطات الوزن تبلغ حد الشطط .
إن فعلل هذا صيغ من فعل بتكرار اللام ويعني التكرار في لغة الوزن
ان الحرف الأخير من الصيغ التي يزنها فعلل يجب أن يكون مكرراً ، وبما
انه قد اختلف الحرف الثالث عن الرابع في الأصول الرباعية لذا يجب :
تحاشياً من الوقوع في الخطأ . جعل الحرف الأخير في وزن فعلل غير اللام
وإيجاد بالتواطؤ حرف لهذه الصيغة يختلف عن الحروف التي وردت في فعلل
بحينئذ لا يصلح وزن فعلل لقياس الأصول الرباعية من ناحية مطابقة
أحرفه للاصل المراد وزنه ولكنه يصلح كوزن صوتي اي ان هيكله يحمل
أصواتاً تتكرر في هذا النوع من الصيغ (فعلل : دحرج . علمس . زلزل :
يفعلل : يدحرج . يعلمس . يزلزل) .

وفي حال إقامة وزن للاصول الرباعية وذلك بواسطة حرف غير اللام
الثانية (فعلنَ مثلاً) نستطيع حينئذ بعد أن انطبقت مواصفات الوزن الموضوعي
على فعلن ان نخصصه للاصول الرباعية التي جاءت الى اللغة العربية عن
طريق الاشتقاق من الاسماء (برطل . برجم . خرطم) او عن طريق التعريب
(تلفز . تلفن) ولكننا نقع في اللبس عندما نحاول وزن الأصول الثلاثية
التي انتقلت الى الرباعي والتي اعتبرت خطأ رباعية أو وزن ما يسمى الأصول
الرباعية المضاعفة .

١ – لم يكن بعض ما يسمى رباعياً مجرداً إلا مزيداً ثلاثياً ادخلت
عليه احرف لم ترد في (سألتمونيها) وقد كان للرأي بنحتها مضاعفات على
صعيد الوزن : كيف تجد في بزعر الذي يقال عنه من زعر وبزع الحروف
الأصلية التي تتطابق مع ميزانها البنياني وكيف تكتشف الحروف التي اسقطت
من الأصلين الثلاثيين والتي استبقيت منها ثم كيف تزنه على فعلل المغلوط
أصلاً ؟ والأصح هو أن نعمد الى تفسير لغوي صحيح وأن نعود الى ميزان
فعل كأساس لهذا النوع من الرباعيات وان نرسم الموازين البنيانية بشكل
دقيق حتى ينطبق كل حرف أصلي مع حرفه في الميزان وكل حرف زائد
مع ما يقابله في الميزان ونتعرف بعدئذ على كل حرف زائد في الأصل وفي
ميزانه وندخل على وزن فعل الحروف الزائدة التي تأتي تصديراً أو حشواً
أو تذييلاً ونسجل الزيادات في مواضعها وفي المكان الذي دخلت فيه واعتماداً
على عملنا هذا تأتي الأصول الآتية على وزن :

– خلبن . كلمن . علمس . شخصن على وزن فعل + ن = فعلن .
– جندل على وزن فنعل اي بزيادة النون حشواً .

— بزعر ، بركل ، بزمخ على وزن ب + فعل = بفعل .
— دحرج ، حدرج ، صفرج على وزن فعل + ج = فعلج .
وتصبح هذه الأنواع من الرباعيات التي قيل عنها مجردة من مزيدات الثلاثي وذلك عملاً بمبدإ بعج الأوزان الثلاثية وإضافة اليها أوزان غير مشكوك في أصولها الثلاثية :
كما أنه هناك أصول رباعية اعتبرت منحوتة ولا يظهر الأصلان فيها بوضوح بل يبدوان متداخلين متشابكين ضائعين غير أكيدين وقد تبلورت هذه الأصول عبر التاريخ ولا حاجة للكلام بصددها عن عملية نحت اعترتها فاسباب اكتنازها تعود الى تولد أحرف زائدة صامتة قد حولتها من ثلاثيات الى رباعيات ولا يتقابل فيها اي حرف في الوزن مع اي حرف آخر في الأصل ومن المستحسن حسماً لكل نزاع وزنها على فعلد .
٢ — لا يجوز لنا أن نعالج في ما يسمى الرباعي المضاعف زلزل مثلاً الذي يتألف من تكرار ثنائيين على وزن فعلل فالثنائي يتألف من وزن فع مكرراً ويكون وزن زلزل على فعفع .

وتترتب على كل ما تقدم النتائج التالية :
١ — إن إمكانية التشديد اي تكرار كافة حروف الابجدية العربية تقضي على نظرية تحديد حروف الزيادة الصوتية والصامتة في سألتمونيها .
٢ — إن الثنائيات التي انتقلت الى ثلاثيات بالشد والمد لا يمكن أن نزنها على فعل بل يجب ان نجد لها أوزاناً خاصة وبالتالي يجب أن تزن مشتقاتها على أوزان يترتب علينا وضعها (علينا إعادة النظر في كل الأصول الثلاثية غير السالمة المضاعفة والمهموزة والمعتلة واللفيفة الخ ... ومشتقاتها ومعالجتها على ضوء مبادئ الفونولوجيا الحديثة وإهمال بابي الاعلال والادغام اللذين قام بوضعها اللغويون رغبة منهم في تقعيد (grammaticalisation) ما استعصى من الأصول التي لم تنضو بسهولة في فئات الأوزان التي استحدثوها .
٣ — إن وزن فعل السالم ومشتقاته ينطبق تمام المطابقة في تحولاته واشتقاقه مع عدد الحروف ونوعية الأصوات التي يزنها وترتسم فيه الأحرف الزائدة في مواضع تناسب المواضع التي ارتسمت فيها في الوزن ويناسب كل حرف حرفه في الميزان مع الحركة الملائمة :
فعل : ضرب ؛ أفعل : أضرب ؛ إنفعل : إنكسر ؛ تفاعل : تقاتل ؛ استفعل : استغفر ؛ إفعوعل : إخضوضر ؛ مفعول : منقول : مستفعل : مستنجد .

٤ – يلاقي وزن فعلل عدداً كبيراً من التحفظات وهو لا يصلح بشكله الحاضر لقياس الأصول الرباعية خاصة ومشتقاتها عامة .

ه

ليست الغاية من هذه الدراسة بعث مفهوم الوزن ووضع أوزان عربية قد تنطبق على عدد قليل من الكلمات بل القصد توضيح الخطأ الكامن في بعض الأوزان ونقض نظريات القياس عليها خاصة وان إعمال الآلة في اللغة بحاجة الى تصحيح الوزن حيث حتمه الخطأ وقد يتعدى الأمر هذا الشكل في الآلات الالكترونية (Computeurs et Ordinateurs) ويتجاوزه الى قضية وضع أوزان أو على الأقل نماذج (prototypes) تتفق مع واقع اللغة العربية . ورغم دخول الآلة الى عالمنا الحديث هناك من تمسكوا بالأوزان التقليدية وشخصنوها وأطروها في غير تسامح ووقفوا وقفة طويلة عندها فجذبتهم ببهرجها وأنستهم مبادئ المنطق السليم وقد رأينا لزاماً علينا أن نعود الى القياس اللغوي الصحيح وأن نعيده الى طريق الصواب لكي يستقيم الوزن وتتحطم أصنام جوفاء وتستنبط أوزان صحيحة تصلح لمقاطيس مستقيمة .

المراجع

N. Chomsky, *Syntactic Structures*, La Haye, 1957.

H. Fleisch, *L'arabe classique, esquisse d'une structure linguistique*, Beyrouth, n.éd. 1968.

C. Pellat, *Introduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956.

E. Sapir, *Le langage*, Paris, 1967.

F. de Saussure, *Cours de linguistique générale* (publié par C. Bally et A. Séchehaye), Genève, 1916.

N.S. Troubetzkoy, *Principes de phonologie*, Paris, 1949.

اسماء اللبنانيين في الولايات المتحدة الاميركية

بقلم الاب كميل حشيمه اليسوعي

اتيح لنا ان نقضي في الآونة الأخيرة بضعة اسابيع في مدينة بوسطن من ولاية ماستشوستس الأميركية، خدمنا خلالها الرعايا المارونة المتحدرين من اصل لبناني: فاسترعى انتباهنا الطريقة التي اتبعها هؤلاء المغتربون لكتابة اسمائهم اذا استمروا عليها؛ او صياغتها اذا ما حرفوها او ابتدعوها: فدوّنّا منها ما تيسر لنا جمعه: آسفين لأن لم يسمح لنا ضيق الوقت باستقصاء الموضوع؛ آملين ان لا تخلو هذه البادرة من فائدة وتكون خطوة اولى لدرس كل ما يمت الى دنيا المغتربين بصلة.

١) **الاسماء التي لم تبدل**، وهي قلة بين الذين اموا البلاد الاميركية قبل الحرب الكونية الأولى. وعلى عكس ذلك: تغلب بين الذين هاجروا حديثاً حاملين تذاكر هوية معلوماتها مدونة ثابتة: على خلاف ما كان للمهاجرين الأولين.

لم يرَ اصحاب هذه الفئة حرجاً في البقاء على اسمائهم لفظاً وكتابة، فنسخوها بالصورة التي هي أقرب الى العربية سواء اتبعوا الاملاء الانكليزي او الفرنسي: فترى بينها أمثال Kfoury (كفوري)؛ Khoury (خوري)؛ Haddad (حداد)؛ Resha (ريشا)؛ Salamy (سلامه)؛ Botaish (بطيش). وما الى ذلك، مما لا يجدر بنا ان نطيل الوقوف عنده؛ اذ الفائدة المرتجاة هي في ما خلا هذه الفئة من الاسماء والالقاب.

٢) **الأسماء العربية المترجمة الى الانكليزية**، وهي على نوعين: اسماء العائلات الناتجة عن لقب، واسماء العائلات المستوحاة من اسماء الافراد. فمن يعود الى النوع الأول، مثلاً، من تسموا باسم Darling، وهو ترجمة لاسم عائلة عزيز، او من تسموا باسم Smith واصلهم من عائلة الحداد. اما النوع

الثاني فاسماؤه اسماء افراد غالباً ما يكونون اجداد العائلة فينتمي اليهم المغتربون على الطريقة اللبنانية القديمة ؛ مترجمين اسماءهم من العربية الى الانكليزية . فتجد بينهم من يدعوا Abraham (ابراهيم) ؛ George (جريس) ؛ Jacob (يعقوب) ؛ Peter(s) (بطرس) ؛ Andrews (اندراوس) ؛ Charles (خليل) .

٣) الأسماء العربية « المؤمركة » وهي القسم الاجدر بالانتباه لما فيه من ابتداع في الاشتقاق والتحريف : ولما فيه من فائدة عتيدة لعلماء الاسماء والاجتماع على السواء . فقد عمد فيه المغتربون الى صياغة اسمائهم صياغة تنطلق من الأصل العربي وتحافظ عليه كلياً او جزئياً صايغة اياه بلون اميركي تخال ان صاحبه منحدر من اصل اسكتلندي او ارلندي او انكليزي . اليك بعض ما جاء في اسماء الافراد اولاً ثم في اسماء العائلات :

أ ـ الأفراد : شفيقة = Sophie [1] ؛ نظيرة = Nancy ؛ لياس = Louis او رشيد = Richard ؛ Ellis ؛ مرون = Mary ؛ حنة = Ann . مريم = Mary Ann . ارزه = Elsie ؛ امينه = Emily ؛ هدبا = Edna ؛ ادما = Edna ؛ سعدى = Sadie ؛ سيّده = Sadie ؛ كميله = Camille ؛ ديبة = Delia ؛ نعمه = Norman .

ب ـ العائلات : شاهين = Sheehan ؛ مخول = Mc Houl ؛ ريّس = Rice ؛ حلو = Hellow . الشعّار = Shaw ؛ مهنّا = Mahanor . بطحاني = Bethoney او Letorney او Patgane ؛ شمعون = Shamon ؛ بطل = Butland ؛ خوري = Corey ؛ طوا = Tower ؛ علي = Ale ؛ العلم = Allen ؛ نخله = Nichols ؛ عبد النور = Ben Hur ؛ شقير = Shire ؛ شينا = Shiner ؛ نشواتي = Nash ؛ لطوف = La Touf ؛ لحود = La Hood ؛ صوايا = Sawyer ؛ زعتر = Carter ؛ حوزي = Housey ؛ شحاده = Shadie ؛ سلوم ؛ Sullivan او Solomon ؛ هندي = Handy .

٤) الأسماء التي لا علاقة لها بالأصل العربي وهي قلة قليلة : كمثل اسم Kelly اتخذه اناس من آل مخلوف ؛ او اسم Taylor تسمى به جماعة من بني عطاالله ؛ ولعل هذا الاسم العربي الأخير اذا ما أسقط منه الحرف الأول ولفظ بامالة الطاء : قارب لفظة Taylor التي تدغم فيها الراء الأخيرة بالانكليزية ؛ والله اعلم .

---

١) استعضنا عن كلمة « تعني » بعلامة المعادلة

تعريف عن الكتب

KAMIL, Murad, *Catalogue of all manuscripts in the Monastery of St. Catherine on Mount Sinai*, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1970, 213 pp.

لقد أدّى البطريرك بورفيروس الثالث خدمة جلّى للعلم عندما وافق على طلب مكتبة الكونغرس بتصوير المخطوطات التي تحويها مكتبة دير القديسة كاترينة القديم في جبل سيناء. فبفضل هذه الموافقة أرسلت بعثة اميركية الى سيناء سنة ١٩٥٠ وقد زُوّدت بالرجال والأعتدة اللازمة للقيام بتصوير جميع المخطوطات. ان مكتبة الدير قيّمة جداً وهي تحتوي على ٣٣٢٩ مخطوطة باثنتي عشرة لغة كما تحتوي على مجموعة كبيرة وفريدة من المدرجات لا تقل عن ١٧٤٢ قطعة متنوعة بالعربية او التركية كقرارات سنها الرسول بنفسه او بعض الخلفاء والسلاطين وبينها ايضاً معاهدات وفتاوى ورسائل وسجلات. هذه المجموعة هي ذات قيمة فريدة بالنسبة لتاريخ علم قراءة الكتابات العربية القديمة وكتابات العالم العربي. كان من الصعب ان نصل الى هذا الكنز حتى سنة ١٩٥٠. اما الآن فقد اصبح من السهل دراسة تلك المخطوطات والمستندات لان نسخاً عن صورها قد وُضِعت في مكتبة الكونغرس في واشنطن وفي مكتبة جامعة الاسكندرية التي هي اقرب الينا. انما البعثة الاميركية لم تصوّر الا الوثائق التي اعتبرتها ذات اهمية بالنسبة لتاريخها او مضمونها. ولهذا السبب قد نلاحظ ان مؤلّف عزيز سوريال عطية عن المخطوطات العربية في جبل سيناء[1] لا يبحث في الست مئة ومخطوطتين العربية الموجودة في سيناء كما يوحي عنوان كتابه: انما يقتصر على الثلاث مئة وست مخطوطات التي صورتها البعثة الاميركية. وقد ارسلت وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٥١ لجنة الى سيناء لكي تحصي جميع المخطوطات العربية ولا سيما تلك التي اهملتها البعثة الاميركية. وقد جاء مؤلّف الاستاذ مراد كامل نتيجة لهذا العمل. ولم يبتغ المؤلف تقديم جدولاً تحليلياً او قياسياً. لقد جاءت شروحات المخطوطات مقتضبة جداً على غرار ما ورد

ATIYA (Aziz Suryal), *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai* (١) (Baltimore, 1955, XIII and 97 pp).

عند الاستاذ عطية . وفي اغلب الاحيان لا تعط تلك الشروحات الا تلميحاً عن المادة المستعملة (ورق عادي او رق) ؛ وعن عدد اوراق المخطوطة وحجمها وشيئاً قليلاً عن محتواها واحياناً عن تاريخها . واما الشروحات التي وردت عن المدرجات فلا تشير الا الى المادة التي كتبت عليها الوثيقة والى حجمها وتاريخها . ومن المؤسف ألاّ نجد في الكتاب ترقيماً صحيحاً لكل صفحة او قطعة تابعة لمخطوطة واحدة . ان مراد كامل باعطائه جردة كاملة لكل ما تحتويه المكتبة وذلك بلائحة منظمة آخذاً بعين الاعتبار الجداول السابقة: اراد ان يجعل من كتابه دليلاً يعطي نظرة اولية وشاملة عن مجموع مواد مكتبة جبل سيناء كما يهدي الى المواد المصورة . وعلى هذا يكون الكتاب قد ادّى خدمات جلّى قيّمة حتى ولو احتاج الى شيء من التحسين . واننا نسمح لنفسنا بان نشير الى بعض الأغلاط المطبعية او السهوات التي وردت . ونظن ان هذه الاشارة لا تنقص من قدر العمل الجدّي والشاق الذي قام به الاستاذ كامل .

ان مجموعة المخطوطات المسيحية العربية هي من اهم المجموعات . وأكثر من نصفها يعود الى القرن الثالث عشر اي الى العهد الذي لجأ فيه كثير من المسيحيين الذين يتكلمون العربية الى الدير هرباً من اجتياح المغول . يعطي المؤلف في الصفحة العاشرة قائمة للمخطوطات التي تعود الى هذه المجموعة والتي صورتها البعثة الاميركية . الا ان المخطوطة رقم ٨٠ من هذه القائمة لم تصوّر (انظر عطية ص ٤) وقد ورد الرقم ٣٩٨ عوضاً عن الرقم ٣٨٩ ؛ فيما يختص بمجموعة مخطوطات العهد القديم أرّخ كامل الرقم ٣ بسنة ١٣٥٨ (ص ١١) وقد قال عطية انها سنة ١٣٤٨ (ص ٣) ؛ في الرقم ٣٠ (ص ١٢) وردت كلمة Pdes عوضاً عن Odes وفي الرقم ٥٥ (ص ١٣) begining عوضاً عن beginning ؛ فيما يختص بمخطوطات العهد الجديد ان عدد اوراق الرقم ٦١ هو ٤٠٦ وليس ٤٦ ورقة (ص ١٣) ؛ المخطوطة رقم ١٠٣ من لائحة كامل (ص ١٥) لا توافق الرقم ١١ بل الرقم ١١١ من لائحة عطية ؛ في شروحات المخطوطات الطقسية نرى انه قد ورد في الرقم ١٦١ (ص ١٩) Xenophon عوضاً عن St Xenophon . وفي الرقم ١٦٢ (ص ١٩) نرى St Maletius عوضاً عن Meletius ؛ وفي نقل اسماء الاشهر العربية قد أهملت الحركات ولم يشر الى المدّات : انظر مثلاً في الرقم ١٥٨ Kanun و ١٦٤ Iyar و ١٦٧ Ab و ١٧٢ Adhar . بينما نرى في الرقم ١٤٤ ان كلمة 'Abdallāh قد كتبت حسب الاصول ؛ ان كيفية نقل تلك الاسماء

العربية ليست ثابتة اجمالاً : انظر في الرقم ٤٥٧ ص ٣٧ Surūg التي وردت عوضاً عن Surūğ وقد كتبت في الرقم ٥٠٧ Surug ؛ جاء في الرقم ٤٩٣ ص ٤٠ ar-Ruha, al-Ruha, al-Raqqa, ar-Rashīd وفي الرقم ٤٩٥ ص ٤٠ al-Hārith at Nagrān نجد في الرقم ٥٠١ ص ٤١ ؛ ar-Raqqa, ar-Reshīd وفي الرقم ٥٤٤ ص ٤٦ al-Hārith of Nagrān وذلك عوضاً عن Nağrān ؛ ان الاشارة « cam » في الرقم ١٩٠ ص ٢٠ يجب ان تقرأ cm. ؛ يحتوي كتاب القراءات رقم ١٩١ (ص ٢٠) على ١٧٧ ورقة حسب كامل وعلى ١١٧ حسب عطية (ص ٣). والرقم ١٩٩ (ص ٢١) مؤرخ في سنة ٩٨٥ عند كامل و ٩٩٥ عند عطية . وكذلك الرقم ٢٠٥ فقد أرخه كامل في سنة ١٢٢٨ بينما قال عطية انه في سنة ١٢٨٨ ؛ هل يحتوي الكتاب رقم ٢٢٠ (ص ٢٢) على ٣٩٩ ورقة ام على ٣٩٠ وهناك ايضاً اختلاف بالتاريخ بالنسبة لكتاب القراءات رقم ٢٤٥ (ص ٢٣) فهو سنة ١٢٨٨ عند كامل و ١٢٧٢ عند عطية (ص ٧) . قال كامل ان الاوورلوجيون رقم ٢٥٧ (ص ٢٤) يعود الى القرن الخامس عشر بينما يؤكد عطية انه من القرن الثالث عشر (ص ٧) ؛ المجموعة الطقسية المحتوية على تبريك ماء النيل تتضمن ٢٢٥ ورقة حسب كامل (ص ٢٦) و ٢٥٥ حسب عطية (ص ٧) ؛ في مجال المؤلفات اللاهوتية قال كامل ان قياس الرقم ٣٣٠ (ص ٢٧) هو ٢٦÷١٨ سم بينما يقول عطشة انه ٢٦ — ١٣ سم (ص ٨) — وفي الرقم ٣٥٣ (ص ٢٨) نجد explaning بدلاً من explaining و "a payer for the Caliph" بدلاً من "a prayer for the Caliph" (ص ٢٨) . وعن الرقم ذاته يقول كامل ان عدد اوراقه هي ٣٤٣ (ص ٢٨) بينما يؤكد عطية انها ٢٤٣ ورقة (ص ١٤) — وعدد اوراق الرقم ٣٥٥ هو ١٠٨ حسب كامل (ص ٢٨) و ١٦٨ حسب عطية (ص ١٨) — واذا ما طالعنا الصفحة ٢٩ من مؤلف كامل نرى انه قد وردت في الرقم ٣٦٠ كلمة Caphas عوضاً عن Cephas وفي الرقم ٣٦٩ نجد folowed بدلاً من followed . كما ورد ايضاً في الرقم ٣٧٢ SS. Maximus Thalassius, بدلاً من SS. Maximus, Thalassius, في الصفحة ٣٠ يجب تصويب apophthegàmte ؛ apophthegmata ؛ Basil (رقم ٣٨٣) . وكذلك antiochus ؛ Antiochus (رقم ٣٨٤) و St. Antiochus (رقم ٣٨٦) St. Antiochus: Pandectes ؛ Pandectes ؛ هل يعود تاريخ المخطوطة رقم ٣٩٦ (ص ٣١) الى سنة ١٨١٣ ؟ — ان الرقم ٤٠٠ من لائحة كامل (ص ٣١) قد وضع على انه يوافق الرقم ٣٩٦ في لائحة مكتبة

الكونغرس بينما الرقم الصحيح هو ٣٨٦ ؛ ان كلمة mimar في الرقم ٤٠٣ (ص ٣١) يجب أن تصحح بـ mimars كما Natvity (رقم ٤٠٦ ص ٣١) بـ Nativity و Selction (رقم ٤١٨ ص ٣٣) بـ Selection و Emperer (رقم ٤٤١ ص ٣٥) بـ Emperor و mimars St. John Climax (رقم ٤٥٧ ص ٣٧) بـ mimars of St. John Climax ؛ يؤرخ كامل الخطوطة ٤٧٣ (ص ٣٧) بسنة ١١٧٧ بينما هي سنة ١١١٧ عند عطية (ص ٩) ؛ لقد ورد "13 the cent" عوضاً عن "13 th cent" في الرقم ٤٩٤ (ص ٤٠) ؛ يدعي كامل ان تاريخ المخطوطة رقم ٤٩٧ (ص ٤٠) يعود الى سنة ١٢٣٣ بينما يقول عطية انها سنة ١٣٢٣ (ص ١٤) ؛ يقول كامل ايضاً ان المخطوطة رقم ٤٩٩ (ص ٤١) توافق الرقم ٤٥٣ في لائحة مكتبة الكونغرس والحقيقة انه الرقم ٤٥٥ لان الرقم ٤٥٣ في مكتبة الكونغرس يوافق الرقم ٤٠٧ من لائحة كامل ؛ ان الرقم ٥٠٧ هو الطرس الذي اكتشفه عطية في الثاني عشر من حزيران سنة ١٩٥٠ وقد سماه الـ "Codex arabicus" تمثلاً بالـ "Codex syriacus" الذي أكتشفته السيدة Agnes Smith Lewis في اواخر القرن التاسع عشر وفي المكتبة ذاتها . ويبدو ان هذا الطرس يحوي خمس طبقات مختلفة ؛ واحدة يونانية واثنتين سريانيتين واثنتين عربيتين . والطرس الآخر الذي اكتشف في دير القديسة كاترينة هو كتاب الانبياء الذي يحمل الرقم ٢٤٦ في لائحة كامل وفيه نص بالسريانية وثان بالخط الكوفي وثالث بالخط النسخي . واننا نجد لهذين الطرسين وصف ادق وأشمل عند عطية وذلك في مقدمته (ص XXVI) وفي الرقمين ٥١٤ و ٥٨٨ ؛ لقد خصص كامل القسم الرابع من تصنيفه المواضيع الى التاريخ . وفي وصفه للمخطوطة رقم ٥١٧ (ص ٤٣) يتكلم المؤلف عن قصة Ametharius وامه بينما يقول عطية انها قصة Anutharius وامه (ص ١٣) . وفي الرقم ٥٢١ كتب كامل jews عوضاً عن Jews ؛ هل عدد اوراق المخطوطة رقم ٥٢٩ (ص ٤٤) هو ٢٦٢ ورقة ام ١٨٥ كما قال عطية في الصفحة ١٨ ؟ وكذلك بالنسبة لكتاب يعود للقرن العاشر : فقد يقول كامل ان هذا الكتاب (رقم ٥٣٣ ص ٤٥) يتألف من ٣٥٩ ورقة بينما يذهب عطية الى انها ٣٨٩ (ص ١٩) — وفي وصفه للمخطوطة رقم ٥٥١ (ص ٤٦) يكتب كامل Mosul عوضاً عن Moṣul ويبدو ان الشهيد Qāyātīs هو بالحقيقة Qāyārtīs ؛ يجب كتابة "a third" عوضاً عن "a thrid" في الرقم ٥٥٥ (ص ٤٦) وكذلك "the last four tracts" عوضاً عن "the last from tracts" ؛ هل حجم المخطوطة رقم ٥٤٩ هو ١٢,٥ × ١٤,٥

(كامل ص ٤٧) ام ٢١٫٥ × ١٤٫٥ (عطية ص ٢٢) ؟ والمخطوطة رقم ٥٥٠ هل قياسها ١٦ سم كما قال كامل (ص ٤٧) ام ١٠ سم كما قال عطية (ص ٢٢) ؟ يجب ان نلفت النظر ايضاً الى بعض الاخطاء المطبعية التي وقعت في كتاب كامل : ففي الرقم ٥٥٤ (ص ٤٨) قد وردت كلمة Paradies عوضاً عن Paradise وفي الرقم ٥٥٨ (ص ٤٨) Cousels عوضاً عن Counsels . وفي الرقم ٥٥٩ Jakobites عوضاً عن Jacobites . وفي الرقم ٥٦٥ Anastastius عوضاً عن Anastasius (ص ٤٨) وفي الرقم ٥٧١ (ص ٤٩) Stephan عوضاً عن Stephen واخيراً في الرقم ٥٨١ (ص ٥٠) وردت كلمة Bedouius عوضاً عن Bedouins — واذا ما انتقلنا الى المجموعة الصغيرة التي شملت النصوص المجمعية ونصوص القوانين الكنسية نرى ان المخطوطة رقم ٥٨٣ تحوي ٣٩٧ ورقة حسب كامل (ص ٥١) بينما ليس فيها الا ٢٩٧ ورقة حسب عطية (ص ١٠) . ورد في عرض المخطوطة رقم ٥٨٥ (ص ٥١) Macedonius Eutychius بينما الكتابة الصحيحة هي "Macedonius, Eutychius" . يقول كامل ان القوانين التي اصدرها البابا اقليموس تعود الى القرن الثالث عشر (رقم ٥٩٠ ص ٥١) بينما يقول عطية انها تعود الى القرن الحادي عشر (ص ٢٥) . ان اختلاف وجهة النظر بالنسبة لتاريخ المخطوطات بين كامل وعطية تظهر جلياً في المخطوطات ذات الأرقام (٢٢٣ — ٣٣١ — ٤٠٤ — ٤٣٠ — ٤٤٣ — ٤٥٢ — ٤٥٧ — ٤٥٩ — ٤٨٠ — ٤٩٩ — ٥٠٦ — ٥٣٧ — ٥٥٠ — ٥٥٦ — ٥٥٩ — ٥٦٦ — ٥٦٧ — ٥٨٠ — ٥٨٥) من لائحة كامل التي توافق المخطوطات ذات الارقام (١٤٠ — ٢٨٢ — ٤٣٧ — ٥٤٩ — ٦٧٩ — ٣١٢ — ٣٣٠ — ٣٣٢ — ٣٥٣ — ٤٥٥ — ٥٠٩ — ٥٢٣ — ٥٤٦ — ٥٥٤ — ٥٦١ — ٥٧١ — ٥٧٢ — ٥٨٢ — ٣٩٣) من لائحة عطية . ان نظرة سريعة الى مجموعة المدرجات العربية والتركية وحدها تبيّن لنا ان هنالك اخطاء في وصفها . فالمدرج رقم ١ من هذه اللائحة قد أرّخ في سنة ١١٥٠ هـ . الذي قال عنها المؤلف انها توافق السنة ١١٣٧ م . بينما الصحيح انها السنة ١٧٣٧ م . — ان المدرج ٢١٦ من لائحة كامل لا يوافق المدرج رقم ٢١٠ من لائحة مكتبة الكونغرس . انما الرقم ٢٠١ .

لا يوجد في دير القديسة كاترينة الا مخطوطة واحدة بالأرمنية وهي ترجمة لمقولات ارسطو . ان تلك المخطوطة ترجع الى القرن الثامن عشر انما من الممكن ان تعود الترجمة الى المدرسة الفيليلينية الارمنية في القرن السابع عشر . كما انه لا توجد في مكتبة الدير الا مخطوطة واحدة باللغة القبطية ولعل تاريخ الدير

يعلّل هذا الوضع . انما مجموعة المخطوطات اليونانية فهي من اهم المجموعات . وعندما يتكلم كامل عنها فلا يأتي على ذكر مؤلف بينيشيفيتش عن مخطوطات جبل سيناء اليونانية[١] . اما في ما يختص بالمخطوطات الحبشية فنجد ان هنالك ست مخطوطات وضعها كامل : وهو المتضلع من هذه اللغة : وضعها في مؤلفه عن الحوليات الحبشية[٢] . ولكنه سردها بسرعة واقتضاب في اللائحة التي نحن في صددها الآن (ص ٥٥) وقد غاب الودّاسي (le Weddāsī) عن مضمون المخطوطة رقم ٣ .

واذا ما تطرقنا الى ما يختص بالابحاث الكرجية نرى ان هذا الموضوع يستحق دراسة منفصلة . ليس بالنسبة لعدد المخطوطات فهي لا تتعدّى الست وثمانين مخطوطة : انما بالنسبة لقدمها ومحتواها . فالمخطوطات الكرجية الموجودة في سيناء تعود الى ما قبل المترجمين البيزنطيين وذلك بعكس المخطوطات المقدسية . ولا يرجع الاستاذ كامل ابداً في هذا الموضوع الى الجدول القيّم عن المخطوطات الادبية الكرجية في جبل سيناء الذي وضعه جيرار كاريت[٣] . كما انه لا يعطي الا معلومات سطحية عن هذا الموضوع فقد عرّف عن المخطوطة ٨٥ بانها اقوال الآباء (the sayings of the Fathers) ؛ والمعلوم انها تتضمّن رؤيا القديس يوحنا الانجيلي ومؤلفات لدوروتاوس الغزّاوي واندراوس القيصري – ويزعم كامل ايضاً ان المخطوطة الثالثة والثمانين تتضمّن خطب غريغوريوس النيصي بينما يؤكد كاريت (ص ٢٣٤) ان تلك الخطب تعود الى غريغوريوس النزينزي . وفي كلامه عن المخطوطة رقم ٧٣ يقول المؤلف انها لا تحوي الا الـ "Apophthegmata" (ص ٥٩) والحقيقة انها تتضمّن صلوات ومراسلات المسيح المقدسة ومراسلات ابجر ومؤلفات ليوحنا فم الذهب واعمال بيلاطس . فلماذا قد صنّف هذه المخطوطة مع اخبار القديسين (ص ٥٩) ؟ لقد جاءت المخطوطة ٦٩ تحت عنوان « حياة القديس سمعان » بينما يجب التحديد بانها حياة القديس سمعان العمودي الأصغر . واننا نلفت النظر اخيراً الى ان المخطوطة رقم ٧٨ لا تحتوي على

---

(١) V. N. Bénéchévitch, *Les manuscrits grecs du Mont Sinaï*, Athènes, 1937.

(٢) Murad Kamil, *Les Annales d'Ethiopie*, t. II (1957), pp. 83-90 M.

(٣) Gérard Garitte, *Les manuscrits géorgiens littéraires du Mont Sinaï*, Louvain, 1956.

٢٣٣ ورقة كما قال كامل (ص ٥٩) بل على ٢٥٣ كما جاء في مؤلف غارت (ص ١٢٢).

لقد وضع المؤلف فهرساً وحيداً لجدول المخطوطات جميعها. وهو يتضمّن تدابير طقسية بالعربية ومرادفاتها باليونانية وكيفية استعمالها. وقد وجدنا في هذا الفهرس بعض الأغلاط المطبعية كـ Kadisma عوضاً عن Kathisma و metalephis عوضاً عن metalèphis و menas عوضاً عن "means" الخ... كما وقعنا على بعض التعاريف الغامضة: مثلاً poluéleon means: fullof oil or full of mercy! و agrupnia means: to keep awake عوضاً عن "wakefullness"...

واخيراً لا بد لنا من القول بعد كل تلك التحفظات بان هذا الجدول سيقدم خدمات جلّى كما فعله من قبل في طبعة عربية. ولا بد للاختصاصيين ان يتقبّلوه في مكتباتهم بكل ترحاب.

بيتر هانس كولثنباخ

كتاب الملل والنحل للامام ابي منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي،

حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور ألبير نصري نادر

دار المشرق، بيروت: ١٨٢ صفحة بالعربية و١٥ بالفرنسية

المصنفات في الفرَق الاسلامية معين زاخر لدراسة الفكر الإسلامي لما تحفظه بين دفتيها من آراء واعتراضات ومذاهب اعتنقتها جماعات لم تصلنا مؤلفاتها لمخالفتها آراء الاجماع. اهم ما كتب في هذا المضمار «الفرَق بين الفرَق» لعبد القاهر بن طاهر البغدادي و«الملل والنحل» لابن حزم و«الملل والنحل» ايضاً للشهرستاني، واذا بالدكتور البير نادر يزيد مجلداً آخر على هذه المجموعة بنشره مؤلفاً ثانياً للبغدادي عنوانه «الملل والنحل».

يشير البغدادي في «الفرَق بين الفرَق» الى كتاب له سابق يدعى «الملل والنحل»، وقد عُرف لهذا المصنف مخطوط في اسطنبول ('Āsir Ef. 555. — Cf. Brockelmann, *GAL*, S. I, 666-7). الى ان اكتشف الدكتور نادر مخطوطاً آخر بمكتبة الاوقاف في بغداد.

ان اشارات البغدادي الى كتابه الأول يدعو الى الظن انه اوسع معالجة وادق تحليلاً من «الفرق بين الفرق»، الا ان طبعة الدكتور نادر تبين عكس ذلك، فثمة اختلافات بين المصنفين تفيد ان «الفرق بين الفرق»

أتم وأوفى . ومهما يكن من الأمر فلن تظهر أهمية الطبعة الجديدة على حقيقتها ما لم تقابل اختلافات المصنفين المذكورين بدقة وتدرس بامعان ، وهذا ما نوه به الدكتور نادر نفسه في مقدمة طبعته .

قام الدكتور نادر في تحقيقه مخطوط بغداد بعمل يشكر عليه وقد ساعده على ذلك جولاته السابقة الموفقة في ميدان الفكر الاسلامي . الا ان المخطوط البغدادي مبتور ينقصه القسم الأول من الكتاب بكامله . فلماذا لم يستعن الدكتور نادر بمخطوط اسطنبول ؟ ألعله لم يدر بوجوده ؟ فانه اذ يستشهد بروكلمان : يشير الى المتن فقط (*GAL*) وقد فاته ما في الملحق عن البغدادي (*GAL*, S. I, 666) .

ملاحظة أخرى اود أن أبديها تعود الى طريقة النشر : فللدكتور نادر فيها تناقضات : تراه مرات يدرج الرواية المصححة في المتن ويشرحها في الحاشية ؛ ومرات اخرى يترك الرواية السقيمة في المتن ويصححها في الحاشية ؛ ومرات اخرى يترك كلا الروايتين السقيمة والصحيحة في المتن جنباً الى جنب . — كذلك فانه ليتعذر على القارئ فهم الاسس التي يعتمد عليها المحقق في استعماله الأقواس المعكوفة ( ) والاقواس القائمة [ ] .

جون - دونوهيو

كتب ارسلت الى « المشرق »

الجزء العاشر من مسند امير المؤمنين عمر بن الخطاب عن النبي ؛
تأليف ابي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت ؛
عني بدرسه ونشره الدكتور سامي حداد
بيروت : ١٩٦٩ مطبعة الخالي اخوان : ٢٠٦ صفحات

كتاب التوحيد للشيخ الامام علم الهدى ابي منصور
محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ؛
حققه وقدّم له الدكتور فتح الله خليف ؛
بيروت ، ١٩٧٠ ، دار المشرق ، سلسلة « بحوث ودراسات » ، XLIII + ٤١٢ صفحة

JEAN-MARIE Aubert, *Sexualité, Amour et Mariage*, Paris, 1970, Beauchesne, 142 pages.

فهارس المشرق

للسنة الرابعة والستين

١٩٧٠

فهرس اول

لمواد السنة الرابعة والستين من مجلة المشرق ١٩٧٠

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الرابعة والستين للمشرق

على ترتيب أسماء مؤلفيها

١ – المطبوعات الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الرابعة والستين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم